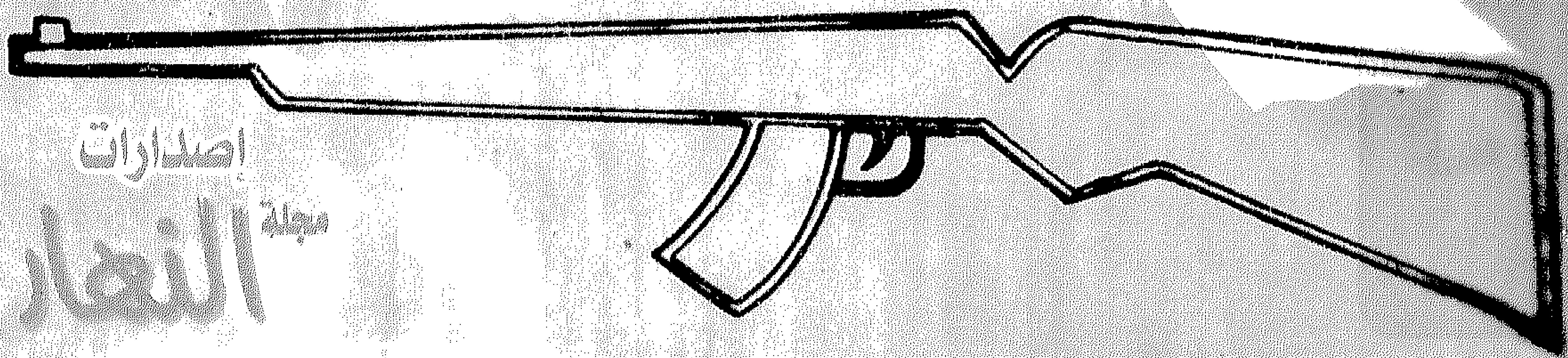
حمدى الكنيسى

الحرب طريق السلام



إصدارات مجلة النهار

لماذا؟؟

بعد ٢٤ سنة من اندلاع شرارة حرب أكتوبر، بدا أن هناك عودة إسرائيلية إلى نغمة القوة، والاستهانة بحقوق الآخرين وهى نفس النغمة التى كانت سائدة قبل حرب أكتوبر، والتى قادت إسرائيل إلى حافة الإنهيار لولا الإنقاذ الامريكى. والمفترض والمأمول ألا تؤدى النغمة الجديدة إلى حرب أخرى لأن (أكتوبر) حركت المنطقة والعالم على طريق السلام.. لكنه قد يكون من المفيد أن تتذكر إسرائيل وقائع وأحداث أكتوبر ليزداد تمسك الشارع الاسرائيلى المعتدل بالسلام، كما أنه من المفيد أن يتذكر العرب تفاصيل انتصارهم الأكتوبرى المجيد ليزدادوا ثقة بأنفسهم وادراكا لأهمية وحدة مواقفهم وتكامل طاقاتهم وإمكاناتهم الكبيرة.

ولذلك كان هذا الكتاب!

إهــــداء 2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد

القاهرة

الحرب .. طريق السلام

«قراءة جديدة لوقائع وأسـرار
حرب أكتوبر .. ومعركة السلام»

حمدى الكنيسى

أكتوبر حتى لا ننساه

حرب أكتوبر المجيدة هى الحرب التى تجئ في أنصع صفحاتنا كأعظم إنجاز عربى فى عصرنا المعاصر . . .

وبعد كل هذه السنوات.

يلفنا الخجل من عدم إحتفائنا بهذا النصر العظيم ومن قلة ماقدمنا عن أكتوبر.

• ومساهمة منا في تخليد هذا النصر تلقفت مجلة النهار - كتاب الإعلامى الكبير والمبدع حمدى الكنيسى لتقوم بنشره إيماناً منها بأكتوبر وإيماناً بأن كتاب «الحرب طريق السلام» - الذى يضمنه المؤلف مشاهداته ومعايشته لوقائع الحرب كمراسل حربى .

وخبرته الإعلامية الواسعة في التحليل السياسي- سيحتل مكانة بارزة في المكتبة العربية كواحد من أهم الكتب [illegible] هذه الحرب وتأثيرها [illegible] فى معركة السلام

الناشر

أيمن السيسى

رئيس تحرير مجلة النهار

إهــــداء



«ليس لدى المصـريين أدنى فرصة.. إنهم فقط يستطيعون أن يحاربوا أفضل اذا ماحصلوا على (طيارين ألمان!!)»

وكان على قائد سلاحنا الجوى أن يرد عملياً على ماقاله وزير الدفاع الإسرائيلى موشى ديان.



ولذلك تعلقت عقول وقلوب كل من كانوا فى غرفة عمليات حرب أكتوبر بالرجل الذى حمل مسئولية اللحظة الحاسمة فى الحرب ليقود فيها رجاله موجها الضربة الجوية الرائعة التى أفقدت العدو اتزانه، وأربكت حساباته وأشعلت - فى الوقت ذاته - حماس قواتنا المتأهبة للعبور.

ولدى رحيل الرئيس أنور السادات صاحب قرارى الحرب والسلام.. انزعج الكثيرون قلقاً على العملية السلمية التى أطلقها بمبادرته الشهيرة، لكن الأيام أثبتت أن الرجل الذى حمل المسئولية بعده جاء فى وقته تماماً.. فقد نجح - بما وهبه الله من صبر ومثابرة ووضوح رؤية - فى أن يجعل العالم كله ينظر بكل التقدير والإحترام لدور مصر المحورى المتواصل فى دفع عملية السلام وإخراجها من المآزق العديدة التى تعرضت وتتعرض لها.

ولذلك فإن من حقه ومن واجبى أن أهدى إليه هذا الكتاب..

إلى (القائد) و (الزعيم) الرئيس

محمد حسنى مبارك

حمدى الكنيسى

مقدمة

«طالما أن لنا جنوداً إسرائيلين ، وأن قناة السويس هى حدودنا العسكرية ، وأن العرب هم أعداؤنا . . . فإن كل شيء على مايرام!!» هكذا تحدث جنرال اسرائيل المدلل ووزير دفاعها فى الستينيات والسبعينيات أمام المؤتمر الاقتصادى الذى عقد فى تل أبيب فى شهر يونيو من عام ١٩٧٣

هكذا تحدث موشى ديان وابتسامة الثقة تملأ وجهه!

وهكذا تصور الإسرائيليون كلهم أن كل شيء سيظل على مايرام طالما لديهم جنودهم (السوبر)، وقناة السويس هى حدودهم، والعرب هم أعداؤهم!!

وهكذا تصوروا أن نظرية الأمن التى اعتنقوها بل قدسوها ستضمن لهم الأمن والاستقرار إلى الأبد! فماذا حدث بالضبط عندما تعرضت هذه النظرية المقدسة لأول اختبار حقيقى ؟!

لقد اندلعت فى السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ حرب أكتوبر ليجتاح طوفانها العربى كل المعتقدات الاسرائيلية الرواسخ مقتلعاً نظرية الأمن من جذورها لتدفن تحت بقايا حصون خط بارليف إياه ! فلا جنودهم (السوبر) صمدوا أمام الاجتياح المصرى والسورى ولا قناة السويس (والجولان) كانت الحدود الآمنة، ولا العرب كانوا هم العرب الذين صورتهم الدعاية الصهيونية والغربية كجنود وضباط جهلة جبناء لايصمدون فى أى معركة! . . . ولعل الصور التى تناقلتها وكالات الأنباء للجنود والضباط الإسرائيليين وهم يلوذون بالفرار بعيداً عن قناة السويس رافعين أيديهم استعدادا للاستسلام أمام المقاتلين المصريين كانت خير تجسيد للحقيقة التى لطمت أنظار وأسماع الاسرائيلين الحقيقة التى قالت لهم بكل اللغات (إن كل شيء ليس على مايرام!! وإن نظرية الامن (إياها) لايمكن أن تضمن لهم أمناً أو استقراراً أو رخاءً) وهذا ما اعترف به قادة وجنود وضباط اسرائيل ويكفى أن أشير مثلاً إلى ما قالته (جدتهم) ورئيسة وزرائهم وقتذاك جولدا مائير عندما قالت بالحرف الواحد:

إن صدمتنا لم تتمثل قط فى الطريقة التى حاربونا بها، ولكن لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التى آمنا بها قد انهارت أمامنا، فقد آمنا باستحالة وقوع حرب أخرى (كل شيء على مايرام!!) وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً بتحركاتهم، وآمنا بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس وقد انهار ذلك كله فجاة. إن

ماحدث شيء لايمكن وصفه ويكفى أن أقول إننى لم أستطع أن أبكى، وكنت معظم الوقت فى مكتبى، وأحياناً فى غرفة العمليات وكانت هناك اجتماعات متواصلة وتليفونات مستمرة من أمريكا، وأخبار مروعة من الجبهة، وكانت خسائرنا تمزق قلبى!».

أما موشى ديان صاحب التعبير الواثق (كل شيء على مايرام) فقد انهار تماماً وهو يصارح الصحفيين قائلاً :

لا أخفى عليكم أن قواتنا فى الجولان وقناة السويس فى حالة زعر تام، ولم يعد لخط بارليف وجود، وأصارحكم بأننى لا أتمنى أن أكون فى هذه اللحظات فى موقف رجال مدرعاتنا ، أما سلاحنا الجوى فقد تم تحييده، وبلغت خسائرنا فيه فى اليوم الأول فقط ستين طائرة منها ست وثلاثين طائرة فانتوم !!)

ومع أنهيار نظرية أمنهم رغم الدعم الأمريكى العلنى والسرى الضخم كان لابد أن يتجه التفكير نحو الطريق الحقيقى للأمن والاستقرار والرخاء، (طريق السلام)، وكما كشفت الوثائق، المتبادلة بين أمريكا (كيسنجر ونيكسون)، وإسرائيل (الفير دينتز وجولدا مائير)، ومصر (الرئيس السادات وحافظ إسماعيل) كيف أن كلمة (السلام) طرحت نفسها بقوة.

ولعل إحدى الرسائل المتبادلة والتى تمت صياغتها فى المكتب البيضاوى (مكتب الرئيس الأمريكى نيكسون) تؤكد هذا المعنى :

من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ اسماعيل

يرجو الدكتور كيسنجر من السيد إسماعيل إحالة الرسالة التالية من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات :

إن الولايات المتحدة على استعداد لتأييد إرسال قوة دولية مؤلفة من قوات من غير الدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن لكى ترسل إلى الشرق الأوسط تنفيذاً لقرار مجلس الأمن، ونحن على ثقة من أن هذا سوف يفيد فى دعم وقف القتال، «ويفتح الطريق نحو مفاوضات لسلام عادل ودائم فى المنطقة، وإن الولايات المتحدة لتكرر القول برغبتها فى القيام بدور فعال يبدأ بزيارة الوزير كيسنجر للقاهرة يوم ٧ نوفمبر !»

هكذا تحدثت رسالة الرئيس الأمريكى نيكسون عن السلام العادل والدائم، ولعله

من تحصيل الحاصل أن نقول إنه ووزيره كيسنجر (اليهودى الذى فعل المستحيل لإنقاذ جيش الدفاع) كانا يعبران (بشكل مباشر) عن قادة إسرائيل . . . وتوالت نتائج حرب أكتوبر لتصل إلى الذروة بمبادرة الرئيس السادات (نوفمبر ١٩٧٧) وبدء المفاوضات بين مصر السادات وإسرائيل بيجن (وأمريكا كارتر) . . وتم توقيع أول اتفاقية سلام (١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨) فى مؤتمر صحفى تركزت فيه أنظار العالم كله. على الرؤساء جيمى كارتر وأنور السادات ومناحيم بيجن وهم يعلنون رسميًا بدء مسيرة السلام التى اتخذت ثلاثة محاور: الأول خاص بتنفيذ الانسحاب الإسرائيلى من بقايا الأراضى المصرية المحتلة فى شبه جزيرة سيناء، والثانى: بشأن بدء محادثات وإجراءات إقامة علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل، والمحور الثالث الخاص ببدء مباحثات الحكم الذاتى الفلسطينى.

وبعد رحيل الرئيس أنور السادات (صاحب قرارى الحرب والسلام)، واصل الرئيس حسنى مبارك المسيرة السلمية بأسلوب نال إعجاب وتقدير العالم، ووضح تركيزه الخاص على القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر العملية السلمية، ونجح فى إنهاء القطيعة العربية لمصر وبدأت المسيرة تتحرك فى اتجاهها الصحيح، وظهرت تباشير الصحوة العربية الضرورية لتوازن المواقف فى مفاوضات السلام، لكن كارثة غزو العراق للكويت وتداعياته أصابت القضية الفلسطينة بضربة قاصمة أفقدتها معظم المكاسب التى كانت قد حققتها فى السنوات الأخيرة، ومع ذلك ولأنها طبيعته وإحدى السمات الرئيسية فى شخصيته لم يركن الرئيس حسنى مبارك إلى اليأس فاستأنف جهوده من أجل دفع عملية السلام واستعادة التضامن العربى فى ذات الوقت، وقامت مصر بدور كبير فى التمهيد لعقد مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ للتوصل إلى سلام عادل على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨.

واستمرت - بشكل غير منتظم - مفاوضات مدريد، إلى أن توقفت بظهور اتفاقية أوسلو بين الاسرائيلين والفلسطينيين، ثم كان توقيع اتفاق السلام بين الأردن وإسرائيل.

صحيح أن ثمة تعثراً يعترض الآن مسيرة السلام خاصة بعد محاولة اسرائيل التنصل من التزامات اتفاق أوسلو، وهذا ماظهر واضحاً منذ وصل بنيامين نتيناهو إلى كرسى رئاسة الحكومة فوق حصان ليكودى جامح، ووجد نفسه أسيراً لمنطق المزايدات والشعارات الانتخابية التى جلبت له أصوات المتشددين الذين استثمروا نتائج

العمليات الفدائية الفلسطينية فى أواخر حكم شيمون بيريز رئيس حزب العمل، لكن المؤكد بكل المقاييس وبما تمليه دروس التاريخ وما أكدته حرب أكتوبر أن السلام أصبح هو الخيار الوحيد، وأن مايتصوره طرف من امتلاكه لعناصر التفوق العسكرى (مهما كان حجمه)، لابد أن يصطدم بالحقيقة التى تقول إن أصحاب الحق العادل هم الأقوى . . والأبقى.

ولذلك فإننا نرى أن نيتناهو، ومن معه، ومن وراءه سوف يدركون هذه الحقيقة وتلك الدروس، وبالتالى يتوقفون عن الممارسات والماحكات التى كادت تجهض عملية السلام، خاصة بالعودة إلى سياسة بناء المستوطنات فى الأرض الفلسطينية، أو يستعيد (الواقعيون) فى إسرائيل توازنهم وقوتهم ليستكملوا بأنفسهم مسيرة السلام. كما أن ثمة دلائل على أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تتخلى عن سياسة الكيل بمكيالين، لتستعيد بسلاح الحياد والموضوعية قوة تأثيرها الإيجابى فى سبيل دفع عملية السلام، كذلك فإن الأمة العربية تستطيع اختصار هذا الطريق لو تحركت بسرعة نحو التكامل الاقتصادى والعسكرى والسياسى بما يجسد (حجمها الحقيقى) الذى ظهر جزء منه فى أكتوبر والذى لايمكن لأحد أن يتجاهله، وبالتالى يعود لنداء السلام العادل سحره وفاعليته . . هذا النداء الذى جسدته كلمات تلك الأغنية التى أخذ الإسرائيليون يرددونها ويستمعون إليها فى الإذاعة والتليفزيون بعد حرب اكتوبر ٧٣ والتى تقول كلماتها.

« باسم الجنود الذين احترقوا فى دبابتهم . .
باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة فى أجسادهم . .
باسم، وباسم، وباسم . .
أعدك يا صغيرتى العزيزة بأن هذه الحرب ستكون
الأخيرة. نعم الأخيرة . . الأخيرة. »

وقد علق -وقتها- الكاتب الإسرائيلى ڤيكتور سيجلمان على هذه الأغنية بقوله: كانت أغانى ٦٧ تعبر عن فرحة الحياة، ولذة النصر، أما الآن بعد حرب الغفران (أكتوبر) فقد خارت قوى الأبطال، **(ولم يسبق فى تاريخ إسرائيل القصير أن شعر الإسرائيليون بمثل هذه الشدة والحدة بالتعطش إلى السلام والهدوء وزوال التوتر !)**

الفصل الأول

الفصل الأول

« كيف كانت إسرائيل ترى نفسها .. وترانا قبل الحرب »

لكى نتبين الحجم الحقيقى لنتائج حرب أكتوبر ، لابد أن نعيد عجلة الزمن إلى الوراء لنتوقف أمام الصور التى كانت سائدة بعد نكسة يونيه ٦٧ ، وأعترف أن مهمتى يسيرة للغاية ذلك لأن الإسرائيلين أنفسهم قادة ومفكرين وصحفيين وفروا علىّ جهداً كبيراً بما سجلوه هم أنفسهم من مواقف وأقوال ألتقط أنا بعضها الآن (دون تعليق) لأنها تكون فى مجملها ملامح وأبعاد تلك الصور التى كانوا يرون أنفسهم فيها ، كما يرون -من خلالها- الأمة العربية كلها !

***

الصورة الأولى : لافتة فوق نقطة حصينة :

« كان ذلك فى أحد الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٨ ، والمكان هو موقع رأس العش فى شرق القناة والذى تشبثت به القوات المصرية ولم تنسحب منه فى يونية ٦٧ بل قامت بصد وتدمير جميع الهجمات الإسرائيلية عليه والتى استمرت منذ ذلك التاريخ حتى وقف حرب الاستنزاف» . . وفى ذلك اليوم تحرك قائد الموقع المصرى فى عملية استطلاع للمواقع الإسرائيلية القريبة منه . . وحين وصل إلى نقطة (التينة) الحصينة . . شدت نظره لافتة ضخمة وضعها الإسرائيليون فى مكان بارز من الحصن . . ، وبدأ الرجل فى قراءتها وهو يشعر أن سكيناً حادة تمزق صدره ، كانت اللافتة مكتوبة بثلاث لغات : «العربية» . . والإنجليزية والعبرية . . » وقد تضمنت الكلمات التالية :

« سنة ١٩٤٨ ـــــ أخذنا فلسطين .

سنة ١٩٥٦ ـــــ أخذنا شرم الشيخ .

سنة ١٩٦٧ ـــــ أخذنا سيناء .

سنة ١٩٧٥ ـــــ سنأخذ القاهرة !!! » .

نسى الرجل نفسه لحظات . . وأخذ يعيد قراءة اللافتة الإسرائيلية وكأنه قد استمرأ

تعـذيب نفسـه . . ، وفى أثناء ذلك نادى عليـه جندى إسـرائيلى - ولـم يكن هـو يضع علامات رتبته فوق كتفيه والتى تبين أنه قائد . وقال له الجندى .

« مـصـرى . . يا مـصـرى . . أنا كنت فى العـريش إمـبارح وكنت نايم مع أخـتك هناك !!» .

. . وغلى الدم فى رأس الضـابط المـصرى . . وأحس بأن صـدره يتمزق أكـثر . . لكنه لم يرد عليه . . ودعـا الله أن يأتى اليوم الذى يكون فيه الرد العملى البليغ . (بل إنه اقترح بعد ذلك على القـائد العـام حين بدأت حرب الاستنزاف أن يقوم باحتلال هذه النقطة أثناء أى اشتباك ، ولم يتصدق له بذلك .)

ملحوظة بالغـة الأهمية : فى ٦ أكتوبر ٧٣ كان هذا الضـابط الذى أصبح عقيداً قائداً للواء مشاة سمى باسم «لواء النصر» ، وقد وجه هذا اللواء ضربات عنيفة للقوات الإسرائيلية ، واستولى على أكثر من نقطة قوية . وكانت شجاعة قائده (العقيد عـادل يسرى) مثار الإعجاب ، حتى إنه سمى «روميل العربى» .

الصورة الثانية : «ونحن لا نبالى» :

مجموعة من الشباب الإسرائيلى . . يمسك أحدهم براديو ترانزستور . . انطلقت منه أغنية مشهورة فى إسرائيل - وأخذ الجميع يرددون مع المغنى :

العالم كله ضدنا . .
لايهمنا !!
العالم كله ضدنا . .
ونحن لانبالى
العالم كله ضدنا . .
لايهمنا !!

الصورة الثالثة : «لانخجل من شىء !» :

* الزمن : ١٠ أبريل عام ١٩٧٣ . المكان : قلب بيروت .

* تسلل عـدد من جنود الكومـاندوز الإسرائيلين الذين أحسن تدريبهم إلى قلب العاصمة اللبنانية (العربية) وقتلوا ثلاثة من القادة الفلسطينين داخل بيوتهم إذ أمطروهم

بوابل من رصاص بنادقهم الرشاشة الجديدة من طراز «جليل» المصنوع فى إسرائيل. (إنه عمل رمزى).

حدث ذلك.. ولم تعبأ إسرائيل بردود الفعل العربية والعالمية. لهذا العمل الذى يتسم بالغدر والتبجح. حتى إن السيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء وقفت أمام عدسات المصورين وقد ملأت الابتسامة السعيدة تجاعيد وجهها.. وهى تقول «إنها عملية رائعة.. إننا -فى إسرائيل- يجب ألا نخجل من شىء !!.

وتنتقل الكاميرات إلى بقية القادة والجنرالات.. وتتسم كل التصريحات باحتقار العرب. والاستهزاء بالرأى العام العالمى، بل إن رئيس الأركان -الجنرال دافيد اليعازار قال وهو يشير بسبابته: «لسوف يأتى اليوم الذى نفعل فيه الشىء نفسه فى العاصمة الليبية طرابلس».

الصورة الرابعة: «من الخرطوم إلى .. بغداد .. إلى الجزائر .. والعكس !!»

*الزمان: ٢٠ يولية ١٩٧٣. المكان: صفحات جريدة معاريف.

* تتصدر الصفحة الأولى صورة القائد الإسرائيلى المنتفخ الأوداج إريل شارون.. بمناسبة إدلائه بتصريح جديد.. قال فيه بالحرف الواحد: (إن إسرائيل الآن قوة عسكرية عظمى، فأى دولة أوربية أضعف منها عسكريًا.)

« إننى أرى أنه ليس هناك أى هدف عسكرى أو مدنى من الخرطوم إلى بغداد والجزائر -بما فى ذلك الأراضى الليبية- إلا ويستطيع الجيش الإسرائيلى غزوه فى خلال أسبوع واحد».

الصورة الخامسة: « لو أطلقوا قذيفة واحدة !! »

* الزمان: أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٧٣. المكان: مرتفعات الجولان.

* مجموعة من الشباب الإسرائيلى يقومون بزيارة للجولان، يقف بينهم الضباط اليهود.. ويقولون لهم ضاحكين:

« انظروا إلى العرب.. إنهم إذا أطلقوا قذيفة مدفع واحد.. فإننا سنكون فى دمشق فى اليوم التالى مباشرة».

.. وتنطلق الضحكات من الجميع!

الصورة السابعة : « أيها الجبناء .. ماذا تنتظرون !! »

* الزمان : مارس ١٩٧٣ . المكان : الساتر الرملى على الضفة الشرقية لقناة السويس .

* مجموعة من الجنود والضباط الإسرائيلين . . تركوا موقعهم ووقفوا فوق الساتر بجوار إحدى نقاط الملاحظة . . يأكلون البرتقال ويلقون بالقشر فى مياه القناة الراكدة ، ويصيحون على بعض الجنود المصريين فى موقعهم بالضفة الغربية . . ويحركون أصابعهم نحوهم بشكل فاضح ومستفز . ولا يكتفى أحدهم بذلك بل يهبط من فوق الساتر . ويفك أزرار بنطلونه . . لكى يتبول فى القناة ! . . ويظهر ضابط مصرى . . وفى يده ميكرفون صغير ويوجه كلامه للجنود الإسرائيلين ، متحدثاً عن ضرورة وقف الاستفزاز . . وعن الدوافع الإنسانية والأخلاقية التى ينبغى أن تدفعهم إلى مناقشة قادتهم فى سياستهم العدوانية التوسعية . ثم يحدثهم عن جماعة الفهود السود فى القدس وكيف تحمل راية العصيان على المؤسسة العسكرية - وللسياسة العنصرية والتوسعية التى تتحكم فى إسرائيل .

* ولم يكد الضابط المصرى ينتهى من كلماته ، حتى تدافع الجنود الإسرائيليون على ميكرفون أمسك به أحدهم ، وأخذوا يتسابقون إلى إلقاء النكات القاسية والجارحة على الجنود المصريين ، كما تحدثوا عما أسموه بالتخلف فى مصر والجبن الأبدى الذى يطبع الجيوش العربية فى مواجهة جيش الدفاع الأسطورى . . ولم يكتف أحدهم بذلك بل إنه أمسك بالميكروفون وأخذ يصيح فيه موجهاً كلامه للجنود المصريين الذين ظلوا فى أماكنهم على الضفة الغربية يسمعون أو يتجاهلون ما يدور فى تلك الساعة .

قال لهم الجندى الإسرائيلى :

« ماذا تنتظرون كى تعبروا؟ هذه ليست بحرب ولا بسلام أيضاً . إنه حائط أيها الجبناء ! ! » .

وفى تلك اللحظة بالذات قبض الجندى عطية على رشاشه وكاد يفتح نيرانه عليهم لولا أن أمسك به زميله «صابر» وأخذ يهدئ من ثورته . . وكانت الدموع تطفر من عينى «صابر» جندى المؤهلات الذى مضى على وجوده فى هذا الموقع ثلاث سنوات كاملة .

ودعـا الضـابط المـصـرى جنوده إلى النزول إلى خنادقـهـم. . وظل هو مكانه. . لاتبتعد نظراته عن مياه القناة الراكدة. . ولم تهدأ ضحكات الجنود الإسرائيلين فوق الساتر الشاهق.

الصورة السابعة : « أنا بمفردى .. أوقفهم !! »

فى أحد أيام عام ١٩٧٠ . . سأل صحفى جنرالاً إسرائيليًا (عمل كرئيس للأركان قبل ذلك) عما قد يحدث لو حاول المصريون عبور القناة، فقهقه الجنرال. . وأخذ يدق بيده فى فخذيه. . ثم رد على الصحفى : «إننى - بمفردى - وبمدفع هاون عيار ٨١ - أستطيع أن أوقف عبورهم».

الصورة الثامنة : « السادات .. لم تواته الشجاعة !! »

١ - فى ١٩ سبتمبر ١٩٧٣ وجهت جولدا مائير رسالة إلى يهود الشتات بمناسبة العيد الجديد. قالت فيها :

« إن هناك سببين رئيسين للهدوء الذى يسود خطوط وقف القتال هما قوة الردع لدى الجيش الإسرائيلى، والقوة الداخلية فى إسرائيل».

٢ - فى ٣ سبتمبر من العام نفسه وعند افتتاح مستعمرة (هامبوهاد) قالت رئيسة الوزراء الإسرائيلية :

« إن السادات لم تواته الشجاعة لكى يعترف بأن عليه أن يقيم السلام مع إسرائيل لأنه عاجز عن هزيمتها فى ميدان القتال».

الصورة التاسعة : « نحن .. الأقوى »

الزمان : ٩ أغسطس ١٩٧٣.   المكان : الأكاديمية العسكرية الإسرائيلية.

المناسبة : تخرج دفعة جديدة من الأكاديمية.

المتحدث : الجنرال موشيه ديان.

التصريح : «إن ضعف العرب يأتى نتيجة عوامل أعتقد أنها لن تتغير فى وقت قريب. وهذه العوامل هى : المستوى المنخفض لتعليم جنودهم وقدرتهم التكنولوچية، والانقسامات السائدة فى العالم العربى - أما شبابنا الإسرائيلى فعلى العكس من ذلك فإن صفاتهم عالية سواء من الناحية الثقافية أو التكنولوچية» أو فيما

يتعلق بالمهارة والروح القتالية . وفضلاً عن ذلك فإن خطوطنا العسكرية قد أصبحت ملائمة لنا تماماً . وقد أعدت جيداً للدفاع والرقابة الإليكترونية . لهذه الأسباب أقول إن الحرب مستحيلة الوقوع .

***

تلك كانت أمثلة محدودة جداً . . من عشرات ومئات الصور والمواقف والتصريحات التى عزفتها الفرقة السيمفونية للدعاية الإسرائيلية - منذ عام ١٩٦٧ ، وبعد ذلك الانتصار الذى حققه جيش الدفاع - فى ظروف غير طبيعية - على القوات العربية - عشرات ومئات الصور التى تقول بمنتهى الوضوح والثقة : إن إسرائيل بجيشها الذى لا يقهر ، وجبهتها الداخلية القوية . واقتصادها المزدهر لم تعد أقل من أى دولة كبرى !!

ولكن حيث إن هذه « الصفة الضخمة » أكبر من أن أدلل عليها بتسع صور فقط ، فإننى أتوقف الآن أمام أمثلة محدودة جداً لما قاله الآخرون عنها حتى يتضح الجانب الثانى من جوانب الصورة - وكما يراه العالم نفسه .

وقال الآخرون عن إسرائيل والعرب :

١ - لن تقع أية حرب !

فى سبتمبر من عام ١٩٧٣ قال الخبير العالمى « هولبروك » فى مجلة السياسة الخارجية الأمريكية التى يعمل أيضاً رئيساً لتحريرها :

« إن إسرائيل لم يسبق لها طوال تاريخها المضطرب أن كانت آمنة بمثل هذا القدر ، ولا متفوقة من وجهة النظر العسكرية بمثل هذا التفوق - وبعد انقضاء ست سنوات على حرب الأيام الستة ، فإن نشوب حرب صريحة بين إسرائيل وجيرانها العرب يبدو أقل احتمالاً مما كانت عليه فى أى وقت من الأوقات » .

ملحوظة قصيرة جداً : (اندلعت شرارة الحرب . . وتعرضت إسرائيل للطوفان العربى ، بعد أقل من شهر من نشر مقال الخبير الأمريكى الكبير هولبروك) .

٢ - أفضل طيارين فى العالم :

فى شهر أغسطس ١٩٧٣ (قبل دراسة رئيس تحرير السياسة الخارجية الأمريكية

بشهر . . وقبل اندلاع شرارة الحرب بأقل من شهرين) صدر التحليل الأخير للميزان العسكرى عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ عن المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن . وقد جاء فى هذا التحليل أن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة . . حيث بلغ مجموع ما لدى إسرائيل الآن ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج ، وإنه من دواعى فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين فى العالم ! !

٣ - العلم الإسرائيلى فوق السد العالى :

فى روايته «مياه أسوان» تصور الكاتب الألمانى «ميكائيل حاييم» أن إسرائيل قادرة على الوصول إلى السد العالى بفضل جنودها الجدد من العلماء. فتخيل أن المصريين يستيقظون ذات يوم ليجدوا علم إسرائيل فوق السد العالى ، فقد وصلت إسرائيل إلى هذا المكان أيضاً ، وأصبحت أعلامها تنتشر فوق عوامات من المطاط تقف أمامه ، ثم بدأ قادة إسرائيل يعقدون المؤتمرات الصحفية التى يقولون فيها إن مصر فى جيوبهم ، وإنهم سوف ينسفون السد العالى فتغرق مصر بمن فيها من المصريين. وبالفعل - كما تخيل الكاتب - زحفت مياه بحيرة ناصر إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتهدم الهرم الأكبر ، وغرقت الأشجار والبيوت وطفت جثث المصريين على سطح مياه الفيضان ، وعندما يتم اكتشاف المادة التى ألقاها العالم اليهودى وأدت إلى هذا الفيضان ، يكون الدمار قد عم كل أرجاء الدلتا ووادى النيل ، وأصبحت مصر - بلا مصريين - لقمة سائغة فى يد إسرائيل المنتصرة التى تستطيع الآن أن تحقق أحلامها فى بناء الدولة التى تمتد من النيل إلى الفرات .

٤ - لا أمل .. لا حل .. أو هى القنبلة الذرية !!

فى أبريل ١٩٧٣ وصل كبير الخبراء السوفيت الجنرال «لاشنكوف» إلى مصر لدراسة مطالبها من بعض الأسلحة ، وكان برنامج زيارته يتضمن جولة فى المواقع التى اتخذتها القوات المصرية غرب القناة ، وحينما وصل الجنرال الكبير إلى الإسماعيلية ، استقبله اللواء سعد مأمون قائد الجيش المصرى الثانى . ودار بينهما هذا الحوار البالغ الأهمية :

- الجنرال لاشنكوف : كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك !

- اللواء سعد مأمون : ممتازة . . ممتازة للغاية .

- الجنرال لاشنكوف : وما تقديرك للكفاءة الفنية لأسلحتكم ؟

- اللواء سعد مأمون : مائة فى المائة .

** حينئذ نظر الجنرال السوفيتي إلى المصاطب الترابية المرتفعة - التى أنشئت على الضفة الغربية بعد خروج الخبراء السوفييت - وسأل عن الهدف من إقامتها ، وشرح له سعد مأمون فكرتها بصفة عامة دون أن يتناول التفاصيل ، ثم وجه الجنرال لاشنكوف بصره إلى الضفة الشرقية حيث ترتفع السواتر الترابية للعدو . . وسأل قائد الجيش الثانى :

- ما تصورك ؟ كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هذا الساتر المرتفع إلى ٢٠ متراً؟

** ولسبب ما لم يشر اللواء سعد مأمون إلى الابتكار المصرى المتمثل فى استخدام مدافع المياه (التى أثبتت نجاحها المذهل بعد ذلك حين بدأت الحرب) - لكنه قال له : «سنفجر هذا الساتر بالديناميت وسوف تعبر دباباتنا فى ثلاث ساعات .

فقال الجنرال السوفييتى الكبير :

« إنكم تفكرون فى الحرب بأساليب عام ١٩١٤ قبل أن تُخترع الدبابات . .

هل تتصور يا جنرال أن المقاتل الفرد فى الحرب الحديثة يستطيع أن يتصدى لدبابة ؟ إن دبابات إسرائيل أمامكم . . فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟

وتساءل اللواء سعد مأمون - بمنتهى الخبث :

٥ - لغة الجيش الذى لايقهر :

فى أعقاب يونية ١٩٦٧ أرسل رئيس تحرير مجلة دير شبيجل الألمانية الغربية خطاباً إلى السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائييل قال فيه بكل الانبهار :

« إننى يا سيدتى أشعر بالأسف الشديد لأننى أصدرت ملحق المجلة الخاص بالانتصار الإسرائيلى باللغة الألمانية .

إننى سأفرض على المحررين فى دور الصحف التى أملكها أن يتعلموا العبرية . . لغة جيش الدفاع الذى لايقهر !!» .

٦ - ميدالية ديان :

فى ذلك العام أيضاً . . وبكل الحماس الهستيرى أصدر وزير المالية الهولندى أمراً

إلى دار سك النقود، بأن تبادر على الفور بسك ميداليات ذهبية وفضية وبرونزية تكون صورة موشى ديان (بالرباط على عينه اليسرى) فوق وجهها الأول، وتكون النجمة السداسية . . نجمة صهيون وجهها الثانى !!

ولقد صدرت هذه الميداليات بالفعل، وسرعان ما تحولت إلى «موضة» انتقلت من هولندا إلى أوربا الغربية . .

٧ - تعلموا .. من جيش الدفاع .. أيها السادة !

فى آخر سلسلة من التحقيقات والريبورتاجات التى نشرت فى صحيفة الديلى تليجراف عن جيش إسرائيل الأسطورى - قال المحرر العسكرى : «إن حرب الأيام الستة . . يجب أن تكون البوصلة الهادية لكل العسكريين الغربيين وغير الغربيين . . وكل المسئولين فى الأكاديميات العسكرية فى العالم.

وإن صورة موشى ديان يجب أن توضع جنباً إلى جنب مع صور الأبطال العسكريين عبر التاريخ ».

وفور اندلاع حرب أكتوبر قالوا :

١ - جيش الدفاع سيحل أزمة المساكن والمواصلات فى مصر :

« لقد كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم منذ بضعة أيام أن الجيوش السورية والمصرية حشدت للقيام بالهجوم فى وقت واحد، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر . (ونحن لانشك أبداً فى أننا سننتصر)»

* بعد هذا التصريح الواثق جداً . . المطمئن جداً لجولدا مائير وفى اليوم الثانى من أيام الحرب الطوفانية . . اتصل وزير الخارجية الأمريكى بالسيدة جولدا مائير . . وسألها عن الموقف . . فى جبهات القتال . فقالت له . . بنفس الثقة . ونفس الغرور : «أعطنى - يا عزيزى كيسنجر - أربعاً وعشرين ساعة أخرى لكى يتمكن جيش الدفاع الإسرائيلى من حل أزمة المساكن والمواصلات فى مصر، وذلك بإلقاء جيشها كله فى قناة السويس !!

٢ - سنضربهم ضرباً مبرحاً .. سنسحق «كليتهم» :

استمع الإسرائيليون فى ساعات الحرب الأولى . . إلى التصريح الثانى - وقد جاء

هذه المرة على لسان معشوقهم الأول وجنرالهم المدلل موشيه ديان الذى نقل الأثير العبرى كلماته الحادة الواثقة التى تقول :

« إننا سوف نلحق بالعرب هزيمة مجلة إننا سوف نضربهم ضرباً مبرحاً . . ولسوف نسحق «كليتهم» .

إن تحقيق النصر على هؤلاء العرب لايحتاج منا إلى شهور أو أسابيع أو حتى أيام . . إنها مسألة ساعات فقط» .

٣ - مؤتمر « سحق العظام » :

بعد ذلك تقدم دافيد أليعازر رئيس الأركان ليأخذ دوره فى طابور قادة إسرائيل الواثقين المطمئنين المهددين للعرب بالويل والثبور . وعظائم الأمور !

وفى مؤتمر صحفى عقد فى قاعة بيت سوكولوف للمؤتمرات - وهى المركز الصحفى لجيش الدفاع الإسرائيلى - قدم أليعازر عرضاً إجماليًا لنتائج الـ ٤٨ ساعة الأولى من الحرب، ثم بدا وقد تقلص فكه وبرقت عيناه فى نوبة غضب جامع فى توجيه تهديداته . . فقال بالحرف الواحد :

« إننا سوف نطارد المصريين والسوريين فى كل مكان، سنلاحقهم وسنسحق عظامهم» .

٤ - حزنت عليكم !

بعد وقف إطلاق النار . . وحضور وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر إلى القاهرة قال للرئيس السادات : «عندما اندلعت الحرب أيقظنى آبا إيبان من نومى ليبلغنى بأن مصر وسوريا هاجمتا إسرائيل وأقول لك الحق . . إننى حزنت وقتها عليك، وقلت : بعد ساعتين أو ثلاثة سيدمر الإسرائيليون الجيش المصرى، وإسرائيل إذا انتصرت لثانى مرة فلن يستطيع أحد أن يتحدث معها ! !» .

٥ - السادات يصرخ « انقذونى» !!

فى صباح يوم (٧ أكتوبر ٧٣) وبينما أجهزة الإعلام الإسرائيلى تواصل - لليوم التالى - الحديث عن هجمات الجيش الإسرائيلى المضادة التى «تهزم» العدو «وتسحقه» ! نشرت صحيفة معاريف كاريكاتير بريشة الرسام كارئيل جردوش (دوش)، انتشر بسرعة خاطفة بين الإسرائيليين الذين أخذوا يتفرجون عليه . . ثم

ينفجرون في الضحك . . كان رسام الكاريكاتير (دوش) قد رسم شعب إسرائيل في صورة «يسرائيل» الذى يضع على رأسه قبعة «تنبل» وفي يده بندقية منتصباً أمام أنور السادات رئيس مصر الواقف على الجانب الآخر من القناة رافعاً يديه وهو يصرخ «أنقذوني» !!!

* وهكذا لم تتخل إسرائيل عن الإحساس بأنها دولة كبرى . . لديها جيش لايقهر . . بينما على الجانب الآخر شعوب عربية مفككة غير متمدينة . . تعانى الضعف والتخلف والجبن . . »

* هكذا شهدت الساعات الثماني والأربعون الأولى من الحرب . . الحلقة الأخيرة في سلسلة التصريحات والتهديدات التى انطلقت بها شفاه قادة وجنرالات ومذيعي وكتاب إسرائيل، والمؤكد أنها فعلا كانت الحلقة الأخيرة في مسرحية «إسرائيل الكبيرة». كانت اللحن الأخير في معزوفة القوة الأسطورية للدولة الإسرائيلية . .

* هي الحلقة الأخيرة . . واللحن الأخير . . لأن طوفان أكتوبر اجتاح أمامه كل ألوان الدعاية الصهيونية . . ومزقت موجاته الجارفة أوراق مسرحية «إسرائيل الكبرى» وأسكتت تماماً جوقة العازفين في أوركسترا الإعلام الصهيوني عن جيشهم الذى لايقهر . . ودولتهم التى لاتهزم !

الفصل الثانى

الفصل الثانى

الموانع والتحديات

اعتقد - واثقًا- أنه لم يواجه جيش على مدى التاريخ ماواجهه الجيش المصرى من موانع وعقبات وتحديات كانت كفيلة بأن تثبط همم أعتى وأشجع الرجال.

أولاً : ولعلنى **أبدأ بالتحديات النفسية والمعنوية** فأشير إلى آثار نكسة يونيه ٦٧ التى ضخمتها وسائل الدعاية الإسرائيلية ؟ بأسلوب علمي خبيث مدروس كان المفروض أن يهز معنويات المقاتل المصرى ويفقده الثقة بنفسه وبسلاحه . . بينما ترتفع معنويات الجندى الإسرائيلى إلى السماء بعد أن جعلت منه الدعاية سوبر مان لايقهر . كذلك طالت فترة الانتظار للحرب إلى أكثر من ست سنوات وكاد الرجال يصابون بمرض الخنادق كما اصطلح العسكريون على تسميته . .

هذه (الحالة) النفسية احتاجت بالتأكيد إلى جهود خاصة ، لكى يتجاوزها رجالنا ، وإن كنت أسجل هنا للتاريخ : أن أصالة الجندى المصرى . . ساهمت كثيراً فى الاحتفاظ بروحه المعنوية ، كما أن حرب الاستنزاف التى خاضتها قواتنا أثناء وبعد عملية اعادة بنائها بجهود ضخمة ومتابعة يومية من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر أسهمت هى الأخرى فى تقليص آثار تلك الهجمة الضخمة التى استهدفت هز الروح المعنوية للمقاتل المصرى ، حتى فى مواجهة الحرب الإسرائيلى ، وهذا ماعبر عنه المشير محمد عبدالغنى الجمسى بقوله : إنه لم يكن ممكنًا لقواتنا المسلحة أن تقفز من حالة الانهيار التام التى كانت عليها بعد حرب يونيه إلى القيام بعملية هجومية شاملة مع اقتحام مانع مائى وهى من أعقد العمليات العسكرية ولم يكن ممكنًا القيام بهجوم شامل ضد تفوق العدو الجوى . . مالم تكن قوى الاستنزاف التى كانت البوتقة التى صهرت المقاتل المصرى وطورت خبراته وعالجت جروحه النفسية والمعنوية فاستعاد الثقة فى نفسه وسلاحه وقيادته.

ثانياً : نقاط الضعف فى قومية المعركة :

كان من الطبيعى أن يتواصل التفكير فى حشد القوى العسكرية كلها فى المعركة ، ورغم الجهود المبذولة فى إطار جامعة الدول العربية (مجلس الدفاع المشترك) ومن

خلال اللقاءات الثنائية الثلاثية إلا أن العبء الأكبر ظل من نصيب دول المواجهة مصر الأردن وسوريا. بينما تقلصت مسئولية دول المائدة بصورة لاتتفق وقومية المعركة. لكن ذلك على أى حال كان هو الحال، بالإضافة إلى ما تم الاتفاق عليه من إعفاء الأردن من قوى المعركة لهشاشة موقفها العسكرى خاصة أن سماءها مفتوحة تمامًا أيام الطيران الإسرائيلى وتحتاج إلى دعم كبير فى دفاعها الجوى، ومن ثم فإن اشتركها قد يتيح لإسرائيل تحقيق نصر سريع على إحدى الجبهات.

ثالثاً : تضاؤل .. بل انعدام فرص تحقيق « المفاجأة » :

* ورثت إسرائيل - منذ ظهورها - جهازاً للمخابرات، يضم عدداً كبيراً من العملاء اليهود الذين كانوا يعملون لحساب أجهزة مخابرات الدول التى كانت ومازالت تؤويهم أو ضدها على حد سواء.

* والواقع أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية قد بلغت - قبل حرب أكتوبر - أقصى درجات الإعداد والكفاءة، وكانت القيادة الإسرائيلية حريصة دائماً على تطوير منظمات مخابراتها الخمس (أربع منها تعمل فى مختلف المجالات والخامسة تختص بالتقديرات الاستراتيجية، والمعروف أن المخابرات العسكرية تأتى فى مقدمة هذه المنظمات الخمس).

* ولو كان الأمر مقصوراً على مخابرات إسرائيل لكانت مهمة تحقيق عنصر المفاجأة بالمحافظة على سرية الإعداد والتوقيت للحرب، نوعاً من التحدى غير المستحيل.

* لكن إسرائيل لم تكن تعتمد فقط على مخابراتها الخاصة. إن هناك نوعاً من التعاون يصل إلى حد التنسيق بينها وبين أجهزة المخابرات الأمريكية ومخابرات حلف الأطلنطى (وقد أكد ذلك أكثر من دليل قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر . . فقبل الحرب ظل الاتصال مستمراً بين المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية - التى لاحظت فى يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ بفضل محطة التجسس الإلكترونية التى أقامتها فى إيران مايشير إلى استعداد العرب للحرب).

كان الاتصال . . يتمثل فى تبادل المعلومات . . وتبادل تقييم هذه المعلومات.

أما أثناء الحرب فقد ظهر هذا التنسيق حين اكتشفت القوات السورية فى موقع جبل

الشيخ الإمكانات الرهيبة للمرصد الإسرائيلي الموجود فيه والذى اتضح أنه يخدم حلف الأطلنطى، كما ظهر هذا التنسيق واضحاً أشد الوضوح حينما قامت طائرتان استطلاعيتان أمريكيتان باختراق المجال الجوى المصرى . . والتقاط صور عديدة للمواقع المصرية قدمتها أمريكا (مع الصور التى التقطتها أقمار التجسس) إلى إسرائيل مع نصيحة مخلصة باستغلال ما كشفت عنه الصور لتحقيق الثغرة.

* يضاف إلى ذلك، أن التقدم العلمى المذهل الذى وضعت أمريكا ثماره على مائدة الإسرائيليين . . يجعل عملية التمويه والإخفاء والخداع عملية مستحيلة؛ فكما اتضح من المثال الذى ضربته مدللاً على التنسيق بين مخابرات إسرائيل ومخابرات أمريكا - وصلت وسائل الرصد والتجسس المتمثلة فى الأقمار الصناعية ومحطات التصنت الإلكترونية إلى حد الإعجاز، حتى إنه أصبح من المستطاع تصوير أصغر الأشياء حجماً على الأرض (علبة سجائر مثلاً) وبشكل واضح جداً، كما أصبح ميسوراً الاستماع وتحديد مكان أى صوت، حتى إن قادة إسرائيل قالوا فى معرض حديثهم عن إمكاناتهم فى التصنت والرصد «إنهم يرصدون تحرك طائرة على أرض أبعد مطار فى عمق مصر - بل إنهم قالوا إنهم يسمعون دبيب النملة على الأرض المصرية».

من جهة أخرى فإنه مما زاد من صعوبة تحقيق المفاجأة أن قواتنا فى منطقة القناة لايفصلها عن العدو سوى نحو ٢٠٠ متر وهو عرض القناة، لذلك كانت القوة السورية تحت الملاحظة المستمرة من العدو الذى يحتل المرتفعات بالجولان وجبل الشيخ، لذلك كانت هناك مشكلة أخرى تتمثل فى كيفية تنفيذ الإجراءات الخداعية بحيث تبدو للعدو أنها حقيقية بما يشتت فكره عن التحركات الفعلية وفى نفسه الوقت يتحتم أن تقوم قواتنا والمؤسسات المختلفة بتنفيذ هذه الإجراءات دون أن تعرف أنها خداعية !!

هكذا كانت تتضاءل بل تكاد تنعدم إمكانية تحقيق عنصر المفاجأة الضرورية حتى تكون لنا ميزة المبادأة لأول مرة فى حروبنا مع إسرائيل بما يعنيه ذلك من حرمانها من فترة الإنذار اللازمة للتعبئة، وبالتالى حرمانها من فرصة توجيه ضربة وقائية ضد قواتنا أثناء العبور والهجوم من جبهة القناة أو الجولان.

رابعاً : الموانع الطبيعية والصناعية :

المانع الأول : أخطر مانع مائي في التاريخ :

يذكر التاريخ العسكري كيف اضطرت بعض الجيوش إلى عبور موانع مائية تقف بينها وبين هدفها، لكن الصفحات الجديدة التي أضافها التاريخ إلى كتابه تقول إن تلك الموانع متمثلة في الأنهار والقنوات لم تصل في خطورتها إلى ما وصلت إليه قناة السويس التي كان يتحتم على القوات المصرية عبورها . . فقد تميزت هذه القناة عن غيرها من الموانع المائية بعدة صفات فريدة جعلتها تمثل تحدياً خطيراً للمخطط والمنفذ معاً .

١ – جوانب القناة لاتنحدر بشكل تدريجي كما هو معروف بالنسبة إلى الأنهار والقنوات العادية، وإنما تقف جوانبها بشكل رأسي تقريباً، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل إن هذه الجوانب أو الشواطئ مكسوة بالدبش والأسمنت علاوة على ألواح وشرائح من الصلب على جانبي القاع لتقويتها ولتحول دون انهيار الجانبين، وهي بهذا الشكل تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب أعمالاً خاصة .

٢ – على حافتي القناة ينهض ساتران هائلان يصل ارتفاعهما إلى ٢٥ متراً :

الساتر الذي أقامته القوات المصرية على الضفة الغربية، والذي يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه قبل عبور القناة، ثم الساتر الذي أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية (والذي يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه بعد عبور القناة) .

وحيث إن المرحلة ستبدأ قبل فتح هذه الثغرات، فإن المقاتلين المشاة سيكون عليهم تسلق الساتر الشاهق الذي يشبه في ارتفاعه عمارة مكونة من أكثر من ثمانية طوابق .

٣ – عرض القناة الذي يتراوح بين ١٨٠ ، و٢٢٠ متراً . . لايسمح للقوات بالمناورة والانتشار أثناء العبور بل إنه يتسبب في الازدحام والكثافة مما يجعل القوات هدفاً سهلاً لضربات العدو . . ويوضح خطورة هذه الصفة ما نعرفه عن الأنهار التي عبرتها جيوش محاربة من قبل، وكيف كان عرضها يصل إلى ألفي متر .

٤ – لا يوجد في القناة مكان ضحل أو «مخاضة» كما يقول العسكريون وأهمية

[illegible]

أقدامهم وهم يحملون أسلحتهم ومعداتهم. ليس هذا فقط بل إنها تعتبر من أعمق الموانع المائية إذ يصل عمقها إلى ١٨ متراً، كما أن سطح الماء ينخفض عن مستوى حافة الشواطئ بنحو أربعة أمتار، الأمر الذى يحتم تكسير وتسوية حافة الشاطئين لكى يتيسر رسو وسائل العبور المختلفة.

٥ – لم يحدث أن أقيم على طول شواطئ مانع مائى تحصينات دفاعية متصلة مثلما كان الحال بالنسبة إلى قناة السويس التى أقام الإسرائيليون على شاطئها الشرقى خط بارليف، بالإضافة إلى حقول الألغام الكثيفة جداً التى بثها العدو على الحافة مباشرة، ثم كانت هناك مواسير النابالم التى أعدها الإسرائيليون لتتدفق منه النيران بكميات هائلة تكفى لتحويل القناة كلها إلى قطعة من الجحيم يحول من يقترب منها إلى رماد.

٦ – التيار المائى فى قناة السويس متغير السرعة من مكان إلى آخر بل من ساعة إلى أخرى – وهذا ما يضيف إلى مشكلة تثبيت رءوس كبارى العبور.

٧ – نظراً لأن القناة تصل بين البحر الأبيض والبحر الأحمر، فإن المد والجزر فيها يمثلان مشكلة أخرى إذ يتغير مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد، ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جذر نحو ٦٠ سنتيمتراً فى الشمال ويتزايد إلى مترين قرب السويس.

تلك هى أبرز الصفات التى تجعل من قناة السويس مانعاً مائيًا فريداً فى صعوبته وقسوته. ويكفى أن نتوقف أمام قائد أمريكى بحرى هو الأدميرال «ماكولى» حين سأله ضابط مهندس مصرى قائلاً:

« لو كلف سلاح المهندسين الأمريكى بعبور القناة من الغرب إلى الشرق فكم من الزمن يستغرق ذلك العبور فى عملية حربية؟

وأجاب الأدميرال الأمريكى على الفور وبلا تردد:

« إن ذلك يحتاج إلى ٤٨ ساعة على الأقل».

***

المانع الثانى : الساتر الترابى الذى يقف سدًا شاهقًا :

[illegible] المانع الترابى الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة، وإذا كنت قد ربطته بالقناة نفسها كإضافة قياسية إلى صعوبتها كمانع مائى، فإننى لابد أن أتوقف الآن أمامه باعتباره يمثل مانعاً مستقلاً.

١ - لقد أقام الإسرائيليون هذا الساتر المانع الترابى العملاق على طول الضفة الشرقية لقناة السويس، وظلوا يزيدون من ارتفاعه حتى وصل إلى ٢٥ متراً.

٢ - لم يكتف الإسرائيليون بهذا الحجم الهائل للسد الترابى ارتفاعاً وعرضاً، ولكنهم زرعوا جوانبه بحقول من الألغام بالغة الكثافة.

٣ - أنشئت فوق قمته المترامية الأطراف مرابض للدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية بفاصل يتراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ متر، ومعنى ذلك أن كل كيلو متر واحد يشمل ٨ مرابض، ولو قمنا بعملية حسابية بسيطة لوجدنا أن خط المواجهة الذى يصل إلى ١٧٠ كيلو متراً يحتوى على ١٣٦٠ مربضاً للدبابات والمدرعات، ولنا أن نتصور كمية النيران التى تنهال من هذه المرابض على القوات التى تستعد للعبور، كما أن هذه المرابض تم إعدادها بحيث تقوم بإنتاج نيران جانبية مؤثرة توجه إلى القوات أثناء العبور.

٤ - حتى لو جردنا هذا الساتر الترابى من كل هذه التجهيزات الكفيلة بوأد عملية العبور فى مهدها فإن مجرد تسلقه بارتفاعه الحاد يمثل مشكلة كبيرة أمام الأفراد المشاة الذين يحملون على ظهورهم معدات ثقيلة جداً فكيف يكون الحال إذا كان عليهم أن يتسلقوه وسط جحيم النيران الذى يتربص لهم.

٥ - فى حالة نجاح المشاة فى اجتياز هذه المخاطر والصعوبات . . كيف تعبر المدرعات وهى القوات الرئيسية والأساسية فى العمليات القتالية ؟

كيف يمكن أن تعبر هذه المدرعات بعد فترة وجيزة من عبور المشاة الذين سيتصدون وحدهم لمدرعات العدو وحصونه؟

إن الأمر يتطلب شق طريق أو فتح ثغرات داخل هذا الساتر من عدة أماكن بأسرع مايمكن . . حتى تنطلق المدرعات إلى مهماتها. فكيف يتم ذلك وبهذه السرعة؟

- كيف . . والقوات المصرية لا تملك عصاً سحرية . . وليس فى مخازنها قنابل ذرية ؟

- مهمة قاسية أخرى . . كان على المخططين المصريين مواجهتها بكل ما أوتوا من علم وثقافة وخبرة وابتكار !!

«ملحوظة» أنشأ الإسرائيليون عدداً آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلو مترات من الشاطئ الشرقى للقناة بنظام خاص، وهذه السواتر تستخدم كخطوط ومرابض نيران إضافية للدبابات وهى تلعب دوراً مؤثراً فى تحقيق عنصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد القوات المهاجمة أكبر خسائر ممكنة فى جيوب نيرانية قوية.

المانع الثالث : سلاح إسرائيل السرى :

كان تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) يعتمد أيضاً - فى جعل أى محاولة مصرية للعبور ضرباً من الانتحار الجنونى على سلاح سرى خطير فقد كان يخرج من كل نقطة حصينة من نقاط خط بارليف مواسير للمازوت تتجه إلى مجرى القناة، وفى وسعها أن تقيم فى دقائق سداً من النيران واللهب أمام المهاجمين.

هكذا وصف كاتب فرنسى كبير «المانع الثالث» الذى كان على العقول المصرية أن تخطط لمواجهته والتغلب عليه.

وإذا نحن استعرضنا صورة هذا المانع بشكل أكثر تفصيلاً نجد أن القوات الإسرائيلية أعدت أجهزة لضخ مواد ملتهبة على الشاطئ الشرقى للقناة، وقد صممت هذه الأجهزة بحيث كانت قادرة على أن تضخ وتدفع على سطح المياه - بطول امتداد القناة - مزيجاً من النابالم والزيوت سريعة الاشتعال وكميات من الكيروسين، لتكوين طبقة من النيران فوق سطح المياه، وبذلك تتحول القناة نفسها إلى حاجز من اللهب يستحيل اختراقه. وكانت هذه الأجهزة الرهيبة تتكون من عدد من المستودعات الضخمة المعبأة بالخليط السريع الالتهاب، ولها صمامات تتحكم فيها طلمبات ضخ ماصة كابسة، ويخرج منها خط من الأنابيب بقطر ٦ بوصات، وتنتهى بفتحات تحت الماء على مسافات متقاربة، وبشكل أكثر تركيزاً فى جميع الأماكن الصالحة للعبور.

كان كل مستودع قادراً على ضخ ٢٠٠ طن من هذه المواد النابالمية الزيتية الكيروسونية، وكانت جميع المستودعات مدفونة تحت سطح الأرض حتى يستحيل ضربها بالمدفعية.

وحينما تمكن أحد رجال المخابرات المصرية من الحصول على عينة من هذه المواد الملتهبة، تمت تجربتها بنفس النسب على مياه النيل وعندما قيست درجة حرارة المياه «فى السطح» بعد اشتعالها اتضح أنها وصلت إلى مايقرب من سبعمائة درجة مئوية! يعنى - وكما قال أحد العسكريين المتخصصين - كانت هذه المواد الملتهبة التى ادخرها الإسرائيليون لقوات العبور المصرية من القوة والبشاعة بحيث تحول القناة إلى قطعة من جهنم، حتى إنها تشوى الأسماك مهما هربت إلى القاع، وتلفح حرارتها أى شخص يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر !!

. . . . . .

والواقع أن إسرائيل لاتستطيع أن تزعم -كعادتها- أنها هى التى ابتكرت هذا المانع النارى؛ إذ إن فكرة إشعال النار فوق الموانع المائية ترجع إلى عام ١٩٤٠ وكان صاحبها ضابطاً إنجليزيًا يعمل فى المخابرات ويدعى جون بيكر هوايت حين لاحظ وجود أنابيب بها ثقوب متصلة بخزانات وقود عند خليج سانت مرجريت بالقرب من دوفر حيث تقف القوات الإنجليزية تأهباً لصد الغزو الألمانى . . فأخذ يفكر فى إمكانية استغلال هذه الأنابيب والخزانات لإشعال سطح واحد تقريباً، لاستغلاله فى حرب نفسية ضد الألمان. وقد نجحت هذه الحرب فعلاً فى تحقيق هدفها .

. . . . .

ونعود إلى قناة السويس . . حيث استخدم الإسرائيليون كل الإمكانات فى إقامة أجهزة ضخ المواد الملتهبة . . لتصبح بالفعل مانعاً جديداً بالغ الخطورة، ولعل هذا ماجعل ديان يقول ذات يوم - بعد حرب الاستنزاف «إن القوات المصرية لو حاولت عبور القناة سوف تباد عن آخرها، وتتحول إلى رماد» .

. . . . . .

وكان على فريق العقول المصرية أن يتصدى لهذا المانع . . ويخطط لمواجهته، فكيف؟

المانع الرابع : قبضة إسرائيل الحازمة :

كان للإسرائيلين الحق - كل الحق- فى الاعتماد والثقة الكبيرة بخط بارليف الذى أنشأوه على الضفة الشرقية لقناة السويس، ليكون مانعاً آخر، أو مانعاً أول ضد أى محاولة مصرية لدخول سيناء .

كان لهم الحق -كل الحق- فى أن يقولوا مثلاً على لسان معشوقهم وإله حربهم موشيه ديان :

« إن عمليات العبور المصرية -إذا حدثت !!- لن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة المتمثلة فى خط بارليف المنيع - وسوف يتلقى المصريون الرد الحاسم لأن التحصينات الإسرائيلية فى خط بارليف أكثر قوة وتنظيماً، ويمكن القول بأنه خط منيع يستحيل اختراقه .

إننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف الذى أنفقنا على إنشاء

تحصيناته مبالغ طائلة».

كان لهم الحق -كل الحق- فى أن يقولوا - مثلاً على لسان جدتهم العجوز السيدة جولدا مائير رئيسة وزرائهم السابقة، حين وقفت بين حصون خط برليف، وتلفتت هنا وهناك وقالت وقد ارتسمت على تجاعيد وجهها سعادة غامرة : «إن خط بارليف رمز للذكاء الإسرائيلى . . وإن أى محاولة للاقتراب منه . . ستكون إهانة لهذا الذكاء !!

وكان لهم الحق - كل الحق - أن يقولوا أيضاً على لسان صاحب الخط شخصيًا الجنرال حاييم بارليف :

« إننى متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أى عبور، وذلك لاستحالة اجتياز خط الدفاعات الإسرائيلى المقام على امتداد الضفة الشرقية كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما يشكله هذا الخط من خطر على القوات القائمة بالعبور.

كان لهم الحق -كل الحق- فى أن تتوالى تصريحاتهم عن مناعة وخطورة قبضتهم الحازمة المسماة خط بارليف. وكان بعض الخبراء الأجانب معذورين فى قولهم «مساكين هؤلاء المصريون . . ماذا هم فاعلون وهذا الخط الحصين فى انتظار أى تحرك منهم؟».

ولكن لماذا كان لهم الحق كاملاً فى أن يثقوا بخطهم البارليفى ؟

ولماذا كان للخبراء الأجانب العذر فى أن يشفقوا على القوات المصرية لو فكرت فى العبور ؟

لماذا؟

إن التاريخ العسكرى قد عرف الخطوط الدفاعية الحصينة قبل أن ينضم إليها خط بارليف الإسرائيلى .

فقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطًا دفاعيًا حصيناً أطلق عليه «فردون»، وقد قهر الجيش الألمانى بقيادة الماريشال «فولكنهاين» - هذا الخط فى ٢١ فبراير ١٩١٦ معلناً أنه بذلك قد حطم الكبرياء الفرنسية ودمر معنويات الفرنسيين.

وبعد أقل من عشرة أعوام من الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطها الدفاعى الثانى مستفيدة فى إنشائه من تجربة خط «فردون»، وقد سمى هذا الخط باسم وزير

الدفاع الفرنسى الذى أشرف بنفسه على بنائه، وهو «أندريه ماجينو» وقد أجبرت مناعة خط «ماجينو» هذا الجيش الألمانى بقيادة الجنرال «جودريان» على تفادى اقتحامه وآثر أن يقوم بتطويقه فقط والالتفاف من «سيدان» والاندفاع بمدرعاته فى اتجاه نهر الميز.

عرف التاريخ إذن خط فردون وخط ماجينو وخط جينسوتا وخط سيجفريد وغيرها من الخطوط الدفاعية الحصينة. لكن خط بارليف الإسرائيلى جاء لتظهر كل تلك الخطوط أقزاماً بجانبه. فلقد استفاد الإسرائيليون من كل التجارب التى ارتبطت بتلك الخطوط الحصينة، فنقلوا مزاياها وأضافوا إليها، فى الوقت الذى تلافوا فيه سلبياتها وعيوبها. ليس هذا فقط بل إنهم استفادوا من تجربة حرب الاستنزاف التى تم فيها تدمير ثلثى الخط الأول، فأعادوا بناءه، ثم عادوا فأضافوا إليه المزيد والجديد وكأنهم بذلك قد بنوه وشيدوه على ثلاث مراحل كاملة. هى المرحلة منذ انتهاء حرب يونيه ٦٧، ثم المرحلة التى بدأت مع حرب الاستنزاف - بعد أن وقع القصف المدفعى المصرى العنيف فى سنة ١٩٦٨، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية حرب الاستنزاف فى أغسطس ١٩٧٠، وبدأت المرحلة الثالثة بمجرد إعلان وقف إطلاق النار وتوقف حرب الاستنزاف - ويعترف الإسرائيليون بأن العمل فى هذه المرحلة كان سباقاً مع الزمن.

صورة عامة لقبضة إسرائيل الحازمة :

كنت ومازلت كلما أحاول أن أشرح لأحد الأصدقاء أو أسجل فى كتاباتى وبرامجى صورة لقبضة إسرائيل الحازمة (خط بارليف)، أشعر بأن أى وصف لايعطى الصورة الدقيقة (بالرغم من أننى شاهدت حصون هذا الخط أثناء وبعد الحرب، وبالرغم من أننى قرأت عنها وتناقشت مع كبار الضباط حولها كثيراً). ولم يكن هذا موقفى وحدى بل كان موقف الكثيرين. ولذلك فإننى آثرت أن أصف الصورة التى أحاول وضعها الآن بأنها صورة «عامة» لاتصل إلى الواقع الغريب.

وأبدأ هذه الصورة بأن أطرح سؤالاً مهمًا.. سأحاول أن أجيب عنه من خلال مشاهداتى.. وما كتب أيضاً.

السؤال هو : هل هو خط بارليف.. أم أنها خطوط بارليف ؟

إن المعروف - لغويًا على الأقل - أن خط التحصينات الدفاعية يتكون من حصون متصلة بالتجهيزات أو بتغطية النيران . . وتكون هذه التحصينات على طول المواجهة الواقعة أو المحتملة.

لكن حصون بارليف لم تكن تمثل خطًا واحداً . . فعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة كان الخط الأول والرئيسى، وبعده - على مسافة من «٣ إلى ٥» كيلو مترات، كان هناك الخط الثانى ويتكون هو الآخر من تجهيزات هندسية ومرابض للدبابات والمدافعية ثم يجئ بعد ذلك - وعلى مسافة من ١٠ - ١٢ كم الخط الثالث الموازى للخطين الأول والثانى، وكان به تجهيزات هندسية أخرى، وتحتله احتياطات من المدرعات ووحدات مدفعية ميكانيكية. وتضمن هذا الخط أيضاً مراكز اتصال وغرف عمليات ومستشفيات كاملة.

هل كان خطًا واحداً - إذن - أم أنه ثلاثة خطوط من التحصينات ؟

- قد يتفق معى بعضهم فى الوصف الثانى، وقد يرى بعضهم - ولهم منطقهم أنه خط واحد بعمق كبير يتراوح بين (١٠ - ١٢ كيلو متراً).

- وقد يقول القارئ الصديق، لماذا نشغل أنفسنا بهذا السؤال عما إذا كان خط بارليف خطًا واحداً أم ثلاثة خطوط. ألا يكفى إعطاء صورة لهذه التحصينات الضخمة دون أن نتقيد بالعدد ؟!

- وأقول أنا : لعلنى أردت أن أجعلك أيها القارئ العزيز تستعد ذهنيًا وتتهيأ بخيالك لكى تتصور الحجم الهائل لتحصينات بارليف. . وحتى لايتوقف التصور عند التحصينات الموازية للقناة فقط . .

والمهم الآن أن مساحة الصورة أمامنا . . أو المنطقة التى كانت تشغل حصون بارليف هى ١٧٠ كيلو متراً -طولاً- ومن ١٠-١٢ كم عمقاً - وقد بلغ عدد - الحصون القوية ٣٦ حصناً و١٥ برج مراقة (كما يقول الإسرائيليون أنفسهم)، وكان الخط يحتوى على ٢٠٦ ملجأ كبيراً وكذلك ٤٦٢ حصناً للأسلحة والدبابات، ويحيط بكل نقطة حصينة ٧٣ نطاقاً من الألغام والأسلاك الشائكة.

- ويصف مؤلفو كتاب «التقصير» الإسرائيليون خط أو خطوط بارليف فيقولون :

- كانت شبكة التحصينات عبارة عن جزء من شبكة معقدة طورت من سنة إلى أخرى وقد استغرق بناؤها شهوراً كثيرة، واستخدمت فى هذه العملية آلاف

التراكتورات والجرافات والمعدات الثقيلة الأخرى، وقد جلبت من شمال البلد بواسطة آلاف من عربات النقل الكبيرة كتل من الأحجار وضعت فى شباك من الحديد سميت باسم (جفيونيم) لاستخدامها فى بناء (طبقات تفجير) فوق الدشم، وكان الهدف من طبقات التفجير هذه -التى بلغ سمكها عدة أمتار- هو الحيلولة دون نفاذ قذائف المدفعية الثقيلة إلى داخل الدشم، وقد استخدم الجيش الإسرائيلى المدفعية السوڤيتية الثقيلة التى غنمها فى حرب يونية ٦٧، فى تجاربه لامتحان قدرة طبقات التفجير هذه على الصمود.

قلاع القرون الوسطى :

يضيف المؤلفون الإسرائيليون لكتاب التقصير . . فى حديثهم عن حصون بارليف فيقولون:

ازدادات هذه التحصينات التى أنفق فى البداية على بنائها ملايين الدولارات ازدادات تعقيداً، وتحولت من الداخل إلى مساكن مجهزة بكل وسائل الراحة :

- أجهزة اتصال متطورة.
- مكيفات هواء (أجهزة تكييف).
- مبردات (أجهزة تبريد).
- مواسير مياه.
- مخازن تموين.
- آلة عرض سينمائية داخل صالة مكيفة.
- تليفون عام يمكن الجنود من الاتصال مباشرة وبسرعة مع أسرهم فى مدنهم.
- مقاصف (كانتينات) ومطابخ حديثة جداً.
- مكتبة.
- وكانت أماكن إقامة الجنود داخل الدشم المحصنة، وكانوا ينامون على أسرة ذات طابقين كما فى قمرات السفن.
- وكانت هناك فى كثير من التحصينات نواد مجهزة بأدوات ومعدات رياضية مثل تنس الطاولة، وكرة السلة.
- وكان الفنانون والمحاضرون يزورن الجنود فى تحصيناتهم كل أسبوع.

. . . .

ولقد بنيت التحصينات التى كانت تبدو من الخارج كقلاع العهود الوسطى، بحيث كان كل حصن كدبابة عملاقة رهيبة الحجم قادرة على القتال بصورة مستقلة، كان المقاتلون فى داخله مزودين بقوة نيران كبيرة يمكن تشغيلها بواسطة حفنة من الرجال، ويؤمن لكل حصن اكتفاء ذاتى من الناحية القتالية بحيث يصمد فى وجه قوات (متفوقة) كان التقدير أنه بإمكان كل حصن من حصون بارليف الدفاع فى مواجهة كتيبة مدرعة كاملة للعدو لمدة أسبوع على الأقل.

- استكمالاً نهائيًا لمناعة وقدرة هذ الخط قام اللواء أريل شارون (عندما) عين قائداً للجبهة الجنوبية «جبهة سيناء» بشق مئات الكيلو مترات من الطرق قرب القناة، وخاصة الطرق المواجهة لها بصورة عمودية، وقد أراد بذلك أن يقلل إلى الحد الأدنى من المقاطع التى تتحرك فيها قوات الجيش الإسرائيلى تحت رحمة النيران المصرية التى تنطلق من الجهة الأخرى للقناة، كما قصد بالطرق التى شقت بمواجهة القناة تمكين المدرعات من التحرك السريع نحو المعاقل والقناة نفسها.

وقد أمر شارون أيضاً بتجديد وتقوية المعاقل مرة أخرى برغم أنها صمدت قبل ذلك أثناء حرب الاستنزاف للقصف المصرى المركز والكثيف على مدى ستة عشر شهراً.

وبدأت عملية بناء جديدة اعتبرت «أكبر عمليات البناء فى إسرائيل» (وقد أشرف عليها اللواء دان لنر ومساعده كالمان بيجين). فأضيفت إلى طبقة قضبان السكك الحديدية طبقة جديدة مكونة من ألواح من الحجارة وضعت فى داخل شبكات من المعدن. وقد اشترك فى العمل آلاف العمال اليهود، وآلاف العمال الدروز الذين أحضرتهم القوات الإسرائيلية من هضبة الجولان.

بعد ذلك أضاف شارون نحو أربعمائة كيلو متر من الطرق شقها بجانب القناة ومن بينها مائتان وخمسون كيلو متراً تم رصفها بالأسفلت، وفى منطقة المستنقعات فى القطاع الشمالى شقت طريق وضع تحتها ستائر من البلاستيك حتى لايتسرب الماء - إليها ويغطيها.

وقد أكثر شارون من شق طرق العرض، وأعدت فى مفترقات الطرق، طرق جانبية وعلى طول القناة شقت طرق أخرى طويلة سميت «طريق البطاريات»، وذلك لكى تتحرك عليها بطاريات مدافع الجيش بسرعة، هذا وقد أنفق على إنشاء حصون خط

بارليف ما يزيد على بلايين. (ويضاف إلى هذا الرقم الذى يذكره الإسرائيليون، أنهم استغلوا الرمال والصخور التى استخدمت فى التجهيزات من أرض سيناء، كما أنهم سرقوا قضبان السكك الحديدية المصرية فى سيناء التى انتزعوها كلها واستخدموها أيضاً فى البناء، بل إن هناك ما يؤكد أنهم استخدموا صخوراً من مرتفعات الجولان السورية فى إقامة هذه التحصينات البارليفية -ولو قدرت كل هذه الموارد بأسعار متوسطة لتضاعفت تكاليف إقامتها).

وقفة أمام أحد حصون بارليف :

كما قلت من قبل فإننى شاهدت معظم حصون خط بارليف أثناء وبعد الحرب وكنت أقف مبهوراً أمام ثلاثة أمور :

١ - ضخامة ومناعة هذه الحصون.

٢ - عظمة وروعة الجنود المصريين الذين اقتحموا هذه الحصون ودقة التخطيط الذى قامت به القيادة المصرية.

٣ - ظهور الجندى والضابط الإسرائيلى على حقيقته، إذ إن مثل هذه الحصون لم تكن تحتاج إلى جنود لهم أسطورية «السوبر مان» كما كانوا يصفون الجندى الإسرائيلى بل كان من الممكن جداً لأى عدد من الجنود العاديين أن -يقاوموا من خلالها أسابيع وشهوراً ويلحقوا بالقوات المهاجمة لهم أفدح الخسائر - وهذا ما لم يفعله جنود جيش الدفاع الإسرائيلى فقد استسلموا فى ساعات أو أيام قليلة جداً.

وأذكر هنا أن جندياً مصرياً اصطحبنى فى جولة داخل هذه الحصون ليشرح لى -مبهوراً هو الآخر- التجهيزات المتعددة ووسائل الأمان الهائلة.. وقال لى بتلقائية بسيطة «والله العظيم لو كنت -لوحدى- داخل هذا الحصن.. لما سمحت لأى قوة بالاقتراب منه !!».

ونلقى الآن نظرة سريعة على شكل أحد الحصون البارليفية لنرى جانباً آخر من جوانب ضخامة ومناعة هذه التحصينات.

المدخل الوحيد للموقع الحصين عبارة عن فتحة لا يزيد عرضها عن خمسة أمتار فقط تسمح بمرور العربات والدبابات القادمة من ناحية الشرق، بمعنى أنه لكى يدخل أحد الحصن لابد أن يكون قادماً من اتجاه القوات الإسرائيلية فى سيناء. ويتم إغلاق

هذا المدخل بحبل من الألغام المضادة للدبابات والأفراد، وبواسطة بعض الجنود الذين يعرفون الممرات الآمنة خلال تلك «السدادة المكونة من الألغام» - هذا وكان لكل حصن مدخل واحد فقط أو مدخلان فى حالات قليلة.

الحصن يقع على مساحة تزيد على أربعة آلاف متر مربع وقد تصل إلى خمسة آلاف متر.

يتكون الحصن من أربع دشم.

الدشمة الواحدة عبارة عن بناء من ثلاثة طوابق. الطابقان الأولى والثانى ونصف الطابق الثالث تحت الأرض، وبالتالى لايظهر منها سوى النصف الآخر من الطابق الثالث والذى توجد فيه «المزاغل»، وهى الفتحات المستطيلة التى تظهر منها فوهات المدافع باختلاف أحجامها.

الدشمة مبنية بالأسمنت المسلح (بكميات ضخمة) وتتكون أسقفها من قضبان السكك الحديدية، وطبقات عديدة من الصخور والرمال (يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار) ثم شبكة من الفولاذ.

لكل دشمة ولكل طابق منها وأيضاً لكل غرفة باب من الفولاذ لايمكن فتحه ولا يتأثر بقذائف المدفعية، ويتحكم فى إغلاقه وفتحه الجنود الموجودون بالداخل أوتوماتيكيًا.

السقف الذى يصل بين كل طابق والآخر من طوابق الدشمة يصل سمكه إلى أكثر من مترين (من الأسمنت المسلح والقضبان والأحجار والرمال).

نتيجة لذلك كله.. كانت الدشم تتحمل قصف المدفعية وقنابل الطائرات حتى القنابل زنة ألف رطل..

تم تجهيز وتنسيق العمل بالدشم المختلفة بحيث تلتقى النيران والقذائف التى تنطلق من إحدى الدشم مع القذائف التى تصدر من الدشمة المجاورة. فتكون المنطقة الموجودة بينهما مغطاة بالنيران تماماً - كما تم تجهيز كل نقطة بحيث يمكن تحقيق الدفاع الدائرى، كما قسمت إلى أجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعاً دائريًا إذا ما سقط الجزء أو الأجزاء المجاورة له.

فى كل حصن عدة أنواع من الأسلحة المختلفة كمدافع الهاون، والمدافع الذاتية الحركة والرشاشات التى تعمل ذاتيًا بمجرد إحساس أجهزة إليكترونية متقدمة جدًا

بحرارة أى إنسان يقترب من الحصن. بالإضافة إلى الرشاشات المضادة للطائرات وأيضاً مواقع للصواريخ أرض - أرض.

حول كل دشمة ممر يأخذ شكل القوس، وينتهى طرفاه بمربض للدبابات، تصعد فوقه الدبابة لتضرب ثم تختفى بنزولها فى قاع القوس بعيداً عن القذائف المصرية. وكانت كل دشمة مدعمة بنحو ثلاث دبابات.

* كان الإسرائيليون يتسخدمون مصعداً كهربائيًا للمراقبة، ثم طوروه - بعد أن دمر القناصة المصريون الكثير منه أثناء حرب الاستنزاف - وأصبحت المراقبة عن طريق «بيريسكوب» إليكترونى يصعد أوتوماتيكيًا من إحدى الثغرات ثم يختفى.

* هذا كله بالإضافة إلى خزانات النابالم والمازوت التى كانت معدة لتتدفق منها النيران عبر المواسير المثبتة تحت سطح مياه القناة.

لماذا أقام الإسرائيليون خط بارليف :؟

لم تكن الجهود المتواصلة والتكاليف الباهظة التى بذلتها وأنفقتها إسرائيل فى إقامة تحصينات خط بارليف. من قبيل الرفاهية. . (هذا غير وارد بالطبع) إن إسرائيل استنزفت جهود مهندسيها وعمالها وجنودها على مدى سنوات. . وأنفقت ملايين من الليرات بل سخرت ما لديها من مواد حتى إنها استخدمت كل ما لديها من أسمنت، فى بناء وتجهيز خط بارليف لكى تحقق الأهداف التالية:

١ - ترسيخ الوجود الإسرائيلى فى سيناء وعلى ضفة القناة الشرقية بوقاية جنودها المتمركزين فى خط المواجهة ضد التأثير النيرانى للمدافعين والطائرات المصرية مع تحقيق القدرة على الصمود ضد أى هجوم يرى من أى اتجاه. وفى الوقت نفسه تتيح تجهيزات الحصون إمكانية توجيه ضربات تدميرية تأديبية للقوات والمدن المصرية بين الحين والحين لإجهاض أى محاولة أو حتى فكرة للعبور، وليس بخاف ما أحدثته مدفعية ودبابات مواقع لسان بور توفيق وعيون موسى وبور فؤاد فى مدن السويس وبور سعيد والإسماعيلية من تدمير وقتل استنكره المراقبون العالميون.

٢ - إعطاء إنذار مبكر ببدء العمليات من جانب القوات المصرية.

٣ - إعطاء معلومات دقيقة بوسائل الاستطلاع الموجودة فى المواقع الحصينة والمستفيدة من ارتفاع الساتر الترابى عن عمليات الإعداد وعمليات اقتحام

القناة، وخاصة فى المراحل الأولى.

٤ - السيطرة على المناطق الصالحة لعبور القناة والطرق الطولية التى تؤدى إلى عمق سيناء.

٥ - إدارة نيران المدفعية وتوجيه طيرانهم.

- «ترى هل تكفى هذه الوقفة لكى يتضح قدر معقول من ضخامة وأسطورية خط بارليف ؟؟ وبالتالى تتضح جسامة وصعوبة إحدى المهام الملقاة على عاتق المخططين المصريين ؟

- أعتقد - أو - أرجو ذلك . .

- وفى نفس الوقت أجدنى خاضعاً لإغراءالاستشهاد بأقوال أخرى أضمها إلى تلك الأقوال التى سجلتها فى بداية الحديث عن «قبضة إسرائيل الحازمة . . خط بارليف» واتحفظ فأقول إن خضوعى لهذا الإغراء بالاستشهاد بمزيد مما قيل يرتبط أساساً برغبتى فى تعميق الصورة، وتحقيق الموضوعية الكاملة.

- فى ١٥/٥/٦٩ قال مناحم بيجن زعيم كتلة ليكود :

« إن المصريين لن يمروا عبر خط بارليف وهم لو فكروا فى ذلك فإنهم سيكون مصيرهم مثل مصير جيش فرعون».

وتطالعنا أيضاً هذه السطور المثيرة :

- إن الاستحكامات التى أقامتها إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة والمسماة بخط بارليف، قد غيرت الموقف العسكرى كلية ونهائيًا لصالح إسرائيل. لقد أصبح فى استطاعتنا أن نطلق النيران أو لا نطلقها وفقاً لمشيئتنا نحن، ما دام جنودنا فى حماية تحصينات خط بارليف الذى برهن على فعاليته تحت وطأة نيران المدفعية المصرية فى حرب الاستنزاف.

(توقيع)

الجنرال أفراهام آدن

أحد القادة الإسرائيليين

«إنه من الواضح فى رأيى أننا سوف نظل مرابطين على خطوطنا الدفاعية بالضفة الشرقية للقناة . . تلك الخطوط التى تعتبر أكثر الخطوط الدفاعية ملاءمة لنا. والتى

نستطيع أن نحافظ عليها بأقل التضحيات الممكنة . وهى كذلك تعتبر العقبة الرئيسية أمام عبور جيش تقليدى بطىء الحركة وثقيل كالجيش المصرى» .

(توقيع)

الجنرال شارون

فى حديث مع رئيس تحرير صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٩٧٠

« إنه فى الوقت الذى تناقش فيه الولايات المتحدة مسألة احتلال إسرائيل لصحراء سيناء المصرية ، فإن القوات الإسرائيلية قد أقامت لنفسها - بعد أكثر من خمس سنوات من الاحتلال - جذوراً عميقة ، فأقامت التحصينات والمعسكرات الدائمة ، حتى باتت سيناء تمثل معسكراً إسرائيليًا حصيناً للغاية . وعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة ، فإن الجنود الإسرائيليين يعتبرون آمنين بنسبة ١٠٠٪ (مائة فى المائة) حيث تحميهم ملاجئ ودشم متينة مصنوعة من الأسمنت المسلح والحديد والقضبان الفولاذية ، بينما تقوم الكاسحات والجرافات الإسرائيلية بالتمهيد للوجود الإسرائيلى الدائم بخط بارليف وذلك بتجهيز حفر الدبابات الثقيلة ومرابض المدفعية بعيدة المدى المنتشرة خلف الخط من مواقع منيعة متماسكة .

وأثناء مناقشتى مع أحد كبار القادة الإسرائيليين على جبهة السويس سألته عن احتمال اختراق المصريين بالقوة لخط التحصينات الإسرائيلى أو محاولة إقامة رأس جسر لهم على الضفة الشرقية للقناة ، فأجابنى فى ثقة :

« إن عبور حفنة من رجال الجيش المصرى - كقوة دورية مثلاً - إلى الضفة الشرقية بغرض بث الألغام والفرار بسرعة أمر ممكن . . أما إقامة المصريين لرأس جسر بقوة كبيرة فهذا أمر محال إنها خطوة ليس فى قدرة مصر تحقيقها أبداً . .

إن الجيش المصرى - على الرغم من آلاف القصفات من المدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ ، قد يفشل فى تدمير حصن واحد من حصون خط بارليف .

(توقيع)

(مراسل وكالة اليونيتدبرس)

وقد نشر هذا التحقيق فى عام ١٩٧٢ بعد أن دعته القيادة الإسرائيلية لزيارة تحصينات خط بارليف على القناة وفى سيناء .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

كيف حاربت العقول المصرية معركة الإعداد والتخطيط ؟

فى بداية حديثى عن الموانع كما كانت قائمة قبل حرب أكتوبر ، قلت : لقد كان يحق لقادة إسرائيل أن يطمئنوا إلى مناعة موقفهم فى مواجهة الصعاب الهائلة التى تعترض أى تحرك مصرى .

- كان يحق لهم أن يطمئنوا ما وسعهم الاطمئنان ، وكان يحق لهم أيضاً أن ترتفع لهجتهم المغرورة -الواثقة .

- ولكن كان للمصريين أيضاً الحق كل الحق فى أن يثقوا بذكائهم وقدراتهم وإمكاناتهم . كان يحق لهم أن يطمئنوا إلى أن حاضرهم العسكرى يدعمه تاريخ عريق يتعدى عمره سبعة آلاف سنة .

ومن هنا كانت المواجهة فى حرب العقول ساخنة ملتهبة متشعبة دروبها عميقة أبعادها دقيقة حساباتها .

وقبل أن نتطرق للحديث عن جولات وميادين هذه الحرب العقلية ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على أهم الأسس التى وضعتها القيادة المصرية فى اعتبارها . لقد تم تحديد الهدف العسكرى بالعمل على هزيمة قوات العدو الإسرائيلى وتكبيدها خسائر فادحة ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيئ الظروف المناسبة لفرض الحل السياسى العادل للقضية ، وقد تم تحديد الهدف العسكرى بعد دراسة الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بكل جوانبها وأسسها ، وقد حددها فريق العقول المصرية كالتالى :

١ - تقوم الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على أساس نقل المعارك باستمرار خارج إسرائيل وإبعادها بأى وسيلة عن العمق الإسرائيلى .

٢ - عدم التنازل عن أى شبر من الأراضى التى احتلتها فى مراحل مختلفة ، لإيمانها بأن أى أرض يتم كسبها بالقوة تعتبر حقًا تاريخيًا وعمقاً إضافيًا .

٣ - المحافظة على القوة البشرية وبالتالى تجنب الخسائر الكبيرة فى الأرواح -

ومن ثم فإن الإعداد والتخطيط للتغلب على الموانع المختلفة كان يتضمن تحقيق ما يمكن تحقيقه من الهدف العسكرى للحرب . .

الجولة الأولى : كيف التغلب على المانع المائى :

- فى مرحلة الإعداد والتحضير ، قام الجيش المصرى بالعديد من تجارب العبور على موانع مائية تشبه قناة السويس إلى حد كبير جداً ، كما تمت عمليات عبور محدودة للقناة ذاتها (خاصة أثناء حرب الاستنزاف) وقد أفادت هذه العمليات فى تحقيق جميع الأهداف المحددة ، كما أنها كانت فى الوقت نفسه مصدراً للمعلومات والخبرات .

قام سلاح المهندسين المصرى بإعداد وتوفير معدات ومهمات العبور فتم تصنيع ٦٠٪ من الكبارى محليًا ، وتمت صناعة ٧٥٪ من قوارب الاقتحام التى وصل عددها إلى ٢٥٠٠ قارب ، وقد تم التدريب الشاق على إقامة الكبارى فى أسرع وقت (برغم بدائيتها) وعلى استخدام القوارب بشكل منظم للغاية .

- قام العلماء من رجال القوات المسلحة المصرية بدراسة بالغة الدقة لكل ما يتعلق بالقناة كمانع مائى . . وقد توصلوا من خلال هذه الدراسة إلى التخطيط التالى :

١ - تم تحديد أصلح الأماكن لإقامة المعبر ، ولم يكن هذا التحديد بالسهولة التى تنطلق بها الكلمات عنه ، فقدكان ذلك نتيجة لدراسة عملية لنوع التربة ودرجات الميل والانحدار . .

٢ - توصلت القيادة إلى اختيار أصلح الأوقات (ليس فقط بالشهر أو باليوم وإنما بتحديد الساعات التى تكون أكثر مناسبة لإقامة المعابر من حيث حركة المد والجزر ومنسوب المياه .

٣ - كذلك روعى فى تحديد ساعة عبور المشاة أن تكون فى الثانية وعشرين دقيقة ظهراً بعد أن توجه القوات الجوية المصرية ضربتها الشاملة ، وبعد التمهيد النيرانى بالمدفعية . . وكان ذلك يعنى أن الموجات الأولى من المشاة ستعبر قبل أن يستعيد الطيران الإسرائيلى توازنه ويتصدى لهذه الموجات ، وقد قدرت القيادة أنه بحلول الظلام بعد الساعات القليلة المتبقية بالنهار ستقل أو تنعدم فاعلية الطيران الإسرائيلى ، وبالتالى تقل الخسائر بين المشاة الذين يقومون

بالعبور كما يتسنى إقامة المعابر ودخول المعدات الثقيلة كالمدرعات فى ظلام الليل الذى يحل فى شهر أكتوبر سريعاً ويمتد إلى ١٢ ساعة.

كذلك كان تحديد ساعة العبور مرتبطاً باتجاه الشمس للاستفادة منه بحيث تكون أشعة الشمس أثناء عبور القوات فى وجه العدو.

٤ - تم إعداد وتحديد الطرق والممرات اللازمة لإيصال العربات والمعدات المختلفة إلى أماكن العبور بشكل بالغ الدقة.

٥ - تمت تحضيرات ضخمة متنوعة ومتعددة لتنفيذ مخططات العبور بسرعة ودقة لا تسمح بالتجمع الكثيف قرب نقاط العبور خلال التنفيذ وذلك للتقليل من الخسائر المحتملة نتيجة للقصف المعادى، ولضمان عدم حدوث اضطرابات وعرقلة لحركة القوات والمركبات والآليات المختلفة.

٦ - جرى إعداد خطة المساندة القوية بنيران المدفعية لتليين الدفاعات الإسرائيلية وتحطيم الأسلاك الشائكة الكثيفة الموضوعة على الضفة الشرقية والساتر الترابى، وأيضاً للإسهام فى تفجير الألغام المزروعة بكثافة. كما تضمنت هذه الخطة توجيه ضربات قوية فى العمق التكتيكى للعدو ضد مجموعات الاحتياطى المتحرك من الدبابات والمشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة.. المعدة للقيام بهجمات معاكسة وتدعيم مواقع خط بارليف فى تصديها لعملية العبور. وكانت الخطة تقضى بطبيعة الحال بتجميد القوات الإسرائيلية فى هذا الخط وشل حركتهم داخل حصونهم.

٧ - تلتقى هذه الخطة للمساندة بنيران المدفعية مع خطة التمهيد والمساندة بالضربة الجوية التى توجهها الطائرات المصرية والتى تقوم بتجميد السلاح الجوى الإسرائيلى أطول وقت ممكن بضرب مطاراته - وكذلك تقوم بالمشاركة فى ضرب المواقع والمدرعات الإسرائيلية.

٨ - استكمالاً لنفس الخطة يتم إبرار وحدات من قوات الصاعقة المصرية داخل عمق العدو لتعطيل مدرعاته التى تنجو من قصف المدفعية وقذف الطائرات عن الانطلاق إلى مصاطبها المتقدمة والتصدى لعملية العبور.

٩ - إذا كانت الضربة الجوية ستعمل على تجميد الطيران الإسرائيلى بضع ساعات

كما هو مخطط لها، فإنه للتأمين الكامل والمستمر ضد دخوله المعركة بشكل سريع وفعال، تم التخطيط لمواجهته بالدفاع الجوى القادر على إبطال فعاليته بالدرجة الكافية.

١٠ - ركزت الخطة على أن يعبر القادة مع الموجات الأولى من جنودهم، للسيطرة المباشرة وإدارة المعركة من واقع متابعة الأحداث على أرض المعركة فالقائد الذى يرى - ولا يعتمد على مايصل إليه من تقارير - هو الذى يستطيع أن يتخذ - القرار فوراً. واتخاذ القرار فى الوقت المناسب من أهم عوامل الانتصار. . ومن ناحية أخرى كانت الخطة تضع فى الاعتبار التأثير المعنوى العظيم حينما يرى الجنود قادتهم بينهم وأمامهم من اللحظات الأولى.

وهكذا قام فريق العقول المصرية بالإعداد والتخطيط العلمى الدقيق لمواجهة المانع المائى- وليس من شك أن هناك تفصيلات جانبية أخرى. . لم يكشف عنها الستار بعد وإن كانت الصورة النهائية تقول إن الإعداد والتخطيط لهذه الجولة كان يمثل انتصاراً ساحقاً لفريق العقول المصرية.

الجولة الثانية : هل تحترق بهم القناة ؟

وماذا كانت مهمة المهندس ألبرت رحميم وزملائه ؟

- فى يوم ٥ أكتوبر أرسلت القيادة الإسرائيلية، المهندس «ألبرت رحميم» الذى يعمل فى سلاح الهندسة إلى الجنوب، وانضم هو وزميل له إلى مهندس آخر - وذلك من أجل فحص منشآت المحروقات التى أعدت لإشعال النار فى القناة إذا ما حاول المصريون العبور.

- سجل ملف عمليات الجيش الإسرائيلى تلك السطور حول جانب من جوانب استعدادهم لمواجهة الحرب الوشيكة الوقوع مع مصر وسوريا - وقد أيد هذه المعلومات الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف فى دراسة حول «حرب تشرين».

- لقد تجمعت لدى القيادة الإسرائيلية المعلومات التى تشير إلى احتما ل نشوب الحرب بعد ساعات، وبغض النظر عن حجم وأسلوب تحليل هذه المعلومات، وهو ما سنعرضه له فى فصل قادم، فإن ما يعنينا الآن أن قادة إسرائيل قد فركوا أيديهم نشوة وسعادة، فها هم أولاء العرب يسعون إلى مصيرهم بأنفسهم، وهما هو ذا سلاح

إسرائيل السرى - وهو سلاح واحد من أسلحتهم العديدة - سوف يحرق القناة بالجيش المصرى الذى سيحاول عبورها.

- «سوف يتحول الجنود المصريون إلى رماد» كما قال موشيه ديان ستكون البداية المتلهبة على يد «السلاح السرى» فى «حل مشكلة الإسكان والمواصلات فى مصر بالقضاء على مليون جندى وضابط . . وبالتالى سيخفف الزحام على المواصلات، وستتوافر الشقق الخالية لمن يريد السكن» (هذا أيضاً ما قالته جولدا مائير).

- هذا ما تأهبت له إسرائيل . . وأرسلت من أجله المهندس ألبرت رحميم وزملاءه.

- وتلك هى الصورة التى توقعتها -بشكل مؤكد- بعد ساعات : القناة تحترق وجثث الجنود المصريين تتفحم . . حتى الذين يقفون على بعد يصل إلى مائتين من الأمتار سوف يشويهم لهيب النيران المتدفقة كالكلاب المسعورة من مخازن ومواسير المازوت والنابالم.

.. ولكن .. ماذا كان على الجانب الآخر ؟

. . كيف خططت القيادة المصرية لانتزاع أنياب كلاب النار المسعورة وتقييدها وحبسها فى مكانها ؟

. . كيف اطمأنت القيادة المصرية بتخطيطها والثقة بأداء رجالها - إلى أن قواتها المسلحة لن تمسها نيران المواسير الممتدة من خزاناتها فى حصون بارليف إلى شاطئ القناة ؟

. . قبل أن أتحدث عن التخطيط المصرى لهذه الجولة «النارية»، أدعوك صديقى القارئ إلى قراءة أخرى لهذا الخبر الذى تناقلته وكالات الأنباء وتحدث عنه المراسلون الحربيون فى أيام القتال الأولى . أدعوك لقراءته لأنه يرتبط -تماماً- بمهمة المهندس الإسرائيلى ألبرت رحميم.

- (قال الخبر : كان من أوائل الأسرى الإسرائيليين الذين سقطوا فى أيدى القوات المصرية : مهندس من سلاح المهندسين الإسرائيليين . وقد أسره المصريون بجوار أجهزة إشعال النيران على الضفة الشرقية للقناة حينما كان يحاول تشغيلها).

- هل قرأت يا صديقى القارئ الخبر الموجز جداً.

- حسناً أرجو أن تنتظر منى تفاصيله الآن . . فحكايته كلها ستعرفها فى الفصل الخاص بالعمليات القتالية . فقط أقول لك : إن ملف العمليات الإسرائيلية ودراسة

الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف التزمت الصمت الكامل ولم تشر بعد ذلك إلى السيد / ألبرت رحميم أو مهمته !!

ونعود إلى ما خطط له فريق العقول المصرية لهذه الجولة :

فى البداية اتجه التفكير إلى إعداد وسائل إطفاء هذه النيران الملتهبة حين يدفعها العدو فوق سطح المياه - وتم عمل تجارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة واتضح أن عملية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة وأن النيران تظل مشتعلة نحو نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة ، وكان من المؤكد أن الإسرائيليين لديهم فى الخزانات كميات هائلة ، ويستطيعون دفع كميات جديدة كلما ضعفت النيران .

. . . إذن كان لابد من التفكير والتخطيط لحل آخر . وتوصلت القيادة المصرية إلى ضرورة إبطال استخدام هذه المواد قبل العبور ، وإذا حدث أن أخفقت القوات المكلفة بهذه المهمة فى تعطيل جميع المصادر ، فإنه يلزم التخطيط لعملية منع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهبة وذلك لتقليل الفترة التى تتعرض فيها القوات للحريق إلى أقل وقت ممكن .

. . . وقد بدأ العمل على الفور ، فصدرت الأوامر بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذه المواد ، واتضح أنه يضعها (كما قلنا من قبل) فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح الماء .

. . . وبناء على هذه المعلومات الاستطلاعية الدقيقة وضعت القيادة خطتها كالتالى :

١ - تقوم مجموعتان من رجال الاستطلاع بالتسلل إلى الضفة الشرقية (قبل ساعة الصفر بوقت كاف) وتتولى المجموعة الأولى سد هذه المواسير بتركيبة معينة من الأسمنت وبعض اللدائن سريعة التصلب ، وتقوم المجموعة التالية بقطع خراطيم الطلمبات الماصة الكابسة .

٢ - لو فشلت هذه المحاولة لسد المواسير وقطع الخراطيم تتولى مجموعة أخرى من رجال الصاعقة مهمة الاستيلاء بأسرع ما يمكن على هذه المستودعات ومنع استخدامها ضد قواتنا .

٣ - لم تتوقف العقول المصرية المخططة عند هذين الحلين، بالأسلوب العلمى الدقيق والذكاء التخطيطى العميق، استعدت للاحتمال الثالث، فماذا لو فشل الحل الأول ولم يتم إغلاق مواسير اللهب ؟

وماذا لو فشل الحل الثانى أيضاً ولم يتم الاستيلاء على المستودعات ومنع استخدامها، هنا يظل احتمال العبور تحت التهديد البشع لجحيم النيران التى أعدهاالإسرائيليون ليحرقوا بها القناة ومن عليها ومن يقترب منها .

. . . طرح المخططون الفكرة الجديدة وتناولوها من كل جوانبها واستقروا عليها وكانت كالتالى :

- دراسة اتجاه التيار فى القناة طوال ساعات اليوم .

- اختيار قطاعات الاختراق بحيث تعبر القوات فوق التيار، وبذلك تتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء .

هكذا خططت العقول المصرية للجولة الثانية . . وقد أثبت سير العمليات بعد ذلك - وكما ستكشفه فصول قادمة، أن فريق العقول المصرية قد سحق الفريق المضاد فى هذه الجولة سحقاً تاماً .

« **ملحوظة تاريخية** : للمقارنة » كما سبق أن أشرت فى تحليل لهذا المانع من اللهب واجه الألمان نفس المشكلة ولكن بحجم أقل بكثير جداً - فعندما ابتكر الإنجليز وسيلة إشعال سطح المياه، ونشرت الأجهزة الخاصة بالحرب النفسية قصصاً كثيرة عن هذا المانع المبتكر والذى لابد أن يعبره الألمان فى هجومهم على إنجلترا .

عندئذ أجرى الألمان تجربتين فى فيكموند بنورماندى والأخرى فى إحدى البحيرات القريبة من روسيا الشرقية . وصدرت الأوامر للخبراء الألمان بإجراء تجاربهم بمنتهى الدقة وبصورة واقعية إلى أقصى حد، وفى محاولة للتغلب على هذه المشكلة، قام هؤلاء الخبراء بتغطية أسطح قوارب العبور بأوراق الاسبستوس، واستقلها الجنود فعلاً وتحركوا بها داخل منطقة حيث دفع الزيت على سطح مائها وتم إشعاله بالنار، وكانت النتيجة أن احترقت القوارب واحترق الجنود وتحولوا إلى «رماد» .

والمعروف أن هتلر عندما وصلته هذه النتائج . أصدر على الفور أوامر (فى (٩/ ١/ ٤١) بإيقاف الاستعداد لغزو إنجلترا .

الجولة الثالثة : فى مواجهة الساتر المانع الترابى :

انتقل فريق العقول المصرية إلى الجولة الثالثة من جولات حرب العقول، وكان ميدان هذه الجولة هو الساتر أو المانع الترابى.

وقد حدد المخططون المصريون أسلوب تعاملهم مع هذا الساتر من خلال طرح عدة أسئلة كانت هى وأجوبتها كالتالى :

س : هل يزال الساتر الترابى كلية ؟

جـ : إن زمن المعركة الذى يقاس بأجزاء من الثانية لا يمكن أن يسمح بذلك، ثم إن حاجة القوات للعبور والانطلاق إلى سيناء لاتحتم الإزالة الكلية للساتر.

س : إذا كان الحل المنطقى هو فتح ثغرات أو ممرات داخل الساتر. . فكم ممر يتم فتحه. . وما كمية الأتربة التى يلزم إزالتها ؟

جـ : تحتاج عملية العبور إلى فتح ٦٠ ممراً فى الساتر على طول القناة وكل ممر، أى أنه لفتح ٦٠ ممراً تصل الأتربة المطلوب إزالتها إلى أكثر من ٩٠,٠٠٠ متر مكعب.

س : كيف يتم فتح هذه الممرات ؟

جـ : للإجابة عن هذا السؤال احتاج الأمر من أجهزة الإعداد والتخطيط إلى جهد ووقت كبيرين. فقد طرحت فى البداية فكرة استخدام المفرقعات فاتضح أنها لن تحقق النتيجة المطلوبة لسببين :

١ - سوف تتناثر الأتربة . . هذا صحيح . . ولكنها ستتراكم فى مكانها أو بالقرب منه مرة أخرى. . .

٢ - استخدام المفرقعات معناه أن دائرة تأثيرها ستمتد لتغطى مساحة تصل إلى مائتى متر مربع، ولمواجهة ذلك لابد من إخلاء هذه المنطقة من الجنود. . فكيف ذلك وهم لابد أن يكونوا متأهبين للعبور فى أسرع وقت؟ ثم إن هذه المفرقعات سوف تحدث ارتباكاً على طول خط المواجهة؛ إذ أنه سيكون من الصعب تمييز أصوات هذه المفرقعات من أية تفجيرات أو ضربات يوجهها العدو.

س : هل يمكن استخدام الصواريخ أرض - أرض - وقنابل الطائرات لفتح الممرات المطلوبة ؟

جـ : جاءت الإجابة من خلال ثلاثين تجربة على ساتر مشابه تماماً وكانت النتيجة سلبية . . طرحت أجهزت التخطيط والإعداد كل هذه التساؤلات وأجوبتها وانحصر التفكير فى المفرقعات أو أسلوب التفجير الذى لم يكن له بديل لدى أى خبراء فى أى مكان فى العالم (إلا القنبلة الذرية) .

. . لكن العقل المصرى أثبت قدرة مذهلة على الابتكار . . لقد تقدم ضابط مهندس شاب إلى قائده (فى منتصف عام ١٩٧١) وقدم له اقتراحاً باستخدام أسلوب التجريف بدلاً من التفجير أى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال جداً فى إزالة الأتربة (كما حدث بشكل أصغر فى بناء السد العالى) وتلقف المخططون فكرة الضابط الشاب، وبدأوا على الفور فى تجربتها واستخدمت فى التجارب الأولى عدة أنواع من المضخات إلى أن أستقر الرأى على استخدام النوع الألمانى (والطريف أن المسئولين فى ألمانيا الغربية عن المصانع المنتجة لهذه المضخات أبدوا دهشتهم لاهتمام مصر بوضع خطة كبيرة إلى هذا الحد لمواجهة الحرائق فى المدن والقرى !! .

هذا وقد أضاف العقل المصرى تعديلات إلى هذه المضخات النفاثة بحيث صارت قادرة على ضخ ٢٠٠ متر مكعب من المياه فى الساعة .

ومن خلال التجارب النهائية التى استمرت عامين تقريباً حدد فريق العقول المصرية خطته لقهر الساتر المانع الترابى . . وفتح الممرات العديدة داخله، باستخدام هذه المضخات النفاثة مع المتفجرات المتتالية من أعلى إلى أسفل لاختصار الوقت بحيث يتم فتح الثغرة فى زمن يتراوح بين ثلاث وخمس ساعات .

بالنسبة إلى مشكلة تسلق المشاة للساتر، ابتكرت العقول المصرية تنفيذاً للتخطيط أنواعاً من السلالم (من أحبال معينة) كما أنه بالنسبة إلى المعدات والمدافع التى لايمكن حملها، استفاد المخططون المصريون من تراثهم الحضارى العريق، فبعثوا من جديد عربة رمسيس الفرعونية . . وهى عربة جر صغيرة يجرها الجنود بأيديهم أثناء تسلقهم للساتر .

وقد أضافت العقول المصرية الرتوش الأخيرة لعملية مواجهة الساتر بالتنظيم الدقيق والرائع لعبور المشاة فى القوارب المطاطية فكان كل جندى يعرف مكانه فى قاربه ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور وبعده .

كما أن القيادة أرجأت مهاجمة النقط الحصينة إلى ما بعد استكمال عملية العبور، وبالتالى أصبحت مهمة المشاة التسلل خلال خط بارليف وتأمين إقامة رءوس الكبارى . . . .

هكذا خطط فريق العقول المصرية للجولة الثالثة. وإذا كان الحديث عن نتيجة هذا التخطيط سوف يأتى بعد ذلك - فإننى أستشهد على نجاح العقول المصرية فى هذه الجولة هى الأخرى نجاحاً مذهلاً بما قاله خبير عالمى فى دراسة كبيرة عن حرب أكتوبر.

لقد قال الرجل :

«إن المصريين توصلوا إلى طريقة جهنمية لبعثرة الساتر الترابى مما أكسبهم نصف الوقت».

ويصف الكاتب بعد ذلك المشهد الأول للعبور فيقول :

«اندفع ثمانية آلاف جندى مصرى إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وتسلقوا السد الترابى وتوغلوا إلى الداخل بين حصون خط بارليف، وتعتبر عملية العبور هذه بمثابة مناورة كان الجنود المصريون قد قاموا بها أكثر من ٦٠٠ مرة وقد اتخذوا من موقع جنوب مصر مسرحاً لتدريباتهم يشبه قناة السويس تماماً، بل إنهم قاموا ببعض هذه المناورات التدريبية على قطاع القناة الذى يتفرع إلى ذراعين وكان جنود الموجة الأولى من العابرين يحملون على ظهورهم أنابيب غريبة الشكل وحقائب صغيرة تحتوى على الصواريخ الجديدة المضادة للدبابات، وطبقاً للخطة الدقيقة التى وضعتها القيادة لم يحاول هؤلاء الجنود الاستيلاء على حصون خط بارليف، وبلا توقف تجاوز الجنود التحصينات الإسرائيلية وهم مسرعون ليتقدموا بجرأة إلى مقابلة المدرعات والمدفعية، وكان هدف هذه الخطة هو القيام بحصار وصد الهجمات اليهودية المضادة الأولى وذلك بضربهم بالصواريخ والأسلحة الصغيرة. إلى أن يتم لجنود الصف الثانى تشييد الجسور لمرور المدرعات والعتاد الثقيل»

الجولة الرابعة :

هل تطلق « قبضة إسرائيل الحازمة » فى وجه الجيش المصرى أو يضعها المصريون فى « الجبس » ثم يبترونها ؟

هذا هو السؤال :

* ولم يكن أمام فريق العقول المصرية فرصة للتردد والحيرة كما فعل«هاملت» (بطل شكسبير) حين واجهته مشكلة لابد من حسمها.

وكما حدث بالنسبة إلى الأسئلة السابقة والتالية. فإن المخططين المصريين وضعوا هذا السؤال أمامهم وقاموا بتشريحه . . وفحص كل جزئياته لوضع العلاج المناسب».

ولكن لماذا وضعت أنا السؤال فى هذه الصيغة وما حكاية الجبس والبتر ؟!

باختصار شديد أحكي لك أيها القارئ العزيز قصة هذا السؤال، فأثناء حرب الصبر والصمت التى أعقبت حرب الاستنزاف وبالتحديد فى مايو ١٩٧٣ كنت أواصل زياراتى للجبهة لتسجيل لقاءات مع الجنود والضباط، وذات زيارة التقيت بجندى من الجيش الثالث تصورت فى البداية أن حالة اللاسلم واللاحرب قد نالت منه أو أن الدعاية الإسرائيلية الصاخبة قد أثرت فى استعداده وروحه المعنوية ولذلك وجدتنى أبدأ لقائى معه بسؤال مباشر . . قلت له :

أنت زهقت يا بطل من الانتظار . . واللا كده أحسن».

لم أكن أتصور أن سؤالى سوف يستفزه إلى هذا الحد، كما لم أتوقع أن تكون إجابته محددة حاسمة بهذه الصورة، لقد تدافعت كلماته كطلقات رشاش متعطش للانطلاق قائلاً لى :

أولاً : «أنا أرفض الجزء الثانى من السؤال . . فهل تتصور أننا نفضل البقاء هنا فى خنادقنا . . على مواجهة العدو ؟ هل تتخيل أننا مهما طال الانتظار . . سنفقد الرغبة الحارقة فى تحرير كرامتنا وأرضنا ؟

ثانياً : قد أقول لك إننى أشعر أحياناً بالملل والزهق لكن التدريبات المستمرة والتطلع الدائم للحظة الإشارة ببدء الحرب يجعلنى أعتبر هذا الشعور وقوداً إضافياً لطاقة الثأر والانتقام.

- هكذا أجابنى الجندى محمود . . وقد ساد الصمت لحظات بعد انتهاء كلامه . . حتى اضطررت إلى إيقاف جهاز التسجيل لبضع دقائق، ثم عدت أسأله وأنا أشير إلى الضفة الشرقية للقناة حيث الساتر الترابى وخط بارليف .

- هل سمعت ما يقولونه عن خط بارليف ؟

فأجابنى على الفور :

تقصد « قبضة إسرائيل الحازمة » كما يصورونه ؟

قلت : نعم . .

* لمعت عيناه ببريق حاد . . وارتسمت ابتسامة رائعة على وجهه وقال لى : «ياسيدى . . إن شاء الله سنضع هذه القبضة الحاسمة فى الجبس . . كأى قبضة تتعرض للضرب بقطعة حديد ضخمة .

نعم . . سنضع قبضة إسرائيل الحازمة فى «الجبس» ثم «نبترها» بأسرع ما يمكن .

* ابتسمت للتشبيه الظريف والذكى . . وعدت إلى القاهرة مزوداً بأمل متجدد، وأذكر أننى حينما أسمعت التسجيل لزملائى قبل إذاعته لمعت الابتسامة المتفائلة فى عيون البعض، وعلقوا على ذكاء الإجابة بينما تمسك البعض الآخر بتشاؤمه وعدم ثقته باستعدادنا لدخول حرب رابعة . . . حتى إنهم قالوا إن الإجابات (إجابات محمود) جاءت نتيجة تأثره بمحاضرات التوجيه المعنوى ليس أكثر .

. . . كان ذلك كما ذكرت فى مايو ١٩٧٣ . .

* ولم أكن أتخيل أن الحرب ستندلع بعد خمسة شهور . . وأن ما توقعه المقاتل محمود . قد حدث بالفعل . . فتم العبور والاقتحام وتراخت قبضة إسرائيل الحازمة تماماً تحت عنف الضغط المصرى ووضعها المقاتلون المصريون فى «الجبس» لمدة ساعات أو أيام محدودة . . ثم قاموا ببترها فعلاً .

وكانت واحدة من عمليات «التجبيس والبتر» التى تعرضت لها معظم أسلحة ومعدات وقواعد ونظريات إسرائيل .

صديقى القارئ . . معذرة فقد استطردت قليلاً . . وإن كنت أثق بقبولك لهذا الاستطراد لأنه يشكل ملمحاً مهمًا . . فى صورة هذه الجولة وغيرها من الجولات .

. . . .

وأدعوك الآن إلى زيارة سريعة لغرفة عمليات القوات المسلحة المصرية لنقرأ معاً كيف تم التخطيط لمواجهة خط بارليف . . قبضة إسرائيل الحازمة .

. . بنشاط متوقد عملت العقول المصرية فى التخطيط الدقيق لحرمان الجيش الإسرائيلى من أحد أركان نظريته الدفاعية . . بتعطيل خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة ، وقد استعرضت هيئة التخطيط جميع المعلومات التى أمرت بتجميعها وإعدادها .

١ - كانت القيادة قد عملت على مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة طوال اليوم لا فرق بين ليل ونهار . وقد تم ذلك بالفعل ، وتم تصوير كل شىء عن الخط الحصين .

٢ - تم عمل سجل تاريخى تفصيل لكل نقطة حصينة ، ويتضمن السجل جميع مراحل البناء والتكوين والقوة . . . إلخ

٣ - أعدت دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجئ ، وأجريت الحسابات الدقيقة لكل شىء .

٤ - كأى خط دفاعى . . كان يتحتم أن تكون هناك نقاط ضعف فى التحصينات . . وقد تم رصد وتحديد ودراسة هذه النقاط .

٥ - توافر أيضاً أمام فريق العقول المصرية ما طلبه من معلومات محددة عن أوضاع وأحجام القوات الاحتياطية التى أعدها العدو فى الخط الثانى والثالث . وتم حساب الفترة الزمنية التى تستغرقها هذه الاحتياطيات المدرعة للانضمام والمساندة لقوات التحصينات والمعاقل .

* وضع المخططون المصريون أمامهم هذه المعلومات وغيرها مما لم يكشف عنه الستار بعد . . ومن واقع المناورات التدريبية العديدة التى قامت بها القوات على نماذج مطابقة لهذه التحصينات البارليفية ، تم عمل قياس دقيق لكفاءة الأداء ارتباطاً بعنصرى الوقت والحركة .

* كان أول سؤال طرحه فريق العقول المصرية أمامهم هو :

هل تتم مهاجمة هذه التحصينات من الأمام أو من الخلف أو من الأجناب، وقد استعرضوا جميع الاحتمالات واستقر الرأى على أن يكون الهجوم من المواجهة وعلى طولها لتحقيق أكثر من هدف : تضليل وخداع العدو، وتشتيت جهده وإرباكه وحرمانه من إمكانية التنسيق بين التحصينات بعضها البعض وبينها وبين القوات المساندة، مع ما فى ذلك من تحقيق عنصر المفاجأة.

* ويسبق ويواكب هذا الهجوم دور خاص للمدفعية التى تم تخطيط أسلوب وحجم عملها بناءً على :

١ - تحديد الأعيرة القادرة على التأثير فى هذه المعاقل الحصينة بناءً على دراسات علمية دقيقة للغاية.

٢ - تحديد استهلاك الذخيرة اللازمة لسحق كل حصن أو لإسكات أى سلاح بداخله.

٣ - تحديد الطريقة المثلى للرمى، وأنسب خط مرور وأنسب اتجاه للرمى. . . . إلخ.

* وكان الدور الملقى على عاتق المدفعية فى هذه الجولة يتمثل فى النقاط التالية :

(١) فى المدة التى تسبق اقتحام وعبور القناة، تنفيذ قصفة نيران قوية على جميع الأهداف (النقط الحصينة - الاحتياطيات - مراكز القيادة والسيطرة - بطاريات المدفعية) يتم فيها شل هذه الأهداف ومنعها من التدخل ضد القوات وخاصة المفارز التى ستدفع مع بداية التمهيد النيرانى فى الساعة الثانية وخمس دقائق بهدف الاستيلاء على المواقع المهجزة على عمق من ١-٣ كيلو مترات شرق القناة لستر باقى القوات أثناء الاقتحام.

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من الساعة الثانية وعشرين دقيقة ظهراً) تستمر المدفعية فى إسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير أو تعطيل المنشآت الدفاعية الحصينة، والقيام بفتح ثغرات موانع العدو على الضفة الشرقية من مواجهة النقط الحصينة، مع استمرار توجيه الضربات لاحتياطيات العدو لضمان عدم تدخلها أو تحركها إلى التحصينات على ضفة القناة.

(جـ) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقط الحصينة بالمواجهة أو من الأجناب والخلف (فى حالات طارئة ومحدودة) لتصل جميعها فى نفسه الوقت الذى ترفع فيه المدفعية نيرانها من على هذه النقط بعد أن تكون قد نفذت مهماتها السابقة.

(د) الاستمرار فى قصف بطاريات مدفعية العدو لمنعها من إنتاج نيران مؤثرة على القوات المهاجمة . .

وتتضمن الخطة أيضاً ألا تضيع القوات التى تمثل الموجات الأولى من الاقتحام جهدها ووقتها فى ضرب حصون بارليف بمجرد عبورها . وتحدد لمجموعات معينة من هذه القوات مهمة محاصرة هذه الحصون وشلها (أو إكمال شلها بعد ضربات المدفعية)، بينما تندفع بقية القوات إلى الأمام لتدمير الاحتياطات المتأهبة فى العمق - فى الساعات الأولى وقبل أن تعبر المدرعات المصرية . وتشترك مع هذه القوات مجموعات الصاعقة التى يتم إبرارها فى توقيت معين .

* تلك كانت بعض التفاصيل التى تضمنتها الخطة التى وضعها فريق العقول المصرية لهذه الجولة التى كان ميدانها تحصينات خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة .

* وقبل أن ننتقل إلى جولة أخرى من جولات حرب العقول لنا أن نتساءل عن نتيجة هذه الجولة العنيفة التى توقفنا أمامها .

ولكى نرى كيف حقق فريق العقول المصرية نجاحاً فائقاً فى هذه الجولة أيضاً نستشهد بما قاله واحد من أكبر الخبراء والمعلقين الإسرائيليين وهو زئيف شيف الذى قال فى وصفه لسقوط معاقل خط بارليف واحداً بعد الآخر :

« لم يكن الناس داخل إسرائيل يعرفون حقيقة ما يدور على الجبهة فحتى يوم ٨/ ١٠ لم يكن المواطنون العاديون يعرفون أن خط بارليف لم يعد له وجود . .

إن معركة الصد لم يتحقق فيها أية نظرية من نظريات جيش الدفاع الإسرائيلى، فالقوات التى كان يتعين عليها - حسب خطة بارليف - القيام بهجوم مضاد على الفور لم تتمكن من ذلك . . وهكذا أضاع جيش الدفاع الإسرائيلى قناة السويس» .

هكذا اعترف واحد من كبار المعلقين العسكريين الإسرائيليين بأن نتيجة الجولة الرابعة من حرب العقول . فى صالح المخطط المصرى . . وهناك الكثير والكثير من هذه الاعترافات والشهادات .

. . وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد . مع قصص الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يشكلون مع تحصينات بارليف قبضة إسرائيل الحازمة التى تعرضت لضغط مصرى مخطط وعنيف فتراخت وتهاوت ثم وضعها المقاتلون المصريون فى «الجبس» و «بتر وها» بعد أيام معدودات - كما توقع المقاتل محمود الذى أتمنى أن يكون من بين قراء هذه الصفحات .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

(مواجهة عناصر الردع فى نظرية الأمن الإسرائيلية)

أولاً : تحليل فكر وتخطيط العدو :

قبل أن نلتقى مع فريق العقول المصرى فى دراسته للعدو . . من حيث نوعية جنوده ، وتفكير وتخطيط قادته . . ما رأيك يا أخى القارئ لو توقفنا لحظات نتابع فيها بعض ما قاله قادة إسرائيل ؛ لأنه بمثابة الشعاع الذى يلقى الضوء على منهج تفكيرهم وتخطيطهم . . خاصة أن هذه الأقوال لم تكن غائبة عن أذهان المخططين المصريين !

. . . .

شعارنا : اهجم أولاً ، فالخسارة على أية حال ستكون أقل»

(توقيع)
القيادات المتعاقبة على جيش الدفاع الإسرائيلى

الجيش الثور :

«إن جيش الدفاع الإسرائيلى ليس كالقنفد الذى ما يكاد يرى الخطر حتى ينطوى على نفسه تحت ريشه وينتظر الضربة القادمة . ولكنه كالثور الذى ما إن يشعر باقتراب الخطر حتى يشحذ قرنيه استعداداً للهجوم؛ إذ إنه لم يحدث قط أن وقف جيش إسرائيل فى وضع دفاع» .

(توقيع)
الجنرال موشيه ديان

علينا أن نهاجم دائماً :

دعونا نصر على ألا نقنع بالتكتيكات الدفاعية البحتة ، ولكن فى اللحظة المناسبة علينا أن نهاجم دائماً وعلى طول الخط ، ليس فقط داخل تخوم الدولة اليهودية أو حدود فلسطين ، بل إن علينا أن نسعى إلى سحق العدو أينما وجد» .

(توقيع)
دافيد بن جوريون

الرد الوحيد :

« إن اتباع سياسة دفاعية بحتة أمر من شأنه أن يسمح للخصم باختيار زمان ومكان وطريقة الهجوم على النحو الذى يريده ، وبالطريقة التى تناسبه ، وإن الرد الوحيد على ذلك إنما يكمن فى الأخذ بزمام المبادرة الشاملة من جانبنا ، أو بمعنى آخر ، القيام بهجوم مضاد توقعى إذا لزم الأمر ، وذلك بهدف تدمير القوات الضاربة الرئيسية للعدو » .

. . . .

. . . .

لايوجد أحد :

« إن جيش إسرائيل لا مثيل له فى أصالته وعراقته وروحه المعنوية وقدسيته باعتباره يمثل صورة حية للبعث التاريخى والحروب المقدسة .

. . هل هناك جندى فى العالم يمكنه أن يضاهى الجندى الإسرائيلى ؟

بالتأكيد لا يوجد أحد . . . »

(توقيع)
حاييم ليبرمان
رئيس تحرير جويش كوونيكل

هكذا بعد أن استعرض فريق العقول المصرى طبيعة الأرض بموانعها ، انتقلوا إلى العنصر الثانى من عناصر تقدير الموقف وهو : «العدو» ومن خلال التقارير التى نجحت المخابرات المصرية فى إعدادها عن طبيعة وتفكير وخطط العدو ومن خلال الخبرات المكتسبة من الحروب السابقة مع الإسرائيليين -- حدد المخططون صورة تفكير وتخطيط فى النقاط التالية :

(أ) تعتمد إسرائيل فى بناء قواتها المسلحة على تعبئة الاحتياطى ؛ إذ إن عدد أفراد الجيش العامل أقل بكثير من التعداد العام للجيش ، والمعروف أن مستوى الجنود والضباط الاحتياطيين لا يقل عن مستوى الأفراد النظاميين نتيجة لاستمرار التدريب على مدار العام ، حيث يستدعى هؤلاء على فترات متقاربة لأغراض التدريب واستيعاب الأسلحة الجديدة والتعرف على من ينضم إلى وحداتهم من ضباط وجنود جدد .

ولهذا النظام إيجابيات منها :

١ - الاستفادة من هؤلاء الجنود والضباط الاحتياطيين في الإنتاج الصناعى والزراعى (بما يتمشى مع ظروف إسرائيل كبلد صغير).

٢ - إحساس الجميع بأنهم يتساوون فى أداء نفس المهمة كأفراد فى جيش الدفاع.

٣ - نتيجة لذلك يكون الأفراد العاديون فى الجبهة الداخلية الذين لايتم استدعاؤهم امتداداً للجبهة العسكرية.

أما السلبيات فهى :

إحساس الجندى الإسرائيلى الاحتياطى بانتمائه إلى حياته المدنية أكثر وهو بالتالى يتعلق بالحياة، ويطلب من حكومته أن توفر له فى حالة استدعائه أشياء كثيرة باهظة التكاليف ابتداءً من الجاكتة التى تقى من الرصاص إلى الدبابة سميكة الدروع، إلى الموقع المحصن تماماً إلى الطائرة التى تغطى رأسه . . . وهو لذلك قد يكون جندياً ماهراً حين تتوافر له هذه الظروف والشروط، فإذا لم يتوافر له بعضها قلّت بالتالى كفاءته.

ومن هنا خطط القادة المصريون لإرباك نظام التعبئة الإسرائيلى بالمفاجأة، ثم حرمان جنود جيش الدفاع من بعض ما تعودوا عليه.

(ب) الجندى الإسرائيلى - بشكل عام - يجيد استثمار ارتباك عدوه وتفككه . . لكنه يهتز كثيراً حينما يواجه عدواً متماسكاً مصمماً.

(جـ) يتمتع الجندى الإسرائيلى بثقة كبيرة بنفسه فهو (سوبر مان العصر . . والذى لايقهر) وقد جاءت هذه الثقة لدى الإسرائيلى كنتيجة للحروب الثلاث التى دارت مع الجيوش العربية - وكسبها جيش الدفاع (وإن كان السبب فى ذلك -كل مرة - هو التقصير والأخطاء العربية) وقد برعت الدعاية الإسرائيلية فى ترسيخ هذه الثقة فى نفوس جنودهم الذين اطمأنوا تماماً لقدراتهم فى مواجهة الجندى العربى المتخلف الضعيف الجبان «المنسحب دائماً» ! وقد اهتم المخططون العرب بهذا الجانب فى الجندى الإسرائيلى بأن وضعوا خططهم لضرب ثقته بنفسه وبقادته بالعنف فى الصدام وتحقيق المفاجأة على أرض المعارك . . كما أنهم آثروا أن تظل فكرته عن الجندى المصرى كما رسمتها الحروب السابقة والدعايات الضخمة . .

حتى تكون صدمته سبباً آخر فى فقدان ثقته بنفسه ؛ إذ إنهم كانوا يعلمون جيداً أن الجندى المصرى - حين تتاح له الظروف المناسبة - سوف يكشف عن نوعيته الفذة التى لم يعرفها الجندى الإسرائيلى من قبل .

. . . .

. . . .

* هذا هو الجندى الإسرائيلى (السوبر مان . . الذى لايقهر !!)

* وهكذا خطط فريق العقول المصرى لوضع هذا الجندى فى حجمه الحقيقى وكشفه أمام نفسه وأمام العالم . ثم ضرب أحد جوانب نظرية الأمن الإسرائيلى . . بتدميره جسديًا أو نفسيًا .

* وسوف يكشف سير العمليات كيف حقق التخطيط المصرى أهدافه .

* ولكننا كالعادة - ربما تشوقاً لمعرفة أى قدر من «النتيجة»- نقرأ الآن على سبيل المثال - ما نشرته صحيفة هآرتس بقلم أكبر معلقيها :

الجنود الإسرائيليون نسوا أسماءهم :

قال المعلق الإسرائيلى الكبير : «لقد كانت حرب أكتوبر هى الحرب الأولى بالنسبة إلى جيش الدفاع الإسرائيلى التى يقوم فيها الأطباء بمعالجة عدد كبير جداً من الجنود الذين أصيبوا بصدمات نفسية فى المعارك . ولقد حدثت معظم هذه الصدمات منذ الأيام الأولى للحرب وبالذات فى مرحلة الصد، عندما كان الجنود يفقدون الاتصالات مع وحداتهم، كما كان البعض يقاتل مع أطقم لا يعرفها إطلاقاً .

لقد كان بعضهم بحاجة إلى النوم والراحة

وكان بعضهم الآخر بحاجة إلى علاج نفسى

وكان هناك آخرون ممن نسوا أسماءهم . . وكان يتحتم نقلهم إلى المستشفيات .

. . وتكتمل هذه الصورة التى رسمها محرر الهآرتس الإسرائيلية، لما جرى للجندى الإسرائيلى بالتحليل الذى قدمه الخبير الأمريكى «ادجار أوبلانس» الذى يقول فى بحثه الشامل :

« لقد صدم الجندى الإسرائيلى عندما لم يعد يتقدم إلى الأمام وهو واثق بأن الجنود العرب سوف يقفون تلقائيًا قبل أن يقترب منهم .

لقد وجد أمامه جندياً عربياً قوياً قادراً على القتال والصراع العنيف، قادراً على قتله أو أسره.

وسرعان ما أدرك الجندى الإسرائيلى أن الدفاع والاختفاء أصبح أمراً حيوياً له إذا كان يريد البقاء على قيد الحياة.

ويضرب «إدجار أويلانس» مثالاً لهذا التحليل بالقوة الإسرائيلية التى تسللت إلى الضفة الغربية من القنال، وكيف كانت تعمل فى حذر وجبن مما كان يعتبر إلغاءً لخفة حركة المدرعات».

. . . .

. . . .

النظام العسكرى الإسرائيلى :

- يقاتل الجيش الإسرائيلى وفقاً لأسلوب عسكرى معين، حددته القيادة المصر[illegible] :

١ - الاعتماد على الطيران الكثيف والمتفوق وذى المدى البعيد، والقيام بعمليات ربما لا تكون ذات قيمة عسكرية.. بقدر ما تكون استعراضاً للقوة بهدف الإرباك وهز الثقة فى النفس والسلاح. ولتحقيق عملية الردع إذا ما قررت إسرائيل إجهاض استعدادات العبور.

٢ - الاعتماد أيضاً على المدرعات؛ إذ إنها تمثل نوعاً من الأمان لجنودهم وفى الوقت نفسه تنتج وتقذف كميات كبيرة من النيران ضد أهدافها من أبعاد مختلفة، بحيث يتم ذلك بسرعة الحركة والقدرة على المناورة والالتفاف والتطويق.

٣ - توجيه ضربات مركزة ومكثفة.. بحشود كبيرة ضد قوات محدودة لاستثمار النتائج إعلامياً ونفسياً.

٤ - إعداد قيادات عسكرية تجيد حرب الذعر والحرب الخاطفة : .. حرب الذعر لإرباك القوات المعادية.. وتنمية الثقة فى جنودهم، وحرب خاطفة تتناسب مع ظروف إسرائيل التى لاتسمح مواردها البشرية أو الاقتصادية بحرب طويلة وكذلك لتحقيق أكبر النتائج فى أسرع وقت وقبل تدخل قوى خارجية، أو دخول دول عربية أخرى فى المعارك (شعار إسرائيل : «اهجم أولاً.. فالخسارة على أية حال ستكون أقل»)

- وبدراسة هذه الأركان لنظرية النظام العسكرى، وبتحديد نقاط الضعف فيه توصل فريق العقول المصرى إلى الأسلوب المضاد الذى يهدم هذه الأركان.

(أ) إن الحرب الخاطفة لاتتحقق إلا إذا كانت المبادأة فى يد إسرائيل وهذا ما يتم التخطيط وإعداد المسرح السياسى والعسكرى لحرمانها منه.

(ب) اعتماد إسرائيل على تفوقها الجوى.. من الممكن ضربه بشكل مؤثر (وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد).

(جـ) نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد على المدرعات التى تتحرك من العمق يمكن تعطيلها.. بكمائن المشاة المزودين بأسلحة مضادة للدبابات.. إلى أن تعبر الدبابات وتتولى بقية المهمة.

(د) بالإضافة إلى ضرب وتعطيل نظام التعبئة بعنصر المفاجأة. فإنه يبقى فى جعبة القوات المصرية إمكان ضرب القوات التى تعبئها إسرائيل وتدفعها إلى جبهة القناة؛ حيث تمتد المسافة من داخل إسرائيل إلى القناة من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ كم.
- ويتولى هذه المهمة، الطيران ومجموعات من قوات الصاعقة، وبديهى أن تحقيق المفاجأة يعنى خداع المخابرات الإسرائيلية وغيرها من المخابرات التى تنسق العمل معها.

(هـ) بالنسبة إلى اعتماد إسرائيل على مبدأ الحرب الخاطفة.. يتم التخطيط لإجبارها على دخول حرب طويلة بأخذ المبادأة والإعداد البشرى والعتادى والتكتيكى لجعلها حرباً طويلة، وفى هذا استنزاف لطاقتها ومخزونها العسكرى (بشريًا وماديًا) وإرهاق لاقتصادها حيث ستتوقف معظم المصانع والمزارع نتيجة تعبئة الأيدى العاملة، ثم لإعطاء الفرصة لدخول جميع الدول العربية إلى المعركة عسكريًا أو اقتصاديًا - ولعل المخططين كانوا فى هذه النقطة بالذات يحققون تعليمات الرئيس السادات الذى اتفق مع الملك فيصل ملك السعودية على ذلك حتى يمكن استخدام سلاح البترول وسلاح الأرصدة فى المعركة.

وأيضاً يتحقق بالتخطيط لجعلها حرباً طويلة تهيئة الفرصة للمجتمع العالمى والدول الصديقة للتدخل.. والضغط من أجل إنهاء الحرب بالشروط العربية وهى الجلاء عن الأرض المحتلة.. وإعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية.

تلك هى الخطوة العامة التى توضح ما توصل إليه فريق العقول المصرى فى تخطيطه لمواجهة العدو . . أفراداً . . ونظاماً . . وأسلحة . . وعتاداً . . .

. . . .

ويبقى الآن أن نتوقف بشكل أكثر تفصيلاً أمام الأسس الثلاثة الرئيسية لنظرية الردع الإسرائيلى، باعتبار هذه النظرية بمثابة العمود الفقرى لتفكير وتخطيط قادة إسرائيل - خاصة أن الإشارة الضمنية لهذه الأسس أو الأسلحة الرئيسية فى نظرية الردع الإسرائيلى، لا تعطى الصورة الكاملة التى يظهر معها حجم الإعداد والتخطيط الذى قام به فريق العقول المصرى.

. . . .

ثانياً : مواجهة الذراع الطويلة.. الرادعة !!

لاشك أن حرب يونية ١٩٦٧ كانت حرباً جوية فى المقام الأول، فقد بدأها سلاح الجو الإسرائيلى، وهو أيضاً الذى حسمها؛ إذ قام بضربة جوية مسبقة ناجحة لقواعد الطيران المصرى. وأخرجه من المعركة، ثم قام بتمهيد الطريق لمدرعاتهم للعمل ضد القوات المصرية المحرومة من الغطاء الجوى.

وبغض النظر عن دور التقصير المصرى العربى فى إتاحة الفرصة لسلاح الجو الإسرائيلى لكى يحقق هذه الإنجازات الضخمة. بغض النظر عن ذلك فإن الطيران الإسرائيلى حقق لنفسه مكانة خاصة، ولم يتحرج أى خبير عسكرى عن الإشادة والانبهار بالسلاح الجوى الإسرائيلى.

وانطلاقاً من هذه الثقة واصل الإسرائيليون تدعيم طيرانهم بعد أن تأكد لهم دوره الخطير والحاسم فى الاستراتيجية التى تقوم عليها نظرية الأمن الإسرائيلى.

وقد دخل سلاحهم الجوى فى معارك الردع فى الفترة ما بين ٦٨ - ١٩٧٣.

- ففى يوم ٢١/ ٣/ ٦٨ شنت إسرائيل هجوماً جويًا وبريًا ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين «فى الكرامة» وهاجمت الطائرات الإسرائيلية قواعد الفدائيين فى غور الأردن، ومواقع المدفعية الأردنية فى منطقة «السلط».

- وفى حرب الاستنزاف التى اندلعت على الجبهة المصرية (من١٩٦٩-١٩٧٠) دخل الطيران الإسرائيلى أعنف معاركه. وقد استعرض قوته بعدة غارات فى عمق مصر.

- ومنذ عام ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات متعددة عنيفة على قواعد الفدائيين ومواقع المدفعية والمعسكرات السورية، وقواعد الفدائيين فى جنوب لبنان.

. . صحيح أن الدفاع الجوى المصرى أخذ ينمو بسرعة مذهلة، وصحيح أن ذلك أثمر فى أواخر أيام حرب الاستنزاف، إسقاط عدد من الطائرات الفانتوم الإسرائيلية. . حتى وصف الإسرائيليون أنفسُهم تلك الأيام بأسبوع تساقط الطائرات. . . . صحيح ذلك كله. .

* لكن الصورة التى ارتبطت بالسلاح الجوى الإسرائيلى ظلت كما هى. . بل لعلها - بالدعاية الذكية والعمليات الاستعراضية والتدعيم المستمر زادت انبهاراً وأسطورية. . وأخذ قادة إسرائيل يتحدثون بالثقة الكاملة عن طيرانهم الذى وصفوه بذراع إسرائيل الطويلة التى تستطيع الوصول إلى أى بلد فى الوطن العربى الشاسع. . لتأديب العرب فى كل مكان. بمعنى أنه لم يعد هناك بلد عربى خارج متناول الطيران الإسرائيلى.

وهكذا كان على المخططين العرب أن يضعوا فى اعتبارهم هذه الحقائق :

١ - بعد تحول إسرائيل من الاعتماد على السلاح الفرنسى إلى السلاح الأمريكى أصبح لديها كميات كبيرة من طائرات «الفانتوم» و «سكاى هوك» والصواريخ الموجهة، والتجهيزات والمعدات الإلكترونية الحديثة وأجهزة الردار - وبذلك أصبح الطيران الإسرائيلى متفوقاً بشكل أكبر، كما أنه أصبح يمتلك الطائرات ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات كبيرة من القنابل والصواريخ باختلاف أنواعها وأشكالها.

٢ - بالإضافة إلى التفوق الكمى فى عدد الطائرات، والتفوق النوعى للطائرات الإسرائيلية. . كان هناك التفوق النوعى الآخر لبعض الطيارين والفنيين الإسرائيليين والذى تحقق من خلال البرامج التدريبية المتواصلة، ويفتح مجالات اكتساب الخبرة فى فيتنام بمساعدة أمريكا - يضاف إلى هذا التفوق النوعى تفوق فى الكم يتحقق من هجرة مستمرة لأعداد من اليهود الذين كانوا يعملون فى مجال الطيران فى الدول التى كانوا بها قبل هجرتهم إلى إسرائيل.

٣ - نتيجة لحرب ١٩٦٧ أصبحت القواعد الجوية الإسرائيلية بعيدة من مدى الطائرات المصرية.

٤ - دعم الولايات المتحدة الأمريكية للسلاح الجوى الإسرائيلى، واستعدادها لتعويضه عن خسائره كافة فى الطائرات والمعدات والأعتدة والقنابل والصواريخ.. وذلك كله بغير حدود.

. . . .

.. إذن كان الطيران الإسرائيلى يمثل بالفعل مانعاً أو عقبة لايمكن تجاهلها فإمكاناته قد تسمح له بضرب محاولات العبور والاقتحام وإحداث خسائر فى الأرواح والمعدات والمنشآت.. كما أنه -فى الوقت نفسه- يستطيع تهيئة الظروف المناسبة للمدرعات الإسرائيلية دون أن يتعرض لخسائر رادعة. ولعل ما يلخص هذه الصورة للسلاح الجوى الإسرائيلى ما جاء فى التحليل الأخير للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن وماجاء على لسان حاييم هيرتسوج الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلية والمعلق العسكرى الذى يحتفظ بمكانة خاصة. ثم ما قاله وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر عندما علم ببدء القتال.

١ - .. قال تحليل معهد الدراسات الاستراتيجية الدولى بلندن فى سبتمبر ١٩٧٣: «إن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة، ولقد تلقت إسرائيل بصفة خاصة فى عام ١٩٧٣، ٣٥ قاذفة مطاردة جديدة من طراز (مكدونيل دوجلاس ١-٤ فى سكاى هوك) و٥ طائرات (ف٤ - س فانتوم) وبذلك أصبح مجموع ما لدى إسرائيل الآن هو ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج.

وإن من دواعى فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين فى العالم..»

. . . .

٢ - .. ومن ناحية أخرى علق حاييم هيرتسوج على المعركة التى دارت بين الطائرات الإسرائيلية والطائرات السورية فى ١٣ سبتمبر من العام نفسه والتى سقط فيها ١٣ طائرة سورية مقابل طائرة إسرائيلية واحدة، مما جعل المعلقين يتحدثون فى إعجاب عن «السيادة الجوية المطلقة للطيران الإسرائيلى الذى، يتلاعب بالأسلحة الجوية العربية».

علق هيرتسوج على المعركة بقوله :

« إن إسرائيل تحتفظ إذن بالتفوق الجوى، وهو ما يعنى فى الشرق الأوسط التفوق العسكرى، وطالما ظل هذا التفوق باقياً فإن وقف إطلاق النار سيظل محترماً» .

. . . .

٣ - . . التقى وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر بعد نشوب الحرب يوم ٦ أكتوبر مع وزير الخارجية المصرى وقتئذ الدكتور محمد حسن الزيات وقال له :

« ماذا نستطيع أن نفعل من أجلكم؟ إن الطيران الإسرائيلى سوف يمزقكم إرباً إرباً فى غضون الأربع والعشرين ساعة الأولى من الحرب » .

تلك كانت صورة

ذراع إسرائيل الطويلة.. الرادعة..

فكيف قامت القيادة المصرية بالإعداد والتخطيط لمواجهتها ؟

لقد كان الإعداد والتخطيط لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة . فصلاً آخر فى ملحمة طوفان أكتوبر إعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً .

ولقد درس فريق العقول المصرية كل شيء يتعلق بالسلاح الجوى الإسرائيلى؛ حددوا نقاط القوة فيه . . وكشفوا نقاط ضعفه . ثم وضعوا خططهم الدقيقة للإعداد . . والتنفيذ. بهدف تقليص أو إلغاء نقاط القوة وتوسيع وتعميق نقاط الضعف لتكون المحصلة فى النهاية حرمان إسرائيل من أكبر أسلحة الردع عندها .

وكانت الخطوط الرئيسية التى ركزت عليها الخطة كالتالى :

١ - مع الإعداد الهائل لزيادة فعالية الدفاع الجوى يمكن إقامة سد منيع ومنسق من الصواريخ المضادة للطائرات والأسلحة والمعدات الأخرى مع العمل فى الوقت نفسه على حمايتها من التدمير، وقد تم بالفعل إعداد شبكة الدفاع الجوى هذه وتعزيزها بالعدد الكافى من الصواريخ الموجهة أرض - جو من نوع (سام٢) للارتفاعات العالية «من ٢٥,٠٠٠ إلى ٢٦,٠٠٠ قدم»، ونوع (سام ٣) للارتفاعات المتوسطة «من ١٠,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠قدم»، ونوع (سام ٦) للارتفاعات المنخفضة «من ١٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠ قدم ونوع (سام ٧) الذى يحمله المشاة، هذا بالإضافة إلى تعزيز فعالية وقدرة أجهزة الرادار، ووسائل الدفاع الجوى الأرضية

التقليدية ومدها بالعدد الكافى من المدافع المضادة للطائرات (١٠٠مم، ٨٥مم) للارتفاعات العالية من ١٥,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ قدم، ومدافع ٥٧ مم للارتفاعات المتوسطة (من ٥,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ قدم) و٢٣ مم، ١٤,٥ مم الرباعى للارتفاعات المنخفضة.

ويضاف إلى ذلك أيضاً مدافع مضادة للطائرات ذات الحركة موجهة بالرادار عيار ٢٣ مم رباعية وأخرى ثنائية عيار ٥٧ مم.

- وبالطبع لم يكن الإعداد والتخطيط لشبكة الدفاع الجوى مقصوراً على توفير الأسلحة والمعدات والتنسيق بينها، لأن ذلك لاقيمة له لو لم يكن هناك المقاتل الذى يفهم ويستوعب وينفذ، خاصة أن هذه الأجهزة والمعدات تتسم بقدر كبير من التعقيد التكنولوجى، وقد تكفل التدريب المتواصل بحل هذه المعادلة، وكان رجال الدفاع الجوى المؤهلون علميًا قادرين ليس فقط على الاستيعاب بل أيضاً على الإضافة والابتكار والجسارة.

٢ - كان الشق الثانى من عملية الإعداد والتخطيط لهذه الجولة (مع ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة) يتمثل فى إعداد الطيران والتخطيط لمهامه التى سيقوم بها وهى :

(أ) توجيه الضربة الجوية الأولى بكثافة كبيرة مستهدفة ضرب مطارات وقواعد ومراكز قيادة وتجمعات العدو فى سيناء لإحداث أكبر قدر من الشلل للعدو وتأخير دخول سلاحه الجوى سماء المعركة حتى تكون الموجات الأولى قد قامت بالاقتحام والعبور فعلاً.

(ب) مساندة قوات الدفاع الجوى فى حماية الأجواء المصرية من قواعد ومطارات ومنشآت. وأيضاً لإفشال محاولات العدو الجوية لضرب المعابر والقوات المتقدمة. وقد وضعت خطة كاملة للتنسيق بين الطيران والدفاع الجوى بحيث يعزف السلاحان سيمفونية واحدة متجانسة.

(جـ) مساندة القوات البرية فى تقدمها بضرب مدرعات قواعد مدفعية العدو.

(د) مساندة القوات البحرية فى المهام التى تكلف بها.

....

وإذا كان ما يعنينا الآن هو دور الطيران المصرى فى استكمال خطة الردع لسلاح الردع الإسرائيلى الأول، فإننا يجدر بنا أن نتوقف أمام بعض ملامح الخطة التى وضعت من أجل قيام الطيران بمهامه :

١ - بذل جهود مضنية فى مجالات التدريب وإدخال التكتيكات الجديدة لرفع مستوى الكفاءة القتالية لرجال السلاح الجوى.

٢ - التأكيد المستمر للطيارين والفنيين لأهمية وخطورة دورهم فى الحرب المقبلة، والواقع أنهم لم يكونوا بحاجة حقيقية لاستنفار طاقاتهم الحماسية والفنية؛ إذ إنهم كانوا محاصرين دائماً منذ نكسة ١٩٦٧ بالإحساس بأن الضربة التى وجهت لسلاحهم، وأخرجته من المعركة هى التى حققت لإسرائيل نصرها فى تلك الحرب، وتسببت للأمة العربية فى نكستها المؤلمة، ولعلنى أذكر هنا ما كان يقوله لى الطيارون فى زيارتى لقواعدهم أثناء وبعد الحرب عن إحساسهم بأن هذه الحرب فرصة لكى يأخذوا بثأرهم الشخصى والوطنى والقومى، ويزيلوا ركام الغبار الذى لحق بسمعتهم ومكانتهم، والذى أخفى فى سحبه السوداء ما قام به العدد القليل من الطيارين الذين تمكنوا من إنقاذ طائراتهم فى صبيحة ذلك اليوم، ودخلوا معارك انتحارية مع طيران العدو.

٣ - إنشاء المزيد من المطارات الحربية فى مختلف أنحاء الجمهورية، وإنشاء الدشم (الحظائر) الحصينة للطائرات وحمايتها بوسائل الدفاع الجوى الفعالة حتى لا يتمكن الطيران الإسرائيلى من تكرار الضربة التى قام بها فى ١٩٦٧، لكى تخلو له السماء فيمرح ويعربد فيها كيفما شاء.

٤ - وضع خطة دقيقة للعمليات ترتكز أساساً على سؤال واضح هو ماذا يستطيع الطيران أن يقوم به؟ وماذا يكون خارج استطاعته؟ كيف يكون ما يستطيعه فى موضعه تماماً وبأدق النتائج، وكيف يمكن تجنب نتائج ما لا يستطيعه.

٥ - إضافة تحسينات معينة للطائرات ووسائل الدفاع الجوى المتاحة للقوات . . .

هكذا خططت العقول المصرية لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة، وحيث إن نجاح هذا التخطيط سوف يظهر فيما بعد، وحينما نتحدث عن العمليات القتالية فإننى أشير إلى هذا النجاح بشكل عام من خلال ما قاله الخبراء العالميون والقادة الإسرائيليون :

– فى اليوم الثانى من القتال – ٧/ ١٠/ ١٩٧٣ . . قال موشيه ديان فى كآبة ويأس :

« لقد استطاع المصريون تحييد سلاحنا الجوى . وإننى آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات التى طلبناها» .

– وفى اليوم نفسه قال البريجادير أورى دان :

« كان شعورنا فى مقر القيادة شعوراً مصيريًا مخيفاً . . . لقد قام المصريون بالاستيلاء على جميع نقط خط بارليف عدا نقطة أو اثنتين قاموا بحصارهما .

. . كان شعورنا فى تلك اللحظات أننا نزداد ضآلة بينما المصريون يزدادون ضخامة»

– أما الخبراء العالميون . فقد توالت شهاداتهم . . تحكى كلها قصة انتهاء أسطورة سلاح إسرائيل الجوى . والحقيقة أننى لو سجلت كل ما قاله هؤلاء الخبراء ما اتسعت صفحات الكتاب كلها لهم ، ولذلك فإننى أختار على سبيل المثال ما قاله أربعة منهم :

[أ] قال الجنرال « أنتونى فارارهوكلى » أستاذ التكتيك فى الجيش البريطانى:

« إن الطيارين المصريين أزالوا الدور الأسطورى للطيران الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالى تضاءل دور المدرعات الإسرائيلية فى تحقيق أى نجاح خلال معاركها التصادمية » .

[ب] قال الخبير الأمريكى روبرت هونز :

« إن الطيران ووسائل الدفاع الجوى المصرية والسورية استطاعت تخفيض القوات الجوية الإسرائيلية إلى النصف فى الفترة من ٦ إلى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبنهاية هذه الفترة تضاءل نشاط الطيران الإسرائيلى إلى حد كبير وبعيد إلى أن بدأ الدعم الجوى الأمريكى بالطائرات والطيارين الأجانب » .

. . . .

. . . .

(جـ) ولعل ما يلخص «مأساة» ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة – التى خطط لها بنجاح فريق العقول المصرية . . هو ما أدلى بها ضابط سويدى كان يعمل كواحد من مراقبى الأمم المتحدة ، لقد قال الرجل :

« إن كل تقاريرنا من جبهة السويس توضح أنه من كل خمس طائرات إسرائيلية يصاب ثلاث وتضطر الطائرتان الباقيتان إلى إلقاء حمولتهما بطريقة عشوائية للفرار من سماء المعركة».

. . . .

. . . .

(د) وأخيراً تستوقفنا هذه الصورة التى سجلها الكاتب الفرنسى جان كلود جيبوه، والتى تترجم هى الأخرى ما حدث للطيران الإسرائيلى . . وكيف خطط المصريون لإيقاعه بين أنياب دفاعاتهم . .

يقول جيبوه :

« بعد ظهر يوم السبت، بدأت طائرات الميراج والفانتوم والسكاى هوك محاولة قصف الجسور الممتدة على القناة ؛ وكانت المفاجأة تنتظرهم :

فإلى جانب الطرق المنحدرة حيث تم تثبيت الصواريخ سام (٢) وسام (٣) على طول خط قناة السويس والتى كان القادة الإسرائيليون يعلمون بوجودها، استخدمت القوات المصرية صواريخ سام (٦) المحمولة على العربات وسام (٧) التى يستطيع الجندى أن يحملها على ظهره .

وقد اضطر الطيارون اليهود إلى محاولة الوصول إلى أهدافهم وسط غابة حقيقية من الصواريخ التى كان يطلقها المصريون بكميات هائلة، وقد تحطمت عشرات الطائرات الإسرائيلية فوق هذه المظلة الحديدية الواقية للجيش المصرى»

***

ثالثاً : مواجهة سلاح المدرعات :

* فريق العقول المصرى يواصل الإعداد والتخطيط .

* وهو يتوقف الآن أمام السلاح الآخر الذى تعتمد عليه إسرائيل فى نظرية الردع - (والتأديب) .

* ولابد أن هؤلاء المخططين المصريين قد استعادوا كل ما قيل دراسة أو دعاية عن المدرعات الإسرائيلية .

* ومن الطبيعى أنهم وضعوا أمامهم صور الاستعراضات العسكرية الإسرائيلية (وآخرها أقيم فى ١٥ مايو ١٩٧٣، وفيها تظهر فى ساحة العرض مدرعاتهم التى ترفع شعار «الفخر كل الفخر للمدرعات».

* و. . . . تفتح الملفات وتفرد الخرائط. . وينهمك فريق العقول فى العمل - إعداداً وتخطيطاً - من أجل ردع هذا السلاح هو الآخر، وتوجيه الضربات إليه. . بحيث لايستطيع أن يقوم بمهمته. وللدرجة التى تجعلهم يعيدون النظر فى شعارهم بعد ذلك.

. . . .

. . . .

ويستعيد فريق العقول المصرى كل شىء عن سلاح المدرعات الإسرائيلى ويركزون فى دراسة هذه الجوانب :

- لقد حققت المدرعات الإسرائيلية لنفسها تفوقاً ملحوظاً جعلها تحظى باهتمام وإعجاب الكثيرين من الخبراء العالميين، وهذا التفوق وليد زعاية خاصة من قيادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى تؤمن إلى أقصى حد بدور المدرعات إلى جانب دور الطيران (حتى إن ضباط الأسلحة الأخرى كانوا يتندرون بتدليل وتلبية رغبات قادة المدرعات والطيران فى شراء المزيد من الأسلحة والمعدات والأجهزة كلما ظهر شىء جديد فى هذه المجالات) كما أن هذا التفوق جاء أيضاً نتيجة ما أحرزته المدرعات من انتصارات فى الحروب السابقة (مرة أخرى أتحفظ هنا بالنسبة إلى شكل تلك الحروب مؤكداً أن الإهمال والتفتت العربى هو الذى أعطى هذه الانتصارات للقوات الإسرائيلية بشكل عام).

* لم يكن من قبيل الصدفة أن حاييم بارليف ودافى أليعازر وآخرين من رؤساء الأركان الإسرائيليين كانوا أساساً من رجال المدرعات .

. . . وقد تحدثت دراسات عالمية عديدة عن المدرعات الإسرائيلية فقالت مجلة «أرمور» العسكرية الأمريكية :

« إن سلاح المدرعات الإسرائيلى من أقوى أسلحة المدرعات فى العالم».

وفى تحليلها لهذه القوة العالمية للمدرعات الإسرائيلية ذكرت المجلة أرقام

الدبابات والعربات والألوية المدرعة والمكانيكية التى تكون منها سلاح المدرعات الإسرائيلى، ووصلت فى النهاية إلى القول بأن ٧٨٪ من المدرعات الإسرائيلية متفوقة من حيث القدرة على الحركة ومن حيث التسليح، على الدبابات السوفييتية التى يستخدمها المصريون والسوريون.

.. ومن ناحية أخرى حددت تقارير عالمية (أمريكية) حجم المدرعات الإسرائيلية بهذه الأرقام :

• ١٠٠٠ ألف دبابة «سنتوريون»

• ٨٠٠ ثمانمائة دبابة «باتون» وم - ٦٠».

• ٣٠٠ ثلاثمائة دبابة «سوبر شيرمان»

• ٤٠٠ أربعمائة (ت أى - ٦٧، «ت ٥٤ و٥٥ معدلة».

.. وبذلك تصل مجموعات الدبابات إلى ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة، فضلاً عن ٥٠٠ خمسمائة مدفع ذاتى الحركة و٣٠٠٠ ثلاثة آلاف عربة مدرعة.

* وقد ذكر هذا التقرير أن عدد الألوية المدرعة الإسرائيلية كان «٢٠» لواءً بالإضافة إلى «١٠» ألوية ميكانيكية، وأن هذه الألوية شكلت «٨» فرق ذات قوة أكبر من العتاد.

* هذا وتوزع المدرعات الإسرائيلية عادة على ألوية مدرعة مستقلة (بكل لواء كتيبتا دبابات، وكتيبة مشاة ميكانيكية، وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة، ووحدة مدافع مضادة للطائرات، ووحدة أخرى مضادة للدبابات مجهزة بصواريخ « إس إس - ١١)، وعربات جيب مجهزة بمدافع ١٠٦ مم عديمة الارتداد، ووحدة استطلاع، ووحدة هندسة، ووحدة إشارة - هذا كله مضافاً إليه وحدات الإخلاء والصيانة).

* وأحياناً يتم تجميع الألوية داخل مجموعات قتال متفاوتة الحجم وفقاً للمهمة القتالية المسندة إليها، وتعرف هذه المجموعات باسم Ugdas ولها عادة قوة الفرقة، وهى تضم ألوية مدرعة، وألوية ميكانيكية، وكتائب مدفعية، وأحياناً ألوية مشاة محمولة.

....

....

ومن خلال ما تقوله الكتابات الأجنبية الغربية، يتضح أن الدبابات الإسرائيلية المزودة بمدافع ١٠٥ مم تتمتع بميزة بعد مرمى مدافعها بالقياس إلى مرمى الدبابات العربية المزودة بمدافع ١٠٠ مم، كما أنها تستخدم ذخيرة حارقة للدروع من نوع أفضل من تلك التى تستخدمها الدبابات العربية (باستثناء دبابات ت - ٦٢ التى تتميز طلقتها الخارقة للدروع من نوع Apedos بأنها ذات قوة أشد من خرق الدروع من مسافة كبيرة، وأفضل من ذخيرة السنتوريون والباتون وم - ٦٠.

كذلك تقول هذه الكتابات إن الدبابات الإسرائيلية مزودة بأجهزة تحديد مدى من نوع أفضل لايعتمد أساساً على التقدير البصرى للقائد مثلما هو الحال فى الدبابات العربية ت ٥٤ و٥٥ و٦٢، مثلاً يوجد فى الدبابة «الباتون» مقدرة مدى تجسيمي، وفى «م - ٦٠» مقدرة مدى تطابقية ذات نظارة مفردة وفى «السنتوريون» رشاش متطابق المحور مع المدفع يطلق طلقات خطاطة.

* وتخلص هذه الدراسات إلى إثبات قدر ملحوظ من التفوق للدبابات الإسرائيلية على الدبابات المصرية والسورية.

* ويضاف إلى هذا التفوق فى نوعية وإمكانيات الدبابات الإسرائيلية ارتفاع مستوى تدريب أطقمها، وقد حقق سلاح المدرعات الإسرائيلى خبرات تكتيكية فى العمليات الهجومية، وخبرات فى إدارة العمليات المدرعة على نطاق واسع، وذلك نتيجة للدروس العملية التى استقاها من حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧. فضلاً عما زرعته هذه الخبرات والانتصارات السابقة من شعور بالثقة فى نفوس جنود المدرعات سواء فى سلاحهم أو فى كفاءة قيادتهم.

- وقد اهتم فريق العقول المصرى بأبعاد هذه الثقة أو الغرور بشكل خاص، كما ركز على أسلوب عمل المدرعات الإسرائيلية الذى تمسك فى حرب ١٩٥٦ وبداية حرب ١٩٦٧ باستخدام الدبابات ضمن إطار تكتيك ثنائى (الطائرة - الدبابة) وهو الإطار الذى يهدف إلى إحداث خرق مدرع مكثف خاطف فى نقطة ضعيفة من الخط الدفاعي المعادى، مستخدمة تكتيك الاقتحام بالنيران والحركة تحت حماية ودعم الطائرات التى تقصف مواقع المدفعية والمشاة المعادة قصفاً قريباً يعقبه اختراق فى عمق أرض العمليات يستهدف تطويق مواقع القوات المدافعة، وقطع خطوط مواصلاتها وتدمير مراكزها الإدارية والقيادية، ومن ثم تحطيم معنوياتها وإشاعة الارتباك فى قيادتها ودفعها إلى الفرار أو الاستسلام.

وهذا التكتيك هو ما عرف بالحرب الخاطفة وقد طبقته إسرائيل فى حرب يونية ١٩٦٧ وحققت به نجاحاً كبيراً أعماها عن حقيقة الظروف الخاصة جداً والتى أتاحت لها هذا النجاح، وجعلها تتخلى عن أحد أسس عملها (وهو التحرك دون مساندة مستمرة من الطيران والمدفعية والمشاة معتمدة على أنها تستطيع أن تتلقى من الطيران دعماً مباشراً كلما واجهتها بعض المشاكل فى التقدم السريع فى عمق أرض العمليات).

وهكذا أصبحت المدرعات الإسرائيلية تمارس أسلوباً قديماً لم تعد الظروف تسمح به؛ حيث تقوم بمفردها بمهام الجيش الميكانيكى المتكامل (أى تقوم بمهام المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة).

إن هذا الاستخدام إحياء لدور الفرسان الذين كانوا يطاردون عدواً مهزوماً فى الحرب والقديمة.

. . . .

تلك كانت بعض ملامح الصورة الدقيقة التى وضعها فريق العقول المصرى أمامه للمدرعات الإسرائيلية.. وانهمك فى تحليلها.. واستخراج جوانب الضعف فيها وتحديد جوانب قوتها.. ثم كان الإعداد والتخطيط لهذه الجولة :

***

* إذا كانت المدرعات الإسرائيلية تتمتع بتلك المزايا التى جعلت خبيراً أمريكيًا يقول «إنها واحدة من أقوى المدرعات فى العالم، فإن الفرصة ستكون سانحة لها تماماً فى الساعات الأولى من المعارك؛ حيث إنها ستواجه المشاة العاديين.. الذين لاتحميهم دروع الدبابات والمصفحات ولا تتوافر لهم إمكانية إنتاج القدر الهائل من النيران. ستكون الفرصة سانحة لكى تواجه المدرعات الإسرائيلية ضربة قوية تحقق بها أول مراحل مهمتها، وتكسب فى الوقت نفسه هالات جديدة من الدعاية ويتحقق لها الفخر كل الفخر».

فكيف يحرم سلاح المدرعات الإسرائيلى من هذه الفرصة؟ بل كيف يتحول هذا الموقف إلى ضربة توجه إلى هذا السلاح، فتهز ثقته وتفقده بالتالى أحد مقوماته!

اطمأن المخططون المصريون إلى إمكانية تحقيق ذلك . . بتوفير الظروف التالية :

١ - المزيد من التدريب والإعداد للمشاة الذين سيشكلون الموجات الأولى من الاقتحام، وبالتالى سيكون عليهم التصدى لمدرعات العدو. وبث الثقة فيهم بأن الدبابة ليست بالشبح الذى لايمكن للفرد المسلح التغلب عليه بل إنها تصبح هدفاً سهلاً إذا ما استخدم الفرد سلاحه جيداً واحتفظ بهدوئه ورباطة جأشه . . وأجاد فى الوقت نفسه استخدام واختيار الأرض المناسبة !

٢ - تزويد هؤلاء المشاة بمختلف الأسلحة الحديثة المضادة للدبابات مثل صواريخ ساجر وسنابر، بالإضافة إلى الأسلحة القديم التى يعوض تخلفها مهارة الجندى وشجاعته.

٣ - مساندة المشاة بالمدفعية التى تعمل من الغرب (إلى أن تعبر بعد إقامة الكبارى).

٤ - أيضاً . . كان للدبابات التى أعدت لها القوات المصرية مصاطب فوق الساتر الذى أقامته على الضفة الغربية دور فى التصدى للمدرعات الإسرائيلية التى تقترب من القناة.

٥ - فى الوقت نفسه كان يربض عدد من جنود المشاة فوق هذا الساتر الغربى بصواريخهم لتغطية العبور بالمشاركة فى ضرب الدبابات الإسرائيلية القريبة.

٦ - ولكى يبدأ انتزاع الثقة مبكراً من نفوس أطقم المدرعات الإسرائيلية خططت القيادة المصرية لدفع كمائن من قوات الصاعقة التى يتم إبرارها فى عمق سيناء لضرب المدرعات المندفعة من الخلف باتجاه القناة. فى الوقت الذى تتولى فيه كمائن المشاة الذين يعبرون فى اللحظات الأولى اصطياد المدرعات التى ترابط فى عمق خطوط بارليف (ابتداء من القناة إلى اثنى عشر كيلو متراً شرقاً).

٧ - اعتمدت العقول المصرية أيضاً فى تخطيطها على حرمان المدرعات الإسرائيلية من الدعم الجوى الذى تطمئن إلى سرعة تلبيته، ويتأتى ذلك كإحدى نتائج الضربة الجوية الأولى التى يقوم بها الطيران المصرى لمطارات وقواعد العدو فى سيناء.

٨ - ما دامت المدرعات الإسرائيلية قد وقعت فى خطأ ممارسة دور الدبابات كأفراس خفيفة، واعتباره أساس أسلوبها فى حرب الحركة السريعة، فإن التخطيط

يستمر فى حرمانها من الظروف الاستراتيجية التى تتيح لها ذلك، بالمقاومة العنيدة والمنظمة كما اتضح فى النقاط السابقة. وهى حين تحاول تغيير أسلوبها ستفقد الكثير من قوتها كما أن الاستمرار فى ضرب وسائل التدعيم التى ستلجأ إليها كالمدفعية والطائرات.. يزيد من ارتباكها ليتحول الغرور الكبير إلى انهيار كامل.

.. هكذا كان مسار تفكير القيادة المصرية فى إعدادها وتخطيطها لمواجهة المدرعات الإسرائيلية.. وإذا كانت الفصول الخاصة بسير العمليات ستوضح كيف نجح هذا الإعداد والتخطيط المصرى. فإننى - مثلما حدث فى الأبواب السابقة - أشير على عجل إلى بعض ما قاله الإسرائيليون وغيرهم عما حدث لسلاح المدرعات الإسرآئيلى.

....

قال زئيف شيف ... الخبير الإسرائيلى:

كانت إصابات رجال المدرعات كبيرة، وخلال القتال كان يظهر قادة صغار يحلون فى القيادة مكان القادة الذين قتلوا أو جرحوا، وكان هناك رجال دبابات لم يغمض لهم جفن تقريباً منذ بداية الحرب.

.. وفى فرقة أبراهام آدن فقد طاقم إحدى الدبابات قائده الذى تدرب وعمل معه لمدة سنتين، وبينما كان رجال الطاقم فى طريقهم بعد أن نقلوا جثة قائدهم إلى محطة التجميع، صعد إلى الدبابة قائد جديد، وقبل مرور ساعة قتل هو أيضاً، وعادوا مرة أخرى، ولم يصدق الرجال فى محطة التجميع ما رأوه عندما شاهدوا الدبابة تعود مرة أخرى وهى تحمل جثة القائد الثالث، وقد رفض الطاقم المذهول العودة إلى دبابتهم بعد ذلك حتى جاء إليهم قائد الفرقة أبراهام آدن بنفسه.

....

....

وقال قائد إحدى سرايا المدرعات .. الضابط باروخ شمير:

* نظرت حولى فشاهدت قذائف نارية مشتعلة ترقص فى الجو وهى فى طريقها إلى دباباتنا القريبة منى: لم أفهم بعد ماذا يحدث.

ولكنى فهمت فى وقت لاحق أن هذه صواريخ، وأن المشاة المصريين، الواقفين، أمامنا لايقلون خطورة عن الدبابة . ، كان هذا بالنسبة إلىّ مفاجأة تامة، وطوال ذلك اليوم كنت أشاهد هذه القذائف النارية تتنزه فى الصحراء وهى تنطلق من قلب الرمال . . اشتعلت النار فى دباباتى هى الأخرى . . لم أكن أعرف أن هذا الصاروخ الغامض يولد موجة من الحرارة تزيد عن ١٠٠٠ درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ويحرق كل من بداخلها .

. . ولم يكن حظ الدبابات الأخرى فى السرية بأوفر من حظنا، فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية، شاهدنا مشاعل محترقة . . كانت هذه -فيما مضى- دبابات السرية . .

. . وخلال ربع ساعة بدأ رجال المدرعات الذين قدر لهم النجاة بأنفسهم أن يسمعوا صفير رجال الكوماندوز المصريين الذى بدءوا يمرون أمامنا متجهين نحو الشمال الشرقى .

فحاولنا أن نهجر المكان ولم نستطيع أن نحمل معنا الكثير من أشيائنا لأن أيدينا كلنا كانت محترقة . . .

. . . .

. . . .

.. ثم يستوقفنا الكاتب الأمريكى « كنث براور » الذى يقول :

« فى نهاية يوم ٧ أكتوبر لم يكن لدى إسرائيل سوى ٩٠ دبابة من أصل ٢٥٠ كانت لديها فى الخطوط الأمامية، وكانت هذه الدبابات التسعون مصابة بشدة . . وكان رجالها منهكين» .

. . وأخيراً . ونظراً للتكامل والتنسيق بين سلاحى الردع الرئيسيين لجيش الدفاع الإسرائيلى، هذه صورة دقيقة تجمع بينهما «قبل» . . و «أثناء» حرب أكتوبر . . يسجلها بقلمه الخبير العسكرى المعروف «إدجار أو بلانس» الذى يقول :

« فى إطار نظرية الهجوم كان الطيارون الإسرائيليون، وقادة الدبابات قبل أكتوبر ١٩٧٣ يعدون أهم الرجال، وينظر إليهم باعتبارهم الأبطال ذوى الأدوار الحربية المجيدة، فكان الطيارون منذ حرب ١٩٦٧ يعتبرون الصفوة المختارة، بينما اكتسب رجال المدرعات شهرة فرسان العصور الوسطى» . .

. . وحدث فى الأيام الثلاثة الأولى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهة المصرية أن قام قادة الدبابات الإسرآئيلية، شأنهم شأن الفرسان المدرعين القدماء - بشن هجوم فائق السرعة على المشاة المصريين الذين عبروا القنال، وذلك فى محاولة لإرهابهم وإجبارهم على الفرار إلى حيث جاءوا .

هاجم فرسان المدرعات الإسرائيليون بلا هوادة . هاجموا بمختلف التشكيلات : بالفصائل، بالكتائب، وبالألوية . .

ولكنهم كانوا يفشلون فى كل مرة، ويصابون بخسائر جسيمة، حتى إنه دمر لهم أكثر من ٢٥٠ دبابة على أيدى المشاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة ومعهم الصواريخ والقذائف المضادة للدبابات .

وعند ذلك أدرك الإسرائيليون - بعد أن تكبدوا هذه الخسائر - أن وضعهم الهجومى (المدرع) ليس إلا عملاً انتحاريًا .

وبالنسبة إلى الجو حل بالإسرائيليين المصير نفسه، إذ تمكنت وسائل الدفاع الجوى المصرية من إسقاط ما يقرب من ٤٠ طائرة فى أقل من ساعتين، مما جعل سلاح الطيران الإسرائيلى يسارع بوقف العمليات كافة فترة من الوقت. ولم يعمل الطيارون الإسرائيليون من جديد إلا حينما وصلت إلى إسرائيل على وجه السرعة وسائل إلكترونية مضادة من أمريكا وقد تم نقلها على متن طائرات العال الإسرائيلية .

. . ومرة أخرى تبين للإسرائيليين أن الاستراتيجية الهجومية (من الجو) عمل انتحارى . .

. . وهكذا فشلت الاستراتيجية الهجومية الإسرائيلية برًا وجوًا) .

رابعاً : التخطيط لتحقيق عنصر (المفاجأة) :

*** حرب العقول تصل إلى ذروتها ..**

*** أخطر وأكثر جولات الحرب العقلية إثارة وذكاءً !!**

فى مواجهة المخابرات الإسرائيلية بقوتها وإمكانياتها الضخمة التى تتصاعد عشرات المرات بالتنسيق بينها وبين المخابرات الأمريكية وغيرها من المخابرات الأوربية . . كما أوضحت فى الصفحات السابقة، بدأت أخطر وأكثر جولات الحرب إثارة وذكاء .

وبادئ ذى بدء يهمنى أن أحذر من تركيز الكتابات الإسرائيلية على عنصر المفاجأة باعتباره سبب «الكارثة التى ألمت بإسرائيل» و «الطوفان الذى اجتاحها»

فـقـد يكون فى هذه الكتـابات اعـتـراف واضح وصـريح للذكـاء والدهاء المصرى. . . . وشهادة تاريخية للمخابرات المصرية . .

ولكن . . أن يعلق الإسرائيليون أسباب «نكبتهم» وهزيمتهم على مشجب «المفاجأة» وحدها . . فإن ذلك يحمل فى طياته تخطيطاً خبيثاً للتقليل من قيمة إنجازات وبطولات المقاتل المصرى . . ولتبرير انهيار الجيش الإسرائيلى الذى قالوا إنه لايقهر .

إنها بالفعل مفاجأة . . لكنها - نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى المذهل - لا يمكن أن تكون مفاجأة كاملة . . فهذا النوع من المفاجآت الكلية لم يعد له وجود فى هذا العصر .

* وبتحديد أكثر . . أقول . . إن توقيت الحرب لم يكن مفاجأة مائة فى المائة، ويكفى للتدليل على ذلك ما نشرته صحيفة معاريف المسائية قبل الحرب بساعات «إن تسهال ترقب عن كثب كل ما يدور على الجانب المصرى من قناة السويس . .

ولقد اتخذت الإجراءات كافة لتفادى وقوع هجوم مفاجئ» .

- وأيضاً لم تكن الأسلحة والمعدات والتشكيلات . . مفاجأة بنسبة ٥٠٪ .

. . بل إن الجندى المصرى لم «يكن» مفاجأة هذه الحرب «كما قال رئيس الأركان الإسرائيلى أليعازار وغيره من قادة إسرائيل، وبعض الخبراء العالميين، لأن هذا القول يدل على قصور فى الرؤية وعجز عن استقراء تاريخ الجندى المصرى . . - وكان أحرى بهم أن يقولوا إن هذا الجندى حينما أتيحت له الظروف الملائمة كشف عن قدراته وجرأته بعكس ما حدث له فى الحروب السابقة .

. . . .

أخيراً . . وقبل أن ننتقل إلى الجهود الهائلة المتشعبة التى قامت بها القيادة المصرية من أجل تحقيق المفاجأة - بأقصى حجم يسمح به العصر - أود أن أقول دون أن يكون فيما أقول تكرار أو إلحاح بمعنى واحد . .

- إذا كان من الصعب - الذى يصل إلى درجة المستحيل- أن تخفى دولة

استعدادات جيشها الكبير . . فإنه يبقى أن تبذل هذه الدولة غاية جهدها لتقليل نسبة ما يظهر للعدو من هذه الاستعدادات .

- وإذا كان تأهب جيش ضخم لحرب وشيكة لابد أن تتنبه له عيون العدو . . فإن قمة النجاح تتأتى إذا جعلت هذه العيون ترى ما أمامها . . لكنها فى الوقت نفسه لاتراه . . فلتكن لهم عيونهم ولكن . . عليك أن تجعلهم لايبصرون ما يرون . .

عليك أن تجعلهم يشكون فى قدرتهم على الرؤية ، فيتهمون بعضهم بعضاً بأنهم «يرون الشيء شيئين» بمعنى أنهم يبالغون فى تقديراتهم ورؤيتهم للحشود والاستعدادات . عليك ما دام من المستحيل أن تمنعهم من قراءة استعداداتك - أن تجعلهم لايستطيعون قراءة نياتك .

- فتكون النتيجة مثلاً أن يقول وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر :

« لا أحد ارتكب أية أخطاء تتعلق بالحقائق ولكن معرفة الحقائق كانت أيسر من معرفة النيات» .

- وأيضاً يقول أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية :

« بالرغم من وجود أدلة عديدة على التحركات العسكرية فإننا تعرضنا للتضليل ، لقد كانت لدينا العناصر الصحيحة ، ولكننا لم نزن أولوياتها بطريقة صحيحة ، إن مخابرات البنتاجون - بعد تبادل المعلومات بينهما وبين المخابرات الإسرائيلية ظلت تجادل فى الطبيعة التهديدية للاستعدادات المصرية» .

- وأيضاً يقول ضابط إسرائيلى كبير لأحد جنودهم الذى أبلغه بالاستعدادات السورية للهجوم يقول له : «هذه مجرد مناورة . . إنهم لن يفعلوا شيئاً» والوضع نفسه بالضبط يحدث على الجبهة المصرية فتقول القيادة الإسرائيلية فى سيناء لأحد جنود المراقبة إنك تبالغ فى تقديرك للحشود المصرية إنك -يا عزيزنا- ترى الشيء شيئين» .

- وأيضاً يقول كاتب إنجليزى كبير هو أندريه دويتش :

« بينما كانت وكالات المخابرات الأمريكية منزعجة وقلقة فى اجتماع مجلس المخابرات فإن المخابرات الإسرائيلية كانت ماتزال مقتنعة بقراءتها للنيات العربية ، ويصرف النظر عن التقدير المرتفع الذى تنظر به واشنطن إلى المخابرات الإسرائيلية ، فإن مجلس مخابرات الولايات المتحدة قرر فى اجتماعه أنه مادام الإسرائيليون هم فى النهاية الذين سيواجهون أقصى العقوبة فى حالة فشلهم فإن آراءهم لابد أن يكون لها وزن خاص» .

***

سير العمليات « العقلية » فى تحقيق المفاجاة :

هل أكون مبالغاً لو قلت : « إن شخصية أنور السادات كان لها دور حاسم فى تحقيق المفاجأة ؟ » .

وهل أكون غير موضوعى لو قلت إن السادات بالذات هو الذى كان يستطيع أن يلعب هذا الدور الخاص والبارز فى حرب العقول من أجل تحقيق المفاجأة التى تتيحها ظروف العصر ؟

لقد بدأ دور الرئيس الراحل بفشل إسرائيل فى قراءة أفكاره ومعرفة نياته حتى إنهم استبعدوا تماماً أن يقدم على اتخاذ قرار بالحرب، وقالوا إنه قانع بما يعيشه من مظاهر الرفاهية! ولعل إدراك السادات لدوره هذا ولأهمية العمل السرى الذى سبق أن مارس فى شبابه، والذى آمن بأنه حتمى من أجل تحقيق (المفاجأة)، وجعله مثلاً يختار وزير الحربية. والقائد العام للقوات المسلحة، ومستشاره للأمن القومي، ورئيس هيئة العمليات الحربية من بين رجال المخابرات (أحمد إسماعيل على - حافظ إسماعيل - محمد عبدالغنى الجمسى). والمعروف أنه شارك بنفسه فى متابعة سلسلة عمليات الخداع والتمويه التى أبدعها فكر القادة ونذكر منها :

١ - ساتر السرية والإخفاء :

تابع السادات باهتمام شديد عملية بناء ساتر مرتفع على الضفة الغربية للقناة، حتى يتم إخفاء تحركات واستعدادات القوات عن أعين الإسرائيليين الذى يستغلون الساتر الذى أقاموه على الضفة الشرقية للملاحظة والمراقبة (إلى جانب الأهداف الأخرى).

ولعل هذا الاهتمام قد عبر عن نفسه، بثورته العنيفة عندما اكتشف أنه قد حدث نوع من التراخى فى تعلية الساتر حتى أصبح الساتر الإسرائيلى مرتفعاً عنه بما يسمح بكشف المواقع والقوات، وكان ذلك بالنسبة إليه أحد المؤشرات لعدم جدية قمة القيادة العسكرية -وقتئذ- فى الإعداد للحرب -فسارع بتغييرها (بعد التخطيط والتكتم وبالحسم- كالعادة . .)

. . وعلى الفور أشرف القائد الجديد الفريق أول أحمد إسماعيل على بنفسه على تعلية الساتر فى زمن قياسى ليحقق أهم الأغراض المترتبة عليه. وهو «الإخفاء» و «السرية» .

. . . .

٢ - الاستعدادا .. للأكل .. لا للحرب :

كان العد التنازلى لساعة الصفر قد بدأ بالفعل. ولم يكن قد تبقى على اندلاع «الشرارة» إلا تسعة أيام فقط.

ولنا أن نتصور ما يدور داخل ذهن الرجل المسئول عن الأمة بأسرها فى هذه اللحظات المصيرية - ولنا أيضاً أن نتخيل الضغط العنيف الذى تتعرض له أعصابه مع كل تطور مفاجئ - وغير مفاجئ، ومع اقتراب ساعة الصفر (التى سيتغير معها التاريخ والجغرافيا) إلى أحسن أو أسوأ.

ومع ذلك ها هو ذا الرجل نفسه بهدوء غريب يقف ليعلن «أن الحكومة التى يترأسها سوف تهتم بتوفير السلع الغذائية الرمضانية للجماهير بكميات وفيرة».

ولعله استمع بعد ذلك وربما فى اليوم نفسه إلى الموجة الجديدة من الانتقاد والسخرية التى وجهت إليه. فالمتربصون وفاقدو الثقة يصرخون قائلين :

إن الدولة تستعد للأكل - بدلاً من الاستعداد للحرب.

وقادة العدو يضحكون ملء أشداقهم، وربما ينفعل أحدهم من كثرة الضحك كديان مثلاً فيخلع نظارته «النصفية» ويخبط جبهته بيده قائلاً لمن حوله :

ألم نقل بأنه ضعيف، أليست هى القيادة الضعيفة التى تسعى إلى ملء بطون شعبها حتى يستغرق فى النوم وينسى حكاية الحرب، مطبقة لمبدأ «الشعوب تمشى على بطونها» ؟

أما الفريق الثالث.. فكان ينطوى على مشاعر مبهمة قائمة.. ويحاول أن يحل المعادلة الصعبة.. هل حقًا سنحارب؟

....

....

٣ - التحرك سياسيًا .. « وكفى الله المؤمنين القتال ».

إلى واشنطن، إلى لندن، إلى موسكو، إلى نيودلهى، إلى بكين إلى معظم عواصم الدول على هذه الأرض.. طار عدد من المسئولين المصريين (حسين الشافعى - مراد غالب - محمد حسن الزيات - حافظ إسماعيل - د. أشرف مروان..).

. . والصحف المصرية تتابع التحرك السياسى والديلوماسى لاهثة منقطعة الأنفاس ويتفاءل بعض المحررين أكثر من اللازم ويقولون إن التحرك السياسى سوف يثمر الكثير من الدورة القادمة للأمم المتحدة، وهكذا استقر فى أذهان الجميع أن مصر قد حصرت نفسها فى الحل السياسى وكفى الله المؤمنين شر القتال !!

٤ - « كشكول الجمسى » وأسرار أخرى فى عمليات التمويه والخداع :

- لعل خير من ينقل صورة لفكر وأعمال رجال هيئة العمليات والأسلحة الأخرى فى مجال التخطيط والتمويه والخداع لتحقيق عنصر المفاجأة هو المشير محمد عبدالغنى الجمسى الذى كان رئيساً لهيئة العمليات، والذى تحدث الرئيس السادات عن الكشكول الذى عرضه عليه حافلا بالخطط والأفكار .

- يقول المشير الجمسى :

ازداد اقتناعى - منذ مؤتمر الجيزة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ - بأننا نقترب من شن الحرب. ولفت نظرى بعض ما جاء فى حديث الرئيس السادات فى هذا المؤتمر عندما قال: «نحن اليوم أمام امتحان للقوات المسلحة خلاصته أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ جعلت العدو والصديق لايثق بأننا سنقاتل، ولذلك فإن الحلول التى تعرض علىَّ كلها من منطق أننا لن نحارب . . . **أمام شعبنا وأمام العدو والصديق لازم نثبت أننا نستطيع أن نضحى ونناضل . . . القتال بالأسلوب الذى يمكِّننا به ما عندنا من أسلحة وبتخطيط تام** . . . بما لدينا نرسم ونخطط، وبذلك يكون الكلام له قيمة . . . مع الجميع سيتغير شأننا أو ستنتهى القضية إلى السكون والموت».

ووصلنا فى أوائل عام ١٩٧٣ إلى أن الوقت ضدنا . وإلى أن يتم الاتفاق السياسى بين الرئيسين السادات والأسد على بدء الحرب بتعاون مصر وسوريا، كان من الضرورى أن نقوم فى هيئة عمليات القوات المسلحة بتحديد أنسب التوقيتات للقيام بالعملية الهجومية خلال عام ١٩٧٣ حتى توضع أمام الرئيس السادات ليكون أمامه حرية الاختيار على ضوء الموقف السياسى المناسب والاتفاق مع الرئيس الأسد عليه. وبذلك يكون العمل العسكرى متمشياً مع العمل السياسى، ويكون العمل السياسى متسقاً مع العمل العسكرى.

وضعنا فى هيئة العمليات -بمبادأة من الهيئة- هذه الدراسة على ضوء الموقف العسكرى للعدو وقواتنا، وفكرة العملية الهجومية المخططة، والمواصفات الفنية لقناة السويس من حيث المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه، وساعات الإظلام وساعات ضوء الشمس ، والأحوال الجوية، وحالة البحرين المتوسط والأحمر، التى تحقق أفضل استخدام لقواتنا للقيام بالعملية الهجومية بنجاح وتحقق أسوأ الظروف لإسرائيل. كما كان ضروريًا إختيار أفضل التوقيتات التى تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد.

درسنا كل شهور السنة لاختيار أفضل الشهور لاقتحام القناة على ضوء حالة المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه. وجدنا أن فرق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر هو ٨٠ سنتيمتراً فى القطاع الشمالى للقناة (الإسماعيلية - بورسعيد) بينما فرق المنسوب فى القطاع الجنوبى (الإسماعيلية - السويس) هو متران. كما أن سرعة التيار فى القطاع الشمالى هو ١٨ متراً فى الدقيقة، بينما سرعته فى القطاع الجنوبى هو ٩٠ متراً فى الدقيقة. أما اتجاه التيار فإنه يتغير دوريًا كل ٦ ساعات من الشمال إلى الجنوب وبالعكس. كانت كل هذه الظواهر الطبيعية مطلوباً معرفتها لتحديد تأثيرها على وسائل العبور بالقوارب وإنشاء وتشغيل المعديات والكبارى، وبالتالى يمكن اختيار أفضل التوقيتات.

ثم انتقلنا فى الدراسة لتحديد طول الليل يوميًا، لاختيار ليل طويل بحيث يكون النصف الأول منه فى ضوء القمر والنصف الثانى فى حالة إظلام، حتى يسهل تركيب وإنشاء الكبارى فى ضوء القمر ويكون عبور القوات والأسلحة والمعدات فى الظلام.

وكان من الضرورى أيضاً دراسةِ حالة الأرصاد الجوية المناسبة لعمل القوات الجوية، وحالة البحرين المتوسط والأحمر لمعرفة أنسبها لعمل القوات البحرية.

واشتملت الدراسة أيضاً على جميع أيام العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم السبت وهو يوم أجازتهم الأسبوعية، حيث تكون القوات المعادية عادة أقل استعداداً للحرب. وجدنا أن لديهم ثمانية أعياد فى السنة منها ثلاثة أعياد فى شهر أكتوبر ١٩٧٣ هى عيد الغفران (يوم كيبور) وعيد المظلات وعيد التوراة. ولكل عيد من هذه الأعياد تقاليد وإجراءات يقومون بها تختلف من عيد إلى آخر. وكان يهمنا فى هذا الموضوع

معرفة تأثير كل عطلة على إجراءات التعبئة فى إسرائيل التى تعتمد اعتماداً رئيسيًا فى الحرب على قوات الاحتياطى. وكما يقولون فإن جيش إسرائيل يشبه «جبل الجليد» قمته ظاهرة هى الجيش العامل، أما قاعدته العريضة فى القاع هى القوات الاحتياطية. ولإسرائيل وسائل مختلفة لاستدعاء الاحتياطى بوسائل غير علنية، وأخرى علنية تكون بإذاعة كلمات أو جمل رمزية عن طريق الإذاعة والتليفزيون.. ووجدنا أن يوم عيد الغفران - يوم كيبور - هو يوم سبت، والأهم من ذلك هو اليوم الوحيد خلال العام الذى تتوقف فيه الإذاعة والتليفزيون عن البث كجزء من تقاليد هذا العيد الذى يعتبر يوم سكون كامل. أى أن استدعاء قوات الاحتياطى بالطريقة العلنية السريعة غير مستخدم، وبالتالى يستخدمون وسائل أخرى تتطلب وقتاً أطول لتنفيذ تعبئة الاحتياطى.

ثم انتقلنا فى الدراسة إلى عامل آخر هو «الموقف الداخلى فى إسرائيل»، فقد كانت تجرى انتخابات اتحاد العمال (هستدروت) فى سبتمبر، وتجرى انتخابات البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣. والمعروف أن الحملة الانتخابية تجذب أفراد الشعب لها، علماً بأن أغلب الشعب يشكل الجيش الاحتياطى مع تعبئة الدولة أثناء الحرب. ومن هنا كان من المفيد أن يوضع شهر أكتوبر ١٩٧٣ فى الاعتبار كشهر مناسب لشن الحرب إذا كانت العوامل الأخرى السابق شرحها تعتبر مناسبة للعملية الهجومية.

وعن الوقت المناسب للهجوم فى الجبهة السورية، فقد كان لايجب أن يتأخر بعد شهر أكتوبر ١٩٧٣ حيث إن حالة الطقس والجو تصبح غير مناسبة نظراً لبدء تساقط الجليد.

ووصلنا من هذه الدراسة المستفيضة إلى تحديد أنسب الشهور خلال عام ١٩٧٣ للقيام بالعملية الهجومية، وكان أنسبها ثلاثة توقيتات هى مايو أو أغسطس أو سبتمبر/ أكتوبر. وكان أفضلها هو شهر أكتوبر ١٩٧٣؛ حيث إن ظروف الطقس والأحوال الجوية مناسبة للعبور، وأن فترة الليل طويلة يصل الإظلام فى بعض أيامه إلى ساعات طويلة، فضلاً عن أن حالة البحر مناسبة للعمليات البحرية. والشهر يزدحم بثلاثة أعياد، وتستعد فيه الدولة لانتخابات البرلمان الإسرائيلى. ويأتى شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر بما له من تأثير معنوى على قواتنا، ولا يتوقع العدو الإسرائيلى قيامنا بالهجوم فى شهر الصيام.

واستكملنا فى نفس هذه الدراسة الطويلة والعميقة اختيار اليوم المناسب فى كل شهر وقع عليه الاختيار، بحيث يكون عطلة رسمية، وأن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر فى القناة أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لعبور القوارب وتشغيل المعديات وإنشاء الكبارى، وأن يتميز بضوء القمر الساطع فى النصف الأول من الليل حتى تقام الكبارى ليلاً فى ضوء القمر، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثانى من الليل.

ونتيجة لهذه الدراسة، كان التوقيت المقترح للهجوم -من وجهة النظر العكسرية- أن يتم خلال مايو أو أغسطس أو سبتمبر / أكتوبر ، كما حددنا يوماً فى كل مجموعة من هذه التوقيتات الثلاثة يعتبر مناسباً لبدء الحرب.

وكان يوم السبت -عيدالغفران- ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣) هو أحد الأيام المناسبة، وهو الذى وقع عليه الاختيار فى مجموعة سبتمبر / أكتوبر. فقد توافرت فيه الشروط الملائمة لاقتحام القناة والهجوم، فهو يوم عيد فى إسرائيل، والقمر فى هذا اليوم (١٠ رمضان) مناسب ومضئ من غروب الشمس حتى منتصف الليل بالإضافة إلى العوامل الأخرى السابق شرحها. وقد اعتقد الكثيرون أن هذا اليوم تحدد للهجوم المصرى السورى لأنه فقط (يوم كيبور) فى إسرائيل، وهو اعتقاد خاطئ لأن هناك عوامل أخرى كثيرة تحكمت فى تحديد هذا اليوم.

سلمت هذه الدراسة بنفسى -مكتوبة بخط اليد لضمان سريتها- للفريق أول أحمد إسماعيل الذى قال لى إنه عرضها وناقشها مع الرئيس السادات فى برج العرب (غرب الإسكندرية) فى أوائل أبريل ١٩٧٣ . وبعد عودته أعادها لى باليد، ونقل إلى انبهار وإعجاب الرئيس السادات بها، وعبَّر الفريق أول أحمد إسماعيل عن شكره لهيئة عمليات القوات المسلحة لمجهودها فى إعداد هذه الوثيقة المهمة، وكان تعليقه عليها -مسجلاً- فيما بعد بقوله :

« لقد كان تحديد (يوم الهجوم) عملاً علميًا على مستوى رفيع. إن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين ».

كانت هذه الوثيقة هى التى أشار إليها الرئيس السادات فى أحاديثه بعد الحرب بكلمة (الكشكول) أو (كشكول الجمسى).

وهنا لابد أن أسجل فضل العقول المصرية فى هيئة عمليات القوات المسلحة مع العقول الأخرى فى تخصصات مختلفة بالقوات المسلحة التى ساهمت بعلم واقتدار فى بحث نواح علمية وفنية كثيرة استدعتها هذه الدراسة، والتى لولاها ما أمكن تحديد أنسب شهر وأفضل يوم لشن الحرب. وحتى أعطى الفضل لأصحابه، فإنى أقول إن هذه الوثيقة هى (كشكول هيئة عمليات القوات المسلحة) التى أعتز وأفخر أنى كنت رئيساً لها فى فترة مهمة من تاريخ القوات المسلحة وتاريخ مصر.

ويقول الرئيس السادات فى كتابه «البحث عن الذات - ص ٣٢٦» عن ذلك

« فى أبريل ١٩٧٣ جاء الرئيس حافظ الأسد إلى مصر فى زيارة سرية. كان الفريق الجمسى وقتها مدير العمليات بالقوات المسلحة، فأحضر لنا المذكرة التى دون فيها المواعيد المناسبة للعمليات الحربية على مدار السنة من وجهة نظر العلوم العسكرية، وقد كانت مكتوبة بخط يد الجمسى لأنها سرية، وهى ثلاث مجموعات من الأيام. المجموعة الأولى فى مايو ١٩٧٣، والثانية فى أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣ والثالثة فى أكتوبر ١٩٧٣. (صحتها : مايو والثانية أغسطس والثالثة سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٣).

كانت أنسب هذه المجموعات مجموعة أكتوبر وخاصة أن الجبهة السورية ابتداءً من نوفمبر حتى الربيع غير جاهزة للعمليات نظراً للظروف الطبيعية هناك.

فى هذا الاجتماع كنت أنا وحافظ الأسد وحدنا فى برج العرب بالصحراء الغربية غرب الإسكندرية. فقلت له : لقد قررت أن أدخل المعركة هذا العام، وأعطيت تعليماتى للفريق أول أحمد إسماعيل، فما رأيك؟

قال لى : أنا معك وداخل وبنجهز نفسنا.

اتفقت مع حافظ الأسد ألا نبدأ المعركة إلا بعد تكوين مجلس أعلى مشترك للقوات المسلحة المصرية والسورية. كوّنّا هذا المجلس المشترك، واجتمع فعلاً فى أغسطس ١٩٧٣ فى الإسكندرية ليضع اللمسات الأخيرة للمعركة.

مؤتمر الإسكندرية - ٢٢، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ :

وبينما كانت مدينة الاسكندرية تكتظ بالمصيفين الذين يقضون أوقاتهم على شواطئ البحر للراحة والاستجمام، وصل القادة العسكريون السوريون فى سرية تامة إلى المدينة وأنجزوا عملاً مهمًا مع القادة العسكريين فى مصر، وعادوا إلى سوريا فى سرية كاملة دون أن يشعر أو يعلم أحد.

كان القادة السوريون برئاسة اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع ومعه رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات ومدير المخابرات العسكرية وقائد الطيران والدفاع الجوى وقائد القوات البحرية. أما القادة المصريون برئاسة الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية ومعه رئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات ومدير المخابرات الحربية وقائد القوات الجوية وقائد قوات الدفاع الجوى وقائد القوات البحرية. وبذلك كنا ١٣ قائداً يشكل منهم المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية. وحضر هذا الاجتماع اللواء بهى الدين نوفل من القيادة الاتحادية.

اجتمعنا فى مكتب اللواء بحرى فؤاد زكرى قائد القوات البحرية بالإسكندرية يومى ٢٢، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ للبت نهائيًا فى بعض الموضوعات العسكرية المشتركة وأهمها الاتفاق النهائى على توقيت بدء الحرب.

كان شهر مايو قد انقضى دون أن يصدر القرار السياسى ببدء الحرب، وكان اجتماعنا فى الأسبوع الأخير من أغسطس، وبالتالى لم يصبح أمامنا خلال عام ١٩٧٣ سوى سبتمبر وأكتوبر. وإذا لم تبدأ الحرب فى أى منهما، كان ذلك يعنى تأجيل الحرب إلى عام ١٩٧٤، وهو ما يتعارض مع تقدير الموقف السياسى والعسكرى.

تم الاتفاق فى هذا الاجتماع على بدء الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣، وسجلت القرارات بخط اليد لضمان سريتها. وكانت نتيجته تحتاج إلى تصديق القيادة السياسية. لذلك سافر الرئيس السادات لزيارة المملكة العربية السعودية وقطر وسوريا، حيث اجتمع مع الرئيس الأسد فى دمشق يومى ٢٨، ٢٩ أغسطس واتفقا أن يكون يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم بدء الحرب.

لقد كان مؤتمر الإسكندرية هو الخطوة الأخيرة فى طريق التعاون العسكرى بين مصر وسوريا، هذا الطريق الذى استغرق وقتاً طويلاً، وكللت الجهود المبذولة فيه بالنجاح.

ولاشك أن اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية ليقرر بدء الحرب ضد العدو فى وقت واحد وخوض الحرب بجهد منسق مشترك هو حدث تاريخى، حيث لم يسبق أن حدث مثل هذا التعاون العسكرى بين دولتين عربيتين ضد إسرائيل منذ إنشائها، وأصبح علامة بارزة من علامات حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو ما لم تتوقعه أو تكشفه إسرائيل أو أى دولة أخرى.

***

ومن المفارقات التى تذكر أنه فى الوقت الذى قررت فيه مصر وسوريا فى أغسطس ١٩٧٣ دخول الحرب، كانت إسرائيل ترى فى الشهر نفسه أنها ليست فى حاجة إلى السلام مع العرب، وأنها فرضت الأمر الواقع على الدول العربية بالقوة العسكرية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

لقد كان ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى فى زيارة لإسرائيل فى أغسطس ١٩٧٣ لإعداد كتاب عن مستقبل إسرائيل بعد الاستماع إلى آراء القادة السياسيين والعسكريين هناك. كان جولدمان له سؤال يريد الإجابة عنه هو : «أيهما أفضل لإسرائيل ويجعلها أكثر قوة . . الأراضى التى تحتلها أم التسويات السياسية ؟».

كان رد ديان – وهو رأى إسرائيل : «إن السلام الذى تريده إسرائيل قد تحقق منذ عام ١٩٦٧ . نحن نسعى لخلق سلام بيننا وبين العرب بطريقة غير رسمية، ولسنا بحاجة إلى السلام الرسمى. وربما كان السعى وراء هذا السلام الرسمى يضر بالحالة التى نحرص عليها وهى تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته حرب ٦٧ تثبيتاً يدخل فى صيغة سلام غير رسمى».

قال جولدمان : إن سؤالى محدد أرجو أن تكون الاجابة عنه محددة وهو : «هل تعتقدون أن قوة إسرائيل فى الأراضى أم فى التسويات؟».

أجاب ديان قائلاً :

«إنى لا أرضى إلا بسلام القوة الذى يحقق لإسرائيل الحدود الآمنة. وبالطبع لن يستطيع أحدنا أن يحدد مساحة هذه الحدود، لأنها تتغير تلقائيًا نظراً لطبيعة نمو وتوسع إسرائيل. وإذا كنا نسعى لأن نكون بديل القوى الكبرى فى الشرق الأوسط فيجب أن تكون لنا أنيابنا. وهذه الأنياب عسكرية واقتصادية وجغرافية، والناب الأول أى الناب العسكرى يحقق الأنياب الأخرى».

وهنا لايجب أن ننسى أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ أثبتت عمليًا لإسرائيل أنها لم تتمكن من فرض السلام بالقوة على العرب، وأنها لم تتمكن من تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته حرب يونيو ١٩٦٧، ولكنه الغرور الإسرائيلى الذى تحكم فى تصرفاتهم منذ انتهاء حرب يونيو حتى ترسب فى عقول قادتهم السياسيين والعسكريين أن تلك الحرب هى التى ضمنت كل الحروب.

هذا وقد اشترك فى وضع خطة المفاجأة عدد محدود جداً من ضباط هيئة عمليات القوات المسلحة، وكتبت بخط اليد كخطة العمليات تماماً. واشتملت الخطة على إجراءات وأعمال كثيرة متنوعة فى مجالات مختلفة بحيث تتكون صورة متكاملة أمام العدو بأن قواتنا فى مصر وسوريا ليس لديها نية الهجوم، بل نعمل لتقوية دفاعاتنا واستعدادانا ضد هجوم إسرائيل محتمل.

مناورة للتدريب :

وكانت الخطوة الأولى هى عمل مشروع تدريبى تشترك فيه كل أفراد القوات المسلحة والجيوش والمناطق العسكرية، وتحت ستاره تنفذ اللمسات الأخيرة للاستعداد للهجوم بحيث يتحول المشروع التدريبى إلى حرب حقيقية طبقاً لخطة العمليات.

فى الوقت المناسب صدرت التعليمات بعمل هذا المشروع خلال المدة من الأول حتى السابع من أكتوبر ١٩٧٣. ولم تصدر أى قيود على القوات بحيث يبدو للجميع أنه تدريب عادى -كما كان يعمل دائماً- وكان يهمنا أن تعلم إسرائيل قيامنا بهذا التدريب، وهو ما تم فعلاً. وقد سبق لقواتنا أن قامت بتدريب واسع فى النصف الأول من عام ١٩٧٣، اضطرت إسرائيل -تفادياً للمفاجأة- أن تعلن التعبئة الجزئية وتضع قواتها فى درجة استعداد عالية، الأمر الذى كلفها ملايين من الدولارات. وقد أسعدنا ذلك كثيراً حينئذ حتى تتعود إسرائيل على أن المشروع التدريبى الذى سيتحول إلى حرب حقيقية إنما هو تكرار لمشروعات تدريبية سابقة، ويصبح الأمر عادياً فى نظرها.

وقد ثبت فيما بعد أن تحليل المخابرات الإسرائيلية هو أن ما نقوم به خلال الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٣ هو مجرد مناورة عادية للتدريب.

وكان من الضرورى تعبئة بعض القوات الاحتياطية فى مصر قبل الحرب، وهو أمر علم به العدو حتماً بالإضافة إلى عائلات آلاف المجندين والضباط الاحتياط المستدعين من الجهات التى يعملون فيها. ولإظهار أن التعبئة هذه المرة مماثلة تماماً للمرات السابقة، فقد تم تسريح عدة آلاف منهم وإعادتهم إلى بلادهم وجهات عملهم قبل نشوب الحرب بأيام قلائل مع حجز من هو مطلوب منهم للاشتراك فى

القتال. وكان رد الفعل لذلك أن انتشر بين المواطنين أن التعبئة كانت للتدريب الدورى وليس للحرب. ومن الطبيعى أن تتابع المخابرات الإسرائيلية التعبئة والتسريح فيكون ذلك تأكيداً لها أنه جزء من التدريب.

وكان تحريك القوات إلى جبهة القناة يتم تدريجيًا بطريقة سرية فى فترات الظلام. ولم تواجهنا صعوبة فى ذلك للدقة والانضباط التام الذى كان يتم به هذا لعمل، غير أنه كان من الضرورى نقل لواء من مدينة الإسكندرية إلى منطقة القناة الأمر الذى يستدعى نقله بالسكة الحديد فى عدة قطارات تحمل الأفراد والأسلحة والدبابات والعربات. كنا نعلم أنه من الصعب إخفاء نقل هذا اللواء وأنه يثير الكثير من الحديث فى مدينة الاسكندرية التى عرف عن المواطنين فيها أنهم يشكلون أسرة كبيرة تعرف الكثير عما يدور فيها إذا قورنت بمدينة القاهرة، لذلك صدرت التعليمات بأن اللواء مطلوب اشتراكه فى تدريب بمنطقة القناة، وتم حجز قطارات السكة الحديد لإعادته إلى الإسكندرية اعتباراً من ٧ أكتوبر بعد انتهاء التدريب حتى نمنع الحديث حول تحرك هذا اللواء.

المدمرات فى باب المندب :

وللتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى مضيق باب المندب بواسطة البحرية المصرية، كان لابد أن تصل المدمرات إلى منطقة عملها قبل ظهر يوم ٦ أكتوبر.

لذلك قمنا فى وقت مبكر خلال عام ١٩٧٣ بالاتصال بإحدى الدول الآسيوية الصديقة لقبول هذه القطع البحرية للإصلاح فى ورشها. وبعد أن وصلتنا الموافقة، تمت الاتصالات مع السودان واليمن الجنوبية للحصول على موافقة كل منهما لتقوم مدمراتنا بزيارة ميناءى بورسودان وعدن زيارة ودية. ووضع برنامج الرحلة والزيارات بحيث تتواجد المدمرات فى مضيق باب المندب صباح يوم ٦ أكتوبر لتبدأ تنفيذ مهمتها.

وللمحافظة على سرية الهدف من الزيارة ومهمة القتال، فقد تأكدت قيادة القوات البحرية أن المدمرات أبحرت مستعدة تماماً للقتال. وعندما حان الوقت المناسب - أثناء الرحلة البحرية- فتح قائد القوة مظروفاً سريًا، وجد به تعليمات القتال للتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى المضيق، وهو ما تم تنفيذه بكفاءة.

وكانت هذه المهمة الاستراتيجية مفاجأة غير سارة لإسرائيل، ولم يكن أمامها إلا أن تقتنع بأن تمسكها بشرم الشيخ لتأمين الملاحة البحرية فى مضيق خليج العقبة إلى إيلات، لا قيمة له وسقطت دعواها فى هذا الشأن.

أداء العمرة :

وقبيل شهر رمضان من كل عام، يستعد عدد كبير من المسلمين لأداء العمرة فى الأراضى المقدسة بالمملكة العربية السعودية. أعلنت وزارة الحربية فى الصحف -وداخل القوات المسلحة- عن فتح باب قبول طلبات العسكريين لأداء العمرة، وصدرت التعليمات للقوات بقبول طلبات من يرغب بالأسلوب نفسه الذى يتبع سنويًا. ومن المعروف أن إسرائيل تحصل على الصحف المصرية عن طريق أوربا، كما كنا نحصل على الصحف الإسرائيلية، ولذلك كان الخبر الذى نشر فى الصحف المصرية رسالة مفتوحة لإسرائيل والسفارات الأجنبية فى مصر أن استعدادنا للهجوم ليس وارداً فى ذلك الوقت.

وفى داخل هيئة عمليات القوات المسلحة، تقدم زميل عزيز -رحمه الله- هو اللواء فاروق فهمى بطلب أداء العمرة، وهو معروف عنه أن يتمسك بفرائض الإسلام بدقة، وأنه يؤدى العمرة كلما أتيحت له الفرصة. لم أوافق على طلبه عدة أيام تردد فيها على مكتبى أكثر من مرة لإقناعى بقبول طلبه، وكانت حجتى أنه من الواجب عليه إفساح المجال لآخرين لم يسبق لهم تأديتها. وأخيراً وافقت على طلبه، وكنت أعلم مسبقاً أن الحرب ستنشب ولن يستطيع السفر، وهذا ما حدث وعاصر الحرب معنا. وكان وعداً بيننا أن نؤدى فريضة الحج معًا بعد الحرب، وهذا ما تم بحمد الله.

ودون تخطيط مسبق، شاءت الظروف أن يطلب وزير دفاع رومانيا زيارة مصر، وحدد لهذه الزيارة يوم ٨ أكتوبر بطريقة طبيعية كالمتبع فى مثل هذه الحالات. كان ذلك مناسبًا للإعلان عن هذه الزيارة وإخطار الجهات التى ستقوم باستقباله ووضع برنامج الزيارة كاملاً. كنا نعلم أن الحرب ستنشب قبل حضوره، وبالتالى سيقوم هو بإلغائها، وهذا ما حدث. وأؤكد أن هذا الموضوع لم يكن ضمن خطة المفاجأة، بل جاء طبيعيًا واستفدنا منه.

السرية المطلقة:

تلك كانت بعض الأساليب التى اتبعناها لخداع العدو عن نياتنا الهجومية، وليس هنا مجال التوسع فى شرح الأعمال التى تمت لأنها كثيرة متعددة واشتملت على مجالات عمل مختلفة عسكرية وسياسية وإعلامية. وقد اكتفيت بشرح القليل منها كأمثلة.

وكان العامل الثانى الذى يضمن لنا تحقيق المفاجأة بنجاح، هو فرض السرية الشديدة داخل القوات المسلحة بحيث يتسلم كل قائد الأمر بالقتال فى توقيت محدد -كل حسب مستوى قيادته- بما يضمن له الوقت الكافى لاستعداد قواته وبذلك كان كل مستوى يعلم وقت الهجوم طبقاً لبرنامج زمنى محدد -فرضته القيادة العامة- بحيث تكون كل القوات المسلحة على استعداد للهجوم يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وكان نقل الكبارى إلى منطقة القناة هو العلامة البارزة التى توضح للعدو بدون أدنى شك أن عملية عبور القناة أصبحت وشيكة. ومن هنا فرضت السرية الشديدة على تحركات العربات التى تحملها مجزأة ومغطاة خلال فترة زمنية محددة فى ساعات الظلام لتوضع فى الأماكن المخصصة لها بالجبهة تحت الأرض.

اختيار يوم وساعة الهجوم :

وكان اختيار يوم الهجوم وساعته عاملاً من عوامل المفاجأة لإسرائيل. وقد اعتقد البعض أنه تم اختيار يوم كيبور -السبت ٦ أكتوبر- لبدء الحرب لأنه عيد من أعياد الإسرائيليين. ولكن الحقيقة أنه تم اختيار هذا اليوم لاعتبارات علمية وفنية وتكنيكية سبق شرحها - وكان يوماً لم تتوقع إسرائيل نشوب الحرب فيه.

كما أن اختيار ساعة الهجوم لتكون الساعة ١٤,٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) كان مفاجئاً للجميع. فالوضع الطبيعى التقليدى لبدء الهجوم هو أن يبدأ فى أول ضوء أو آخر ضوء، ولكننا لم نتبع الأسلوب التقليدى لاعتبارات فنية وتكتيكية وخداعية!

زيارات .. للتضليل !!

* وفى الفترة نفسها التى بدأ فيها العدو التنازلى للحرب أعلن فى بيان رسمى أن «وزير الدفاع الرومانى سيصل إلى القاهرة يوم الإثنين ٨ أكتوبر، بدعوة من المشير أحمد إسماعيل على الذى سيكون شخصياً فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة الدولى».

* كذلك أعلن بصفة رسمية عن رحلة الأميرة الإنجليزية مارجريت التى أبدت رغبتها فى زيارة مصر، وأخطرت السلطات المصرية سفارة بريطانيا بأنها ترحب بالأميرة، وبالفعل طارت الأميرة من لندن إلى روما، وكان من المقرر أن تصل إلى مطار القاهرة الدولى صباح (٦) أكتوبر، وكان قائد الجناح الجوى «بارينكوت» الملحق بالسفارة البريطانية يحضر اجتماعاً مع كبار ضباط المخابرات لرسم خطة سير الطائرة. وتأمين وصولها. ولم يكن أحد من المجتمعين يعلم أن مطار القاهرة الدولى أغلق بعد ذلك بساعة وخمس دقائق عندما نشبت الحرب.

تضليل جواسيس الجو :

ولعلها كانت مهمة بالغة الصعوبة، تلك المهمة التى كان على فريق العقول المصرى القيام بها. وهى تضليل أخطر جواسيس الجو الذين يأخذون شكل «الأقمار الصناعية».

وكان من رأى الفريق محمد عبدالغنى الجمسى (رئيس هيئة العمليات) أن القمر الصناعى ماهو إلا جاسوس أبكم يمكن رصده بسهولة وبالتالى التعامل معه بما يحقق أكبر قدر من تضليله أو تفادى عيونه الإلكترونية النفاذة حتى الأعماق.

وعلى الفور وضعت مجموعة البحث فى اعتبارها شبكة الطرق المؤدية إلى جبهة القتال ومواصفاتها ثم مدارات الأقمار الصناعية ومواقيت إطلاقها، وبعد ذلك قامت المجموعة بوضع عدد من الجداول الزمنية المعقدة كل التعقيد، وأوضحت هذه الجداول مواعيد تحرك القوات وأماكن توقفها، ومدة التوقف بالدقيقة، والثانية، مع إصدار الأوامر المشددة باتباع هذه الجداول بمنتهى الدقة، وعلى هذا الأساس كانت الطوابير تتحرك إلى الجبهة فى مجموعات صغيرة فوق طرق مختارة بعناية حتى ولو كانت طرقاً فرعية، ثم تعود العربات الخالية بمجموعات كبيرة فى وقت مناسب لكى يمر من فوقها القمر الصناعى الباحث عن المعلومات، وهكذا استقبلت مراكز دراسة الصور الجوية صوراً كثيرة، ولكنها كانت تؤدى إلى استنتاج معاكس للحقيقة.

وتتوالى سلسلة عملية الإخفاء والتمويه :

١ - صنعت صناديق خاصة لنقل المعدات حتى لايشعر أحد أن «اللوارى» الضخمة التى تحملها هى لوارى سلاح المهندسين، ثم رتبت لهذه المعدات حفر مناسبة على جانب القناة نزلت إليها فور وصولها فى الليل.

٢ - قامت مصر بعملية تعبئة كاملة للقوات قبيل بدء الحرب، ثم اتخذت قرارات بتسريح (جزء) ممن تم استدعاؤهم قبل الحرب بيومين فقط ومنحت إجازات لبعض الضباط والجنود العاملين - وقد روعى فى اختيار من ألغى استدعاؤهم ومن منحوا إجازات أن يكونوا من أبناء محافظة الشرقية والمحافظات القريبة من الجبهة حتى يكون واضحاً (للعيون المراقبة) أنه قد تم بالفعل إلغاء التعبئة، ومنحت القوات الأساسية إجازاتها العادية.

٣ - تضمنت خطة الهجوم فى ذاتها خدعة كبيرة للعدو، فقد تم الهجوم على طول الجبهة وفى أعماق سيناء. وشق خلية السويس، وعبر بحيرة التمساح. وذلك حتى يرتبك العدو، ولا يكتشف مبكراً اتجاهات الهجوم الرئيسية.

٤ - لم يحدث أى تغيير فى سير الحياة اليومية الروتينية على طول الجبهة، فصدرت الأوامر للقوات بعدم لبس الخوذات حتى تبدأ المعركة.

٥ - اشترك العاملون فى الشركات المدنية التى كانت تتعاون مع القوات المسلحة فى عملية الخداع دون أن يدرى أحد منهم، فظلوا يمارسون أعمالهم العادية على الضفة الغربية.. حتى بدأت الحرب.

٦ - قامت مجموعات من الجنود (سميت مجموعات الكسل) بالجلوس على شاطئ القناة.. وانهمك بعضهم فى مص القصب أو أكل البرتقال.. بل إن بعضهم خلعوا ملابسهم الخارجية، ليستحموا فى القناة، أو يصطادوا السمك.

٧ - صدرت الأوامر بعدم «نفخ» قوارب المطاط المعدة للعبور قبل بدء ضرب الطيران حتى لا يسمع صوت الجنود وهم ينفخون هواء الفم فى هذه القوارب.

٨ - صدرت الأوامر ببقاء الاستراحات العسكرية بكامل أثاثها ومهماتها دون نقلها إلى الخلف (للحفاظ عليها).. حتى يطمئن العدو أكثر إلى استمرار الحياة العادية.

٩ - صدرت الأوامر بعدم إفطار الجنود الصائمين فى رمضان إلا مع بدء العمليات - لأن الإفطار المبكر وبشكل جماعى يعتبر مؤشراً لما سيحدث.

ثلاثة أحداث مزعجة :

وخلال الأيام الثلاثة الأخيرة قبل نشوب الحرب، وقعت ثلاثة أحداث مزعجة كادت تكشف نياتنا عن بدء العمليات الحربية، وبالتالى تضيع المفاجأة قبيل الحرب مباشرة.

كان الحادث الأول يوم ٤ أكتوبر عندما علمنا أن الاتحاد السوفيتى قرر إخلاء العائلات السوفيتية من مصر بالطائرات ليلة ٤/ ٥ أكتوبر، الأمر الذى لايمكن إخفاؤه برغم اتخاذ كل تدابير الأمن، وفى الوقت نفسه لايمكن إلغاؤه أو تعدى توقيته. وأصبحنا فى القيادة العامة على اقتناع تام بأن إسرائيل والولايات المتحدة ستعلمان بذلك، وأنها ستكون علامة قوية على أن هناك عملاً خطيراً من المتوقع حدوثه فى المنطقة يستدعى ترحيل هذه العائلات. وقد ثبت فيما بعد أن هذا العمل كان علامة مهمة أمام إسرائيل، كجزء من المعلومات التى وصلتها من مصادرها المختلفة تقول إن شيئاً ما سيحدث فى المنطقة يشمل مصر وكذا سوريا التى تقرر ترحيل العائلات السوفيتية منها أيضاً.

كان الحادث الثانى الذى علمت به، عندما دخلت إلى مكتب الفريق أول أحمد إسماعيل أثناء حديثه التليفونى يوم ٥ أكتوبر مع وزير الطيران المدنى المهندس أحمد نوح طالباً منه إلغاء التعليمات التى أصدرها لتأمين طائرات شركة مصر للطيران التى كانت تتضمن مغادرة بعض طائرات الشركة لمطار القاهرة الدولى وتغيير مواعيد بعض الرحلات الأمر الذى يسهل رصده دوليًا، وبالتالى تعلم به إسرائيل حتماً وبسرعة، وقد أمكن تدارك الموقف فى الوقت المناسب بحيث تظل حركة الطيران المدنى عادية.

وكان الحادث الثالث صباح يوم ٦ أكتوبر، عندما اتصل باللواء الجمسى تليفونيًا أحد المسئولين فى وزارة الصناعة يبلغه أن هناك سفينة أمريكية تقوم بعمل مسح على الساحل الشمالى لمصر، وأن قيادة القوات البحرية رفضت السماح للسفينة بالإبحار من ميناء الإسكندرية، حيث إن ذلك يتعارض مع تدريب تقوم به القوات البحرية وطلب التصديق للسفينة الأمريكية باستئناف عملها. وكان الرد الفورى عليه أن هناك تدريباً تقوم به القوات البحرية، ولكن ذلك لايمنع من إبحار السفينة إلى عملها العادى فى أى اتجاه سواء شرقاً فى اتجاه بورسعيد أو غرباً فى اتجاه مطروح. وخرجت السفينة فعلاً- بعد الاتفاق مع اللواء بحرى فؤاد زكرى قائد القوات البحرية- ولم تكن السفينة قد قطعت سوى أميال قليلة حتى كانت الحرب قد نشبت دون أن تتعرض السفينة لأى خطر، ودون أن يعرقل ذلك عمل القوات البحرية.

الخداع فى الجبهة السورية :

وقد قامت القيادة السورية بتخطيط وتنفيذ خطة خداعية حققت الهدف منها وقد أزعجنا فى مصر حدوث معركة جوية بين الطيران الإسرائيلى والطيران السورى يوم ١٣ سبتبمر ١٩٧٣ ، الأمر الذى ترتب عليه توتر الموقف بين الدولتين . وقد أعاد هذا الحادث إلى الأذهان تلك المعركة الجوية التى دارت بينهما يوم ٧ أبريل ١٩٦٧ تصعيداً للموقف العسكرى قبل حرب يونيو .

كان رد فعل سوريا بالنسبة إلى معركة يوم ١٣ سبتبمر يتسم بالحكمة حيث لم تندفع القيادة السياسية أو العسكرية للرد بعمل عسكرى ، حيث لم يبق سوى ثلاثة أسابيع على بدء حرب أكتوبر فيكون الانتقام على نطاق أوسع ، وفى الوقت نفسه عدم إعطاء الفرصة لإسرائيل لتصعيد الموقف وزيادة استعدادها .

ولقد ساعد هذا التوتر على تسهيل حشد القوات السورية فى الجبهة ، الأمر الذى فسرته المخابرات الإسرائيلية على أنه عمل دفاعى استعداداً لقيام سوريا بعمل انتقامي .

الحزام الأسود [١] :

فى الوقت الذى كنا نخطط ونستعد فيه لتحرير أراضينا ، كانت إسرائيل تخطط وتستعد لاحتلال مزيد من الأرض العربية . وقد شرح الجنرال أليعازار الخطة الإسرائيلية فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته .

فقد وضع ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى أوائل عام ١٩٧٣ خطة عسكرية رسم خريطتها بنفسه ، وعرضها على الجنرال أليعازار رئيس الأركان ، أطلق عليها اسم «الحزام الأسود» . وكان تحقيقها يحتاج إلى عوامل أهمها ، أولاً : ضم جنوب لبنان كله إلى إسرائيل ، وثانياً : ضم أجزاء أخرى من سوريا ، وثالثاً : إنشاء خط محصن يشبه خط بارليف فى غور الأردن لحماية المستعمرات ، ورابعاً : تحويل سيناء إلى مركز تجارب للمفاعلات الذرية .

وكان المعنى الوحيد للأفكار التى طرحها ديان على أليعازار هو القيام بحرب أخرى ضد العرب فى أواخر عام ١٩٧٣ ، وكان حلم ديان المرسوم على الخريطة العسكرية «حزام عسكرى حول إسرائيل» يحقق من وجهة نظره هدفين رئيسيين لإسرائيل :

الأول : تأمين إسرائيل إلى الأبد من أية عمليات عسكرية عربية .

الثاني : جعل زمام المبادرة في القتال في أيدى إسرائيل فيما لو أرادت ضم أراضى عربية أخرى .

ويفسر أليعازار فكرة ديان بقوله : « لقد كان ديان يحلم بعمل يخلد اسمه إلى الأبد . . . تماماً مثلما فعل بارليف بخطه الدفاعى الذى يحمل اسمه على حافة قناة السويس . وكان معنى ذلك أن يقوم بعد تحقيق حزامه الأسود بتغيير اسمه إلى (حزام ديان)، لقد كان ديان يفكر كما لو أن العرب غير موجودين أو أنهم انتهوا إلى الأبد، أو كما كان يقول دائماً : الجسد الميت لايحتاج أبداً إلى أن نقيم له حسابات » .

وفى الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ عقد اجتماع طارئ لمجلس رئاسة الأركان الإسرائيلى بحضور السيدة مائير، شرح فيه ديان خطته وتوقيتاتها والهدف منها .

كانت الخطة تقتضى بتوجيه ضربة قوية للجنوب اللبنانى ، وفى الوقت نفسه توجيه ضربة أخرى للقوات السورية . وقبل أن تحاول مصر التدخل يوجه إليها ضربة قوية ضد صواريخ الدفاع الجوى فى منطقة القناة وضد المطارات المصرية . وكان فى تقدير ديان أن تتم هذه العملية فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ بعد الانتهاء من عيدى الغفران والمظلات وقبل إجراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين من أكتوبر .

وفى ضوء الموقف الذى كان يناقشه مجلس رئاسة الأركان والمعلومات المتيسرة والتقديرات ، سألت مائير ديان عن رأيه . صمت قليلاً ثم قال «سأجعل ضربتى مبكرة كثيراً ، ستكون صباح الثامن من أكتوبر» . وافقت مائير على تنفيذ الخطة يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

وتمهيداً للتنفيذ، قررت إسرائيل إجراء اتصال عاجل مع الولايات المتحدة، وعن طريقها للاتحاد السوفيتى الذى يتولى تحذير مصر وسوريا من الإقدام على أى عمل عسكرى، إذا كانت الحشود المصرية والسورية تخوفاً من هجوم إسرائيل محتمل، ولا داعى للحشود وحالة التوتر التى يصنعها العرب بلا مبرر حتى لاتنقلب ضدهم .

قام إيبان وزير خارجية إسرائيل -وكان موجوداً فى نيويورك- بتبليغ الرسالة إلى كسنجر . وكان مفهوم وتعليق إيبان عندما وصلته الرسالة من تل أبيب، أنها طعم له هدفان :

الأول : إظهار حسن نية إسرائيل وإدانة العرب.

والثاني : طمأنة المصريين والسوريين إلى أن يحين صباح الثامن من أكتوبر، وهو الموعد الذى حدده ديان للقيام بضربته ضد العرب.

وبعد هذا الاعتراف، هل هناك دليل أوضح من ذلك على نيات إسرائيل لخداعنا حتى يحين الوقت المحدد لتوجيه ضربتها الجديدة ضد مصر وسوريا ولبنان لاحتلال مزيد من الأرض العربية؟ ولكن حرب أكتوبر ١٩٧٣ -بمبادأة من مصر وسوريا- كانت أسبق، حيث فاجأناهم بالحرب يوم ٦ أكتوبر لتحرير أراضينا قبل أن يخدعونا يوم ٨ أكتوبر للاستيلاء على مزيد من الأرض العربية.

الأيام الحرجة قبيل الحرب :

الخميس ٤ أكتوبر [٨ رمضان] :

كانت مراكز العمليات فى القيادة العامة والجيوش والمناطق والقوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى تعمل كخلايا نحل بإيمان قوى لإنجاز ماهو مطلوب منها من أعمال، بينما تتصرف القوات فى الخطوط الأمامية بجبهة القناة بطريقة عادية دون أى تغيير يلفت نظر العدو إلى أن هناك شيئاً يجرى الإعداد له. بل أضافت القيادة بمبادأة منها أعمالاً تؤكد للعدو على الضفة الشرقية للقناة أنه لا جديد فى الموقف العسكرى.

وفى الجانب الإسرائيلى تلقت القيادة العسكرية -كما يقول ديان- «تقارير تقوى من احتمال أن تكون مصر وسوريا على وشك شن الحرب. وكانت أهم فقرة فى هذه المعلومات هى تلك التقارير التى تشير إلى أن روسيا أصدرت تعليماتها للعائلات السوفيتية بالرحيل عن سوريا، ووصلت أثناء الليل طائرات ركاب إلى كل من سوريا ومصر من المعتقد أنها وصلت لترحيل هذه العائلات».

الجمعة ٥ أكتوبر [٩ رمضان] :

كانت قواتنا المسلحة فى أقصى درجات استعدادها للقتال، كما كنا فى مركز العمليات نتابع نشاط العدو أولاً بأول، وكان لهذا العمل أهميته القصوى فلم يبق سوى ٢٤ ساعة حتى نبدأ الحرب. تحرك الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان إلى الجبهة صباح ذلك اليوم للاطمئنان على سير الأمور، فقام بزيارة اللواء عبدالمنعم واصل فى قيادة الجيش الثالث ثم زيارة اللواء سعد الدين مأمون فى قيادة الجيش

الثانى، وعاد إلى مركز العمليات مساءً بعد أن اطمأن على أن العمل يسير فى مجراه الطبيعى طبقاً للمخطط.

وفى إسرائيل عقدت السيدة مائير مجلس وزراء مصغراً حضره عدد قليل من الوزراء ورئيس الأركان ومدير المخابرات العسكرية. فى هذا الاجتماع وصف رئيس الأركان ومدير المخابرات الموقف على الجبهات -كما يقول ديان - على النحو التالى :

« إن السوريين والمصريين فى حالة الطوارئ التى تصلح تماماً لأغراض الدفاع مثلما تصلح تماماً للهجوم. إلا أن تقدير مدير المخابرات الجنرال إيلى زاعيرا والذى وافق عليه رئيس الأركان هو عدم احتمال شن أى هجوم، وأنه لو كانت الحرب على وشك الوقوع حقيقة فستكون هناك دلائل أكثر وتقارير مخابرات أخرى. وإذا ما ظهرت هذه الدلائل فسيكون من الضرورى -عندما تظهر فقط- تعبئة الاحتياطى واتخاذ إجراءات أخرى. وكان تقدير مدير المخابرات أنه من غير المحتمل إلى أبعد حد أن يعبر المصريون القناة بقوات كبيرة، ولكنهم قد يفتحون النيران ويحاولون القيام بغارات. وكان تقدير المخابرات الأمريكية أنه ليس فى نية كل من مصر وسوريا شن هجوم فى المستقبل القريب».

واتخذت القيادة العسكرية الإسرائيلية الاجراءات لزيادة استعداد الجيش بأن رفعت درجة استعداده إلى أقصى درجة، كما رفعت درجة استعداد السلاح الجوى إلى حالة الاستعداد الكامل، وقررت إلغاء الإجازات، وأصدرت تعليماتها الابتدائية للاستعداد لتعبئة محتملة عندما يصدر الأمر بذلك.

السبت ٦ أكتوبر [١٠ رمضان] :

كان من أهم أعمالنا الرئيسية فى مركز عمليات القوات المسلحة أن نتابع نشاط العدو يوميًا، وساعة بعد أخرى، ولم تغفل إدارة المخابرات الحربية عن أى تصرف يقوم به العدو، وكان لابد من تقدير الموقف أكثر من مرة فى اليوم الواحد. وكان اهتمامى الشخصى مركزاً على نشاط العدو الجوى الذى يظهر على شاشة الرادار الموجود فى مركز العمليات، حيث إن السلاح الجوى الإسرائيلى يلعب الدور الرئيسى فى حالة كشف نياتنا الهجومية.

فى صباح هذا اليوم أغلقت الأبواب الحديدية لمركز العمليات، واستبدلت بخرائط التدريب خرائط خطط العمليات. وكان ذلك إيذاناً باقتراب ساعة بدء الحرب.

ومن المتابعة المستمرة لنشاط العدو بمعرفة إدارة المخابرات الحربية وصلنا إلى قرار بأن العدو لم يكتشف نياتنا الهجومية حتى تلك اللحظة، إلا أن الساعات القليلة القادمة تعتبر فترة حساسة قد يلجأ العدو فيها إلى استخدام سلاحه الجوى ضدنا أو ضد سوريا، وفى نحو الساعة الثانية عشرة ظهر هذا اليوم سألنى الفريق أول أحمد إسماعيل وكان السؤال هو الثالث خلال اليوم نفسه عن موقف العدو. وأتذكر أنى قلت للفريق أول أحمد أسماعيل «سبق السيف العزل بالنسبة إلى إسرائيل، فقد أصبح الوقت متأخراً كى يتمكن العدو من القيام بعمل عسكرى مؤثر».

أخذ الوقت يمر بطيئاً... بطيئاً. ومرت الساعة الباقية حتى إقلاع طائرات قواتنا الجوية لتوجيه الضربة الجوية المركزة الأولى... مرت طويلة... طويلة.

وفى إسرائيل كشف ديان فى مذكراته (قصة حياتى) أنهم تلقوا معلومات من مصدر موثوق به فى الرابعة من صباح ذلك اليوم -٦ أكتوبر- تؤكد أن مصر وسوريا ستشنان الحرب قبل غروب الشمس هذا اليوم. وبدا لهم أن هذا التقرير وتقارير المخابرات الأخرى وخاصة ما يتعلق بقيام السوفيت بترحيل عائلاتهم من مصر وسوريا صحيحة وواقعية. وكان ينبغى عليهم التصرف على أساس افتراض أن مصر وسوريا تعتزمان هذه المرة بدء الحرب.

عقدت مائير رئيسة الوزراء اجتماعاً فى الساعة الثامنة صباحاً تقرر فيه أربعة إجراءات رئيسية، أولها تعبئة ١٠٠ - ١٢٠ ألف رجل من الاحتياطى بالإضافة إلى الجيش النظامى، كما أن السلاح الجوى كان مكتمل التعبئة فعلاً، وكانت خطة الطوارئ معروفة وسبق اختبارها فى المناورات. ولو أن التحذير لم يهيئ مهلة كافية للاستعداد إلا أنه لم يأت بعد فوات الأوان. وكان الإجراء الثانى هو ترحيل الأطفال والنساء من مستوطنات الجولان.

وكان الاقتراح الثالث من رئيس الأركان -أليعازار- بتوجيه ضربة وقائية بالسلاح الجوى ضد سوريا. اعترض وزير الدفاع على هذه الفكرة على أساس أنها ستوجه

ضد سوريا وحدها، ولم تكن ستوجه ضد الجبهة ولا ضد شبكة الدفاع الجوى وإنما ضد القواعد الجوية فقط فى عمق سوريا، بل إنها لم تكن ستبدأ قبل الساعة الثانية عشرة ظهراً، ولو أن هذه الغارة الوقائية قد نفذت، ما كان لها -فى رأى ديان- أثر مهم فى تطورات الحرب. ولذلك تقرر رفض الاقتراح.

وكان الإجراء الرابع هو تحذير كل من مصر وسوريا عن طريق الولايات المتحدة بالاقتناع عن بدء الحرب. استدعت مائير السفير الأمريكى فى تل أبيب الذى نقل إلى البيت الأبيض رسالة عاجلة أن إسرائيل وصلت أخيراً فى تقديرها للموقف إلى أن مصر وسوريا خططا لمهاجمة إسرائيل فى الساعة السادسة من اليوم نفسه. وفى الوقت نفسه اتصلت بوزير خارجيتها -إيبان- فى نيويورك ليقوم فوراً باخطار كسنجر ليطلب من الرئيس نكسون إخطار بريجينيف أن إسرائيل لديها الدلائل على أن مصر تعتزم القيام بهجوم فى جبهة القناة، وإذا كان ذلك صدى للمعلومات التى رددتها وسائل الإعلام عن حشد إسرائيل فإن نكسون يمكنه أن يؤكد أن إسرآئيل ليس لديها نية الهجوم، ويطلب من بريچينيف تبليغ الرسالة إلى الرئيس السادات.

اتصل كسنجر بالدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية - الذى كان فى نيويورك - فى الساعة الثانية إلا الربع ظهر يوم ٦ أكتوبر بتوقيت القاهرة يرجو فيها ألا تقوم مصر بعمليات عسكرية. وعندما اتصل الدكتور الزيات بمحمد حافظ إسماعيل برئاسة الجمهورية، كانت الحرب قد بدأت منذ ربع ساعة.

***

وهكذا تحققت المفاجأة الاستراتيجية، وأصبح لنا المبادأة -لأول مرة- فى الحروب ضد إسرائيل. وحرمناها من تعبئة الاحتياطى فى وقت مبكر أو توجيه ضربة وقائية ضد قواتنا. وساعدنا ذلك على اقتحام القناة والهجوم فى الجولان فى ظروف أفضل، وبأقل خسائر ممكنة.

لقد حاولت إسرائيل خداعنا حتى تتمكن من مفاجأة العرب بالحرب يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ لتنفيذ خطة «الحزام الأسود»، ولكن خاب أملها. وحققنا المفاجأة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لتنفيذ الخطة «بدر» لتحرير أراضينا.

ويقول ديان وزير الدفاع الإسرائيلي :

« بالرغم من ثقتنا بأنفسنا ، فإننا كنا نشعر بقلق فى أعماقنا . ولم يكن السبب راجعاً إلى أننا لم نتعود القيام بحملة تكون المبادرة فيها فى يد العدو ، وإنما الموقف كله أيضاً لم يكن متمشياً مع طبيعتنا ولا مع التركيب العضوى لجيشنا الذى يستند أساساً إلى الاحتياطى وتعبئته بنظام ؛ إذ ليس من السهل على الاطلاق التحول خلال أربع وعشرين ساعة من العمل فى المكاتب وعلى الجرارات وأمام المخارط إلى ساحة القتال .

كان الهجوم المصرى والسورى - فى يوم كيبور - مفاجأة لنا برغم أنه متوقعاً . . . كما يجب أن نضيف أن قوات العدو (العرب) قد شنت هجوماً بكفاءة أكبر بكثير مما كان مقدراً عند وضع خططنا » .

ويسجل أليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى رأيه قائلاً:

" إن حرب أكتوبر هى حرب تختلف عن كل الحروب التى خضناها ضد العرب .

كانت المبادرة دائماً فى أيدينا ، وكان التحرك بالنسبة إلينا أمراً سهلاً لأننا نحن الذين كنا نهاجم ، ولكن هم الذين هاجموا . ومعنى ذلك أن التوقيت لهم والهجوم لهم ، أما المفاجأة فهى التى لنا . وأصبح علينا أن ندافع ، وهذا أمر مرير كان يحز فى نفوسنا " .

أما الدكتور وليم كوانت مساعد مستشار الأمن القومى الأمريكي ، فقد كتب يقول :

" لقد كان نشوب حرب أكتوبر مفاجئاً لإسرائيل والدول العربية والعالم بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية حيث لم تتوقع أغلب دول العالم نشوبها " .

*** وتوالت الاعترافات والشهادات لاقتدار التخطيط المصرى السورى:**

الدهاء العربى يتغلب على الذكاء اليهودى:

لم تكن خطة الخديعة العربية لتنجح لو لم يبق سر موعد بدء المعركة طى الكتمان .

وقد انحصر موعد المعركة فى عدد قليل جداً ، ولم يعرفه القادة فى الجبهة إلا قبل الهجوم بساعات قليلة وكان التحرك نحو الجبهة يتم ليلاً فقط ، كما لم يسمح للجنود الذين وصلوا حديثاً إلى الجبهة بدخول مدن القناة والقرى الواقعة حولها ، كما ألغيت الإجازات من ٢٨ سبتمبر .

وقبل نصف ساعة فقط من الهجوم فى منطقة قناة السويس، شوهد الجنود المصريون وهم يسيرون على طول القناة بملابسهم الداخلية وبدون سلاح، وذلك لإظهار أن هذا يوم هادئ . كما شوهد فى موقعين أطفال يلعبون على التلال الترابية فى الجانب المصرى للقناة.

إن خطة الخديعة العربية كانت كاملة، وتم تنفيذها كما يجب. ومع أن إسرائيل قد شعرت منذ مرحلة معنية بما يجرى إلا أنها لم تصدق ما يجرى.أمام أعينها. . وعندما بدأت الحرب . . وحتى قبل ذلك . . رأى الإسرائيليون كيف أن الدهاء العربى قد تغلب على الذكاء اليهودي.

(توقيع)
زئيف شيف
الخبير والمحرر العسكرى الإسرائيلي

« إن حرب أكتوبر لم تكن انتصاراً للعرب بقدر ماكانت هزيمة لنا نحن، إذ إنها- هذه الحرب - سخرت من المخابرات الإسرائيلية وهزمتنا أمام أنفسنا. . لقد تأكد لدى خبرائنا أن المصريين لن يحاربوا ، وأنهم إذا حاربوا فلن يكون فى أكتوبر، وإذا كان فى أكتوبر فإنهم على أى حال لن يعبروا القناة ، وإذا عبروها فلن يكون ذلك إلا على جثث مائة ألف مصري، ولن يستمر عبورهم أكثر من بضع ساعات، بعدها تدخل القوات الإسرائيلية إلى قلب مصر، وتصفى حسابها النهائى مع المصريين».

(توقيع)
رئيس وزراء إسرائيل قبل وأثناء
حرب ٦ أكتوبر ١٩٩٣

«إن التمويه والخداع كان متقناً ومحبوكاً فى تنسيق كامل ومنسجم بين القيادتين المصرية والسورية. وقد نفذت كل من البلدين برنامجاً محدداً لهذا الغرض إلى أن قامت الحرب».

(توقيع)
المحرر العسكرى لجريدة التايمز

« إن الشعار الذى أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) لم ينته بموته، بل تبناه حرفيًا وريثه فى الحكم (أنور السادات)، ولكن فى

بعض الأحيان، لم يعمل بهذا الشعار، للقيام بعملية تضليل لم يسبق لها مثيل فى التاريخ، فقد تم تليينه، وتغييره، وإعطاؤه تفسيرات جديدة، حتى إنه، فى لحظة معينة، أخلى مكانه لإعلان السادات عن استعداده للتوصل إلى سلام مع إسرائيل».

(توقيع)
يشعياهو بن - فورات
وبقية مؤلفى كتاب «المحدال»

«لقد فشلت المخابرات الأمريكية فى تحليل الموقف على الجبهتين المصرية والسورية فانقسم المحللون إلى حمائم وصقور، ولكن رأيهم أوصل إلى نتيجة واحدة، فبينما كان «الحمائم» يعتقدون أن القيادة السياسية فى مصر وسوريا لن تلجأ إلى الحرب كوسيلة لحل الأزمة، فإن «الصقور» كانوا يعتقدون أن العرب يعرفون جيداً أنه ليس بمقدورهم هزيمة إسرائيل، ومن ثم فإنهم لن يجرؤوا على بدء الحرب معها.

وهكذا اجتمع رأى الفريقين على استحالة قيام مصر وسوريا بشن حرب على إسرائيل.

إن هذا الخطأ (فى فهم النيات العربية) لم تقع فيه وكالة المخابرات المركزية وحدها، وإنما شاركها فيه العديد من أجهزة المخابرات العالمية».

(توقيع)
اللفتنانت جنرال دانيال جراهام
رئيس وكالة المخابرات العسكرية الأمريكية

«شهادة ..لها قيمتها»

«كان التخطيط المصرى لعمليات أكتوبر تخطيطاً بارعاً وقيقاً، فلقد قامت القيادة المصرية بدراسة نقط القوة والضعف فى عدوها، وكان السؤال الرئيسى المطلوب الإجابة عنه هو:

«ما نوع العمليات الذى يحقق أهداف المعركة، ويسبب لإسرائيل الخسائر المؤلمة؟».

وقد توصلت القيادة المصرية فى دراستها إلى أن نقط القوة فى إسرائيل تتركز فى التالي:

١ - استماتتها فى البقاء.

٢- تفوقها التكنولوجى (حسب تصورها) .

٣- قدرتها على تدريب قوتها البشرية عسكريًا .

٤- كفاءة نظام التعبئة فيها .

٥- الدعم الواسع اقتصاديًا وعسكريًا وتكنولوجيًا (وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية) .

أما نقاط الضعف فى إسرائيل فقد حددتها القيادة المصرية كالتالي :

١- الحدود الممتدة الواسعة مع الدول العربية والتى تصل إلى ٥٠٠ ميل .

٢- صغر حجم سكانها (أقل من ٣ ملايين فى مقابل ٨٢ مليون عربى) .

٣- اقتصادها المرهق بالمجهود الحربي .

٤- الخيلاء الطائشة التى أصابت رؤوس قادتها بعد حرب ١٩٦٧ .

٥- التأثير الخطير الذى ينجم عن التعبئة المستمرة فيها .

هكذا حددت القيادة المصرية نقط القوة والضعف في عدوها وبنت عليها خطتها لحرب أكتوبر- وبالفعل تحت هذه الظروف - تحولت مصر إلى الهجوم، واستولت على عنصرى المبادأة التكتيكية والاستراتيجية » .

(توقيع)
الميجور جنرال فارار هو كلى
فى بحث معهد الدراسات
الاستر تيجية بلندن

الاقتدار والحكمة:

« إن الجيش المصرى قد مزج بين الخطط المحكمة والشجاعة والبسالة ، مما جعله يبهر إسرائيل والعالم أجمع .

لقد قدر السادات وأحمد إسماعيل على - الذى عين قبل الحرب بقليل قائداً عامًا لقوات الاتحاد الثلاثى الذى يضم مصر وسوريا وليبيا- قدراً جوانب القوة والضعف فى العدو بصورة محكمة . وتم ذلك باقتدار وحكمة فريدين » .

(توقيع)
جان كلود جيبوه
(فى كتابه أيام إسرائيل الرهيبة)

ثلاث هزائم فى ثلاثة أيام:

فى أكتوبر ١٩٧٣ اقتحمت القوات المصرية قناة السويس بفضل كفاءة التخطيط والأداء. بحيث يمكن الجزم بأن عملية العبور لا يمكن لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل أفضل منها.

« إن العبور المصرى للقناة يعتبر فى الحقيقة أعظم إنجازات حرب أكتوبر، وقد هزمت إسرائيل فى يوم ٦ أكتوبر وقبل انقضاء الليل وفقدت معظم دباباتها التى كانت مرابضة فى القلاع والحصون، وفى اليوم التالى قامت إسرائيل بهجوم مضاد آخر، وقد فقدت المزيد من دباباتها ومنيت بالهزيمة الثانية، وفى اليوم الثالث للحرب وفى هجوم مضاد عام لقيت إسرائيل الهزيمة الثالثة، وكان ذلك فى يوم الإثنين الذى أطلقوا عليه « يوم الإثنين الأسود».

إن التخطيط المصرى الذى قاد إلى هذه النتائج، قام على عدة أسس توصل إلها المصريون وهى :

١- من المستحيل إحراز نصر عسكرى كامل لأى من الجانبين، فهذا هو ما لن تسمح به القوتان العظميان.

٢- يجب عمل كل ما هو ممكن للحد من فعالية التفوق الاسرائيلى فى القتال الجوي، ومنع طيرانهم من دعم عملياتهم البرية.

٣- يمكن التغلب على التفوق الإسرائيلى الفنى التكتيكى وبصفة خاصة فى سلاح المدرعات المتحركة باستخدام تكتيكات دقيقة وباستخدام الصواريخ المضادة للدبابات.

٤- بالتدريب والنظام والتوعية يمكن بعث الثقة فى نفس الجندى المصرى وفى سلاحه، كما يمكن أن تبث فيه روح الصمود فى القتال وخصوصاً فى القتال الدفاعي؛ حيث يعتبر المصريون أنفسهم متفوقين على الإسرائيليين.

بالإضافة إلى هذه الأسس. . ظهر ذكاء المخطط المصرى حين ركز على نقاط الضعف الإسرائيلى والتى يجيء فى مقدمتها:

١- حساسية إسرائيل تجاه الخسائر البشرية، ، وأثر ذلك حين يتم إجبارها على الدخول فى حرب تكبدها خسائر فادحة فى الأرواح.

٢- الغرور الإسرائيلي الزائد . . وكيفية استغلاله فى تحقيق المفاجأة .

« خبير عالمي »

الحب الذى وقعت فيه إسرائيل:

ليس هناك أى شك فى أن قرار مصر وسورية بشن الحرب ، نجم عن الشعور بأن إسرائيل وقعت فى حب« الوضع الراهن ، والجو العسكرى والسياسي » وأن الولايات المتحدة والدول الغربية ليست مستعدة لممارسة ضغوط ذات معنى على إسرائيل من أجل إعادة الأراضي .

لذلك جاءت الخطة التى بنى عليها القرار- مترابطة تماماً فى جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية . يجب علينا أن نعترف بأنها خطة عبقرية فى واقعيتها .

(توقيع)
كاتب إسرائيلى معروف كتب سلسلة
مقالات بعد عام واحد من حرب أكتوبر
تحت عنوان
« عام خيبة الأمل والاحتجاج »

« كان التخطيط المصرى دقيقاً إلى أقصى حد »

(توقيع)
بريميا يوقيل
المراسل الحربى الإسرائيلي

« إن الواحد والعشرين شهراً التى مرت بعد ديسمبر ١٩٧١ فى هدوء قد أساء الإسرائيليون فهمها ، ذلك أنه ابتداءً من ذلك التاريخ (ديسمبر ١٩٧١) كان الرئيس السادات قد أعد الشرك الذى نصبه بمناوراته الكبرى التى خدرت تماماً كل حذر لدى إسرائيل » .

« والحقيقة هى أنه كلما كان السادات يكثر من تهديدات الحرب- شخصيًا أو عن طريق جهات أخرى كانت ترشدها وتوجهها أجهزته فى الجيش والإدارة- كان يضعف استعداد إسرائيل للنظر بجدية إلى أقواله ، وكان رد الفعل الإسرائيلى الدائم «هذا غير جاد . . لن يحدث أى شيء» .

إن رد الفعل هذا- أو بدقة أكثر- عدم وجود رد الفعل ، كان النتيجة المرجوة لخطة التضليل التى أعدها . وإن هذا هو أساس الكارثة التى حدثت فى هضبة الجولان

وسيناء فى السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣».

(توقيع)
يشعيا هو بن - فورات- يهوناتان جيفن
أورى دان.. وبقية مؤلفى «المحدال»

كانت الطمأنينة تسود إسرائيل بأكملها شعباً وجيشاً، وكانت التقديرات القائلة بأن مصر لن تجرؤ على شن حرب تتدعم كلما زاد السادات من وعوده بأنه سيحارب دون أن ينفذ هذه الوعود.

(توقيع)
زئيف شيف

«فى الخامس والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ أرسل ألبرت ماندلر قائد سلاح المدرعات بأحد رجاله الأكفاء، (ضابط شاب) ليرسل له بتقارير مباشرة من أحد مراكز المراقبة على ضفة قناة السويس.

وكانت أولى بلاغات هذا الضابط التى أرسلها من برج المراقبة:

«إننى لا أرى فى الخط أى شيء خاص، ولكن هنالك حركة كبيرة فى العمق»

ولم يتمكن هذا الضابط من رؤية أجهزة العبور التى أخفيت بصورة جيدة ولقد استمر فى إرسال تقاريره مباشرة إلى مركز قيادة ألبرت.. إلى أن حدث الانقضاض المصرى، وقد أسر بعد أن جرح من الطلقات الأولى فى الحرب».
(عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية)

كانت الضربة التى تلقاها موشيه ديان باعتباره رمزاً للجيش الإسرائيلي) فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣، (عندما عبر جيشا مصر وسوريا خطوط وقف إطلاق النار بمساندة دول عربية أخري). كانت ضربة صاعقة.

فلقد كانت تشتمل على نقض تراجيدى وشامل لكل نظرة ديان، ورؤيته للعالم فى ذلك الوقت.

فقد اندلعت الحرب بصورة غير متوقعة، فى موعد غير متوقع، وبأبعاد غير متوقعة.
«مؤلفو كتاب المحدال»
«يشعياهو- بن فورات»
«وزملاؤه الستة»

«إن فشل إسرائيل الذريع فى التنبؤ بحرب أكتوبر يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي :

١- خلال السنوات الأربع السابق للحرب، ركزت المخابرات الإسرائيلية على مكافحة العمل الفدائي، وخاصة الأعمال الجريئة التى قام بها الفدائيون الفلسطينيون فى الخارج.

٢- العجز التام عن إدراك أن العرب قد يشنون حرباً تقليدية حتى إن موشيه ديان ورؤساء الأركان المتعاقبين كرروا اعتقادهم بأن العرب لم يعد فى مقدورهم سوى القيام بعمليات إرهابية عشوائية وذلك على وجه التحديد؛ لأنهم لا يجرءون على مواجهة إسرائيل.

٣- حين اعتقدت إسرائيل أن العرب سيشنون حرباً شاملة فى مايو ١٩٧٣ لن يحدث شيء. . . (فعادت إلى قناعتها السابقة). ذلك لأن العرب خاصة المصريين درجوا على تكرار المناورات الواسعة على القناة نفسها وأمام قوات إسرائيل فى حصون خط بارليف.

هذا وقد توصلت المخابرات الأمريكية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ إلى أن المناورات التدريبية التى تقوم بها القوات المصرية تتم فى تشكيلات تصل فى ضخامتها إلى مستوى الفرقة الكاملة، مع ملاحظة أنهم يقومون بتجميع إمدادات كبيرة، إلا أنه بسؤال إسرائيل بشكل محدد «وعلى مستوى عال جداً قيل لرجل المخابرات الأمريكية، إن الأمر لا يستدعى الخوف. فالمصريون لن يحاربوا».

وهكذا استطاع العسكريون أن يلعبوا بالإسرائيلين.

(توقيع)

الكاتب الصحفى البريطاني« بينز برينجل»

« قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣، كانت هناك أمثلة تاريخية عديدة تتعلق بشن هجوم مباغت على العدو، نذكر منها ما حدث من جانب فرنسا فى مايو ١٩٤٠، ومن جانب الاتحاد السوفييتى فى يونية ١٩٥٠، وتشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨، ولكن الاتجاه العام كان يعزى هذه الأحداث للماضى، ويسلم بالفكرة القائلة إن المباغتة العسكرية أصبحت مستحيلة فى عصرنا الذى يتميز باستخدام أسلحة بالغة التعقيد من الناحية الفنية.

وفى الحالة الخاصة بمسرح العمليات العربية الإسرائيلية فى الشرق الأوسط فإن كافة الخبراء العسكريين والمسئولين السياسيين واثقون بأن العرب لن ينجحوا أبداً فى مباغتة الجيش الإسرائيلي، وكانت الأدلة المبررة لذلك وفيرة بل ومتنوعة.

فأولاً كانت هناك ثقة بالغة فى أجهزة المخابرات الإسرائيلية التى كان يقال عنها إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم، خاصة أنه كان معلوماً للجميع أن الأجهزة الأمريكية الخاصة على صلة وثيقة بها.

ثم إن مناطق الاحتكاك الخطيرة، والتى هى مراقبة باستمرار، تتميز بأبعادها الصغيرة بسبب كونها عبارة عن مساحة ١٥٠ كيلو متراً طولاً، و٢٠ كم عرضاً على الجبهة المصرية، و ٧٥كم طولاً، و٣٠ كم عرضاً على الجبهة السورية، يضاف إلى ذلك أنها مناطق تسهل مراقبتها بالعين المجردة، وبالطبع بواسطة الوسائل الإلكترونية بسبب كونها مناطق منبسطة جرداء لا تكاد تكون مسكونة، تسيطر عليها مرتفعات يحتلها الإسرائيليون وهى جبال سيناء وجبل الشيخ. فضلاً عن ذلك، فقد كان باستطاعة طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية الاستطلاعية الأمريكية أن تصور كل العمق فى المناطق العربية الخلفية.

ونادراً ما تجتمع مثل هذه الظروف الصالحة لمراقبة جبهات معادية، ولهذا بدا عنصر المباغتة مستبعداً. خاصة أن عائقاً صناعيًا من الصعب اجتيازه (هو قناة السويس) يحمى الخط الإسرائيلى الأول ويتيح مقاومة سهلة وفعالة. . . ومن الناحية السياسية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية واثقة بأنها تستطيع السيطرة على مصر، مستندة فى ذلك إلى حجج سياسية واقتصادية ونفسية.

وفى النهاية كان هناك اعتبار دينى يدعم مشاعر الاطمئنان التام. ألم يكن العالم الإسلامى يحتفل بشهر رمضان، شهر الصوم الذى يقل فيه النشاط فى المجالات كافة ؟!

وبرغم كل هذا، وأمام دهشة العالم كله، كانت المفاجأة العربية فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . لقد حدث ما كان غير متوقع، على عكس التأكيدات المنافية من جانب كافة رجال السياسية والخبراء العسكريين والصحفيين والمتخصصين فى البلاد كافة.

(توقيع)
الخبير العالمى الجنرال أ. مرجلين

لقد أخذ العرب زمام المبادرة، وأثبتوا أنهم قوة لا يستهان بها وقد فشلت المخابرات الإسرائيلية التى كثرت الدعاية حولها فى التقدير السليم لنيات العدو» .

(توقيع)
ناحوم جولدمان

«تشير التصريحات الصحفية التى حصل عليها المراسلون الأجانب فى إسرائيل - والتى تشكل خلفية الأيام العشرة السابقة على حرب - إلى العنصر الأساسى فى سوء تقدير الإسرائيليين للموقف، وفى حسن استخدام العرب لعنصر المفاجأة. فقد أكد كبار الشخصيات الإسرائيلية فى تلك الأيام، اعتقادهم بأن القادة العرب ليسوا مستعدين للحرب، وأنهم إذا ما فعلوا ذلك فسوف يهزمون دون شك .

ولقد كان تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مماثلاً تقريباً لتقدير إسرائيل؛ فقد نظرت فى البداية إلى عملية الحشود باعتبارها تنذر بشؤم بالغ، ولكن الثقة فيما يتصل بنيات العرب كانت حاسمة وبددت تلك المخاوف .

إن حكمة وفطنة القيادة العربية حبكت التمويه، وتم التعزيز بالمخابرات الإسرائيلية والأمريكية ففشلت تحليلاتها. ويقول أحد رجال المخابرات الأمريكية فى واشنطن : «لقد بدا اهتمام العرب بالعمل الديبلوماسى من الضخامة بحيث تم تضليلنا بالرغم من وجود شواهد على تحركات عسكرية» .

ومن جهة أخرى فإن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية لم تجد أن المناورات المصرية حاسمة بشكل مؤكد (ولو أن هذه المخابرات وتلك قد عرفت -مثلاً- أن القيادة المصرية كانت تحرك لواءً فى الصباح، ثم تعيد منه فى نهاية اليوم كتيبة واحدة فقط أى ثلث القوة - لأدركت أنها مناورات حاسمة !! » .

(توقيع)
الكاتب البريطانى جون باري

أخيراً :

إذا كانت هذه النماذج من الشهادات الإسرائيلية والعالمية، بالتفوق الكاسح لفريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه ثم المفاجأة، كافية إلى حد كبير، إلا أننى أود أن أختتم هذا الفصل المثير بالاعتراف الرسمى للقيادة الإسرائيلية بهزيمة عقولهم ومخابراتهم فى هذه الجولة (بالإضافة إلى جولات أخرى) .

ويأتى هذا الاعتراف الرسمى الموثق من خلال تقارير لجنة «أجرانات» وهى لجنة التحقيق التى شكلت برئاسة شمعون أجرانات القاضى فى المحكمة الإسرائيلية العليا، وذلك فى أعقاب طوفان أكتوبر ١٩٧٣، وقد أصدرت اللجنة تقريرها الأول فى أول أبريل ١٩٧٤، ثم أصدرت تقريرها الثانى فى ١٠ يوليو ١٩٧٤.

وأعتقد أنه من الأهمية بمكان أن تقرير أجرانات يشير إلى فشل آخر للمخابرات الإسرائيلية فى هذه الجولة - وهو فشلها فى «استخبارات الميدان» وهى تقارير المخابرات والاستطلاع عن سير العمليات وأوضاع وتحركات وأسلحة القوات المصرية. هذا وقد تعمدت ألا أشير إلى هذا الجانب فى الصفحات السابقة مكتفياً بما سأسجله الآن.

ماذا قالت لجنة أجرانات ؟

وبماذا أوصت من عقوبات ؟

قال تقرير لجنة أجرانات ما نصه :

« لقد فاجأ بدء مصر وسوريا الحرب يوم ٦/ ١٠/ ١٩٧٣ فى الساعة ١٤,٠٠ تقريباً الجيش الإسرائيلى، لأن القيادة العليا، السياسية والعسكرية، لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر فى ذلك اليوم أن حرباً شاملة ستبدأ. وحتى عندما أصبح واضحاً للقيادة العليا أن الحرب ستندلع، افترضت خطأ، أنها ستندلع فى الساعة ١٨,٠٠ (السادسة مساء).

وينبغى إلقاء التبعة الرئيسية لهذه التقديرات الخاطئة، على رئيس شعبة الاستخبارات فى الأركان العامة، وعلى مساعده الرئيس المسئول عن قسم الأبحاث فى الاستخبارات العسكرية.

فقد أخفقا بإعطائهما الجيش الإسرائيلى إنذاراً غير كاف، وفقط فى نحو الساعة ٤,٣٠ صباح السبت ٦/ ١٠/ ١٩٧٣ أعلن رئيس الاستخبارات، اعتماداً على معلومات جديدة تلقاها، أن العدو يزمع بدء الحرب فى الساعة ١٨,٠٠ تقريباً على الجبهتين، ولم يمكن هذا الإنذار القصير المدى من تعبئة الاحتياط بصورة منظمة.

لقد كانت هناك ثلاثة أسباب لفشل الجهات المسئولة عن التقييم :

١ - تمسك هذه (الجهات) بالمفهوم الذى يقول بأن مصر لن تشن حرباً على إسرائيل إلا بعد أن تضمن لنفسها فى الدرجة الأولى، القدرة الجوية لمهاجمة إسرائيل

فى العمق، وخصوصاً المطارات الإسرائيلية لشل سلاح الجو الإسرائيلى، وكذلك الاعتقاد بأن سوريا لن تشن هجوماً شاملاً على إسرائيل إلا فى وقت واحد مع مصر (دون بحث إمكانية تحقيق ذلك).

٢ - وعد رئيس الاستخبارات الجيش الإسرائيلى بإعطاء إنذار مسبق حول نية العدو لبدء حرب شاملة. . ولم يكن هناك أساس لإعطاء هذا الوعد المطلق.

٣ - عللت هذه (الجهات) وجود حشود مصرية وسورية على طول الخطوط بأن ذلك يدل على استعدادات دفاعية فى سوريا، وإجراء مناورة فى مصر على غرار المناورات السابقة.

وهكذا استطاع العدو تضليل الجيش الإسرائيلى ومفاجأته تحت قناع المناورة المزعومة. .

وفى صباح يوم الجمعة فقط (٥ أكتوبر ١٩٧٣) بدأت ثقة الاستخبارات العسكرية فى صحة تقويمها تتقوض، وذلك نتيجة تلقى تقارير واضحة لايمكن أن تتوافق مع افتراض الحشد الدفاعى و «المناورة» ، ولكن حتى ذلك الحين أيضاً لم يتم استخلاص الاستنتاج السليم».

ذلك هو نص تحليل لجنة «أجرانات» لفشل (الجهات) التى وقفت فى الطرف الآخر أمام فريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه والمفاجأة، وقبل أن نصل إلى العقوبات والتوصيات التى أصدرتها اللجنة بالنسبة إلى قادة فريق العقول الإسرائيلى الذى فشل فى مواجهة فريق العقول المصرى، أود أن أشير مرة أخرى - إلى أنه يتحتم الحذر فى قبول كل ما يصدر عن إسرائيل فى هذه الجزئية المتعلقة بالمفاجأة، حتى لانبتلع الطعم الذى تحاول إلقاءه والمتمثل فى أن تحقيق العرب للمفاجأة، هو وحده الذى هيأ لهم النصر، بل إننى أشير -من جديد- إلى أن ما يدحض هذا القول أو هذا الإيحاء. . ما نشر فى صحف إسرائيل فى أيام (٤ , ٥ , ٦ من أكتوبر عن الاستعدادات العربية. . ويقظة جيش الدفاع لها وتأهبه التام والكامل للرد السريع القاصم. .

كذلك فإنه إذا سلمنا جدلاً بالنتيجة الحاسمة كلية للمفاجأة فى الأيام الأولى. . فما تفسير القوات الإسرائيلية فى المعارك التى دارت بعد انتهاء مفعول المفاجأة. . أعنى المعارك التى دارت منذ ثانى وثالث أيام القتال ؟

ونعود مرة أخرى إلى لجنة «أجرانات» لنقرأ معاً توصياتها باعتبارها الدرجة النهائية التى نالها البعض (فقط) من قادة وأعضاء فريق العقول الإسرائيلى فى جولة «الخداع والتمويه والمفاجأة» .

١ - أدلى اللواء إلياهو زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية بشهادته أمامنا وبعد مناقشته فى الوقائع المختلفة . . رأينا أنه (اللواء إلياهو زعيرا) إزاء الفشل الذريع الذى منى به ، لايستطيع البقاء فى منصبه كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية .

٢ - تولى العميد (أرييه شاليف) ، مساعد رئيس الاستخبارات العسكرية للأبحاث موضوع الأبحاث والتقويم فى الاستخبارات العسكرية ، ذلك الموضوع الذى فشلت فيه الاستخبارات العسكرية فشلاً ذريعاً ، وهو يتولى هذه المهمة منذ وقت طويل أى منذ سبتمبر ١٩٦٧ .

ويتضح من الوثائق التى أصدرها قسمه ، ومن الكلام الذى قاله فى المناقشات المختلفة أنه يتحمل أيضاً المسئولية عن الخطأ الفادح جيداً .

ولذلك فإنه لايستطيع -فى رأينا- البقاء فى منصبه فى شعبة الاستخبارات العسكرية .

٣ - المقدم (يونا بندمان) : كان رئيس (فرع مصر) فى قسم الأبحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وبالتالى كان مسئولاً عن أعمال الفرع الذى كان بؤرة الأخطاء المضللة للتقويمات وعدم التحذير من نيات العدو المصرى .

وقد قال فى استجوابه : «لقد بقى فى تقديرى أنهم (المصريين) لايعتبرون أنفسهم قادرين على الهجوم ، ولكنهم هاجموا بعد مضى أربع وعشرين ساعة من آخر تقدير لى وهذه مسألة مختلفة» .

وقد رأينا أنه يجب التوقف عن إسناد الوظيفة المتعلقة بتقويم معلومات الاستخبارات إلى المقدم «بندمان» .

٤ - المقدم دافيد جيداليا : كان ضابطاً للاستخبارات فى أركان قيادة المنطقة الجنوبية منذ سنة ١٩٧١ ، ويتضح من الوثائق ومن المناقشة أنه ارتكب أخطاء خطيرة .

وفى رأينا أنه (المقدم دافيد جيداليا) لم يقم بواجبه كضابط استخبارات فى الجبهة الرئيسية ، خلال الأيام التى كان فيها للوقوف على نيات العدو المصرى أهمية خاصة ، وبناءً عليه يجب ألا تسند إليه بعد الآن مهمات استخبارية .

أخيراً :

ترى اللجنة أنه يبقى على صاحب الصلاحية فى القوات المسلحة إجراء التغييرات اللازمة فى الأشخاص الآخرين - غير الذين مثلوا أمامنا من أصحاب المناصب فى الاستخبارات العسكرية .

يقول التاريخ :

يقول التاريخ المصرى إن المصريين عرفوا وسائل خداع العدو والتجسس عليه منذ أكثر من ١٥ قرناً قبل الميلاد . . مثلما حدث من سقنن رع مع ملك الهكسوس فى عام ١٥٩٠ ق . م .

ومثلما فعل ابنه كاموس بعد ذلك عندما دفع أمام قواته عناصر من الفدائيين للاستطلاع وإرباك العدو وتدميره .

ولعل أبرز قصص الخداع فى التاريخ . . ما حدث فى عهد تحتمس الثالث (١٩٨٤ - ١٤٥٠ ق . م) الذى كان يؤمن بوحدة الدول العربية منذ ذلك التاريخ ، كما أنه أول قائد رآه تاريخ الحروب يقسم الجيش إلى قلب وجناحين .

ونعود إلى أشهر وأقدم قصص الخداع الذى ابتكره المصريون قبل غيرهم وهى باختصار - أن القائد تحوتى (أحد قواد تحتمس الثالث) وصل بجنود إلى حصن (يوبا) وكان حصناً منيعاً ولم يتمكن من الاستيلاء عليه فعسكر بجنوده خارج المدينة وأرسل من جواسيسه من أوهم أمير (يوبا) بأنه (تحوتى) خان سيده فرعون مصر (تحتمس الثالث) وأنه تخلف مع بعض جنوده المتمردين على فرعون الذى غادر يوبا بعد ما يئس من الاستيلاء عليها وعاد بجيوشه إلى مصر ، ويريد تحوتى التعاون معه (مع أمرى بويا) كما أنه أحضر معه الكثير من الهدايا المصرية ومن نفائس فرعون وأسلحته السحرية وهو يود أن يقدمها إليه وإلى الأميرة بصفة جزية ثمناً لانضمامه إلى حاشيته ، كما أخبره (عن طريق جواسيسه أيضاً) أنه سرق صولجان تحتمس السحرى الذى ذكرت الأساطير أن ضربة منه تكفى لأن يفقد عدوه وعيه . وابتلع أمير «يوبا» الطعم وأقام تحوتى وليمة فى معسكره (لأمير يوبا) وحاشيته أسرفوا فيها فى شرب الخمور حتى فقدوا الوعى فقيدهم جميعاً، بينما كانت أصوات الدفوف والطبول تلهى حرس الأمير وجنوده خارج الخيمة عما يدور بداخلها .

وأحضر (تحوتى) مائتى قدر كان قد أعدها خصيصاً، ووضع فيها مائتى فارس من المحاربين الأشداء يحمل كل منهم قوسه وسهامه ومعداته الحربية، وحمل كل اثنين منهم (داخل القدور) على حصان حربى، ثم أرسل رسلاً من رجال الأمير ليخطروا الحراس بفتح أبواب القلعة، والسماح لقافلة الهدايا المرسلة للأميرة بالدخول لتسليمها لها.

ورافق (تحوتي) القافلة بنفسه متخفياً فى زى سائس الخيل حتى إذا دخلت القافلة إلى ساحة القلعة خرج الجنود بأسلحتهم من القدور وهاجموا القلعة (من الداخل) واستولوا عليها بعد أن قيدوا قادتها بالسلاسل التى أحضروها معهم داخل القدور. وهكذا سقطت (يوبا) المنيعة فى أيدى جيش مصر.

وهذه القصة مسجلة على أوراق البردى فى شكل رسالة من القائد المصرى تحوتى إلى تحتمس الثالث يعلن له فيها سقوط يوبا وقلعتها ويشرح له الخدعة التى حبكها ونفذها. ومن المعروف أن قصة حصار طروادة بجوانبها الأسطورية والواقعية تدل على استفادة الإغريق من التاريخ المصرى، كما أن امتداد هذه القصة فى التاريخ الحربى الحديث واضح وبارز. ولعلنى قد سجلتها الآن.. لأنه دليل آخر يؤكد عراقة الإنسان المصرى العربى فى فنون الحرب ابتداءً من الخداع والمفاجأة.. ثم التنفيذ الشجاع..

الفصل الخامس

الفصل الخامس

كيف حارب جيش الدفاع الإسرائيلى وما صور انهياره؟!

أولاً: وقائع وصور من سير العمليات القتالية

ماذا كان يدور فى إسرائيل
من ٣ أكتوبر حتى ظهر ٦ أكتوبر؟

* * فى المقال الافتتاحى لصحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية الصادرة يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ قال رئيس التحرير:

«إن رئاسة الأركان الإسرائيلية قد اتخذت الإجراءات المناسبة لاحتمال وقوع عمل عسكرى مفاجئ».

* * وفى صحيفة معاريف الإسرائيلية «المسائية» الصادرة ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قال المحرر العسكري:

«إن قوات تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) ترقب من كثب كل ما يدور على الجانب المصرى من قناة السويس. ولقد اتخذت الإجراءات كافة لتفادى وقوع هجوم مفاجىء».

* * وفى الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر رن جرس التليفون فى منزل الجنرال زعيرا قائد المخابرات الإسرائيلية والذى استمع إلى صوت محدثه، ثم وضع السماعة ليتصل على الفور بالجنرال ديان ثم بالجنرال أليعازر ثم بالجنرال يسرائيل طال نائب رئيس الأركان. وخلال نصف ساعة كان الجميع فى مقر القيادة، وقد أيقنوا أن الهجوم المصرى السورى سيتم فى الساعة السادسة من مساء هذا اليوم (٦ أكتوبر).

* * وفى الساعة الثانية وبضع دقائق، وفى مبنى رئاسة الأركان الإسرائيلية المتعدد الطوابق وبالتحديد فى مكتب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية التف المراسلون العسكريون حول اللواء (إيلى زعيرا).. الذى أخذ يشرح لهم الموقف.. وفى اللحظة التى كان يقول لهم فيها: «إن العرب إذا بدءوا بإطلاق النار.. سوف يدعون بعد ذلك بأننا قد بدأنا الحرب» فى تلك اللحظة- دخل السكرتير الخاص لرئيس

الاستخبارات، ومد يده إليه بورقة صغيرة، ونظر فيها (زعيرا) بعجلة، ثم خرج من الغرفة ثم عاد ليأخذ قبعته وحقيبته الصغيرة وهو يرد على تساؤل أحد الصحفيين عما حدث بقوله: «سيكون كل شيء على ما يرام».

* وكانت هذه الورقة تحتوى على الكلمات التالية «لقد بدأ المصريون بإطلاق النار».

. . . .

«وفى طابق آخر من المبنى الضخم، كان رئيس الأركان يستعد لبحث بعض الأمور الخاصة بحالة التأهب التى أعلنت منذ فترة، مع اللواء إسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية، وقد وصل لحضور هذه الجلسة كل من اللواء (يسرائيل طال) نائب رئيس الأركان: واللواء موردخاى هود القائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلى.

وبينما كان المجتمعون يتناقشون فى آخر الخطوات التى انتهى تنفيذها فى مجال التعبئة العامة. أعلن المذياع الداخلى فى غرفة رئيس الأركان أن العرب قد بدءوا بإطلاق النار فى الجبهة السورية. وعلى القناة.

. . . .

وفى قاعة اجتماعات مجلس الوزراء، جلست جولدا مائير مع عدد من وزرائها يترقبون التطورات إلى أن دخل سكرتيرها العسكرى مسرعاً، وخيم الصمت على الجميع، ومال السكرتير ليهمس فى أذن جولدا مائير ببضع كلمات فرفعت عينيها، وقالت «لقد بدأ الهجوم السورى المصرى».

* «حلة اللحم». «ذئب البحر» «سيدة جميلة» كرر المذيعون هذه العبارات الموجهة إلى بعض الوحدات، وهى جزء من خطة التعبئة.

*** بيان من جيش الدفاع الإسرائيلى:**

«اعتباراً من الساعة الثانية بعد الظهر قامت القوات المصرية والسورية بالهجوم فى سيناء وفى هضبة الجولان، فى الجو والبحر. وبعد سلسلة من الهجمات الجوية على مواقعنا ومعسكراتنا بدأت قوات المشاة بالهجوم البرى. وقامت القوات المصرية بالعبور من عدة مواقع، وقامت القوات السورية بالهجوم مستخدمة المدرعات والمشاة على طول خطوط هضبة الجولان. هذا وتقوم القوات الإسرائيلية بالعمل ضد المهاجمين، وتدور الآن معارك جوية وبرية على الجبهتين».

وبعد انتهاء هذا البيان انطلق المذيع الإسرائيلي يقول بصوت حاد: «إن المعركة ضد الجيوش العربية ستكون معركة ساعات هذه المرة وليس معركة أيام».

. . . .

وفي شوارع تل أبيب رد الكثير من الإسرائيليين بلا مبالاة على التعليمات التي أخذت تتوالى من الإذاعة مطالبة بالإظلام الكامل: إن الجميع يتوقعون نصراً سهلاً.

. . . .

* وأعلن (ديان) في مؤتمر صحفي عقده في تل أبيب: «أن الجيش الإسرائيلي سوف يضرب المصريين في سيناء ضربة قاسية.. وأن هذه الحرب لن تستغرق سوى ساعات.. إننا سوف نسحق كليتهم».

. . . .

وقالت جولدا مائير:

«لقد كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم منذ بضعة أيام أن الجيوش المصرية والسورية قد حشدت للقيام بالهجوم في وقت واحد، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر ونحن لا نشك أبداً في أننا سننتصر».

. . . .

في سيناء:

في الساعة ١٥, ١٢ ظهراً وصل تحذير جديد إلى قيادة مجموعات عمليات العميد إبراهام مندلر، وصدرت الأوامر بالاستعداد والتأهب لاستيعاب القصف المدفعي. وقد اقترح عليه نائبه العميد المحلي (بينو) أن ينفذ خطة «برج الحمام»، وأن يدفع كل قواته المدرعة إلى القناة، ووافق إبراهام مندلر (الذي اشتهر باسم «ألبرت») على اقتراح (بينو) وأصدر أوامره إلى قواته.

. . . .

وفي الساعة ٤٥, ١ ظهراً عاد الجنرال (جونين) إلى قيادته من اجتماع قيادة الأركان العامة في تل أبيب، وعلى الفور اتصل بألبرت وأبلغه بقرارات القيادة العامة. وفي نهاية الاتصال التليفوني قال جونين لألبرت: «لقد حان الوقت لكي تدفع الألوية المدرعة إلى القناة».

وهنا رد عليه ألبرت باختصار وتوتر مفاجئ:

«بالفعل لقد حان الوقت. ففى هذه اللحظة بدأ المصريون يمطروننا بقنابلهم!!».

. . . .

بدأ سيل التقارير ينهمر على القيادة من المواقع الحصينة فى خط بارليف.. ولقد كانت البداية مذهلة فقد أجمعت هذه التقارير على عنف القصف الجوى ثم شدة وعنف المدفعية الثقيلة المصرية، وأبلغت التقارير عن عبور طلائع القوات المصرية وعن المعارك القاسية التى يدخلها الجنود الموجودون فى تحصينات بارليف.. بينما تعرض رجال المدرعات الذين تقدموا صوب خط بارليف لمفاجأة قاسية؛ حيث كان فى انتظارهم الجنود المشاة المصريون بقذائف آر-بى-جى، والصواريخ المضادة.

وتعالت صيحات الاستغاثة الهستيرية من أجهزة اللاسلكى من الحصون:

«المصريون يهاجموننا.. أين طائراتنا؟!.. أرسلوا تعزيزات المدرعات وجهوا المدافع نحوهم.. إنهم يهاجمون بأعداد كبيرة...».

لم يستطيع ألبرت أن يعرف أن المصريين يشنون هجوماً واسعاً على طول الجبهة إلا بعد ساعات من بدء الهجوم. ولم يعرف أيضاً أن هناك قوة برمائية مصرية قد عبرت القناة إلا بعد عبورها بمدة طويلة.

. . . .

* وصف الجنرال آمون مشهد الساعات الأولى من الحرب بقوله: «لقد اشتعلت سيناء كلها بالنيران».

* حاول جونين أن يقدر الموقف من خلال التقارير اللاسلكية التى تصل تباعاً إلى قيادته.. ولكنه فشل.

وبعد ذلك أدرك أن معدل العبور سريع فى القطاع الشمالى من القناة.

* كان الهجوم المصرى قد بدأ فى ساعة الصفر بغارات جوية كثيفة قام بها نحو ٢٤٠ طائرة. وقد وصل منها إلى شرم الشيخ ١٢ طائرة.

وقد اتضح أن الأهداف التى كلفت هذه الطائرات بضربها وتدميرها هي: ثلاثة مطارات فى سيناء- بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات (الصواريخ الهوك)- ثلاثة

مواقع قيادة وسيطرة- محطات الرادار- مراكز تجمعات المدفعية- مراكز الشئون الإدارية.

وكذلك حصن «بودابست» الذى أقيم فوق رمال شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

* وخلافاً للنظرية الحربية السوفييتية، لم يقم المصريون بعملية قصف مدفعى طويلة، بل جاء هجومهم سريعاً بعد نحو ربع ساعة من القصف، وكانوا يوجهون إلى المواقع الإسرائيلية نيران نحو ٢٠٠٠ مدفع من جميع الأنواع، وفى اللحظات الأولى انهال على هذه المواقع الحصينة عشرة آلاف وخمسمائة قذيفة بمعدل مائة وخمس وسبعين قذيفة فى الثانية. . وكانت الموجات الأولى من المهاجمين من المشاة، وقد وصل هؤلاء إلى الجانب الآخر من القناة، وتمركز كثيرون هناك. . وبدءوا فى إقامة رءوس جسور فى عمق من ٢-٣ كم. وكان من بين هؤلاء صائدو الدبابات ووحدات كوماندوز.

* كان هجوماً ضخماً واشترك فى المرحلة الأولى نحو عشرة آلاف مقاتل. ولإزالة الموانع الترابية الواقعة على ضفة القناة فى جانبنا، استعمل المصريون رشاشات ماء قوية جداً تعمل بقوة ضغط هائلة وأحدثت تيارات الماء المندفعة بقوة فتحات فى المانع الترابى، وقام المصريون بالعبور مستخدمين مئات القوارب من مختلف الأنواع: مطاطية وخشبية وقصديرية. وجرت هذه المحاولات على طول القناة. وقد سجلت فى سبعة أماكن على الأقل جهوداً مركزة. وعلى ما يبدو فقد توقع المصريون مقاومة شديدة، لذلك فضلوا -أن يعبروا القناة فى أماكن عديدة من خلال افتراضهم بأنهم سينجحون فى بعضها.

وبعد عشرين دقيقة من بدء القصف شوهدت دبابات برمائية فى مياه البحيرة المرة قرب كبريت، وكانت هذه الدبابات الخفيفة وكذلك حاملات الجنود المدرعة البرمائية أيضاً هى طليعة التوغل فى سيناء. وقد طوقت القوات الإسرائيلية فى هذه المنطقة وبدأت الاتصال بوحدات الصاعقة عند ممرات متلا والجدى كان هدف الموجة الأولى من الهجوم الاستيلاء على المانع الترابى الذى أقامه الجيش الإسرائيلى، وكان على المهاجمين التمركز أولاً فى الأماكن التى أراد رجال الهندسة المصريون إقامة جسور عليها، وقام عدد من المهاجمين بإشعال المواقع الإسرائيلية فى خط بارليف. كما تسلقوا الموانع الترابية بواسطة سلالم وانتشروا كالجراد وعند وصول موجة جديدة من العابرين، كانت الموجة الأولى تنزل وتتقدم إلى الأمام

مسافة مائتى متر. وكانت النيران تعطل رجال الحصون الإسرائيلية عن عملية الاستكشاف، بل إنهم بدءوا يتعرضون لهجوم المشاة.

كان المصريون يعملون، وكأنهم يقومون بمناورة حربية بعد تمرينات كثيرة، واستعانت الموجة الأولى برجال الضفادع. وكانت هناك شاحنات مصرية شوهدت وهى تقترب من القناة باتجاه معاكس وتلقى إلى الماء بقطع من الأخشاب، وقطع من الجسور، وتم تجميع هذه القطع. وخلال نحو نصف ساعة أقيم جسر لسلاح المشاة. وتدفقت فى الجولة الثانية على هذه الجسور ثلاث فرق من سلاح المشاة وخلال ساعات قلائل نجح المصريون فى نقل أكثر من أربعين ألفاً من سلاح المشاة إلى سيناء. وفى الوقت نفسه بدأ سلاح الهندسة فى إقامة جسور لعبور المدرعات الأثقل.

. . . .

وكان المنظر الذى واجه رجال حصون خط بارليف يشبه الكابوس فقد كانت كميات النيران المصرية، وأعداد المهاجمين أموراً أذهلت الكثيرين، وقد فتح بعض رجال المعاقل نيران أسلحتهم الخفيفة ومدافع الهاون. ولكن ذلك كان قطرة فى بحر!!

ومن جهة أخرى كانت الطائرات الإسرائيلية قد تلقت تعليمات اللواء «بينى بيلد» قائد السلاح "الجوى أمر الاستنفار" لمهاجمة المصريين عند القناة. وكان الأمر هو ضرب كل هدف يتراءى لهم.

وقد كانت هناك مشكلة تواجه عمل الطيران الإسرائيلي، فليس أمامهم مهلة سوى ساعتين فقط يحل بعدهما الظلام.

. . قامت الطائرات بغارات عديدة على القناة والعبادية والزعفرانة لكن بطاريات الصواريخ المصرية أخذت تتصدى لها بعنف وسقط فى أول غارة خمس طائرات سكاى هوك وطائرة فانتوم.

هذا وقد واكب عملية العبور عملية أخرى أخطر وأهم، فقد قامت طائرات الهليوكبتر المصرية بإبرار أعداد كبيرة من وحدات الكوماندوز المصرية على الخط الممتد من رأس سدر إلى طاسة إلى بالوظة كما كانت هناك وحدات أخرى شرقى هذا الخط بأعداد وإمكانيات وفيرة. ولم تكن الهليوكبتر هى وسيلة الكوماندوز المصريين الوحيدة، لقد تسللوا أيضاً من البحر والبر.

حتى صبيحة اليوم الثانى (٧ أكتوبر ١٩٧٣) كانت القوات المصرية قد وسعت رءوس الجسور، ووصلت حتى عمق ٦-٨ كم واستعدت لمواجهة الهجوم الإسرائيلى المضاد.

وكان من الواضح أن مراحل العبور قد تم التخطيط لها بأدق التفاصيل وقد أعدت الخطة بدقة ومهارة متناهيتين.

ولذلك فإنه بينما كان أكثر المتفائلين يقدرون أن عملية العبور ستكلف المصريين أكثر من ٣٠ ألف شهيد. لم تبلغ الخسائر الحقيقية التى تكبدوها فى عبورهم القناة والساتر الترابى سوى مائتى جندي.

. . . .

وقد تعرضت المعابر التى أقامها المصريون لغارات شديدة فى اليوم الثانى من الحرب، لكن تصميم المعابر ونظام تركيبها، وجرأة الجنود مكنتهم من استبدال الأجزاء المصابة بسرعة شديدة. كما كانوا يغيرون أماكن هذه المعابر.

. . . .

حتى منتصف ليلة ٧ أكتوبر كانت الفرقة السابعة مشاة المصرية قد استكملت نقل قواتها إلى سيناء وعبر معها اللواء ٢٥ مدرع.. وتم إبرار كتائب جديدة من الكوماندوز المصريين.. بينما امتدت عشرة معابر على القناة.

. . . .

كان ألبرت قد وجه مدرعاته إلى حصون بارليف لمساندتها وإيقاف العبور. وكان قد تكهن بأن الهجوم المصرى الرئيسى سيكون من الشمال، ولذلك أمر لواء «جابى» المدرع بالتحرك إلى هناك، وكلف العقيد «أمنون» بقيادة القطاع الأوسط مع لوائه، وكلف العقيد «دان» بالتحرك غرباً فى الجنوب عن طريق مضيق الجدي، والاستعداد فى جنوب البحيرات المرة. وقد وزع الدبابات الثلاثمائة بالتساوى على ألويته الثلاث، وكان يظن أن قواته المدرعة قد وصلت جميعها إلى الحصون، ما عدا الحصن الواقع على لسان بور توفيق.

حاول بينو (نائب ألبرت) أن يستوضح صورة المعارك، ولكنه لم ينجح لغموض التقارير التى وصلت إلى القيادة، ولتناقضها أيضاً. وقد استقل طائرة هليوكبتر وحلق بها فوق الطرق والمحاور حتى ممرى متلا والجدى وقد أنهى هذه الجولة بسرعة بعد

أن تعرض للإسقاط عدة مرات. وحتى ذلك الوقت لم يكن ألبرت وجونين يشعران بضرورة إخلاء الحصون.

وتم اتصال من القيادة العامة. . أبلغ فيه جونين بضرورة إخلاء الحصون التى لا تستطيع الصمود.

وفى منتصف الليل نقل جونين قيادته إلى أعماق سيناء.

. . . .

وكانت نتائج الهجوم المضاد الذى بدأ منذ صباح الأحد مزعجة للغاية. واستأنف المصريون هجومهم. وبدأت القيادة الإسرائيلية تشعر بنتائج القتال الليلى. وكان موقف القوات كالتالى:

موقف اللواء المدرع قيادة العقيد أمنون:

- بالنسبة إلى اللواء أمنون بمجرد أن تحركت كتائبه إلى الأمام فى اتجاه المواقع المحددة من قبل. . فوجئت بأن المشاة المصريين قد احتلوا هذه المواقع، وأمطروا الدبابات المتقدمة نحوهم بوابل من قذائف البازوكا، وفى الوقت نفسه انطلقت الصواريخ المصرية من على السواتر الرملية الموجودة على ضفة القناة الغربية.

«لقد تحولت شبه الجزيرة كلها إلى شعلة من النيران، ونزلت بدباباتنا خسائر فادحة دون أن تتمكن من إيقاف تدفق موجات المشاة المصريين» (هذا ما ذكره العميد أمنون فى تقريره عن سير العمليات) وكانت كتائب لوائه تعمل فى القطاع الأوسط- وقد أرسل فى البداية سرية دبابات فى اتجاه المعبر المواجه للإسماعيلية، وسرية أخرى فى اتجاه كوبرى الفردان؛ حيث كان الوضع فى حصن الفردان المسمى «حيزايون» خطيراً إلى أقصى حد. إذ سقط من قواته العديد ما بين قتلى وجرحى. . بذلت الدبابات جهوداً يائسة. . ولم تنجح إطلاقاً فى الاتصال بهذا الحصن.

وأرسل أمنون قوة استطلاع كبيرة، نحو الشمال من قطاعه، ولكن سرعان ما انقطع الاتصال مع هذه القوة؛ لأنها وقعت فى كمين للمشاة المصريين بالقرب من مزرعة التجارب الصينية، وأصيب الرائد يعقوف يعقيتس نائب قائد الكتيبة بجراح شديدة مات متأثراً بها، كما جرح قائد السرية.

... ما تحقق من المهمة: لم تنجح مهمة الاستطلاع نهائيًا.

موقف القوة التي كلفت بالمهمة: سقط أكثر من ٩٠٪ من أفراد القوة ما بين قتلى وجرحى وربما يكون المصريون قد أسروا بعضهم . .

. . . .

وقف السرية التي تحركت نحو معبر الإسماعيلية:

دمرت السرية فيما عدا دبابتين فقط .

ما تحقق من المهمة:

فشلت المهمة تماماً .

. . السرية التي تحركت إلى حصن الفردان (حزايون):

في الثامنة مساء أصيب الملازم «زئيف بريل» وفقد بصره، ثم قتل المدفعجي وعامل الإشارة، وعند وصول السائق بدبابته إلى حصن حزايون، أصيبت الدبابة مرة أخرى، ودار السائق إلى الخلف، وناور واتجه شمالاً حتى وصل بالقرب من جزيرة البلاح . . وهناك سقطت الدبابة في مستنقع من الملاحات .

* كانت هذه هي الدبابة الأولى في السرية .

* الموقف العام للسرية : دمر المصريون جميع دبابات السرية ولم تنج منها دبابة واحدة .

محاولة أخرى:

دفع أمنون بوحدات أخرى في محاولة لتحقيق المهام المحدودة، وتولى المقدم «عميرام» قيادة القوة التي كلفت بمساعدة حصن (حزايون)، وعند اقتراب مدرعاته من القناة، وقعت في كمين للمشاة المصريين المسلحين بالبازوكا والـ آر . بي . جي . وانفجرت معظم الدبابات واضطرت الفلول المتبقية إلى الانسحاب في اتجاه محور الفردان شرقاً .

وفي الوقت نفسه كانت القوة التي اتجهت إلى معبر الإسماعيلية تعاني المصير نفسه .

وهكذا طوال اليوم الثاني من القتال، أخذت الدبابات تتساقط وتحترق، ورأى (أمنون) كيف أن لواءه المدرع على وشك الفناء . . فلم يبق من كل اللواء سوى عشرين دبابة !

موقف لواء العقيد دان:

حتى الساعة الثامنة من مساء السادس من أكتوبر ، كانت قوات العقيد دان على اتصال بأغلب حصون خط بارليف (الواقعة فى القطاع الجنوبى) وذلك باستثناء حصن بور توفيق . الذى استحال مجرد الاقتراب منه ، لأن المصريين حاصروه من جميع الجهات .

وتوالت استغاثات قوات الحصون ، وطلب (دان) التصديق على القيام بمحاولة إنقاذ هذه القوات ، ولم توافق القيادة ، واتصل «دان» بألبرت ، وقال له :

«إما أن ندافع عن الحصون ، أو نصد الهجوم المصرى . فلا يمكن أن نقوم بالعمليتين معاً» .

ورد عليه ألبرت بقوله : «لا خيار أمامنا إلا القيام بالعمليتين معاً ، فليس فى سلطتى إصدار أوامر بإخلاء الحصون والانسحاب منها .

. . . .

ظلت قوات «دان» تتحرك طوال الليل هنا وهناك فى محاولات يائسة للاتصال بالحصون ، وكانت كل حركة فى اتجاه الحصون مرتبطة بالاشتباك مع كمائن المشاة المصريين بأسلحتهم المضادة للدبابات .

ازدادت الخسائر بين قوات دان التى كانت تضم فى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نحو مائة دبابة .

الموقف النهائى للواء دان المدرع : دمر المصريون معظم دبابات اللواء فلم يتبق منها- حتى الساعة الثامنة من صباح ٧ أكتوبر سوى ثلاث وعشرين دبابة فقط .

ما تحقق من المهمة:

فشل اللواء فى تحقيق مهمته كلية . وسقط حصن «ليتوف» وحصن «يوتر» .

* تطور جديد : فى التاسعة من صباح ٧ أكتوبر عبرت الوحدات الأولى من المدرعات المصرية إلى الشرق .

موقف لواء العقيد جابى:

كان لواء (جابى) طوال الأسبوع الأول من أكتوبر فى حالة تأهب ، وفى يوم الجمعة -فى الساعة العاشرة صباحاً- وصلت إليه الأوامر برفع حالة التأهب إلى الدرجة

القصوى. وكان جابى يوزع قواته بأن يبقى أغلب مدرعاته ومركباته فى المؤخرة، ويترك طواقم خاصة لحراستها، فى حين يحرك قوات محدودة إلى المقدمة.

ومع أول ضوء من يوم السادس من أكتوبر، خرج جابى مع قواد الكتائب فى لوائه للاستطلاع وتحديد مناطق التحرك فى إطار خطة «برج الحمام»... وقد كان جزء من اللواء فى وضع الحركة عندما بدأ الهجوم المصرى فى الساعة الثانية ظهراً، وصدرت الأوامر إليه بالتحرك فوراً إلى «طاسة» ثم إلى «بالوظة».

واستطاع «جابى» أن يضع صورة للموقف من خلال الاستماع إلى شبكات اللاسلكى وكانت هذه الصورة قاتمة للغاية.

لقد سمع المقدم «يومتوف» الذى كان يقاتل بكتيبته فى القطاع الشمالى يصرخ فى اللاسلكى، قائلاً فى توتر وانزعاج «لقد دمرت الكتيبة كلها تقريباً.. وإن فلولها القليلة فى حاجة إلى العون والمساعدة».

.... واتجه (جابى) شمالاً إلى حصن «مفريكيت» واتصل بيومتوف الذى كانت حكايته التفصيلية عن الموقف أسوأ مما سمع فى البداية بكثير.

....

محاولات أخرى:

وكان العميد «كلمان ماجن» يستعد لتسلُّم قيادة مجموعة عمليات سيناء وقد كلف «جابى» بقيادة القطاع الواقع شمال القنطرة، وأمره بتوزيع القوة المتبقية معه، وكان قوامها كتيبة واحدة على قسمين:

الأول: سريتان تواصلان التحرك إلى حصن (مفريكيت).

الثانى: سرية مدعمة تتجه إلى شرق القنطرة لمحاولة الاتصال بميلانو.

وقد عين «جابى» المقدم إيمير مسئولاً عن السريتين اللتين اتجهتا إلى (مفريكيت) وتولى هو قيادة المجموعة الثانية التى انضمت إليه فلول كتيبة (يومتوف).

....

وعندما وصل المقدم «إيمير» إلى مفريكيت، وزع قواته على جنوب الحصن بنحو كيلو متر واحد، وعلى شمال الحصن بنحو كيلو مترين، والباقى فى المناطق المحيطة بالحصن.

وما إن أخذت مدرعات إيمير أماكنها حتى انهمرت عليها قذائف الـ «آر . بى . جى» المصرية ، والصواريخ المضادة للدبابات التى أطلقت من فوق السواتر الرملية ، التى على الضفة الغربية للقناة . ووقعت خسائر أربكت القوات حتى إن دبابة المقدم «إيمير» نفسها دخلت فى حقول الألغام التى زرعتها طلائع العبور المصرى ، ووقعت صيداً لقوات المشاة المصرية ، لكنه كان قد قفز منها . . قبل أن تنفجر .

*** وانسحبت الدبابات وفوقها جثث الجنود:**

فى فجر يوم الأحد ، أصدر العميد «ماجن» أوامره لجابى بسحب هذه القوة التى تزايدت الإصابات فيها ، حتى وصلت قوتها إلى ثلث ما كانت عليه قبل الهجوم ، أما اللواء كله فلم يتبق منه سوى ٢٠ دبابة . وانسحب إيمير وقد ربط جثث قتلاه الكثيرة فوق الدبابات الباقية ، وقد زاد عدد القتلى حين تعرضت الدبابات فى انسحابها أيضاً لنيران مخيفة .

جميع قادة الدبابات من قوات جابى قتلوا أو أصيبوا!!!

فى الوقت نفسه كانت بقية اللواء بقيادة (جابى) تتحرك نحو القنطرة ، وبمجرد الاقتراب من مدينة رفائيم أطلقت عليهم نيران قوية ، وأصيبت عدة دبابات فى الطريق .

واقتربت القوة من المنطقة السكنية ، وازداد إطلاق النار ، وسارت الدبابات فى طابورين ، وأسرعت السير عندما انهالت عليها القذائف المصرية من النوافذ .

. . . تعثرت القوة المدرعة .

. . . أصيب أو قتل جميع القادة الذين كانوا يقفون فى أبراج الدبابات من نيران الرشاشات والأسلحة الخفيفة . وعين جابى قواداً بدلاً منهم . .

. . . تعطلت شبكة اللاسلكى .

. . . زادت الخسائر . . دمر المصريون أكثر من ثلثى الدبابات والمصفحات . . كان اتجاه القوة الآن إلى حصن ميلانو .

. . أصيبت دبابة يومتوف ، وقتل ضابط عمليات اللواء قبل القنطرة . . جمع المقدم «إيمير» فلول كتيبته (عشر دبابات فقط وبعضها مصاب) جمعها على الطريق المتاخم للمستنقعات فى الجنوب . اشتبك المصريون مع هذه القوة المتبقية . . حاولت دباباتنا الفرار فسقطت فى المستنقعات .

خسائر.. خسائر:

خلال ساعات الصباح (فى يوم ٧ أكتوبر) صدرت الأوامر إلى جابى بالانسحاب إلى الجنوب لحشد من تبقى من فلول لوائه على الطريق الرئيسى شرق حصن (مفريكيت)، وانسحب جابى، والتقى هناك بفلول كتيبة «إيمير».

حصر جابى خسائره الإجمالية . . واتضح له أنه فقد أكثر من ثلاثة أرباع اللواء دون أن تتحقق المهمة.

*** مفاجأة مذهلة فى البحر الأحمر:**

فى هذا اليوم نفسه ٧-١٠-٧٣، كان الخبر المفاجئ البالغ الأهمية هو ذلك الخبر الذى وصل من جنوب البحر الأحمر، فمن على ظهر ناقلة بترول كاملة الحمولة (كانت تحمل علماً أجنبيًا، وتشق طريقها إلى ميناء إيلات)- لاحظ الضابط الأول ذيل قذيفة طوربيد تنطلق بالقرب من سفينته. ثم انطلق طوربيد آخر.

ولم يعد هناك شك فى أن مصدر هذه الطوربيدات كان غواصة مصرية.

* كان معنى هذا الهجوم أن البحرية المصرية قد فرضت حصاراً بحريًا على إسرائيل أى أن الطريق البحرى الجنوبى أصبح مغلقاً أمام الحركة الملاحية الإسرائيلية.

. . . . . ولقد كان إغلاق مضايق شرم الشيخ فى عام ١٩٦٧، إحدى مقدمات حرب يونية ١٩٦٧. والآن قام المصريون بفرض الحصار فى الثغر الجنوبى للبحر الأحمر عند مضيق باب المندب. وأصبح محتماً توقف السفن التجارية خاصة أن الأسطول الحربى الإسرائيلى فى هذه الساحة لا يستطيع فك هذا الحصار.

وهكذا أغلق طريق النفط المؤدى إلى إيلات، وليس من المناسب الآن أيضاً المخاطرة فى نقل المحروقات إلى إيلات من آبار أبو رديس فى سيناء. . . وأصبح على إسرائيل أن تعتمد على خزانات الطوارئ الموجودة لديها، وأن تأمر فى أثناء ذلك الناقلات القادمة من الشرق بالدوران حول رأس الرجاء الصالح متجهة الى جبل طارق، ومن هناك إلى البحر الأبيض المتوسط.

وقد أمر وزير الدفاع بعدم السماح بنشر أنباء الحصار فى باب المندب بشكل قاطع.

. . . .

ومن جهة أخرى كان الموقف فى سيناء مقلقاً إلى حد كبير. وقد أبلغ «ألبرت» قيادة الأركان بأنه دخل معارك اليوم الأول بنحو ٣٠٠ دبابة تبقى منها ربعها فقط فى اليوم التالى، وهذه الدبابات الباقية مبعثرة كلها على طول الجبهة.

. . . .

* ازداد الضغط المصرى فى القطاع الجنوبى وبدأ الجنود فى هذا القطاع يتساقطون تحت الضغط المصرى.

. . . .

* طلب ألبرت من جونين مساعدة جوية بأسرع ما يمكن، وأبلغه جونين بأنها ستصل بعد ٢٠ دقيقة.

ورد عليه ألبرت: «لم يبق أمامى عشرون دقيقة!!».

. . . .

* جاء الرد على جونين بأن خطورة الموقف على الجبهة السورية لا تسمح بإرسال كل المساعدات الجوية التى طلبها.

وصرخ جونين قائلاً: «إن لم تحضروا فلن أستطيع صد الهجوم».

وتم التصديق على إخلاء الحصون والانسحاب منها.

فى ثالث أيام القتال حدث تعديل فى القيادات، وعين العميد إبراهام آدان الشهير باسم (برن) قائداً للقطاع الشمالى، وعين العميد أرئيل شارون (الشيهر بإريك) قائداً للقطاع الأوسط، وظل القطاع الجنوبى تحت إشراف (ألبرت).

- قتلى وجرحى وتشنجات عصبية:

صدرت الأوامر من القيادة بالانسحاب من الحصون، بعد أن سقط عدد كبير منها، وبعد أن راحت حالة الباقى تسوء لحظة بعد لحظة، وبمجرد صدور الأمر سارع رجال حصن «دروة» الواقع جنوب حصن «الحصنايت» بالفرار.

أما حصن «كتوفا» فقد قتل قائده، وسقط ستة من أفراده جرحى، اثنان منهم كانت إصابتهما خطيرة، ومع استحالة الهروب من الحصن، لاستمرار القتال ازدادت الخسائر، وأصيب بعض جنود الحصن بتشنجات عصبية دفعت اثنين منهم إلى سرقة إحدى العربات المجنزرة والهروب بها قبل الفلول الباقية من رفاقهم فى الحصن.

١- حصن أوركل «رجال أبو ديرهم يرتعدون»:

كان حصن «أوركل» الواقع فى الطرف الشمالى لشاطئ القناة يتكون من ثلاث مجموعات دفاعيةوهى أوركل «١» وأوركل «٢» وأوركل «٣» وكان قائد قوات الموقع هو «سوميخ» وكان يعاونه الملازم أول دافيد أبو ديرهم والملازم أودسييرج».

* قتل (سوميخ) فى المعارك الأولى، وحل محله «أبو ديرهم» الذى أمر الرجال بالنزول إلى المخابئ بمجرد بدء القصف المدفعى، وغارات طائرات الميج ١٧ . . وبعد هدوء القصف أمر أبو ديرهم رجاله بالصعود إلى مواقعهم ولكنهم كانوا خائفين ويرتعدون من هذا الموقف. ورفضوا الخروج من مخابئهم ونزل إليهم بنفسه، وبدأ يسحبهم بالقوة واحداً بعد الآخر.

٢- الهروب.. وحالة الهستيريا:

لم يصمد الجنود للقتال الذى تجدد، وازدادات حالة الحصن خطورة، فتركوا مواقعهم وجروا إلى إحدى الدشم، وتجمعوا فيها، وهم فى حالة هستيريا عنيفة. حتى إن أبو ديرهم قال فى اتصالا لاسلكى: إن حالة قواته فى الحصن تجعلهم لا يصلحون حتى لكى يكونوا خفراً. .

٣- الميراج تتهاوى:

أطل أبو ديرهم من الدشمة حينما أبلغ بأن سلاح الجو الإسرائيلى جاء لنجدة الحصن، ولكنه أصيب بصدمة أخرى لقد شاهد طائرات الميراج وهى تتهاوى منفجرة فى المستنقعات المجاورة بمجرد أن انطلقت نحوها الصواريخ المصرية.

٤- العلم الأبيض.. والوقوع فى الأسر:

رأى أبو ديرهم الموقع المجاور (أوركل ٣) وقد رفع رجاله علماً أبيض، طالبين تسليم أنفسهم، وحاول هو الفرار ومن تبقى معه من رجاله الذين زادت حالتهم سوءاً، وقد حدد خطة الفرار بالاندفاع شرقاً أو اللجوء إلى حصن «الحصنايت». . ولكنه وجد نفسه مضطراً إلى أن يسلم نفسه هو وفلول قوته. . للجنود المصريين الذين ساقوهم فى طابور طويل مع أسرى آخرين من قواتنا.

*** حصن بودابست: [إننى متنازل عن المساعدة الجوية!!]:**

اتصل قائد حصن بودابست الذى يقع على بعد ١٢ كم شرق بور فؤاد بقيادة الجبهة، وقال لضابط العمليات: «إننى متنازل عن المساعدة الجوية.. إن طائراتنا الفانتوم والميراج التى جاءت لنجدة الحصن تتساقط أمامنا فوق بورسعيد وبورفؤاد.. إنهاتتساقط كالعصافير. إننا جميعاً نرتجف هنا. إننى متنازل عن المساعدة الجوية فالخسائر فى الطائرات فادحة.. إن جميع الطائرات التى تصل تسقط بالصواريخ المصرية.. تسقط كلها.. كلها..».

....

وحين عادت محاولة نجدة الحصن بالمدرعات تكسرت جميع الهجمات المضادة دون أن تكسر حصار المصريين للحصن الكبير. وتشتت المدرعات أمام صلابة المقاتلين المصريين.

حصن لسان بورتوفيق:

.. سقط هذا الحصن هو الآخر. لكن سقوطه كان مدوياً. فلقد أحضر المصريون رجال الصحافة والتليفزيون والإذاعة المصريين والأجانب ليشهدوا استسلام الحصن.. وركزت الكاميرات على شلومو أردينيست قائد الموقع الذى حل محل القائد الأصلى بعد مقتله- وهو ينزل بيده العلم الإسرائيلى ويطبقه ويسلمه لقائد القوة المصرية ثم يؤدى التحية العسكرية للعلم المصرى الذى ارتفع فوق الحصن.

حصن بوركان:

سقط هذا الحصن أيضاً وقد كان يقع أمام الإسماعيلية مباشرة.

حصن ميلانو: هربوا من رصاص المصريين.. فقتلهم رصاص رفاقهم:

كان ضباط وجنود هذا الحصن، قد انسحبوا منذ بداية المعركة وحينما اكتشفوا وجود كمائن من المشاة المصريين فى طريقهم اختبأوا بين الأعشاب البرية فى منطقة المستنقعات المالحة.

وبينما كانت كتيبة مدرعات إسرائيلية تحاول أن تهرب من كمين مصرى، قامت بحصد هذه المنطقة العشبية بالنيران على افتراض وجود كمين آخر من قوات الكوماندوز المصريين.

. . وهكذا فإن هذه القوة التى كانت قد نجحت فى الفرار من جهنم المصرية وقعت فى جهنم إسرائيلية .

. . . .

أحضروا لى عينين..!!

بدأ هجوسنا . كان المصريون يركضون نحو دباباتنا . ويتسلقونها . وكانوا يندفعون فى موجات لا نهاية لها . وشعرت فى مرحلة معينة بأن وضعنا آخذ فى الانهيار . فصرخت فى اللاسلكي .

«إذا كانوا يريدون القتال . . فهيا نريهم الحرب!»

ثم وجدتنى أصرخ بعد ذلك «أحضروا لى عينين . . أريد أن أراهم على ظهر دبابة قبل أن يفجروها ويختفوا!!

. . كان القتل حولنا مخيفاً جداً . حتى إننى لم أستطع السيطرة على زلة اللسان هذه ، ولكننى اعتقدت أنه سيكون بإمكان هذا النداء -وكل شيء يحترق من حولى- تحريك رجال الدبابات الذين سمرهم الذهول أمام هجمات المشاة المصريين علينا . لقد رأينا أمامنا كتائب عصرية من مئات وآلاف الجنود المصريين الذين يتراكضون فى المنطقة كالصينيين .

لقد اسودت التلال الرملية من كثرة البشر . . ولم تتوقف موجاتهم أبداً .

(توقيع)
الجنرال نتكا
قائد لواء إسرائيلى مدرع

من ينقذ طيار الفانتوم:

فى ليلة ٨ أكتوبر كانت أغلبية حصون خط بارليف قد سقطت ، وقتل وجرح وأسر معظم الضباط والجنود من قواتها . وخلال الليل تحركت مجموعات مشردة (من الفلول الباقية) متجهة شرقاً ، وفجأة سمع جنديان كانا قد اختبئا داخل حفرة صغيرة على جانب طريق المستنقعات ، على بعد عشرات الأمتار من مجموعة من الكوماندوز المصريين ، سمعا صوت خبطة قوية ، وحين اتجهت أنظارهما إلى مصدرها ، اكتشفا أن طياراً إسرائيليًا أسقطت طائرته بواسطة صاروخ قد هبط بالقرب

منهما تماماً على أرض المستنقع، وعندما زحفا إليه وجداه جريحاً، فحاولا سحبه إلى داخل حفرتهم لكنه صرخ من شدة الألم قائلاً «اتركونى.. اتركونى.. إننى لم أعد قادراً..» وحين حاولا أن يغطياه بمظلته، ارتفع صراخه من جديد، فخشيا أن يفضحهما صوته فتركاه.. واتجه كل منهما فى اتجاه تاركين وراءهما الطيار الجريح. وقد شقت قوة إنقاذ من المظليين طريقها إلى تلك النقطة بحثاً عنه. وقد تعرضت لنيران المصريين فسقط ضابط وعدد من الجنود قتلى وجرحى خلال هذه المحاولة التى فشلت تماماً.

وقد عرف فيما بعد أن هذا الطيار الجريح قد وقع أسيراً فى يد المصريين.

....

حكاية المقدم رؤبين:

فى الساعة ١١,٣٠ من صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ استدعى المقدم رؤبين (وهو الضابط المسئول عن الحصون الواقعة فى الشمال)، استدعى إلى قيادة اللواء، لحضور اجتماع للقادة، وقد أبلغ رؤبين فى هذا الاجتماع بأن الحرب على وشك النشوب، وأن الموعد الذى حددته المخابرات الإسرائيلية لبدء الهجوم المصرى هو السادسة من اليوم نفسه، وأن على قوات الحصون أن ترفع حالة التأهب إلى الدرجة القصوى.

وعلى الفور أدرك (رؤبين) أن مثل هذه التطورات ستصيب جنوده بحالات عصبية رهيبة، وقرر على الفور الذهاب إليهم، ومر بالفعل على بعض المواقع، وتحدث مع كل الأفراد، وكان فى نيته أن يستكمل جولته لولا أنه أدرك أن مثل هذه الجولة تحتاج إلى ساعات طويلة، فاكتفى (رؤبين) بالاتصال التليفونى مع الحصون، وتحدث مع قادتها.

... ويقول رؤبين إنه كان من ا لصعب عليه أن يقنع رجال الحصون بأن يصدقوا تعليمات القيادة بأن الحرب وشيكة جدًا، وقد دعاه بعضهم إلى إلقاء نظرة على الضفة الغربية للقناة، وأشاروا إلى منظر الريف المصرى الذى لم يتغير منه شيء إطلاقاً. فقد كان الفلاحون يعملون فى حقولهم مثل كل يوم، وكان الجنود المصريون يسيرون هنا وهناك بدون «شدة» وبلا خوذات على رءوسهم، بل إن بعضهم كانوا قد جلسوا على الشاطئ وألقوا بسناراتهم فى المياه لصيد السمك وكانوا مندمجين تماماً فى عملية الصيد!!

في الساعة ١,٣٠ بعد الظهر أصدر قائد اللواء أوامره بزيادة التأهب والاستعداد لتنفيذ خطة برج الحمام التى تقضى بأن تقوم المدرعات الإسرائيلية بالتمركز على مقربة من الحصون وفى المسافات الخالية بينها.

بعد ٣٥ دقيقة ظهرت الطائرات المصرية فى سماء سيناء.. وانقضت على أهداف ومواقع كثيرة. ثم بدأ القصف المدفعى العنيف.

وبعد ١٥ دقيقة أفيد أن المصريين يعبرون.

أدرك رؤبين من خلال سماعه للتقارير عبر أجهزة اللاسلكى، أن الوضع سيء للغاية.. فبعض الحصون قد سقطت.. وتعرضت المدرعات التى تقدمت لتنفيذ خطة برج الحمام لضربات عنيفة، فعلى طول خط الجبهة، ربضت الدبابات المصرية على السواتر الترابية الموجودة غرب القناة، وقامت بالاشتراك مع جنود المشاة حاملى الصواريخ المضادة للدبابات، بحصد الدبابات الإسرائيلية التى كانت تحاول الاقتراب، وكان المشاة المصريون قد احتلوا المصاطب التى أعدت لكى تصل إليها المدرعات الإسرائيلية، وتضرب منها.

وسرعان ما اتضح أن أغلب الدبابات (فى الخط الأول) قد أصيبت بقذائف البازوكا أو الـ آر. بى. جى.

. . . .

أخذ رجال الحصون يطلبون النجدة، ويستغيثون لأن موجات أخرى من المشاة المصريين بدأت تهاجم حصونهم، فى حين بدأت مئات زوارق الإنزال والإطواف تعبر القناة.

. . . .

انتقل رؤبين «بقيادته» إلى مقربة من المستنقعات المالحة، وأخذ يتحدث باللاسلكى مع بقية الحصون، ثم يتحدث مع القيادة طالباً تعزيزات، وقد أخذ يهلل عندما علم أن لواء (جابى) فى الطريق إليه.

لم تدم فرحة رؤبين طويلاً.. فمع مرور الوقت علم أن لواء «جابى» هو الآخر يتعرض للنيران المصرية العنيفة، وأن دباباته أخذت تحترق وتنفجر وتتساقط.

«كان الجنود المصريون يندفعون بأعداد كبيرة على دفعات لا تنقطع حتى شعرنا وقتها أننا نقاتل «الصينيين»، وعندما ظهرت الدبابات المصرية كانت تفوقنا عدداً وعدة. واضطررنا فى أثناء الاشتباكات إلى التزود بالوقود ثلاث مرات.

إن كل ما تبقى معنا فى كل الجبهة هو (٩٠) دبابة كان علينا أن نقف بها بين المصريين والتقدم إلى قلب بلادنا . . »

(توقيع)
البريجادير عمون رشيف
قائد لواء إسرائيلى مدرع

خلافات بين الجنرالات:

تفجرت يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ خلافات حادة بين قادة الجبهة الجنوبية، فاصطدم شارون بجونين، حين اقترح شارون القيام بهجوم مضاد شامل مساء اليوم .

ورفض جونين لأن القوات المتبقية لديه لا تسمح بذلك . . وكانت هذه بداية الصدامات بينهما .

ديان ينهار:

وصل ديان فى الحادية عشرة وأربعون دقيقة من صباح يوم ٩/ ١٠/ ١٩٧٣ إلى موقع القيادة الجنوبية، وطلب تقريراً عن الوضع، وبمجرد أن اطلع عليه، قال لمن حوله « . . هذه حرب عنيفة . . يجب أن ننسحب إلى الجبال»، ثم أشار على الخريطة إلى خط بارليف، وقال ردًا على سؤال أحد الضباط : «اتركوا الحصون . . إن كل من يستطيع أن ينقذ نفسه عليه الهرب . . أما الجرحى فليقعوا فى الأسر . »

كان ديان مهتزًا لدرجة الانهيار، وحين عاد من سيناء إلى القيادة العامة اختلف مع أليعازر، وقام الأخير بالاتجاه إلى سيناء ومعه إسحاق رابين ليدرس هو الموقف على الطبيعة، ويتخذ القرارات التى يراها مناسبة

* * *

. . تلك صورة لسير العمليات القتالية كما سجلتها غرفة العمليات الإسرائيلية، وكما نقلها وأوضح تفاصيلها أكثر من معلق وخبير إسرائيلى «مطلع» ووثيق الصلة بالقيادة الإسرائيلية . .

وحيث إن أوراق دافيد أليعازر التالية بعد عدة صفحات تكمل بقية أيام الحرب، كما أنها قد سجلت أيام ما قبل الحرب فإن عملية السرد للوقائع التى جرت فى العمليات القتالية على الجبهة المصرية تكون بهذه الصورة مكتملة تماماً. كما أننا

سوف نستعرض ورقة من مذكرات جولدا مائير وورقة من أجندة موشيه ديان ثم بعض الصور الحية من المعارك . . كما جاءت على ألسنة الضباط والجنود الإسرائيليين وكما سجلها الكتاب الإسرائيليون .

ورقة من مذكرات جولدا مائير:

لا شيء أقسى على نفسى من كتابة ما حدث فى أكتوبر، فلم يكن ذلك حدثاً عسكريًا رهيباً فقط، وإنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معى حتى الموت . فلقد وجدت نفسى فجأة أمام أعظم تهديد تعرضت له إسرائيل منذ إنشائها .

ولم تكن الصدمة فقط فى الطريقة التى كانوا يحاربوننا بها . . ولكن أيضاً لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التى آمنا بها قد انهارت أمامنا . فقد آمنا باستحالة وقوع حرب فى شهر أكتوبر . . وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركات المصريين والسوريين قبل نشوب الحرب، ثم إيماننا المطلق بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس . . إننى أستعيد الآن هذه الأيام . . إنه شيء لا يمكن وصفه . . يكفى أن أقول إننى لم أستطع البكاء، وكنت أمشى معظم الوقت فى مكتبى وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات . . وكانت هناك اجتماعات متواصلة وتليفونات من أمريكا وأخبار مروعة من الجبهة . . وخسائرنا تمزق قلبى .

وأذكر أنه فى يوم الأحد عاد ديان من الجبهة المصرية، وطلب مقابلتى على الفور وأخبرنى أن الموقف سيء جدًا وأنه لا بد من اتخاذ موقف الدفاع وأن تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خط دفاع جديد، واستمعت إليه فى فزع .

لقد كان المصريون قد عبروا القناة كما أن السوريين تعمقوا فى الجولان وخسائرنا مروعة .

وتساءلت : هل من الضرورى أن أطلع الشعب اليهودى على ما حدث ويحدث فى كل مكان؟! ثم قررت أن أتريث، وبعد لحظات عاد ديان وأقفل الباب وراءه وقال لى :

«هل تريدين منى أن أستقيل؟ إننى على استعداد لأن أفعل ذلك فوراً . . وما لم تكن لك ثقة بى فإننى سوف أكون عاجزاً عن فعل أى شيء!

وقلت له : «يجب أن تبقى فى منصبك»، ثم أرسلت بارليف إلى الجولان، وقمت بالاتصال على الفور بأمريكا لأطلب المساعدة» .

***

وريقات من أجندة موشيه ديان:

«أقول بوضوح إننا لا نملك الآن إمكانية رد المصريين إلى ما وراء القناة . . لقد أضعف الهجوم المصرى قواتنا بصورة متزايدة . . وينبغى علينا أن نخوض الحرب ضد الجندى المصرى والسلاح الذى يملك .

إن أخطر ما نواجهه الآن فى سيناء هم المشاة المصريون . . إنهم مزودون بصواريخ صغيرة يختفون بها عن الأنظار، فإذا ما تقدمت الدبابات الإسرائيلية أطلقوا عليها صواريخهم فيصيبونها وتصبح عاجزة تماماً .

وثمة مشكلة أخرى تواجه طيراننا فهو عاجز عن اختراق شبكات الصواريخ، المضادة فى مصر وسوريا دون أن يصاب بخسائر فادحة .

لقد أخلينا التحصينات كافة على طول القناة، وتم ذلك بنظام فى بعض الأحيان، وفى أحيان أخرى كان الإخلاء بغير نظام .

وفى الجولان لست أعرف ما إذا كنا سنستطيع تحييد سوريا أم لا . . إن ذلك - يكلفنا ثمناً باهظاً . . فتدمير دبابة ليس كسحق زهرة .

. . . .

ولقد استخدم السوريون خلال الأيام الثلاثة الماضية صواريخ أرض أرض من طراز «فروج» وأطلقوا منها ٦ صواريخ استهدفت العمق الإسرائيلى فى الجليل وطبرية . إن هذه الصواريخ ذات مدى يبلغ (٧٠) كيلو متراً، ولهذا فهى خطيرة جداً لأنها قادرة على إصابة الناصرة، ومجدل هايك هايك وكريات شمونة وطبرية .

إن نجاح السوريين فى اجتياح الجولان سيضع شمال إسرائيل تحت رحمة صواريخهم ومدافعهم . . ولهذا لابد من قصف دمشق والمدن الساحلية والأهداف الصناعية فى سوريا . . وسنفعل كل ما فى وسعنا لنتفرغ للجبهة المصرية؛ إذ أن الوضع فيها خطير .

. . وثمة دلالتان مهمتان يمكن استيضاحهما من سير القتال فى الأيام الماضية :

أولاً : أدرك العالم كله أننا لسنا بأكثر قوة من العرب، وأن الهالة التى كانت تقول إنه إذا قام العرب بأى هجوم فإن الإسرائيليين سوف يحطمونهم . . لم يعد لها وجود . . وسوف يتحتم أن نقول الحقيقة للشعب . . سيتحتم أن نعترف بالحقيقة .

وإذا تعذر عليناد فع المصريين إلى الخلف فإنهم سوف يواصلون حشد القوات، وإننى لأخشى، إذا ما انتقلوا إلى الهجوم أن نضطر إلى الانسحاب.

إننى لا أستطيع أن أضمن ما سوف يحدث. . ومن المحتمل كثيراً أن نفكر فى الانسحاب إلى خطوط أخرى. .

إننا لا نستطيع أن نصد المصريين أو نقهرهم فى الوقت الراهن.

ثانياً: إننا ندفع كل يوم الضريبة فى صورة معدات وقوات وطائرات ودبابات. . لقد دمرت المئات من مدرعاتنا فى المعركة. ويوجد منها أعداد لا يمكن الوصول إليها لإصلاحها لأنها بين خطوط العدو. ولسوف نحتاج إلى طائرات جديدة وإلى دبابات وطيارين ومشاة وعلينا ألا نعبئ فقط الاحتياطى. . ولكن ربما المتقدمين فى السن الذين أعفوا من الخدمة فى الاحتياطى!! إننا محتاجون إلى الجميع.

إن أملى ألا يدخل الأردنيون والعراقيون إلى المعركة. . أرجو ألا تفتح الجبهة الشرقية.

إننى أعتقد أن العالم العربى قد استيقظ على هذا المشهد وهو أننا غير قادرين على دفع المصريين والسوريين إلى الخلف».

« من حديث موشيه ديان فى المؤتمر الصحفى الذى عقده للمراسلين الإسرائيليين فى ٩/ ١٠/ ١٩٧٣ - ومنعت الرقابة نشره حتى مارس ١٩٧٤ بعد أن حذفت منه أجزاء تكشف انهياره وخسائر جيش الدفاع الرسرائيلى.»

الورقة التى وضعها طوفان أكتوبر فى ملف ديان:

يقول مؤلفو كتاب «المحدال»:

استمر ديان فى التخبط، حتى إنه لم يستطع - مثلاً أن يصل إلى قرار حاسم عندما ثار السؤال: ما العمل بالنسبة إلى تحصين «رصيف الميناء» (موقع لسان بور توفيق) جنوبى القناة. لقد كان فى هذا التحصين عدد كبير من جنود جيش الدفاع الجرحى والمعرضين للخطر - ولكن ديان ترك القرار لتقدير قائد التحصين الملازم شلومو أردينست البالغ من العمر ٢٣ عاماً. والذى اختار الاستسلام مع رجاله.

وقد علق أحد المقاتلين على ذلك «أى وزير دفاع هذا الذى يترك قراراً مصيريًا إلى هذا الحد بين يدى قائد صغير عمره ٢٣ عاماً وذلك حتى لا يتحمل هو مسئولية ما سيحدث؟

لقد شكلت حرب الغفران منذ أيامها الأولى صدمة عميقة لوزير الدفاع، ويبدو أنه لم ينجح حتى نهايتها في التغلب على الصدمة التى أصابته فى بدايتها، وقد لوحظ هذا الأمر فى كل المناسبات التى ظهر فيها خلال أيام الحرب فى مقابلاته مع وزراء وأعضاد كنيست، وصحفيين، وبصورة أوضح مع قادة الجيش.

لقد كان هذا ديان جديداً لم يعرفه الجنود أبداً من قبل، ولم يكن هذا هو قائد الأيام الخوالى الشهيرة الذى كان قدومه إليهم يشع حوله جواً من الشجاعة والكبرياء، والثقة بالنفس.

لقد عاد ديان فى حرب يوم الغفران إلى صورة الإنسان الفانى العادي، واصطدم الرجل الذى كانت له شعبية فى الشرق الأوسط بأكمله، بعد الحرب بالظاهرة المذهلة المتمثلة فى فقدانه المطلق لمكانته. لقد تبخرت الأسطورة!!

لقدكانت استطلاعات الرأى العام التى أجريت فى يونية ١٩٧٠ تدل على أن ديان هو القائد الأكثر شعبية فى نظر ٩١ ٪ من سكان إسرائيل- وفى يناير ١٩٧٢ ارتفعت نسبة شعبيته إلى ٩٥٪ - وفى مايو ١٩٧٣ حصل على المركز الأول بين المرشحين لرئاسة الحكومة بعد جولدا مائير.

أما بعد الحرب. فى نوفمبر ١٩٧٣ فإنه لم يحصل إلا على ٢٪ من الأصوات فى استقصاء أجرى عن الشخصية التى تصلح لمنصب رئيس الحكومة (هكذا من ٩٥٪ إلى ٢٪).. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد.. بل "إن الصحف والجماهير أخذت تطالب باستقالته من منصب وزير الدفاع. وقد حدث ذلك بالفعل.

وهكذا وضعت حرب أكتوبر مستقبل ديان السياسى أمام علامة استفهام كبيرة.

واقتنص المصريون الليل من جيش الدفاع:

كان القتال فى معظمه يتم فى ساعات النهار فقط، ومع حلول الظلام كان يبدو وكأن قواتنا المدرعة سعيدة وفرحة باستعداداها لمبيت الليل فى مواقعها وقد برز هذا الوضع فى البيانات الصباحية للنطق باسم جيش الدفاع الإسرائيلى فلقد أكد فى مالا يقل عن تسعة بيانات "أن الليلة مرت على قواتنا بهدوء" أو ساد الهدوء طيلة الليلة".

ولكن لماذا كان هناك هدوء فى الليل؟ وماذا كان هناك قبول وترحيب بهذا الهدوء؟

(لقدكان ممكناً استغلال جيش الدفاع الإسرائيلى لإحدى مزاياه المهمة وهى قتال الليل) وإذا كان وقت جيش الدفاع فى هذه الحرب محدوداً حقًا فلماذا لم تستغل بصورة أكبر ساعات الظلام للقيام بعمليات كبيرة؟

الحقيقة أنه لم يعد الليل تحت تصرف الجيش الإسرائيلي وحده ، فلقد استعد العرب أيضاً للقتال الليلي ، وأفضل برهان على ذلك، تلك الأجهزة الكثيرة للرؤية فى الليل التى زود بها العرب قواتهم. فلقد ثبتوا على بنادق الكلاشنكوف مناظير خاصة ثمن كل واحد منها نحو ألف دولار ، كما أنهم أقاموا الجسور على القناة فى الليل، وقاموا بإنزال رجال الكوماندوز ونقلوا مدرعات كثيرة للهجمات الليلية.

(توقيع)
المحرر العسكرى الإسرائيلي زئيف شيف

رافى بارليف..لا يرد:

بدأت القوات المكلفة بالعبور إلى غرب القناة تحركها، وكان يتقدمها أفراد الوحدة الاستطلاعية ، وتبعتهم سرية رافى بارليف (أبن شقيق حاييم بارليف) وقام "رافي" بجمع رجاله قبل التحرك، وأصدر إليهم توجيهاته الأخيرة، وعاد القادة ودرسوا الطريق التى سيمرون عليها إلى البحيرة المرة الكبري، وأنهى رافى توجيهاته بقوله:

« إنى آمل أن نلتقى » وقام عامى فريدمان بقيادة المصفحة الأولى التى بدأت فى الواقع حملة عبور القناة، وكانت الحركة بطيئة ، وحاول رجال الاستطلاع تجنب القنوات القريبة من البحيرات المرة، واضطروا إلى التأخر هنا وهناك.

مرت ساعة قبل أن يعلن « فريدمان» أنه قد عبر الكثبان الرملية، ووصل إلى الطريق الممتدة على طول البحيرات المرة. وهذه هى الطريق المسماه (قاموس) . . كانت الساعة آنذاك هى التاسعة تقريباً، ومن هنا توجهوا شمالاً إلى طرف البحيرة، حيث، الحركة أسهل، وتحرك « رافي» على رأس ، وخلفه فصيلة من الدبابات، كما تحركت خلف رجال الاستطلاع كتيبة مدرعات من تشكيلة الاختراق ووراءها كتائب من المظليين. ولم يطلق المصريون حتى تلك اللحظة طلقة واحدة.

. . كانت سرية رافى تتحرك إلى الشمال من موقع العبور، وكان عليها البدء فى تطهير المنطقة، وظهر له ولرجاله أن الجزء الشمالى يزخر بالمصريين وثمة عربات كبيرة بداخل حفر عميقة، بالإضافة إلى مراكز للمدافع والدبابات.

وفى اللحظة التى كانت سرية رافى تشعر فيها بنوع من الاطمئنان، انطلقت قذائف المصريين. وكان أول المصابين عامى فريدمان الذى أصيب فى عينه، كما أصيب أحد أفراد مصفحته.

. . مع انتصاف الليل اشتدت النيران المصرية، وواجهت الكتيبة المدرعة مقاومة شديدة، وظهر المشاة حاملوا الصواريخ المضادة للدبابات، وغطت النيران المصرية محوري (العنكبوت- الطنين) الممتدين من الشرق إلى البحيرة المرة.

. . تحركت سرية (رافي) لمساعدة كتيبة المدرعات التي كانت تواجه موقفاً صعباً جنوبي المزرعة الصينية، وفي الساعة الثالثة كانت السرية الاستطلاعية تقاتل إلى جانب كتيبة المدرعات ، وفجأة فتحت عليها نيران الدبابات المصرية من الخلف، وتلقت الضربة الأولى مصفحة عامي فريدمان التي كانت تتقدم قوات شارون إلى غربي القناة، فاشتعلت فيها النيران، ونجح اثنان فقط في القفز إلى خارجها وهم (عامي) وجندي آخر، وبقي داخل المصفحة ستة قتلى من بينهم المضمد الذي عالج عين عامي الجريحة وانطلق (إسحق أجام) من عربته لمساعدة المصابين، وفي اللحظة نفسها انفجرت المصفحة، وكان (عامي) والجندي مستلقيين على الأرض في مكان قريب وقد أصيبا بحروق شديدة.

. . . .

وفي الطرف الآخر، كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال، وقام المصريون بمحاولة لسد الطرق في وجه القوات التي كانت تحاول الدخول إلى غربي القناة، وفجأة سمع (إسحق أجام) في جهاز الاتصال صوت ضابط عمليات الكتيبة الذي كان ينادي على (رافي) ، فإلى الجنوب قليلاً ، وقرب المعقل الخالي الواقع قرب القناة، أصيبت دبابة قائد القوة الاستطلاعية، وقتل (يوآب بروم) الذي كان قد تلقى قيادة القوة بعد مقتل قائدها السابق في الأيام الأولى للحرب. وقام ظابط العمليات، بالبحث عن (رافي) لينقل إليه القيادة ولكن رافي لم يرد على هذه النداءات.

وقال إسحق أجام للجندي الذ كان بجانبه (إن رافي لا يرد)، فأشار الجندي إلى دبابة تشتعل فيها النيران على مسافة عشرات الأمتار، وقال : تلك هي دبابة (رافي)، فبينما كان ضابط العمليات يبحث عن (رافي) لكي ينقل إليه القيادة، اخترقت قذيفة من النوع الخارق للمدرعات برج الدبابة فقتل رافي وبقية أفراد طاقم الدبابة باستثناء سائقها الذي كان مذهولاً ومضطرباً.

. . . . وبعده مباشرة. . . وقعت مصفحة (عامي) في كمين وقتل هو الآخر. . وتوالى سقوط القتلى ، واشتعال الدبابات.

إضافة

« فى غرفة العمليات التابعة للجبهة كان حاييم بارليف (عم رافي)، يصغى إلى الجهاز اللاسلكي، وكان يستمع إلى أوامر المعركة الصادرة لتشكيل الاختراق، وقد سمع لتوه نبأ مصرع قائد القوة الاستطلاعية وعن قرار نقل القيادة إلى ابن أخيه (رافي)، ولم يكن يعلم بأن (رافى) قد قتل أيضاً فى هذه اللحظة»

***

وتخبطت . كالحيوان المطارد!!

كان الجنرال أورى آى القائد العام المساعد للقوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء حاضراً ذلك اللقاء الذى بدأ بوصول موشيه ديان إلى مقر القيادة فى ثانى أيام القتال، واستمع فيه ديان من جونين(قائد الجبهة) إلى التقارير وشاهد خرائط المنطقة وما وضحته عن سقوط عدد من مواقعنا. . وسيطرت عليه حالة الاكتئاب واهتزت على شفتيه ابتسامة عصبية .

. . وقد وصف الجنرال أورى الموقف قائلاً:

« كان الشعور المسيطر علينا ساعتئذ هو أننا نعيش أحداثاً حاسمة ومروعة يتوقف عليها مصيرنا، فكل هزيمة تفتح فجوة جديدة فى الطريق إلى تل أبيب .

وعند ما عاد موشيه ديان من هذه الجولة فى الجبهة الجنوبية، كان بادى القلق، وقد اجتمع على افور مع جولدا مائير، التى كانت قد أبلغت بالخسائر التى أصابتنا فى اليوم السابق وهو أول يوم فى الحرب، وكانت هذه الخسائر خمسمائة قتيل، وألفين من الجرحى وعشرات من الأسري، ولإدراك أبعاد الكارثة، يكفى مقارنة هذه الأرقام بأرقام الحروب السابقة. ففى عام ١٩٥٦ وقع فى صفوف الجيش الإسرائيلى خلال القتال جميعها مائة وثمانون قتيلاً وأسيران فقط. وخلال حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧) كانت خسائرنا الإجمالية ٨٥٠ قتيلاً، ١٤ أسيراً.

وفى هذا اليوم من أكتوبر ١٩٧٣ - وفى ٢٤ ساعة فقط من القتال - إذ بإسرائيل التى كانت تعتبر حتى ذلك الوقت قوة عسكرية، إسرائيل التى غدت بسالتها مضرب الأمثال لكل جيوش العالم، إسرائيل التى حققت منذ ستة أعوام أعظم انتصاراتها وأكثرها مدعاة للذهول فى تاريخ الحروب الحديثة. إذ بإسرائيل هذه تتخبط كالحيوان

المطارد من بقائها نفسه بعد أن أصبحت مهددة بالدمار الكامل.

لقد كان انقلاباً كاملاً شاملاً فى فترة قصيرة من الزمن.

(من كتاب كيبور لمؤلفيه الإسرائيليين السبعة)

* * *

إن انتشار الدبابات المصرية فى سيناء صنع أمامنا جداراً سميكاً من الصلب، وكان المشاة الميكانيكيون فى مواقعهم يصبون على دباباتنا صواريخهم. التى تطلق من الكتف، كما أن كثافة النيران المصرية قد وضعت الطيران الإسرائيلى فى موقف بالغ الصعوبة، وهذا كله مع الإصرار الفائق الذى قاتل به المصريون.

لقد كانت هذه الحرب تجربة مروعة بالنسبة إلى (كان لدينا الإحساس بأننا نواجه هجوماً من أمواج لا تنتهى من النمل المتماسك الملتصق ببعضه البعض المصمم على دحرنا.

كان هذا هو حالنا أمام الجيش المصرى عند قناة السويس.. حيث كانت أمواج متلاحقة من المدرعات والدبابات والعربات تقذف علينا القنابل والقذائف والصواريخ».

« من حديث لجندى إسرائيلى مع الكتاب الصحفي الفرنسي « إيريك رولو »

* وكان مقتل الرجل الحديدى.. رمزاً محزناً لإسرائيل:

ولد « إبراهام ماندلر» بمدينة لينتس بالنمسا فى عام ١٩٢٩. وهاجر إلى فلسطين فى عام ١٩٤٠، وبعد خمس سنوات من « هجرته» انضم إلى وحدات الجدناع " ثم التحق فى عام ١٩٤٧ بالخدمة فى الجيش الذى سعى بن جوريون إلى تكوينه من العصابات الإسرائيلية المسلحة مثل الهاجاناه والجدناع، واشترك إبراهام (ألبرت) ماندلر فى حرب فلسطين قائداً لإحدى السرايا، وفى عام ١٩٥٢ عمل فى عدة وظائف عملية وتدريبية. وقيادية، إلى أن كان عام ١٩٥٦ بكلية القيادة والأركان الإسرائيلية، وفى عام ١٩٦٤ درس التاريخ العام بجامعة تل أبيب، وبعد ذلك بعام واحد عين قائداً لأحد الألوية المدرعة ثم اشترك فى حرب يونيه ١٩٦٧، قائداً للواء مدرع كان يعمل على هضبة الجولان السورية.

وعين فى عام ١٩٦٨ قائداً ثانياً لسلاح المدرعات بعد أن رقى إلى رتبة« تات ألوف» ، وفى عام ١٩٧٢ – بالتحديد فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢ عين ألبرت قائداً لمدرعات سيناء ورقى إلى رتبة ألوف» .

وكان يوم الأحد « ٧ أكتوبر ١٩٧٣ » محدداً لتركه منصبه كقائد عام للقوات المدرعة التابعة للجيش الإسرائيلى فى سيناء ، تمهيداً لاحتلاله منصباً أكبر . وهو قائد عام لسلاح المدرعات الإسرائيلى خلفاً للجنرال « آدان» .

. . . . . .

تلك هى قصة حياة الرجل الحديدى الجنرال إبراهام (البرت) ماندلر الذى كان طويل القامة ، قرمزى الوجه ، ذا عينين مخمليتين زرقاوين ، وكان من أبرز صفاته – كما أشرنا من قبل أنه هادئ لدرجة البرود حتى إن مؤلفى كتاب« المجدال» الإسرائيلى يقولون عنه « أنه ظل هادئاً ومهدئاً حتى فى ساعات اليأس التى شهدتها جبهة سيناء فكان صوته موزوناً وهادئاً كصوت الطبيب خلال العملية الجراحية» .

. . . .

ونتابع الرجل فى أيامه الأخيرة التى بدأت مع بداية حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ويستوقفنا هذا الحوار الذى دار بينه وبين مراسل عسكرى قبل اندلاع الحرب ، حين سأله المراسل : «ماذا يحدث لو عبر المصريون القناة غداً صباحاً؟

وأجاب هو بثقة « حديدية » : [إذا حدث ذلك ستصدهم قواتنا فى خط المياه ، وخلال مدة لا تذكر تكون الحرب قد دارت فى الجانب الثاني ! !]

ثم أضاف ألبرت عن توقعاته قائلاً : «إذا جرى هنا صباح الأحد (٧– أكتوبر) حفل استبدال القادة ، سأكون مطمئناً ، أما إذا لم يجرهذا الحفل فليكن بعلمك أن الوضع خطير»

ملحوظة : « الحفل الذى كان ألبرت يتحدث عنه هو الحفل الذى كان من المفروض إقامته بمناسبة وداعه لقواته فى سيناء – وتسلم القائد الجديد مكانه . وبالطبع لم يتم هذا الحفل لأن يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . دخل التاريخ فجأة باعتباره ثانى أيام حرب رمضان ! !

والواقع أن إحساس الجنرال إبراهام (ألبرت) ماندلر باحتمال قيام الحرب كان قويًا حتى إن ضابطاً إسرائيليًا كبيراً يقول :

« منذ بداية الأسبوع الذى سبق الحرب ، كنا فى حالة تأهب قصوي ، حيث وضعنا الجنرال (ألبرت) ماندلر قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى حالة التأهب هذه بمبادرته الشخصية ، وبلغنا مستوى من التأهب يستطيع فيه الرجال (رجال المدرعات) التحرك خلال بضع دقائق من الإنذار ، وكانوا ينامون بملابسهم وأحذيتهم بعد أن يعملوا من الصباح حتى المساء فى تشحيم دباباتهم . »

والمعروف أن خطة المدرعات الإسرائيلية فى سيناء التى سميت بخطة « برج الحمام» كانت تتضمن اندفاع هذه المدرعات إلى القناة بمجرد التأكد من احتمال عبور المصريين ، وقد وصل إلى قيادة مجموعات عمليات (ألبرت) ماندلر تحذير جديد فى الساعة ١٥ , ١٢ ظهر يوم السبت ٦- أكتوبر- ١٩٧٣ ، واقترح العميد المحلى (بينو) وكان نائباً لألبرت أن يبدأ تنفيذ الخطة على الفور . وأصدر الرجل « الحديدي» أوامره بالفعل إلى قواته .

وفى الساعدة الثانية اتصل جونين قائد جبهة سيناء بألبرت ماندلر قائلاً له : لقد حان الوقت لكى تدفع الألوية المدرعة إلى القناة .

وهنا رد عليه « ألبرت» باختصار وتوتر مفاجئ :

« بالفعل قد حان الوقت ، فالآن- وفى هذه اللحظة- بدأ المصريون يمطروننا بقنابلهم» والواقع أن ألبرت- بالرغم من كلماته إلى جونين- لم يستطع أن يعرف أن القوات المصرية تشن هجوماً واسعاً على طول الجبهة إلا بعد ساعات من بدء الهجوم، ولم يعرف أيضاً أن هناك قوة برمائية مصرية قد عبرت القناة إلا بعد فترة ليست بالقصيرة!

وقد وجه (الرجل الحديدي) مدرعاته إلى حصون خط بارليف لمساندتها ، ولإيقاف عبور المصريين ، وكانت قد تكهن بأن الهجوم المصرى الرئيسى سيكون من الشمال ، ولذلك أمر لواء « جابي» المدرع بالتحرك إلى هناك ، وكلف العقيد « أمنون» بقيادة القطاع الأوسط مع لوائه وكلف العقيد « دان» بالتحرك غرباً فى الجنوب عن طريق مضيق الجدي .

. . . وقد تصور ألبرت أن قواته المدرعة هذه قد وصلت جميعها إلى حصون بارليف ما عدا الحصن الواقع على لسان بور توفيق ،

. . وحينما ساد الغموض موقف هذه القوات، حاول نائبه «بينو» أن يستوضح صورة المعارك فاستقل طائرة هليوكبتر لكى يحلق بها فوق الطرق والمحاور التى تتحرك عليها مدرعاتهم لكنه لم يكمل هذه المحاولة وأنهى الجولة بسرعة بالغة عندما تعرضت طائرته للإسقاط.

وعلى أية حال فإن يوم الأحد السابع من أكتوبر[الذى كان محدداً للاحتفال بتوديع الرجل الحديدى (ألبرت) ماندلر لانتقاله من قيادة مدرعات سيناء] حمل هذا اليوم أخباراً مزعجة للقيادة الإسرائيلية كلها ولألبرت بشكل خاص: **لقد فوجئوا بأن المشاة المصريين قد انتشروا فى الموقع المختلفة وبالذات المواقع التى كانت المدرعات الإسرائيلية تتحرك للتمركز فيها**، وقد أمطر هؤلاء الأفراد من المشاة المصريين الدبابات والمدرعات الإسرائيلية بوابل من قذائف البازوكا والصواريخ والقنابل المضادة للمدرعات، حتى تحولت سيناء كلها إلى شعلة من النيران.

وأخذ « الرجل الحديدي» يتلقى أخبار قواته المدرعة التى بلغت خسائرها حداً رهيباً . . واتصل بقيادة الأركان وأبلغها« بأنه دخل معارك اليوم الأول بنحو ثلاثمائة دبابة لم يبق منها (فى اليوم التالي) سوى ربعها وهذه الدبابات القليلة المتبقية مبعثرة كلها على طول الجبهة».

وحين ازداد الضغط المصرى فى القطاع الجنوبي، وبدأ الجنود المصريون يجتاحون معظم مواقع هذا القطاع المصرى فى القطاع الجنوبي، وبدأ الجنود المصريون يجتاحون معظم مواقع هذا القطاع التى استسلم ، وقتل أفرادها من الجنود والضباط الإسرائيليين، طلب الرجل الصوت (ألبرت) من جونين[قائد جبهة سيناء] مساعدة جوية بأسرع ما يمكن، وأبلغة جونين بأنها ستصله بعد ٢٠ دقيقة.

وهنا رد عليه ألبرت قائلاً: « لم يبق أمامى عشرون دقيقة»!!

. . . .

ومع ذلك فإن هذه المساعدة الجوية قد تعذر تقديمها- على الأقل بالصورة المطلوبة- نتيجة لتعرض الطائرات الإسرائيلية هى الأخري. لضربات قوات الدفاع الجوى المصرى والسورية، مما أدى إلى إسقاط أعداد غير قليلة من هذه الطائرات، وحرمانها من حرية الحركةالتى طالما تمتعت بها فى سماء المنطقة كلها.

. . . .

وفى يوم الإثنين ٨- أكتوبر- ١٩٨٣ حدث تعديل فى القيادات الإسرائيلية فى جبهة سينآء أصبح الرجل الحديدى بمقتضاه مشرفاً على القطاع الجنوبي، على حين تولى الجنرال «آدن» الشهير باسم (برن) قيادة القطاع الشمالي، وعين الجنرال شارون قائداً للقطاع الأوسط.

ولم يكن ذلك التعديل فى القيادات الإسرائيلية هو التعديل الوحيد الذى تم فى أثناء سير العمليات ، فقد تبعته تعديلات أخرى منها وصول حاييم بارليف ليتولى - بشكل غير مباشر- قيادة العمليات فى جبهة سيناء، لكن الرجل الحديدي- على أية حال- ظل فى موقعه الجديد كقائد للقطاع الجنوبى حتى يوم الخميس (١١- أكتوبر- ١٩٧٣) حين كان يقوم بجولة فى قطاع أحد ألويته المدرعة، وتم اتصال لاسلكى بينه وبين جونين قائد الجبهة الذى كان يتحرك بطائرة هيلوكبتر بالقرب من ذلك القطاع، وسأله جونين عن مكانه حتى يتصل به بعد ذلك ليدعوه إلى اجتماع بمقر القيادة، وفى اللحظة التى حدد فيها الرجل الصوت (ألبرت) مكانه، سكت اللاسلكى فى مصفحة قيادة ألبرت، وحاول اللاسلكى الموجود فى طائرة جونين الاتصال به مرة أخري، ولكنه لم يتسطع، وقال الجنرال جونين لمرافقيه وكان بينهم الجنرال « وايزمان»: (لابد أن أمراً ما قد وقع لألبرت)

وبالفعل اتضح أن قذيفة مصرية مباشرة، دمرت العربة المصفحة التى كان يستقلها ألبرت (الرجل الحديدي) وأدى الانفجار إلى مقتله ومقتل أربعة آخرين كانوا معه، ومن بينهم « رافى أونجر» المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل.

وقد صدمت القيادة الإسرائيلية بمقتل الجنرال إبراهام (ألبرت ماندلر) صدمتين:

أولاهما لمكانة الرجل وقيمته ، وثانيتهما ما أثبتته الضربة من قدرة القوات المصرية على تحديد مكانه بسرعة بالغة ثم دقة استخدامها للمدفعية.

ذلك هو المشهد الأخير فى قضية القائد الإسرائيلى إبراهام ماندلر الشهير بألبرت والرجل الحديدى والرجل الصوت، والذى كان متوقعاً أن يعين فى يوم قريب فى منصب رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلي، لو لم تعاجله القذيفة المصرية، وليكون موته« ضربة معنوية قاسية لجند الجيش الإسرائيلي» على حد قول مراسل حربى إسرائيلي.

ولكى يصبح فى الوقت ذاته أحد الرموز المحزنة لحرب أكتوبر بالنسبة إلى إسرائيل.

والمثير أنه أدلى بحديثه الأخير للصحفيين قبل موته بثلاثة أيام فقط حين قال لهم:

لقد غيرت هذه الحرب فى نظرى قيماً كثيرة. لقد اشتهرت بأننى ضابط متعنت ومحترف، ولكنني- فى الأساس- ليبرالي.. والآن وبعد الهجوم المفاجئ الذى قام به المصريون، يبدو لى أننا لن نستطيع بعدذلك أبداً أن نسمح لأنفسنا بركوب مخاطرات من هذا النوع..

ثم أضاف ألبرت قائلاً:

« سيكون أصعب جزء فى هذه الحرب، بالنسبة إلى، هو الذهاب إلى عائلات جنودى وضباطى الذين قتلوا»

. . . .

ونحن لو استعدنا تصريح « ماندلر» الذى أدلى به قبل الحرب بساعات- وكان نابضاً بالثقة والغرور، ووضعناه فى مواجهة تصريحه الأخير هذا- لوضعنا أيدينا على مقارنة أخرى توضح حجم انتصارنا فى حربنا الرمضانية- الأوكتوبرية المجيدة. فبعد تأكيد قدرتهم « المذهلة» على إيقاف العبور المصرى ونقل المعركة فى ثانى يوم إلى داخل مصر، ها هو ذا الرجل يعترف بأنهم فى إسرائيل لن يجرؤوا على ركوب «مخاطرات» من هذا النوع مرة أخرى، وهو فى الوقت نفسه يعترف بكثرة القتلى الذين سقطوا من قواته، حتى إنه كان يشعر بالعبء الثقيل الذى سيتحمله عندما يذهب إلى أسرهم بعد "الحرب".

وإن كان القدر (كما يقول كاتب إسرائيلي) « قد وفر عليه هذه المهمة المحزنة لأنه أصبح هو نفسه بعد ثالثة أيام من ذاك الحديث أحد هؤلاء القتلي!!

. . . .

أخيراً أعود إلى ما بدأت به قصة « الرجل الحديدى» أبراهام (ألبرت) ماندلر،

وهو أنه ليس الرمز المحزن الوحيد لحرب أكتوبر بالنسبة إلى إسرائيل، لأن رموزها المحزنة كثيرة ومتعددة، ولا يمكن حصرها وتحليلها فى صفحات محدودة.

ثانيا: من أوراق دافيد اليعازر
رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلي

« أراهما يقتربان من بعيد بين كثبان الرمال . .
جنرالان صغيران يدخلان خيمة كبيرة
وحرس شرف أزرق يحييهما
وهما يبتسمان . . .
. . . .
وأنا أشفق على « أليعازر»
أشفق عليه
عندما أرى أن عظام « الجمسي» سليمة
وإن لم أخطئ فهو أيضاً يبدو مرفوع الرأس
وهو أيضاً يبدوأحسن هنداماً
من ضابطنا أليعازر الذى يبدو منهكاً
. . يبدو مطأطئ الرأس .
. . . .
وأنا أصلى لكى لا يتوقفا، ولكى يدخلا الخيمة المزدحمة
وحتى لا أصاب بخيبة أمل فى آخر لحظة
. . . .
ولكن ما باله – بحق الشيطان– ما باله أليعازر لا يخطو زاهياً
ما باله لا يتبختر– كما قال موليير– كالملوك على المسرح» .

***

من قصيدة للكاتب والشاعر الإسرائيلي يهوناتان جيفن. . حين انفعل بمحادثات فصل القوات في خيمة الأمم المتحدة ، وتصور هذه الخيمة كالآلة التي يدخل الجنرالات من أحد طرفيها فيخرج « سلام» من الطرف الآخر، ولكن - كما تقول القصيدة- يبدوا أن انفعال الشاعر الإسرائيلي بصورة رئيس أركان جيش الدفاع دافيد أليعازر وهو منهك مطأطئ الرأس وقد فقد خطواته المتبخترة الزاهية- كان الانفعال الأقوى والأكثر عمقاً.

*أشرت إلى أن الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الرسائيلي بتضمن جزءاً من أوراق دافيد أليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بعد « أوراق» قد تبدو متناثرة لأنها تأتي على ألسنة عدد كبير من قادة وضباط وجنود وكتاب إسرائيليين وإن كانت في الحقيقة متصلة فيما بينها إذ يربطها وينتظمها جميعًا تطور سير العمليات القتالية . . وخاصة تلك العمليات التي تعتبر الملامح الأساسية البارزة لحرب أو طوفان أكتوبر ١٩٧٣ .

ولعل اختياري لأوراق دافيد أليعازر بالذات- حسب ما سجله هو ، وما ذكره أقرب المقربين إليه- يرجع إلى أن موقفه كرئيس للأركان يجعل من أوراقه ملفًا خاصًا لجيش الدفاع الإسائيلي بشكل عام. ومن ثم فإن القسمين اللذين يتكون منهما الفصل الأساسي- أوراق جيش الدفاع الإسرائيلي- يكمل كل منهما الآخر لتكون الصورة- في النهاية - دقيقة ومفصلة وواضحة من وجهة النظر الإسرائيلية.

وإنني حين أقول إن (أوراق دافيد أليعازر) تكاد تكون أوراق الجيش الإسرائيلي فإنني أقول أيضاً . . إنها تعد في الوقت نفسه أوراق موشيه ديان، وحاييم بارليف، ورفائيل إيتان ويتسحاق حوفي، وإلياهو زاغيرا وإسرائيل طال وإريك شارون وشموئيل جونين، وبنيامين بيليد. . بل إنها أوراق جميع الجنرالات الإسرائيليين.

كما أنها أوراق جولدا مائير ووزرائها.

ولعل المغزى المهم لاختيار أوراق واحد من ألمع وأكبر جنرالات إسرائيل يرتبط بواحدة من أهم نتائج حرب ٦ أكتوبر ,١٩٧٣ وهي سقوط الهالة التي أحاطت بهؤلاء الجنرالات. . وكشف زيف الصفات الأسطورية التي رمتها الدعاية الصهيونية لهم . . فإذا بهم يسيرون « منهكين مطأطئي الرؤس. . لا تتبختر خطواتهم كملوك المسرح. . فقدوا لمعانهم وزهوهم » بينما - على الطرف بالآخر - يقف جنرالات

مصر . . « مرفوعي الرؤوس» . . ثابتي الخطوات، سليمة عظامهم » (يعني لم تتحطم عظامهم أو تدق لحومهم كما وعد أليعازر نفسه في ثالث أيام الحرب . .)

لقد كان سقوط هؤلاء القادة والجنرالات الإسرائيليين رمزاً صارخاً لسقوط أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي قيل إنه لا يقهر .

تماماً . . تماماً مثلما أن سقوط خط بارليف . يعني سقوط رمز عالمي لقوة اسرائيل ؟؟ كما قال أكثر من كاتب اسرائيلي

وحتى يتضح الحجم الهائل لسقوط جنرالات إسرائيل بما فيه من دلالة تاريخية يكفي أن نلقي نظرة سريعة على صورتهم السابقة(قبل تلك الصورة التي رسمها شاعرهم « يهوناتان جيفن » لدافيد أليعازر رمزاً لهم جميعاً) .

يقول مؤلفو كتاب المحدال :

(كان كبار قادة الجيش الإسرائيلي- بعد عام ١٩٦٧- يتنقلون من موكب نصر إلى آخر ومن مأدبة نصر إلى أخري، وتم تخليدهم جميعاً بمئات ألبومات النصر التي غمرت العالم كله .

ونزل كبار القادة والجنرالات من الصحافة وشاشات التليفزيون إلى صفحات الألبومات، فقد أصبحت ظاهرة الألبومات مثلاً يحتذى به . لقد أصدرها الناشرون الخصوصيون في الأسواق، وتخاطفها الجميع كالكعك الطازج، أما القيادات والوحدات فقد أصدرت ألبومات خاصة بها ، ونشرت في أحد هذه الألبومات صورة أحد القادة لا أقل من ٢٠ مرة .

وقد درج قول على أحد القادة أنه (مسفوع من وميض أضواء آلات التصوير المتوهجة). وقالوا عن آخر "إنه لا ينبس ببنت شفة إلا إذا وضعوا أمامه ميكروفون»

. . . تلك كانت صورة قادة وجنرالات إسرائيل . . داخل إسرائيل وخارجها، بل إنهم في الخارج قالوا إن على الأكاديميات العسكرية العالمية أن تدرس نظريات وأساليب هؤلاء الجنرالات العظام في إسرائيل .

وتشدني المفارقة الهائلة . لأجد نفسي وأنا أشير مرة أخرى إلى الصورة التي رسمها الشاعر الإسرئيلي لرئيس هيئة أركان جيش الدفاع وهو منهك، مطأطئ الرأس، فقدت خطواته تبخترها وزهوها . .

بل إننى أشير على عجل إلى السقوط المدوى لمعشوق إسرائيل الجنرال موشيه ديان الذى اشترك ابنه فى مظاهرات ضده تصيح فى وجهه « أنت وزير العار ». وطار بعد ذلك كرسى الوزارة من تحته بعد أن كان يحلم به قبل أيام من حرب أكتوبر.

يقول ديفيد اليعازر فى مذاكراته:

بعد انتهاء اجتماع القيادتين السياسية والعسكرية الذى عقد فى صباح ٥ أكتوبر ، استدعتنى السيدة مائير إلى منزلها. ليلاً لإعادة تقييم الموقف، وسألتنى:

« هل تعتقد أن فى إمكان المصريين عبور القناة. . ؟ إن هذا هو الأمر المهم فى أية أحداث يمكن أن تقع . . اننى أسالك بصفتك رجلاً عسكريًا، وخصوصاً أريد أن أتأكد منك بالذات بعد أن أكد لى آلجنرال بارليف منذ دقائق أن عبور المصريين لقناة السويس أمر مستحيل. . فإنه أعد قنوات بترولية تعمل فى دقائق وبإمكانها أن تحول كل شبر من خط المواجهة فى منطقة القناة إلى كتلة حريق قاتلة . . !

وقبل أن أجيبها توارد إلى خاطرى سؤال وهو: لماذا سألتنى أنا بالذات أو أنا والجنرال بارليف. . ؟ لماذا لم تستدع الجنرال ديان بصفته وزيراً للدفاع وتسأله. . ثم قلت لها: إن المعروف دوليًا أن أصعب العوائق المائية فى التاريخ اثنان لا ثالث لهما، وهما قناة السويس وقناة بنما، وذلك لطبيعة المياه والعمق والعرض. وإذا أضفنا إلى ذلك كله الموانع الحصينة مثل خط بارليف، ومواقع الإشعال البترولي. . ثم سمك الساتر الترابي. . فإن ذلك كله، ودون أى تفكير كاف للدلالة على استحالة عبور المصريين لقناة السويس وأنا أتفق مع الجنرال ديان عليأن أى تحرك عسكرى مصرى لن يكون ، أو لن يخرج عن نطاق ضربة جوية لمطاراتنا فى الجبهة ومراكز الاتصال والإمداد، والقيادة، ومن الممكن أن تحدث عمليات إنزال انتحارية خلف خطوطنا، وهذا أمر نتدبره جيداً، ونحسب حسابه الدقيق.

ثم إن المعروف عن المصريين والسوريين بأنهم متدينون بطبيعتهم فكيف يقاتلون فى شهر رمضان وهم صائمون. . ثم إن تقاريرنا تشير إلى أن الحالة هادئة جداً على ضفتى القناة.

***

سبق أن ذكرت أن الجنرال ديان قال فى اجتماع أمام الكنيست إن لديه خطة لاستدعاء الاحتياطي، وتسلُّمه مواقعه خلال ست ساعات، وكانت هناك عبارة قد

اتفقنا عليها، وتذاع بواسطة الراديو . . أثناء نشرات الأخبار . . التى تتوحد فى وقتها كل شبكات الإذاعة الإسرائيلية، وتذاع كل ساعة، ويحرص الشعب الإسرائيلى على سماعها . . هذه العبارة تكون إنذاراً عاجلاً لكل قوات الاحتياط للتجمع فوراً فى مراكزها، هذه العبارة هي :

« على كل متعهدى الألبان المستوردة التوجه فوراً إلى مراكز التسلُّم بمناطقهم بجميع أنحاء البلاد . . لتسلُّم الكميات الإضافية من الألبان المعلبة». على أن تذاع العبارة السابقة على أنها نداء من وزارة الصحة .

وبدأ الجميع يستعد للاحتفال بعيد الغفران وفى صباح يوم ٦ أكتوبر أى فى صباح عيد الغفران توجه الجنرال ديان وزير الدفاع، والجنرال بارليف . ومعهم بعض القادة العسكريين إلى مواقع جنودنا على ضفة القناة، وشاهد الجنرال ديان بنفسه الوضع على الضفة الأخرى من القناة من أحد أبراج المراقبة الحصينة . . فرأى الجنود المصريين وهم مستلقون على شاطئ القناة، ويلعبون الكرة، ويسبحون فى مياه القناة واطمأن الجنرال ديان إلى أن كل شيئ يسير على ما يرام . .

وفى الواحدة ظهراً كنا نتبادل الأنخاب . . نهنئ أنفسنا بيوم الغفران، وكانت الاحتفالات فى جميع أنحاء البلاد- إسرائيل- تسير بشكل عادى حتى الساعة الثانية وعشر دقائق . . حيث بدأت الإشارات والبرقيات تتوالى من مراكز القيادة الفرعية الموجودة فى القنطرة شرق . وفى وسط سيناء، وأم ثليل والعريش والقنيطرة ، ورفح، وجبل الشيخ، كل البرقيات، والإشارات التى توالت على القادة العامة كانت تفيد أن تشكيلات جوية مصرية قد هاجمت مواقعنا شرقى بور فؤاد والقنطرة وأم ثليل، ويقدر عددها بأكثر من مائتى طائرة، وهى تركز ضربها بكثافة على مراكز الإرسال والاتصال، والقيادة والإمداد .

وفى الوقت نفسه تحركت تشكيلات جوية أخرى من الطائرات السورية، وبدأت بضرب مراكز مواقعنا الرئيسية، فى هضبة الجولان وجبل الشيخ، ولم تمض ساعة من الزمن . . حتى كنا جميعاً فى غرفة العمليات الرئيسية نتابع الموقف، ونحن فى حالة اجتماع دائم، وقبل أن تستقر مقاعدنا جاءتنا إشارة ثانية تفيد بأن هناك عمليات إنزال لقوات الصاعقة المصرية خلف خطوطنا . وهذه العمليات تستهدف عزل المنطقة الشرقية، وتطويقها كلها . . كما أفادت هذه الإشارة أن بعض هذه العمليات

قد نجحت، واستطاع الكوماندوز المصريون التسلل إلى مواقعنا، وأن القتال يدور وجهاً لوجه، وهنا ضرب الجنرال ديان المنضدة التى كنا نجلس إليها بعصبية، وأصدر أوامره على الفور بأن يتحرك سلاح الجو الإسرائيلى بتشكيلين:

الأول يشتبك مع الطيران المصري، والثانى يتسلل لضرب المواقع المصرية على الضفة الأخرى من القناة.

وأصدر الجنرال بنيامين بيليد - بات بيليد- قائد سلاح الجو أوامره.

وتحرك سلاح الجو الإسرائيلى من مطارات العريش وتمادا، وبعدذلك بدأت الإشارات تتوالى وكلها تفيد أن المصريين، والسوريين قد فتحوا نيران جميع الأسلحة الثقيلة، والمتوسطة والخفيفة بقوة وغزارة على مواقع قواتنا، وهنا أيضا صرخ الجنرال ديان: إذن لقد بدءوا الحرب من جبهتين.. وبعد ذلك بلحظات كان معظم قادة البلاد السياسيين والعسكريين فى مقر القيادة، ولم تمض ساعة حتى جاءت إشارة أخرى عاجلة تقول إن أكثر من ألف قارب مطاط محملة بالجنود المصريين بدأت تعبر القناة.

وفى هذه اللحظة فوجئنا جميعاً بالجنرال بارليف، وهو يصرخ بعصبية: إذن أراد المصريون الانتحار.. فليكن لهم ما يريدون..!

وكانت الساعة ١٤٢٠ أى الثانية وعشرين دقيقة بعد الظهر- وفى الساعة ١٤٣٠ أى الثانية والنصف جاءت إشارتان جديدتان.

الأولى تقول: إن القوات السورية بدباباتها ومدرعاتها، وأكثر من أربع فرق مشاة قد تمكنت من احتلال ستة مواقع حصينة على الطرق المؤدية للقنيطرة، وأن سلاح الجو السورى أسقط أربع طائرات لنا، والإشارة الثانية تفيد بأن الكوماندوز المصريين استطاعوا تسلق الساتر الترابى المرتفع واقتحام بعض دفاعاتنا الحصينة. وأن المعارك تجرى بالسلاح الأبيض وجهاً لوجه على الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن عبروها، وأنهم تمكنوا من رفع أول علم مصري. وهم يصرخون فى شراسة لا نظير لها.. الله أكبر.. الله أكبر. اثم امتد القتال ليشمل جبهة السويس كلها. وصدرت الأوامر من الجنرال ديان وزير الدفاع بشن هجوم مضاد فوراً، ومما قاله ديان فى ذلك الوقت سوف أحاصر القوة.. التى عبرت القناة، وأمنعها من العودة ثانياً.. فلقد كان التصور وقتئذ أن هذه القوة لا يمكن أن تبقى إلى مدى طويل على الضفة الشرقية للقناة دون عبور أسلحة ثقيلة، ومدرعات ميكانيكية بالإضافة إلى تغطية جوية. لكن الذى

حدث بعد ذلك أن القوات البرمائية المصرية بدأت تعبر القناة من جنوب البحيرات المرة، وبحيرة التمساح عند الإسماعيلية . . بعد أن نجحت القوات المصرية الأخرى فى العبور من بور سعيد.

حقًا لقد كانت الأحداث تتوالى بأسرع مما كنا نتصور، أو نفكر . أو نخطط .

فلقد كان اعتقادنا عن الجنود المصريين فى ذلك الوقت . وكذلك السوريين أنهم لن يصمدوا طويلاً فى مواجهة مهمة أفراد جيش الدفاع الإسرائيلى بسبب الأسلحة المتطورة وبسبب الفرق النوعى بين الجندى الإسرائيلى وبينهم . . كما كان هناك سبب آخر رئيسى كنا نعتمد عليه فى كل حروبنا السابقة مع العرب وهو التقارير الكاذبة التى تعود قادتهم فى الجبهة أن يقدموها إلى القيادة العامة . . فكانت هذه القيادة العامة تصدر إليهم الأوامر بناء على هذه التقارير الكاذبة، والتى يعلم هؤلاء القادة فى الجبهة جيداً أنها أوامر صدرت إليهم بناء على تقاريرهم الكاذبة مما يؤدى إلى تخبط القيادة سواء المركزية التى تعطى الأوامر أو التى فى الجبهة . . التى تعطى التقارير الكاذبة . .

ومنذ ذلك الوقت أصبح مجلس الوزراء الإسرائيلى فى حالة انعقاد دائم وكانت أخطر الإشارات التى وصلتنا حينئذ هى التى أفادت أن المصريين بدءوا فى صنع ممرات عبر السواتر الترابية السميكة . . باستخدام الضغط المائى أو قوة دفع المياه عن طريق مضخات خاصة . . كانوا يستخدمونها تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والمشاة . كما بدءوا يسقطون معديات ولوازم عبور أمام رءوس الكباري، وكانت بالفعل تلك الإشارة هى أخطر الإشارت . . لأنها كانت تعنى أن أى تقدير للعمل العسكري . . الذى تقوم به مصر وسوريا . . أصبح تقديراً متأخراً . . كما اتضح أن العملية لا تقتصر على توجيه ضربة . . بل هى محاولة مستميتة للتقدم والعبور . .

وفى هذا الوقت جن جنوننا . . وأصدرنا أوامرنا بأن يكثف سلاحنا الجوى هجومه فى محاولة لمنع المصريين من صنع الممرات خلال السواتر .

تعطيل إسقاط المعديات والكبارى فى القناة، ولكن المدفعية المصرية المحملة بصواريخ سام ٦ أسقطت لنا خلال أربع دقائق خمس طائرات منها ٢ فانتوم و٣ سكاى هوك . . كما جاءت إشارة ثانية تفيد بأن القوات السوية تتقدم بسرعة نحو القنيطرة وأنها احتلت مواقع مهمة لنا فى القطاعين الشمالى والأوسط .

لقد كانت الإشارات تتوالى بشكل مذهل . وكنا بقدر الإمكان نحاول المحافظة على هدوء أعصابنا. واتزان تفكيرنا. . لكننا بعد وصول الإشارة رقم ٢٢ والتى أفادت أن المصريين تمكنوا من إنشاء عشرة (كبار)ثقيلة، وعشرة (كباري)مشاة، وأن الدبابات والعربات المجنزرة والمعدات الثقيلة بدأت فى العبور إلى الضفة الشرقية للقناة. . لم نستطع أن نتوازن بشكل دقيق، أو أن نفكر بدقة فى أى شيء بل سيطر علينا الذهول المقرون بخيبة الأمل. . خصوصاً أن الاشتباكات الجوية بين سلاحى الجو المصرى والإسرائيلي. . قد بلغت ذروتها لكن قصف الصواريخ المصرية بعيدة المدى والطائرات المقاتلة المصرية. . استطاع أن يشل فاعلية قيادة قواتناالجوية فى أم مرجم، ويفقدها سيطرتها على المنطقة. . لذلك صدر أمر بنقل قيادة قوات المنطقة الجوية والوسطى إلى العريش.

***

وصرخ ديان
لولا تأكدى من أنه لم يبق بمصر خبير سوفيتى
لقلت إننا نحارب روسيا!

ثم صدرت الأوامر فى الساعة ١٦٠٠ - أى الساعة الرابعة بعد الظهر - بأن يذاع نداء استدعاء الاحتياط . . مع أول بلاغ نصدره إلى الإذاعة عن المعارك والعمليات العسكرية هذا فى الوقت الذى وسعت فيه القوات المصرية هجومها . . فامتد إلى الساحل الشمالي . حيث قامت وحدة كوماندوز مصرية . . بهجوم على أحد مواقعنا الحصينة شرقى بور فؤاد وكان معنى نجاح هذه العملية . . أن تصل القوات المصرية عبر الطريق الساحلى إلى أهم مركز لقيادة جبهة سيناء كلها والموجودة فى منطقة (رومانة) .

. . فأصدر الجنرال ديان أوامره بنقل الكثافة الجوية . وكثافة الاحتياط المدرع لمنع تقدم المصريين على الطريق الساحل واستمر القتال ساعة انسحبت بعدها القوة المصرية المهاجمة بعد أن قتلت سبعة جنود لنا . ولكن المفاجأة اتضحت بعد ساعة واحدة من انسحاب القوة المصرية إلى مواقعها فى بور سعيد ، وكانت هذه المفاجأة من النوع الذى يخفيه الطريق . . فقد اتضح أن هناك قوة انتحارية أخري . . تقطع الطريق الساحلى المؤدى إلى منطقة رمانة . . فى حين كانت تتحرك قوات مصرية أخرى لمحاصرة المنطقة .

وما إن أشارت عقارب الساعة إلى ١٧٠٠ أى الخامسة حتى كانت قد سقطت لنا ١٤ طائرة ، وكانت الإشارات الأخيرة التى نلتقطها قبل سقوط هذه الطائرات أن هناك شيئاً ما جذب الطائرة إلى مجال صواريخ سام ٦ حيث يتبعها الصاوخ ، ولا يتركها وهى محترقة ، وكانت مهمة الطائرات فى بادى الأمر هى المناورة . وجذب الطائرات الإسرائيلية إلى مدى شبكات صواريخ سام-٦- فأصدرنا أوامرنا بألا يقترب الطيارون الإسرائيليون من القناة ، وأن يمارسوا عملياتهم على بعد ١٥ ، أو عشرين كيلو متراً من الضفة الشرقية . وهذا معناه أن هناك مسافة كبيرة . . فقدنا السيطرة الجوية عليها ، وهى التى كنا نعتمد عليها بصورة كبيرة . . الأمر الذى جعل حركة الآليات المصرية سهلة . . وعلى الرغم من أننا كنا نتحرك بسرعة .

إلا أن النهار أوشك أن ينتهى دون أن نحقق هجمة مضادة ناجحة . ومؤثرة . . نوقف بها تدفق المعدات الثقيلة عبر الكبارى إلى الضفة الشرقية حيث مواقع قواتنا . . الأمر الذى أدى إلى أن يصبح القتال شبه مواجهة بالأسلحة الثقيلة، وكان معنى أن يأتى الليل ويسود الظلام أن تنتهى أية فاعلية لسلاحنا الجوى فى الوقت الذى تستطيع فيه القوات المصرية تثبيت وتحصين هذه الكبارى. وبالفعل بدأت طائرات الهليكوبتر المصرية فى التدفق إلى الضفة الشرقية للقناة، وهى محملة بجنود الصاعقة. وتم الإنزال المصرى داخل بعض مواقعنا بعد أن وصلت إلى حالة الشلل التام فاعلية سلاح المدرعات فى المنطقة. . بعد أن استطاع بعض رجال الكوماندوز المصريين صنع شباك شراكية. . أعاقت تحرك دباباتنا.

وفى الساعة ١٩٤٠ أى - الثامنة إلا الثلث مساء - كانت حصون خط بارليف الحصينة. . قد أصبحت تحت سيطرة المصريين وبحثنا عن بارليف . . فلم نجده ومنهم من قال إنهم شاهدوه يسرع خارجاً، والدموع فى عينيه لأن الحقائق بدأت تتضح أمامنا شيئاً فشيئاً وكانت هناك حقيقة واحدة ومؤكدة. . تصيبنا جميعاً بالوجوم والذهول. وهذه الحقيقة هى أنه قبل حلول الظلام فى يوم ٦ أكتوبر. كانت ٩ مواقع حصينة من قلاع خط بارليف. . قد سقطت فى أيدى المصريين. . بالإضافة إلى ١٧ موقعاً من المواقع القوية الأخرى والبالغ عددها ٣١ موقعاً قويًا. وخط بارليف كان يتكون من ٢٢ قلعة حصينة بالإضافة إلى ٣١ نقطة قوية.

كما أن الإشارات كانت تؤكد أن أكثر من ثلاثين ألفاً من الجنود المصريين أصبحوا يقاتلون فى الضفة الشرقية ومازالت المعدات الثقيلة تعبر الكبارى إلى الضفة الشرقية وهذا يعنى بالدرجة الأولى أن مرحلة صعبة من القتال سوف تبدأ . . مرحلة مواجهة شاملة. . وهذا ما لم نكن نحسب له حسابه الدقيق-والتلاحم فى القتال بين جنودنا والمصريين معناه أن يفقد سلاحنا الجوى فاعليته . . أو قدرته على مفاجأة العدو. . وشل حركته . . كما أن قيادة سيناء الوسطي. . لم تعد قادرة على إعطاء الأوامر والتوجيهات السليمة لقواتنا نظراً لأن المصريين يحاصرونها بشدة، ويركزون عليها قصفاً شديداً فأصدرنا الأمر إلى القيادة الفرعية فى القنطرة. .لتحل محل قيادة سيناء الوسطى فى توجيه قوات القطاع الأوسط. . وذلك بعد أن حطمت الطائرات المصرية بصواريخها معظم أجهزة قيادة وسط سيناء، وأصبح مجموع ماسقط لنا من

طائرات حتى السنة ٢٢١٠ أى العاشرة وعشر دقائق ٢٥ طائرة . . برغم الأمر الذى أصدرناه فى الساعة ١٧٠٠ أى الخامسة- بعدم اقتراب طائراتنا المقاتلة من منطقة الشط فى القناة . . لتفادى شبكات صواريخ سام ٦ وطلبنا من طائراتنا أن تعمل فى مدى يبعد من ١٠ إلى ١٥ كيلو مترا عن نطاق صواريخ سام ٦ .

وكان يجب أن نجتمع سريعاً . . لنحدد الخطوةالتالية . . فالأمر كما هو واضح أمامنا يحتاج إلى هجوم عنيف مضاد من شأنه أن يوقف على الأقل زحف القوات المصرية والسورية . . التى أصبحت قريبة من مشارف مدينة القنيطرة واستولت على ٦نقاط قوية على سفوح جبل الشيخ .

أصبح القتال يسير ضارياً وشرساً: هذا ما قالته آخر إشارة قبل أن نجلس على مائدة الاجتماع فى غرفة العمليات . . وقبل أن نجلس أيضاً كنا نحتاج إلى هدوء أعصاب . وتركيز عقلى . . لاتخاذ خطوات عاجلة أو حاسمة فى معالجة الموقف . . الذى يتدهور بسرعة فائقة- فالدلائل جيمعها تشير إلى أننا نواجه خطة دقيقة ومحكمة . . لا نعرف مداها أو أبعادها . . بعد أن أصبحنا أمام واقعين جديدين تماماً فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى أديا إلى سقوط كل حساباتنا العسكرية والمقاييس التى بنينا عليها خططنا .

وكان الواقع الأول: أنه لم يعد هناك حاجز مائى يمنع تدفق المصريين إلى مواقع قواتنا فى الضفة الشرقية للقناة .

والثاني : أن حصون خط بارليف المنيعة . . لم تعد لها فاعلية ، ولم تعد هى الخط الدفاعى المأمون . . بعد أن سقط معظمها ، وكان ذلك يعنى أن مرحلة من القتال الضارى سوف تبدأ .

ومعنى ذلك أيضاً أن مواجهة حقيقية سوف تبدأ إن لم تكن بالفعل قد بدأت بين القوات المصرية وقوات جيش الدفاع الإسرائيلى والنتيجة الحتمية لهذه المعادلة الصعبة هى خسائر جسيمة فى الأرواح . وهذا ما نعمل له دائماً ألف حساب . . لأن تعويض المعدات بالنسبة إلينا أمرسهل والشيء الصعب هو تعويض الفرد ، ومن العبارات التى كان الجنرال ديان دائم الترديد لها على مسامعنا هى : إن خسارة جندى إسرائيلي . . تعادل خسارة العرب لمائة جندى عربي ، وهذا أمر نسبى بالنسبة إلى حجم إسرائيلى البشرى وإلى نوعية الفرد فيها . . فهو مقاتل وعامل فى الوقت نفسه .

لقد كان ما يحدث بالفعل كارثة حقيقية، وكانت آثار هذه الكارثة واضحة تماماً على وجوهنا جميعاً. . كانت الكآبة والذهول، والتوتر علامات بارزة تخيم على جو قاعة الاجتماعات التي نجلس فيها في غرفة العمليات- الوحيد الذي كان وجهه هادئاً هو رئيس الدولة. . لأن منصبه في إسرائيل منصب تشريفي ولا يتحمل أية مسئولية- وكان قد حضر هذا الاجتماع بعد أن استدعيناه وكان يتوقع ما حدث . . إلا أنه هو الآخر حينما بدأ يقرأ آخر الإشارات الواردة من الجبهتين المصرية والسورية ظهر عليه الاهتمام الشديد. وكانت كل هذه الإشارات تشير إلى إصرار المصريين والسوريين على مواصلة التقدم.

إذن فالأمر ليس عملية دعائية محدودة . . إنهاالحرب. . الحرب بكل ما تعنيه هذه الكلمة في العرفين العسكري، والسياسي. . حرب تختلف عن كل الحروب. . التي خضناها ضد العرب. . فدائماً كانت المبادرة في أيدينا، وكان التحرك بالنسبة إلينا أمراً سهلاً- لأننا نحن الذين كنا نهاجم، ولكنهم هم الذين هاجموا، ومعنى ذلك أن التوقيت لهم، وهذا أمر مرير كان يحز في نفوسنا جميعاً . . كما أن الملاحظ حتى الآن أن المصريين والسوريين غيروا طبيعتهم. . التي كنا نعرفهم بها، ونعتمد عليها. . أعني لم تعد لديهم تقارير كاذبة إلى قيادتهم العامة.

وهنا دخل الجنرال بارليف صائحاً وكان قد تأخر قليلاً عن بداية الجلسة:

هؤلاء الصحفيون أوغاد، وكان قبل أن يدخل قد استوقفه المراسل العسكري بصحيفة معاريف المسائية- أعتقد أنه يعقوب إيرز- وسأله. . هل حقًا حطم المصريون خط بارليف، وعبروا القناة. ولم يتمالك بارليف أعصابه. . فلكمه في وجهه لكمة قوية أصابته.

في هذا اليوم المشحون بالتوتر، والذهول والوجوم. . بدأنا أول اجتماع لنا لنخطط بسرعة للخطوة المقبلة.

وفي هذا الاجتماع كان أمامنا ثماني خرائط توضح اتجاهات القتال الدائر بشراسة على الجبهتين المصرية والسورية، وكانت مناقشاتنا تدور حول إعداد خطة لهجوم مضاد مكثف . . نعتمد فيه بالدرجة الأولى على الاحتياطي التعبوي التكنيكي - ونوقف به تقدم القوات المصرية والسورية. . لأنه كان معنى أن نظل ندافع أن مزيداً من التقدم سوف يتحقق للمصريين على خطوط القتال ولخصنا خطتنا في النقاط التالية.

١- تحطيم رءوس الكباري . . التى أقامتها القوات المصرية لكى نوقف عبورها من خلال جسورها إلى الضفة الشرقية لعزلها، ومحاصرتها، والسيطرة عليها تماماً.

٢- ضرب شبكات صواريخ سام ٦ . . التى تعوق فاعلية سلاحنا الجوى مع توجيه ضربة للمطارات المصرية الرئيسية والموجودة فى عمق الدلتا.

٣- تحريك أربع لواءات مدرعة وخمس فرق مشاة إلى مناطق القتال فى سيناء الوسطي .

٤- تحريك سلاحنا البحرى لضرب شمال بور سعيد واللاذقية، وطرطوس مع أول ضوء لفجر ٧ أكتوبر، فى الوقت نفسه الذى يكون فيه سلاحنا الجوى يقوم بتوجيه ضربة مركزة على أرتال الأسلحة الثقيلة . . المتقدمة فى سيناءوالجولان، مع التأكيد على تفادى الدخول فى مجال صوارخ سام ٦ .

٥- نقل قيادة سلاح الجو فى المنطقة الشمالية بالعريش بعد أن أصبحت مطارات المليز والجدى ، وأم مرجم فى حالة خطرة.

٦- أن يعتمد قتال جنودنا على تفادى القتال المباشر أو قتال المواجهة مع القوات المصرية والسورية، وذلك بصنع حصار كثيف من النيران الثقيلة والصاروخية وشبكات الألغام العازلة.

٧- تطويق القوات السورية المتقدمة فى القطاعين الشمالي، والأوسط على مرتفعات الجولان بأربعة لواءات مدرعة إضافية وثلاث فرق مشاة.

٨- أن يظل الاتصال مفتوحاً، ودائماً بوزارة الدفاع الأمريكية للتشاور فى تطورات الموقف أولاً بأول.

والأمر الذى كنا نتوقعه وكنا نخشاه، ونعمل له ألف حساب أن يحاول المصريون خلال الليل تفريغ مواقعهم ، ودفع المزيد من التعزيزات الثقيلة. والآلية والبشرية، وكان واضحاً أنهم سيطورون الهجوم بعد ذلك باتجاه نحو سيناء وسوف يركزون بعد ذلك على قتال المواجهة أو القتال المباشر. . وبالفعل هذا ما حدث . . فقد بدأت بعد ذلك بقليل الإشارات تتوالى عن أعداد هائلة من الدبابات، والمدرعات، والأسلحة المصرية الثقيلة. . بدأت تتدفق لتعزيز مواقعهم شرق القناة، وأن القوات المصرية تتحرك بسرعة مذهلة فى اتجاه قواتنا وهنا صرخ الجنرال ديان قائلاً : لو لم أكن متأكداً من أنه لم يبق خبير سوفيتى واحد بمصر. . لقلت إننا نحارب روسيا نفسها! .

قبل أن تنعقد هذه الجلسة . . كنا قد طلبنا من الولايات المتحدة. ومن الأجهزة المتخصصة بها إبداء الرأى العاجل فيما حدث، وتزويدنا بالخطط التى يرونها صحيحة ومناسبة لمثل هذا الموقف ،وفى أثناء الجلسة جاء نا الرد الأمريكى . بأن ننتظر قليلاً . . حتى يتم للخبراء الأمريكيين تقييم المواقف على ضوء التطورات الأخيرة . . بعد عبور المصريين للقناة وانتهاء فاعلية خط بارليف ولكنهم نصحونا بأن نحاول بكل جهد تحطيم رؤوس الكبارى المصرية خلال الساعات الأولى من النهار أى نهار السابع من أكتوبر- كما نصحونا أيضاً أن نوجه ضربة قوية لشبكات صواريخ سام ٦ بسرعة وأن نتجنب القتال المباشر، وهذا هو بالضبط عين ما كنا قد اتفقنا عليه .

كما أنه كانت هناك نقطة جوهرية بالنسبة إلينا اختلفت فيها هذه الحرب عن حرب عام ١٩٦٧ وأعتقد أنا شخصيًا أنه كان لها أثر كبير على نجاح خطة المصريين وهى أنه لم تكن هناك اتصالات أو إشارات فرعية بين قيادات القطاعات ، والألوية المصرية يمكن أن نلتقطها لنحدد بعد ذلك خطوتنا التالية . . فى هذه المرة، وعلى الجانب المصرى كانت الخطة محكمة، وكان كل قائد يعرف مهمته بالتحديد، ودون الرجوع إلى القيادة عن طريق اتصالات أو إشارات . . ولا أعرف كيف نمى إلى علم المصريين أما كان مراكز الشوشرة والتجسس الإليكتورنية فى أم مرجم . . فأرسلوا إحدى وحدات الكوماندوز القادمة لهم فى الساعة ١٦٠٠ أى الرابعة من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر وأبطلت فاعليتها .

لكن الأمر الذى أثار انفعالنا جميعاً . . كان حين وصلت إشارة تقول إن الموقع-د- الحصين وهو أحد دفاعات خط بارليف المنيعة التى كنا نعتمد عليها والموجودة شرقى بور سعيد قد سقط فى أيدى المصريين، وقتلوا كل من فيه . . كما أنهم أسروا ضابطاً وسبعة جنود ممن تبقوا أحياءً، وكان هؤلاء أول أسرى لنا يقعون فى أيدى المصريين . . بعد عشر ساعات فقط من بدء الحرب . . فقد صرخ ديان ساعتها بحدة ، وبانفعال فى وجه إلياهو زعيرا مدير المخابرات قائلاً: إننى أحملك مسئولية ما يحدث، وبنفس الحدة والانفعال صرخ فيه زعيرا لقد حذرتكم، وكنت أنت دائما تقول لنا إنه من المستحيل دخول المصريين أى حرب ضدنا أو عبورهم للقناة، وأنت بنفسك وبعينى رأسك . . قد شاهدتهم صباح اليوم .

وهم مستلقون فى استرخاء شديد على حافة القناة . . يلعبون الكرة ويسبحون فى القناة، وأنت وزير دفاع له شأنه . . لماذا لم تحس أو تشعر بأن حدثاً أو كارثة مخيفة سوف تقع . . ؟

كانت القوات المصرية . . كما ذكرت سابقاً تسير بناء على خطة محكمة التفاصيل . فقد عززت قواتها ، ومواقعها فى شرق القناة . . بأعداد هائلة من الدبابات والمدرعات والأسلحة الثقيلة . . كما أنهابدأت فى تعميق رؤوس الكباري . . وبدأنا نحن فى تنفيذ خطة الهجوم المضاد بثلاثة ألوية مدرعة إضافية . . بالإضافة إلى قواتنا شرق القناة ، وبدا سلاحنا الجوى بتشكيلات يصل عددها إلى ١٦٠ طائرة فى مهاجمة التجمعات المصرية . . مع أول شعاع لضوء يوم ٧ أكتوب ، ر ولكن الأوامر مازالت صارمة إلى سلاحنا الجوي . . بعدم الاقتراب من مجال الصواريخ أرض -جو المصرية ، وكنا بذلك نحقق هدفين :

١- إبطال فاعلية هذه الصواريخ .

٢- جر سلاح الجو المصرى لمعارك فردية فى السماء الخالية .

وكان هذا بالفعل هو ما حدث . . لكن ما لم نكن نتوقعه هو أن الطائرات المصرية اشتبكت مع طائراتنا فى قتال عنيف وضار . وأجبرتها على أن تدخل مرة أخرى مضطرة إلى مجال الصواريخ أرض جو . . فى الوقت نفسه الذى استطاعت فيه مجموعات برمائية مصرية من التى تسللت عن طريق جنوب البحيرات المرة ، وبعض الدبابات من الوصول إلى مركز القيادة فى متلا ، وقطعه عن الطريق الشمالي ، كما هاجمت مقر قيادة القطاع الجنوبى المتمركز عند مضيق متلا ، وكانت الإشارة التى وصلتنا تفيد بأن القوات المصرية تحاصر مقر قيادة القطاع الجنوبى من جميع الاتجاهات ، وأن الأمر يتطلب تدخل السلاح الجوي . . هذا فى الوقت الذى كانت فيه معارك الردع شرقى مدينة القنطرة شرق تسير بشراسة . ومواجهة عنيفة .

«إن المصريين يفجرون أنفسهم أمام وفوق مدرعاتنا» تلك كانت إشارة ثانية ، وكانت تعنى قبل كل شيء أن تقديراتنا السابقة حول الجندى المصري ، وقدرته القتالية ، والفرق النوعي . . الذى يفصل بينه وبين الجندى الإسرائيلى كانت خاطئة . . لقد كان المصريون وحوشاً وليسوا جنوداً .

كما كان واضحاً من خطة الهجوم المضاد بعد مرور الساعة العاشرة والنصف من صباح السابع من أكتوبر . . وبعد وصول قوة مصرية أخرى إلى مطار تمادا وإبطال فاعليته ومحاصرتهم لمنطقة الجدي ، وسقوط تسع طائرات أخرى لنا . . كان واضحاً من كل هذه أن خطةهجومنا المضاد . . قد انتهى أمرها ، وعلينا التدبر حسب

التقديرات الأخيرة للموقف، وسير المعارك على أرض القتال. وكانت القوات المصرية تركز جهودها في ذلك اليوم على ما يلي:

١ - محاولة الاستيلاء على القنطرة شرق بأى ثمن.

٢- تعميق وتثبيت رءوس الكباري..

٣- تثبيت المركز في المواقع التى احتلوها على الضفة الشرقية للقناة.. تم تطوير هجومهم وتقدمهم شرقاً.

٤ - تعطيل كل قيادتنا الفرعية في متلا، والجدى وكذلك المطارت القريبة من الجبهة لتصبح عمليات إمدادنا صعبة، وطرق مواصلاتنا شائكة.. حيث أصبحنا بعد ذلك بالفعل نحتاج من عشر إلى سبع ساعات لكى تصل قواتنا التعبوية من الاحتياط التكنيكى إلى مواقع القتال، وكان هذا عاملاً مهمًا في إنهاك قواتنا.. في الوقت الذى تحولت فيه الهضبة السورية إلى كتل مشتعلة.. فالقتال فيها أعنف من أى تصور، وكانت أنباء سقوط المواقع التى كنا نحتلها واكتساح السوريين للخط الذى اصطلحنا على تسميته بالخط البنفسجي. وتوجههم باتجاه وادى الأردن- أمراً مقلقاً للغاية.

وأقول بمرارة.. إننا من بعد ظهر هذا اليوم أى ٧ أكتوبر كنا قد فقدنا سيطرتنا على توجيه قواتنا في المنطقة الشرقية كلها.. فقد كان تقدم القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية يسير بمعدل واحد. لقد كنا كما ذكرت من قبل ذلك أمام خطة محكمة تنفذ على جبهتين عريضتين وكأنها تنفذ على جبهة واحدة.

وفى هذا الوقت أى بعد ظهر السابع من أكتوبر.. كان رئيس الدولة مازال معنا في غرفة العمليات لكن وجهه أصبح جامداً.. مثل جليد القطب الشمالى، وكان الجنرال ديان يتحاشى النظر إليه.

وكانت البلاد من الداخل تعيش في حالة ذعر وقلق.. بعد تسرب أنباء القتال عبر المحطات الأجنبية، وساد جو من الكآبة والوجوم والذهول كل أنحاء إسرائيل. وقبل أن يغادر رئيس الدولة مقر القيادة العامة صرخ في وجوهنا جميعاً بعصبية قائلاً: ادفعوا الآن ثمن غروركم وسوء تقديركم، واسترخائكم، ولست أدرى كيف ستواجهون شعب إسرائيل بعد ذلك.

إذن : لقد أحتل المصريون
القنطرة شرق!

قالها ديان ..وهو
منهار.. محطم .. مهزوم!!

كانت الإشارات تتوالي ليلة السابع من أكتوبر بسرعة مذهلة . . بمعدل كل خمس دقائق إشارة وكل إشارة تحمل نبأ أقل وصف له أنه مفجع ، أو مؤلم . . وكان المصريون يتعمدون أن تسير معظم المعارك في أثناء الليل . . كما أنهم كانوا مصممين علي السيطرة علي مدينة القنطرة شرق ، وقد أفادت إشارة بأن القتال يسير بين سلاح المشاة المصري ومدرعاتنا . . كما أفادت إشارة أخري بأن القتال تطور ليصبح بالسلاح الأبيض وأن المصريين يقبلون تراب الأرض . . وأنهم في القتال لا يرحمون . ومن الساعة الحادية عشرة والربع من ليلة السابع من أكتوبر . . أبلغتنا قيادة قواتنا في المنطقة أنه من المستحيل الاستمرار في القتال ، وأن المصريين قد احتلوا مدينة القنطرة شرق بعد أن استولوا علي كل حصونها ، وقلاعها الحصينة ، وكان عدد هذه القلاع سبعة من أقوي الحصون الموجودة علي خط بارليف . . أما الإشارة التالية . . فكانت تطلب طيارات إسعاف سريعة . . لأن عدد القتلي والجرحي كان كبيراً بدرجة خطيرة . وشعرت برأسي يدور ، وبعيني تزوغ ، والرؤية والأشياء ، غير واضحين أمامي . . لأن صيغة هذه الإشارات كانت مكتوبة بصورة هلعة وجزعة .

إذن لقد احتل المصريون القنطرة شرق . . هكذا تكلم ديان . . إلا أنه لم يكن عصبيًا ، ولم يكن منفعلاً كعادته . . بل كان منهاراً محطماً . . لا يدري ماذا يفعل أو بأي لهجة يتحدث وكنا نحن كذلك ، واكتفي هنا بهذه الكلمات . . لأنه لا يمكن لأحد مهما أوتي من أسلوب في الكتابة والتصوير أن يصور هزيمة- أي هزيمة ومهما كان بارعاً . أو حاضراً علي مسرح العمليات العسكرية ، لا سيتطيع أن يصور الهزيمة بقدر ما يراها علي وجه قائد مهزوم في تقديراته . وخططه وتاريخه . .

هكذا كان ديان . . الذي طلب بسرعة أقراص الإسبرين ، وأقراصاً مهدئة . وابتلع منها أكثر من ثلاثة حبوب . . أما الجنرال بارليف . . فقد وضع وجهه بين راحتيه ، وكانت عيناه محمرتين وتظهر منهما علامات الكسوف والبلادة .

أما الشعب في الشوارع فقد بدأ يشعر بالكارثة . . فسيارات الإسعاف تعود محملة بالجرحي من علي الجبهتين . . وكان واضحاً للجميع أن حجم خسائرنا البشرية كان كبيراً نسبيًا إذا ما قورن بساعات القتال . . وحتي الواحدة من بعد منتصف ليلة السابع من أكتوبر كان عدد الجنودوالضابط الذين أسروا علي الجبهتين المصرية والسورية ٤٧ جندياً وضابطاً . وعاد الحوار الساخن والعصبي من جديد يدور بين ديان وإلياهو زعيرا مدير المخابرات ، وكان واضحاً أن الجميع في غرفة العمليات يعانون حالة ديان نفسها . وكان كل واحد يحاول أن يوحي بأن المسئولية تقع علي عاتق الآخر . . وأن هذا الآخر هو المسئول الأول عن الهزيمة .

وجاءت بعد ذلك إشارة عاجلة وخاصة ، تفيد بأن طائرة عسكرية أمريكية . . تحمل مسئولاً كبيراً ، وتريد السماح لها بالهبوط في مطار بن جوريون . . إلا أن الإشارة لم تفصح عن هوية المسئول الأمريكي . . وسمحنا للطائرة بالهبوط .

كانت الساعة تقارب الثالثة من صباح الثامن من أكتوبر . . حين حضر إلي مقر رئاسة الأركان المسئول الأمريكي الكبير ، وكان أحد العسكريين في البنتاجون- وزارة الدفاع الأمريكية- والمسئول عن منطقة الشرق الأوسط بها ، وكان يحمل معه مجموعة من التقارير الخاصة ، والصور . . وكلها عن حالة القتال . . ثم الصور الخاصة بالمعارك . . وبمواقع القوات . . كما التقطها القمر الصناعي الأمريكي .

وكان واضحاً أنه لم يكن أقل منا جزعاً على تدهور الموقف على الجبهتين لصالح العرب . . إلا أنني شعرت بحزن دفين واستياء بالغ من عباراته . . فكأنه جاء للمواساة ، وليس للمساعدة . وبعد أن استعرض الموقف قال : إن الحل الوحيد هو عزل إحدي الجبهتين عن الأخري أو بمعني أو ضح توجيه ضربة مكثفة علي إحدي الجبهتين لشل الجبهة السورية أو الجبهة المصرية أولاً ، حتي يستقيم لنا القتال علي جبهة واحدة- أو مايسمي بعملية الانفراد الجزئي لتحطيم التجمع الكلي . أخبرنا المسئول الأمريكي بأنه تدور الآن اتصالات بين أمريكا والاتحاد السوفيتي من أجل تدخل السوفيت لحمل العرب علي وقف القتال . . والأهم من ذلك أنه اتفق معنا في الرأي أن القتال لو استمر أكثر من ستة أيام . . فإن ذلك في غير صالحنا خاصة إذا طور المصريون هجومهم شرقاً باتجاه الممرات . وهذا أمر غير مستبعد وإذا استمر القتال أيضاً علي الجبهتين الشمالية والجنوبية ، وكان يدرك أن عمق رءوس الكباري التي

أقامها المصريون. . وقد وصل إلي ٨ كيلو مترات وأن الأعداد الهائلة من المعدات والأسلحة الثقيلة. . التي عبرت. . ووجود أكثر من ٥٠ ألف جندي مصري فوق الضفة الشرقية كل هذه أمور تجعل من المتسحيل التفكير في ضرب رؤوس الكباري وعزل هذه القوات. .

وكان المسئول الأمريكي يتحاشي الحديث عن العبور وعن ضياع خط بارليف. . الذي تربطه به صداقة قديمة وحميمة. أما الخطة التي حملها معه فكانت تتخلص فيما يلى:

١- توجيه ضربة قوية لسلاح المدرعات وأرتال الدبابات المصريةالموجودة علي ضفة القناة الشرقية. . لشل فاعليتها وفتح ثغرة بعد ذلك. . لضرب رءوس الكباري. . فيتم عزل هذه القوات.

٢- محاولة جذب سلاح الجو المصري. . إلى معارك بعيدة عن أرض المعركة. . أي في العمق المصري. . باتجاه الكثافة السكانية في مناطق المنزلة والمنصورة. . مما يجعل عمل صواريخ سام ٦ مقيداً ومحدوداً. .

المهم أن نقوم بإنهاك إحدي الجبهتين. . للتفرد بالجبهة الأخري ونكثف هجومنا عليها. . وبرغم ظواهر الكارثة. . كان المسئول الأمريكي مطمئنا إلي أنه بالإمكان الحد منها. . حتي اليوم الرابع للقتال. .

***

حمل إلينا صباح الثامن من أكتوبر نبأ حزيناً مفجعاً. . فقد انقطع الاتصال بين القيادة العامة في تل أبيب وبين مطاري تماده والمليز، وكان المعني الوحيد لذلكهو فقدان ١٥٠ طائرة تتحمل العبء الكبير في المعارك الدائرة علي مسرح العمليات وهي الموجودة في المطارين. .

ولم يعد أمام طائرتنا سوي مطار العريش وهذا يعني ضياع عشر دقائق وهي زمن يعني عسكريا الشيء الكثير. . ثم بعد ذلك توالت الإشارات عن صعوبة ضرب رءوس الكباري برغم كل المحاولات. . لتفادي الصواريخ المصرية أرض جو والأوامر بالابتعاد عن مجالها من ١٠ إلي ١٥ كيلو متراً. . إلا أنها كانت وعلي حد تعبير أحد الطيارين وكأنماتحمل جسماً مغناطيسيًا يجذب الطائرة، وهكذا فشل أول هجوم مضاد لنا علي الجيش الثالث والثاني المصريين وأصبح شبه منعدم تماماً عمل

سلاحنا الجوي وأصبحت نسبة فاعليته ٤٠٪ فقط بعد أن كنا نعتمد عليه ١٠٠٪ وأصبحت القوات السورية علي بعد خمس دقائق من وادي الأردن . . بعد أن استولت علي نقطة « المحيصل » الحصينة وبدأت معارك ضارية بالدبات والمشاة . . اشتركت فيها ثلاث كتائب دبابات وثلاثة ألوية مدرعة لنا ، وجاءت إشارات أخري تفيد بأن وحدات من الصاعقة المصرية . . تسللت وهاجمت أهدافنا في مناطق أبورديس وبلاعيم «وأبوزنيمة» .

ثم وصلت إشارة لاحقة للإشارة السابقة تفيد بأن قواتنا الموجودة في هذه المنطقة . . تطلب نجدة عاجلة . وتدخلاً عسكريًا أو جويًا سريعًا ضد هؤلاء الكوماندوز المصريين . . فصدرت الأوامر بتحرك لواء مدرع . . وفرقة مشاة ميكانيكية من الشمال لحماية ونجدة قواتنا الموجودة في أبورديس وبلاعيم وأبو زنيمة . . . اكتشفنا أن هجوم رجال الصاعقة المصرية باتجاه هذه الأهداف . . لم يكن يعنيها في حد ذاتها « بل كان يهدف إلي تخفيف قواتنا المقاتلة في الشمال» لتتم للقوات المصرية فرصة زيادة وتعميق رءوس الكباري وزيادة تعزيزاتها . . ثم وصلت إشارة عاجلة أخري تقول إن وحدة أخري من الكوماندوز المصريين . . استطاعت الوصول إلي مستودعات البترول ومنشآت التجميع والتنقيب والتكرير الجزئية في منطقتي شيراتيم وسدر . . ونسفتها ، وبدأت الحرائق تشتعل بجنون في المنطقتين . . وأن الطائرات المصرية تواصل قصفها المركز الشديد علي مطارتنا ومواقع دفاعاتنا الجوية ومراكز القيادة والإمداد والشوشرة . وفي نهاية يوم ٨ أكتوبر . . لم يعد صالحاً للعمل إلا مطار العريش . . الذي أصبح يتحمل بمفرده عبء سير المعركة كلها . **ولقد فقدنا اثنتي عشرة دبابة في ساعتين** علي امتداد القنطرة شرق . . التي كان المصريون يستميتون للسيطرة الكاملة عليها وعلي المساحة المحيطة بها . . التي تضم ٩ نقاط قوية ، مدفعية أرض – أرض وشبكة صواريخ مضادة للطائرات ولم يعد في إمكاننا إخفاء مظاهر الهزيمة . . لقد أصبح ديان رجلاً محطماً لا يعرف كيف يتصرف . . أما أنا فقد كنت علي وشك الانهيار . . فقد مضي اليوم الثالث للقتال دون أن نحقق فيه أية نتائج وفشلت الخطة الهجومية المضادة ومازال المصريون والسوريون . . يواصلون التقدم ، وحين جاءنا نبأ سقوط ٢٢ طائرة خلال الساعات الست الماضية علي الجبهة السورية فقط صرخ ديان قائلاً : سوف أضرب دمشق ولن أجعل فيها حجراً فوق حجر أو حتي حجراً لن تصل إليه القنابل . .

***

وقبل أن يغادر المسئول الأمريكي البلاد . . عقدنا معه اجتماعاً آخر، وكان واضحاً من تحليله للمعركة أن الدوائر الأمريكية المختصة . . قد فوجئت هي الأخري بالهجوم المصري والسوري بهذه الطريقة وهذا العنف، وكان حديثنا مركزاً علي كيفية شل فاعلية الدفاع الجوي المصري وتدمير شبكات الصواريخ ومواقعها، واقترحت أنا أن نركز علي القطاعات المختلفة كل علي حدة . . علي أن نبدأ أولاً بضرب القطاع الشمالي من جهة السويس لشل فاعلية الدفاع الجوي من بورسعيد وحتي القنطرة ثم نبدأ العملية بنفسها جنوباً ومعني ذلك أن نضحي بعدد من طائراتنا وندفع بعدد كبير منها في مغامرة لا نجد بدًا ومفراً من دخولها . . بعد أن سقط خط دفاعنا الأول وتصدع خط دفاعنا الثاني ولم يصبح أمامنا إلا الانسحاب والتمركز في خط دفاع الممرات وهنا سيكون الحصار علينا رهيباً ولو تمكنت وحدات الصواريخ المصرية من العبور إلي الضفة الشرقية . . فإن ذلك أمر بالغ الخطورة، حيث يصبح دفاعنا الثالث في منطقة الممرات . . تحت رحمة حماية أكيدة . . تعرقل عمل سلاحنا الجوي، وجاءت إشارة عاجلةمن الجنرال إبراهام مندلر قائد قواتنا في سيناء غاية في السوء وهي أن المصريين يستخدمون نوعاً من صواريخ سام ٧ المتطورة محليًا والتي يحملونها باليد . . لتستخدم ضد الدروع والدبابات وإن خطتهم اتضحت في أنهم يستخدمون أفراد هذه الصواريخ لإنهاك دروعنا . . قبل أن تتعامل مدرعاتهم مع مدرعاتنا وأن حاملي هذه الصواريخ . . يقاتلون بشراسة ويواجهون المدرعات منفردين . .

ولكن الأمر الأكثر خطورة . . والذي جاء في تقرير مندلر كان أن الضباط الصغار والقادة الصغار أصبحوا يبلغون القيادة تقارير كاذبة وكان معني ذلك أن العيب الذي كنا نعتمد عليه في حروبنا مع العرب . . قد أصابنا نحن . . وانتقلت عدواه إلي صغار قادتنا .

وكان هجومنا المكثف علي بورسعيد وعلي شبكات الدفاع الجوي بها والذي استخدمنا فيه ٩٨ طائرة قد فشل تقريباً وسقطت لنا اثنتا عشرة طائرة فوق بورسعيد ولم نتأكد هل استطعنا ضرب شبكات الصواريخ . . أو لا . . فمازالت الصوايخ تنطلق منها وإن كانت قد فقدت بعض فاعليتها .

إلا أن الجنرال ديان بدأ يهتم بالجبهة السورية . . فالأنباء الواردة من هناك مقلقة جداً . . فبالرغم من ضرب المرافق الحيوية في طرطوس وبانياس ومعامل البترول . . فإن

مجموع الطائرات . . التي سقطت لنا علي الجبهة السرية قد وصل إلي ٣٢ طائرة . . حتي الساعة الرابعة مساء . . إلا أن الظاهرة . . التي أقلقتنا جداً كانت حين أبرقت لنا قيادة الجبهة الشمالية بأن بعض الطيارين الإسرائيليين يلقون بأنفسهم فور دخولهم مجال الصواريخ السورية ويلقون بالذخيرة بعيداً عن الأهداف المحددة لها كان يجب أن نجبر هذه الصواريخ علي السكوت ولو أدي ذلك إلي تدمير دمشق نفسها ، واتصلت السيدة مائير مساء ٨ أكتوبر عن طريق الخط المباشر مع الرئيس نيكسون وشرحت له الموقف وأبعاد خطورته .

فقد كانت نسبة خسائرنا في الأسلحة والمعدات والأفراد فوق كل تصور . لكن الرئيس نيكسون طمأنها بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتابع الموقف أيضاً بقلق بالغ عبر كل الأجهزة والأقمار الصناعية وأن اتصالات مستمرة تدور مع السوفقيت لإيقاف القتال وأن محاولة ستجري عبر الحكومة البريطانية لجس نبض مصر في هذا الموضوع .

وختم حديثه قائلاً : إن الموقف لو تطور أكثر من هذا فإن الولايات المتحدة لن تسكت وإن كل إمكاناتها ستكون تحت تصرف إسرائيل في الوقت المناسب وختمت مائير حديثها مع الرئيس نيكسون قائلة : لا تنس أننا هذه المرة . . نقاتل العرب مجتمعين . . حتى تلك الدول البعيدة من العرب لها قوات فعلية علي الجبهتين المصرية والسورية . .

وبدأت بالفعل مصر في تحريك وحدات صواريخها . . عبر المعابر باتجاه الضفة الشرقية . . مستغلة ليل الثامن من أكتوبر ، وكان علي سلاحنا الجوي برغم كل شيء أن يعمل ليلاً ليمنع . . وبأي ثمن عبور هذه الوحدات . .

حتي صباح يوم ١٠ أكتوبر . . لم يطرأ جديد علي الموقف ولم تحقق هجماتنا المضادة نتائج تذكر ، وقد اتضح لنا أن القوات المصرية يلزمها وقت لتعيد رؤية الموقف لتبدأ الخطوة التالية . . التي كنا نتقوقعها وهي تطوير الهجوم في اتجاه الممرات . . لذلك اقترح الجنرال بارليف أن نقوم أولاً بتوجيه كل الثقل نحو الجبهة السورية . . لأنها نظراً لقربها من عمقنا السكاني أكثر خطورة علينا وخصوصاً بعد أن استطاعت أربع مقاتلات سورية الوصول إلي حيفا ومحاولة قصف منشآت مهمة بها . . وعلي أساس إجهاض الجبهة السورية أولاً . . ثم اللحاق بالجبهة المصرية ثانياً

وقبل أن تبدأ القيادة المصرية في تنفيذ الخطوة التالية وهي الاتجاه للاستيلاء علي الممرات.

لكن التقديرات الأولي لحجم خسائرنا كانت تتصاعد بدرجة مفجعة وقد بدأنا منذ صباح يوم ٨ أكتوبر في استخدام الاحتياطي الاستراتيجي من المعدات والأسلحة والذخيرة، وكانت السيدة مائير رئيسة الوزراء..

تجلس معنا.. تستمع إلي التقارير الواردة.. من جبهتي القتال.. وحين علمت أن السيد هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا علي الخط.. ويريد محادثتها قامت تجري..

***

ولكى نخفى العدد الحقيقى لقتلانا كنا ندفنهم ليلاً

بدون طقوس دينية!

حتي صباح العاشر من أكتوبر . . لم يطرأ أي جديد علي الموقف، ولم تحقق هجماتنا الست المضادة أية نتائج تذكر . . غير أن الوقت الذي كان يمر بسرعة مذهلة . . قد أوضح لنا أن القوات الصرية يلزمها وقت لتعيد رؤية الموقف، وترتب نفسها. لتبدأ الخطوة التالية . . التي كنا نتوقعها، وهي تطوير الهجوم باتجاه الممرات.

في هذه الأثناء اقترح الجنرال «بارليف» أن نقوم بتوجيه كل ثقلنا نحو الجبهة السورية . . لأنها من حيث المواقع، وقرب الجبهة من قلب إسرائيل . . كانت تشكل خطورة علينا . . خصوصاً أن أربع مقاتلات سورية استطاعت الوصول إلي حيفا، وحاولت قصف منشآت مهمة بها، وكانت خطة الجنرال بارليف هي إجهاض الجبهة السورية . . التي لا تأخذ منا وقتاً ، أوْ جهداً كبيرين . . ثم اللحاق بعد ذلك بالخطر الأكبر ، وهي الجبهة المصرية قبل أن تبدأ قيادتهم في تنفيذ الخطوة التالية، وهي الاتجاه للاستيلاء علي الممرات . . ولكن التقديرات الأولية لحجم خسائرنا . . سواء في المعدات أو في الأفراد . . كانت تتصاعد باستمرار، بشكل مفجع، وقد استخدمنا منذ صباح اليوم الثامن الاحتياطي الاستراتيجي من المعدات، والأسلحة، والذخيرة، وكانت رئيسة الوزراء السيدة مائير تجلس معنا . . تستمع إلي التقارير المفجعة الواردة من جبهتي القتال . . حين جاء من يخبرها . . بأن مصر رفضت وقف إطلاق النار، وأن ضغط الروس علي مصر لتحقيق الغرض نفسه لم يفلح . . وأن الرئيس نيكسون سون يتحدث إليها شخصيًا . . بعد انتهائه من اجتماع مهم تعقده اللجنة العليا لشئون الشرق الأوسط.

وكنا ننتظر السيدة مائير علي أحر من الجمر . . لكي تنقل إلينا تفاصيل هذه المكالمة التليفونية ولكنها عادت ووجهها مضطرب والعرق الغزير يتصبب من علي جبهتها ومن علي جسمها، ونقلت إلينا تفاصيل مادار في المكالمة مع كيسنجر . ولكنها أضافت قائلة:

إذن لو استمر القتال ثلاثة أيام أخري . . فإن معني ذلك أننا سوف نستخدم الحجارة في القتال . . حقًا إننا نخوض حرباً من نوع جديد علينا، والخطورة هذه المرة أننا لا

نعرف متي ستنتهي ، إننا نتصرف في المخزون الاستراتيجي من الأسلحة والمعدات . . إننا نواجه وضعاً بالغ الخطورة . . فصواريخ العرب قد أفقدت طائراتنا القدرة علي الحركة، وبالتالي فقدنا القدرة علي العمل في الجبهتين المصرية والسورية، ثم إن هناك شبهة تمرد بين طيارينا . . حينما لا يعود زملاؤهم . . حيث يتم قتلهم أو أسرهم . .

مكالمة أطول من الدهر

وحقًا أقول إن المدة التي كنا ننتظر فيها مكالمة الرئيس الأمريكي نيكسون للسيدة مائير رئيسةالوزراء . . كانت بالنسبة إلينا أطول من الدهر كله، إذ كنا نحن جالسين في مقر القيادة، والأوضاع متردية علي كلتا الجبهتين . .

وأخيراً في نحو الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم الطويل جدًا في تاريخ إسرائيل . . أخبر الرئيس الأمريكي نيكسون رئيسة الوزراء السيدة مائير بأن كل شيء أصبح جاهزاً، وأنه قد تم الإعداد والاستعداد منذ ساعة، لإقامة جسر جوي بين واشنطن وحيفا وتل أبيب، لتعويض إسرائيل عما فقدته من خسائر أولاً بأول ، وأن مائتي طائرة من طراز فانتوم، وسكاى هوك في الطريق إلينا الآن، وهنا طلبت السيدة مائير من الرئيس الأمريكي نيكسون شبكات تشويش إليكترونية . لتعويق عمل الصواريخ المصرية . . وقنابل سمارت التليفزيونية وشراكاً خداعية، وأجهزة رادار من ماركة بوتي الحديثةوالمتطورة، ومدرعات، ودبابات .

وكان رد الرئيس نيكسون عليها : سوف يأتيكم أكثر مما تتوقعون . . لكن عليكم أن تتجنبوا الخسائر البشرية . . حتي لا نضطر إلي التدخل بصفة علنية، وذلك بإرسال قوات أمريكية . . لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نستطيع أن نعبئه في صناديق، ونرسله إليكم . وهنا ردت عليه مائير باسمة : لقد حاولنا ذلك . ولكن الخسائر البشرية كبيرة للغاية . . كبيرة لدرجة الخطورة الحقيقية . . إنني لم أعد أعرف كيف سأستطيع أن أواجه أمر كل هؤلاء القتلي من جنودنا .

ولقد كان الأمر الذي أفزعنا جدًا في هذه الحرب هو أن معظم الجنود الذين سقطوا فيها كانوا من الجنود الإسرائيليين (وليسوا يهوداً مقيمين خارج إسرائيل أو مرتزقة) لأن مقتل هؤلاء لا يفزعنا مثل أن نخسر جنديًا يهوديًا إسرائيليًا مقيماً بالبلاد أي إسرائيلياً . . إن مقتل جندى إسرائيلي واحد من المقيمين في إسرائيل يعني أن نبحث مقدماً عن التبريرات التي سنقدمها لأسرته التي ترفض عادةكل تبريراتنا . . !

تقرير أمريكي عاجل

وفي اليوم التالي جاءنا تقرير أمريكي عاجل ومهم . . كان هذا التقرير يوضح بعد أربعة أيام من القتال الضاري . . الموقف كما تراه أمريكا، أو كما التقطته الأقمار الصناعية . . بالإضافة إلي تقاريرنا، ومن كل ذلك اتضح لنا . . أن مصر . . برغم القتال الشرس . والضاري، والشديد، تسير بهدوء عجيب في تنفيذ خطتها . .

فعلي الرغم من الكثافة الكبيرة لأسلحتها ومعداتها الثقيلة وعلي الرغم من وجود أكثر من ٦٠ ألف جندي عبروا إلي الضفة الشرقية للقناة . . فإنها لا تحرك قواتها شبراً واحداً . . إلا بعد أن تتأكد قيادتها من تحقيق تمركز مضمون أو كما نسيمه نحن عسكريًا- تمركزاً جذريًا، كما أنها قبل أن تحرك أسلحتها الثقيلة شبراً واحداً أيضاً . . تضمن لها أولاً تغطية جوية وحماية كبيرة . . إذن ما معني كل ذلك . . ؟ إن له معني واحداً، هو أن مصر لا تتحرك عشوائيًا كما كان الحال في الحروب السابقة ، ولا تتقدم لمجرد أن يصبح الطريق أمامها مفتوحاً للتقدم .

إنها أولاً . . تقدم صواريخ أرض . . جو لضمان الحماية الجوية . . ثم تزيد من تعميق وتحصين رؤوس الكباري . . ثم تقدم بقية الأسلحة الأخري . . كما كانت القوات السورية بدورها تسير بسرعة كبيرة، وكان معني أن تتقدم القوات السورية مسافة كيلو متر واحد . . كان معني هذا زيادة قربها من عمقنا الاستراتيجي .

وفي هذه الأوقات العصيبة . . التي يدركها جيداً كل من اشترك في قيادة، ورأي هزيمة قواته في التقارير التي أمامه ، والتي تصله تباعاً من الجبهات أقول: في هذه الأثناء . لم نكن قد حددنا بعد الكميات اللازمة لنا من الأسلحة الأمريكية . . بأرقام معينة . . إلا أن ما بدأ يصلنا من هذه الأسلحة . . كان بالفعل ، كما قال الرئيس نيكسون يفوق كل تصوراتنا، أو تقديراتنا . وبدأنا نلتقط أنفسنا من جديد وننفذ الخطة الهجومية . . التي اتفقنا عليها مع أمريكا، وكانت تقضي بأن نقوم أولاً بتوجيه ضربة قاسية إلي إحدي الجبهتين . . حتى يتم القضاء علي فاعليتها . . فيستقيم لنا بعد ذلك تدبير أمر الجبهة الثانية ، أو بمعني أوضح، نقوم بتحويل القتال من قتال كلي مرهق علي جبهتين عريضتين . . إلي قتال جزئي منفرد- ونظراً لأنه أصبح واضحاً لنا أن مصر تتقدم ببطء، وبعد دراسة متأنية وبناءً علي تقديرات وتقارير علمية ثابتة رأينا أن مصر سوف يلزمها بعض الوقت من يوم إلي ثلاثة حتي تستطيع نقل وتثبيت شبكات

الصواريخ علي الضفة الشرقية . . لكي توفر حماية جوية لقواتها التي سوف تتحرك بعد ذلك وتطور هجومها بالتقدم شرقاً باتجاه الممرات . .

الجبهة السورية

إذن لنركز علي الجبهة السورية ، وفعلاً أصدرنا الأوامر بتحريك ألوية ثلاثة وثلاث فرق مشاة من الاحتياطي التعبوي التكتيكي . . باتجاه المعارك في الجبهة السورية . . علي أن يكثف سلاحنا الجوي غاراته علي جميع المواقع والمطارات ومراكز الإمداد والمواصلات والمرافق الحيوية والاستراتيجية السورية ، وفي الوقت نفسه صدرت الأوامر لسلاحنا البحري لكي يقوم بهجمتين كبيرتين الأولي منهما علي الموانى السورية في طرطوس . . واللاذقية ، وبانياس ، والثانية ضد الموانى المصرية في بورسعيد والإسكندرية ورشيد .

كنت أنظر إلي وجه الجنرال ديان وهو يوقع الخطة . . لقد عادت إليه الدماء بعض الشيء وأصبح قادراً علي ابتلاع ريقه ، وخصوصاً بعد وصول الأسلحة الأمريكية ، وبعد أن تأكدنا من أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية . . لن تترك الأمور تسير بهذا السوء حتي لو أدي الأمر إلي أن تتدخل بشكل علنى ، ولعلي لا أكشف سراً حين أقول :

إننا لو لم تصل إلينا الأسلحة الأمريكية حتي يوم ١٢ أكتوبر فقد كان المعنى الوحيد لهذا أن الكارثة الكبري قد وقعت ، وأن نهايتنا قد أصبحت وشيكة لأننا كنا قد خسرنا تماماً المخزون الاستراتيجي من السلاح ، وكان ذلك معناه أن باستطاعة مصر وسوريا بعد ذلك الوصول إلي أبعد مما يمكن أن يتصوره أي إسرائيلي .

تنحية ديان!

بعد ذلك عقدنا اجتماعاً مع مجلس الوزراء- المنعقد بصفة دائمة- بقاعة هيرتزل الملحقة برئاسة الأركان. واتخذنا قراراً باستدعاء زملائنا من العسكريين القدامي.. الذين شاركوا أو خططوا لحرب عام ١٩٦٧ ولو أنهم كانوا معنا في غرفة العمليات، ولكن بشكل غير رسمي..!

وكان واضحاً أن هناك قراراً لم يصدر صريحاً، وإن كان قد تم الاتفاق عليه بأن يتنحى ديان مؤقتاً عن صدارة القيادة، اتضح ذلك من الصلاحيات التي منحت لحاييم بارليف، وموردخاي جور، وأريل شارون.. حقًا لقد كان موقفاً صعباً أن يتحول وزير الدفاع إلي مجرد متفرج علي ما يحدث، وفي هذه اللحظات العصيبة نظرت إلي ديان فوجدته هو الآخر ينظر إلي، وفي عينيه بريق غريب.. يعبر عن أفكار أكثر غرابة تتسلط علي رأسه، ويخطط لتنفيذها، ولم أكن أعلم وقتها بهذه الأفكار.. التي تدور في ذهن الجنرال ديان، ولكنني بعد أن انتهت الحرب، وتشكلت لجنة أجرانات للتحقيق في هزيمتنا فيها أدركتها جيداً.. فقد اختارني ديان بالذات وكان يفكر كعادته في الوسيلة التي سيلقي بها كل الاتهامات بأخطاء هذه الحرب، وبالتقصير فيها على رأسي أنا وحدي. أو بمعني أوضح كان يدور تفكيره كيف سيجعل مني الضحية.. التي سيقدمها علي مذبح صيته، وشهرته العسكرية أمام شعب إسرائيل وأمام العالم...؟ وبعد ذلك كيف سيبعدني تماماً عن الحياة العامة، أو ربما عن الحياة بأكملها..؟

وبعد ذلك جاءت الإشارات تتوالي.. فقد قصف سلاحنا البحري الموانى السورية بعنف.. إلا أنه لم يحقق هدفه، وتم تدمير شبكة الكهرباء بطرطوس كما تم إعطاب مصفاة البترول كماتم إعطاب مصفاة البترول في حمص، وبرغم ذلك ظلت سوريا تواصل القتال وكان هدفنا من ضرب العمق المدني ذي الكثافة السكانية العالية في سوريا هو تحويل الجهد السوري عن جبهة القتال.

وفي هذه الأثناء أيضا دارت معارك ضارية وعنيفة بين سلاح البحرية المصري وبين سلاحنا البحري بالقرب من بور سعيد. ودمياط، ورشيد، وكان واضحاً لنا بما لا يدع مجالا لأي شك أن المصريين ميتقظون لكل خطوة، أو حركة مضادة من جانبنا.. علي أنني أود أن أقرر أن أهم خبر وصلنا في هذه الأيام العصيبة الكئيبة.. أن أمريكا

وافقت علي مطالبنا بإرسال أنواع متطورة من الصواريخ والقنابل من ماركة سمارت وشبكات توجيه وشوشرة تليفزيونية . . بل بدأت بالفعل في شحنها إلينا ، وقد علمنا أيضاً أن الولايات المتحدة قد أعدت كل هذه الأسلحة للاستعمال الفوري ، وأرسلت معها خبراء أمريكيين لكي يتولوا مهمة التدريب السريع لقواتنا علي هذه الأنواع المتطورة جداً . والتي لم تستخدمها أمريكا نفسها ، وكانت قد وصلت إلينا قبل ساعات من ظهر يوم الحادي عشر من أكتوبر دفعة أخري جديدة من طيارات الفانتوم وسكاي هوك بلغت ٧٠ طائرة إلي جانب المعدات الأخري المتطورة . .

واذا كان هذا أهم خبر وصلنا في هذه الأثناء فإن أخطر خبر قد وصل إلينا بعده مباشرة هو أن جنودنا بدءوا يهربون من الجبهة ، وكانوا يتعمدون إتلاف معداتهم العسكرية وهم في طريقهم إلي الجبهة ، وقبل أن يصلوا إليها ، وكانت الإشارة « التي تضمنت ذلك الخبر » تفيد بأن الطرق المؤدية إلي ساحة القتال كانت مملوءة بالدبابات والعربات المجنزرة . . التي تعمد قائدوها وراكبوها أن يعطلوها بأية وسيلة ممكنة !

مظاهرة في تل ابيب

وفي هذه الأثناء خرجت أول مظاهرة في شوارع تل أبيب، وبرغم أن الحرب لم تكن قد انتهت فإن الشعب كان قد أحس بفداحة الخسارة فالجرحي بالآلاف في جميع المستشفيات، وهؤلاء الجرحي علي الرغم من الأوامر المشددة بعدم السماح بزيارتهم ، أو اختلاطهم بالمدنيين، كانوا لا يكفون عن الثرثرة والحديث عما حدث لهم وعن تقدم القوات المصرية والسورية، وانهارت الروح المعنوية للشعب في إسرائيل ، وكان الغضب الممزوج بالحزن يعم البلاد كلها . . فلم يكن هناك إسرائيلي واحد يتصور أن يعبر المصريون القناة ، ويحطموا خط بارليف ، بل إنه لم يكن أحد يتصور أن تسقط لنا في يوم واحد ١٠٥ طائرات من طراز فانتوم، وسكاي هوك علي الجبهتين المصرية والسورية .

وهنا سأكشف عن حقيقة أعتقد أنها أصبحت معروفة لدي كل الإسرائيليين خصوصاً بعد أن تحدث عنها العمال العرب الذين قاموا بتنفيذها .

وأعني بهذه الحقيقة القبور الجماعية . والتي كنا نضع فيها جثث جنودنا الآتية من الجبهة علي صورة أكوام من اللحم والعظام المهشمة وتحملها البلدوزرات . . حيث يتم دفنها ليلاً في مقابر تم حفرها بواسطة عمال عرب . وفي أماكن بعيدة وبدون أية طقوس دينية . . بهدف إخفاء حجم خسائرنا البشرية عن الشعب الإسرائيلي، ولإخفاء حقيقة الهزيمة ،وكان الجنرال بارليف قد أمر بجمع عدد كبير من هؤلاء العمال العرب المقيمين في إسرائيل في منتصف الليل . . لتنقلهم العربات المجنزرة إلي أماكن غير معروفة في الصحراء حيث يقومون بحفر قبور كبيرة جداً لتتسع لهذا الحجم الهائل من جثث الموتي ، وبعد دفنها يهال عليها التراب ثانية في الصحراء وكأن شيئاً لم يحدث !!

وهنا أود أن أقر قبل أن أنهي الكتابة عن هذه الأيام الطويلة، والمريرة ، في تاريخنا . . أود أن أقرر أن الجنود العرب قد نجحوا في استخدام الأسلحة الإلكترونية الحديثة، وأنهم تقدموا تكتيكيًا فى استخدام العتاد الحربي المتطور . . كما أنهم نجحوا في إخفاء استعدادهم للحرب وموعد الهجوم . . بالإضافة إلي نجاحهم استراتيجيًا . . حيث سيطروا علي مناطق استراتيجية مهمة في سيناء . . بالإضافة إلي

قناة السويس، كما أنهم نجحوا في عبور القناة . وفي إتلاف أجهزة الإشعال علي الضفة الشرقية . ولست أريد أن أتحدث عن الثغرة التي أحدثها جيشنا في الضفة الغربية من قناة السويس، لأن رجل الشارع في إسرئيل أصبح يدرك تماماً أن معناه الوحيد أنها مصيدة نصبها الجيش المصري لاستمرار النزيف من شريان الدم الإسرائيلي ! !

وأخيراً . . استخدموا سلاح البترول بمهارة ودقة فائقتين . .

ثالثا: خسائر اسرائيل

اختلفت التقديرات التى حاولت تحديد حجم ما خسرته إسرائيل في الأفراد والمعدات والأسلحة (إذ إنه من البديهي أن الخسائر الأضخم والأعمق لا يمكن تحديد حجمها أو إخضاعها للأرقام الحسابية . وأعني بذلك الخسائر النفسية والاجتماعية والسياسية).

ولكن بقدر ما اختلفت تقديرات الخسائر المادية التي تكبدتها إسرائيل، بقدر ما اتفق الرأي علي أن هذه الخسائر تفوق احتمال دولة كإسرائيل، فهي بالتناسب تزيد علي خسائر أمريكا في ڤيتنام.

ونحن سنعتمد في تحديد هذه الخسائر علي مصدر غير محايد. مصدر منحاز لإسرائيل نفسها، وبالتالي فإننا نستطيع أن نعتبر الأرقام والإحصائيات التالية قابلة للزيادة دون أن تكون قابلة أبداً للنقصان . فمصدرنا أمريكي ، بالتحديد هو الجنرال دانييل جراهام رئيس مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية حتي وقت قريب، وقد قدم تقريراً عن حرب أكتوبر إلي مجلس الأمن القومي الذي يرأسه هنري كيسنجر، وكان مع هذا التقرير ملحق سري يمثل حصيلة دراسات قام بها أكثر من مائة ضابط أمريكي من الرتب الكبيرة، بالإضافة إلي عشرات الخبراء والعلماء، وثلاثة عقول إلكترونية تعتبر في حد ذاتها أخطر أسرار الترسانة العسكرية الأمريكية.

وقد أنشئت هذه اللجنة العسكرية السرية منذ يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ بقرار من مجلس الأمن القومي الذي يرأسه هنري كيسنجر.

تقول الدراسة الأمريكية السرية:

١ - لم يكن أمامها إلا ٢٤ ساعة :

علي الرغم من رفض المصادر العسكرية الإسرائيلية إعطاء اللجنة أرقاماً محددة تحديداً دقيقاً عن خسائر إسرائيل في الرجال والسلاح، وتقديم هذه المصادر طلبات إمدادات من الأسلحة شملت كل أنواع الأسلحة الأمريكية بما فيها الطائرات والمدرعات وأنواع الذخائر كافة وثلاث قطع بحرية، فإن اللجنة قد ثبت لها أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا (٢٤ساعة) ينتهي بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات والمدرعات والمدفعيات وبطاريات الدفاع الجوي المجهزة بصواريخ هوك- وذلك يوم ١٤ أكتوبر . .

٢- خسائر إسرائيل بالأرقام

«أ» **سلاح الطيران:** خسر في الأسبوع الأول من حرب أكتوبر علي الجبهتين المصرية والسورية (١٤٩) طائرة، وفي الأسبوع الثاني من الحرب وحتي وقف إطلاق النار الأول (٦٩) طائرة، وبين وقف إطلاق النار الأول والثاني خسر سلاح الطيران الإسرائيلي "١١" طائرة.

ويكون مجموع الطائرات التي أسقطت هو ٢٢٩ طائرة، وقد فقدت إسرائيل ٣٠٢ طياراً ما بين قتيل ومفقود وأسير!!

«ب» **خسائر المدرعات:** فقدت إسرائيل ثلث قواتها المدرعة من دبابات وعربات نصف مجنزرة، ومدفعية محمولة وذلك في الأسبوع الأول فقط.. ومجموع خسارة إسرائيل في المدرعات طوال الحرب وحتي وقف إطلاق النار الأول« يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ يزيد علي ١٢٥٠ مدرعة.

وبين وقف إطلاق النار « الأول، والثاني» فقدت إسرائيل ٨٨ مدرعة في جبهة السويس وسيناء.

وبين وقف إطلاق النار« الثاني» وتوقيع اتفاقية فصل القوات بين مصر وإسرائيل فقدت إسرائيل ٤٧ مدرعة.

ويذلك يكون مجموع ما فقدته إسرائيل من مدرعاتها أكثر من (١٣٨٥) مدرعة.

محلوظة: لم يشر التقرير إلي خسائر إسرائيلية من المدرعات علي الجبهة السورية بعد وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ برغم استمرار الاشتباكات علي هذه الجبهة لفترة طويلة.

«ج» **السلاح البحري:** نتيجة للمعارك البحرية التي صحبت معارك حرب أكتوبر، فقدت إسرائيل ثلث سلاحها البحري، ومما فقدته غواصة اختفت في منطقة بحرية بالقرب من بور سعيد..

ملحوظة: أخفت إسرائيل كل شيء عن خسائر سلاحها البحري، محاولة أن تنسب إليه النجاح الوحيد من بين أسلحتها الأخري التي كانت خسائرها مدوية وواضحة.

«د» **الخسائر البشرية :** يقول تقرير اللجنة الأمريكية، إن الأرقام الدولية التي أذاعتها إسرائيل عن خسائرها في الأرواح ، لا تعبر عن الحقيقة التي تحاول السلطات الإسرائيلية إخفاءها حتي الآن .

بل إن التناقض الغريب يظهر في الكتيب الخاص بقتلي هذه الحرب الذي ذكرت فيه إسرائيل أرقاماً عن قتلاها أقل من الأرقام التي أعلنتها هي نفسها أثناء الحرب عن خسائرها في الأسبوع الأول فقط .

ومما يؤكد ضخامة هذه الأرقام واستماتة القيادة الإسرائيلية في إخفائها أنها مازالت تسعي في سرية بالغة لدي وزارة الخارجية الأمريكية لكي تطلب إلي مصر الموافقة علي البحث عن مئات الجثث الإسرائيلية في ضفتي القناة(وهذه الاتصالات ظلت دائرة حتي آخر مايو ١٩٧٦!!) .

هذا وقد تبين للجنة الأمريكية بعد أبحاث استمرت طوال ثمانية عشر شهراً أن إسرائيل قد خسرت ١٢ ألف قتيل وجريح في حرب أكتوبر .

محلوظة: تري مصادر أخري -غير أمريكية - أن خسائر إسرائيل البشرية تصل إلي ١٨ ألف قتيل وجريح .

الأسرى الإسرائيليون

« أكاد أتصور كل شيء يمكن أن يحدث . . !!

أكاد أتصور أنك تستطيع أن تضع نهر الأردن أو حتي نهر المسيسبي في آنية زهور .

أكاد أتصور أن تمد يدك إلي أعلي وتقطف من السماء نجمة .

أتصور أنك تستطيع أن تشتري قبر شيكسبير بمليون برميل من النفط . . . ولكنني لا يمكن أن أتصور أبداً أن جنديًا إسرائيليًا يمكن أن يقع في الأسر . . أبداً لا أتصور أن جنديًا إسرائيليًا يمكن أن يرفع يديه إلي أعلي مستسلماً!!» .

(توقيع)
الكاتبة الإسرائيلية يائيل موشيه ديان
في كتابها مذكرات جندي الذي ألفته بعد حرب ١٩٦٧

« إنني أتصور أنه لم يعد يوجد في العالم إنسان شجاع إلا الجندي اليهودي»!!

من رواية نجمة في الريح
للكاتب الصهيوني روبرت ناتان

« وعندما دخل العربي عيادة إجراء التلقيح ، لم تمر لحظات بعد دخوله غرفة العمليات حتي سمع الحاضرون أصواتاً غاضبة ، وصرخة تكاد تكون غير بشرية ، وكانت صرخة العربي الذي لم يتحمل العلاج ، وبعده مباشرة دخل طفل يهودي عمره سبع سنوات ، ولم تصدر عنه صرخة واحدة . وقال له الطبيب بصوت مسموع للجميع « إنك أشجع بكثير من العربي الذي كان هنا!!» .

من رواية « الإغراء العظيم»
للكاتب الصهيوني جوزيف فرئيل

« إنه لم يحارب شعب في أي مكان مثلما حارب الشعب اليهودي . . إنني أحب الجنود اليهود . . فالمحارب اليهودي هو الأفضل . . إذا خرج عربي من قهوته وأطلق طلقة طائشة علي كيبوتس علي بعد آلاف الياردات فإنه يعتقد علي الفور بأنه رجل شجاع . (لقد آن الأوان لنختبر أولئك الجبناء الجهلة» .)

من رواية «الخروج» للمؤلف الصهيوني
« ليون أوريس»

. . . .

. . . .

قد يبدوا أن تخصيص باب أو عدة صفحات للحديث عن الأسري من قوات جيش الدفاع الإسرائيلي نوع من الإغراق في التفاصيل أو تضخيم جزئيات صغيرة لا تستحق أكثر من إشارة سريعة. فلكل حرب أسراها، ولولا أن « الأسر» جزء لا يتجزأ من الحروب كالموت والإصابة، اهتم المجتمع الدولي بتنظيم قانون لحماية الأسري.

إذن . . لماذا هذا الباب أو هذه الصفحات!؟

إن هناك عدة أسباب ومبررات . . أستطيع أن أجملها في النقاط التالية:

١- تساءل الكثيرون عن العدد الحقيقي للأسري الإسرائيليين، حيث إن بيانات وتصريحات الناطق العسكري المصري تحدثت عن أعداد كبيرة من الأسري بينما كان العدد الرسمي والذي تم إخطار الصليب الأحمر به ثم أعيد إلي إسرائيل أقل بشكل ملحوظ من تلك الأرقام.

٢- لقد أحيط الجندي الإسرائيلي بهالة ضخمة وأصبح مألوفاً أن يوصف بأنه (سوبرمان) . . فوق مستوي البشر . . وأنه يبز « جيمس بوند» الذي استهوت مغامراته المثيرة هواة مشاهدة الأفلام السينمائية.

ومن ثم فإن مثل هذا الجندي (الخارق للعادة!!) لابد أن ينتصر علي طول الخط . . وبغض النظر عن النتيجة النهائية التي قد تكون مفاجئة كما حدث في أكتوبر فإنه إما أن يهزم عدوه. أو يحرمه من ذلك - إصابة أو مقتل . . لكن الاستسلام. . ورفع الأيدي إلي أعلي . . هو ما لا يصدقه عقل . . (فأنت تستطيع أن تضع نهر الأردن أونهر المسيسبي في آنية زهور. . لكنك لا تستطيع أن تتصور جنديًا إسرائيليًا يرفع ايديه إلي أعلي مستسلماً للأسر!!).

٣- في الجانب المقابل رسخت الدعاية الصهيونية الصورة التي تقول إن الجنود العرب فقط هم الذين يستسلمون للأسر علي أيدي الإسرائيليين. . وأن الأحذية الملقاة في صحراء سيناء. . . تعني أن أصحابها من الجنود المصريين قد ساروا في طوابير الأسر الإسرائيلي حفاة منهكين خائفين.

٤- تأسيساً علي السببين الأول والثاني . . تستطيع أن تقول إنه إذا كانت حرب أكتوبر قد حققت ضمن ما حققت انهيار أسطورة الجندي الإسرائيلي بهزيمته في معظم المعارك التي دارت في جبهات القتال مما جعل قادته السياسيين والعسكريين

يصرخون طالبين النجدة من أمريكا . فإن مشاهد الأسر التي تكررت تعتبر بالتالي ذروة هذا الانهيار لتلك الأسطورة . خاصة أن استسلام الجنود في معارك يائسة قد يكون أمراً مقبولاً ومرتبطاً بمحاولة الحفاظ علي الحياة . . ولكن أن يحدث الاستسلام في معارك متكافئة . . .

بل وأحياناً بمجرد ظهور الجندي المصري . . فهنا يتجسد تماماً انهيار الأسطورة . . أو سقوط الهالة الدعائية وتكشف حقيقته .

. . . .

أولا.. لماذا تناقص عدد الأسرى الإسرائليين؟

أجمع المراسلون الحربيون الأجانب علي صدق البيانات العسكرية المصرية العربية . . وبالتالي يبرز التساؤل حول العدد الحقيقي للأسري « حيث إن ماتم تسليمهم كانوا أقل بكثير من العدد الذي أعلن عنه في البيانات المتتالية» .

تقول رواية موثوق بها : مع بدء القتال ، توالت بلاغات الوحدات الصغرى من القوات المصرية عن سقوط أعداد كبيرة من الأسري في قبضتها . ورأت القيادات أن الحكمة تستوجب تجميع هؤلاء الأسري في الجانب الشرقي من القناة ، بدلاً من السماح لكل وحدة بإعادة أسراها إلي النقطة المواجهة لها علي الضفة الغربية ؛ إذ إن هؤلاء الأسري سيعودون حتماً- وطبقاً لتقاليد الجيوش وقرارات المجتمع الدولي- إلي إسرائيل كما أن تناثرهم علي الضفة الغربية تعارض مع أمن التحركات العسكرية وأيضاً يفرض عبئاً مضاعفاً في حراستهم .

وفي صباح ثاني أيام القتال ، تم تجميع الأسري بأعدادهم الكبيرة في نقطة سهلة أمام المحور الأوسط ، وأمر الجنود بالوقوف علي هيئة طابور ، بينما أمر الضباط بالوقوف بعيداً دون أن تقيد أيديهم ، وصدرت الأوامر بحلاقة شعر بعض الجنود الذين كانت رءوسهم متسخة ومشعثة وذلك خوفاً من انتشار الأوبئة .

وفي الساعة السابعة والنصف وصل إلي المكان مصورو الجيش لالتقاط بعض الصور لهم ، بينما انهمك الكتبة العسكريون في تسجيل البيانات بحماس ، وفي الوقت نفسه وصلت إلي المنطقة قافلة مكونة من سبع وعشرين عربة نقل انتظرت إلي جوار بعضهاخلف تبة رملية .

وبينما كان أحد جنود الشرطة العسكرية يتحقق من شخصية ضابط إسرائيلي أسير اندس بين الجنود ليخفي رتبته الحقيقية، ظهرت الطائرات الإسرائيلية في السماء . . وبسرعة خاطفة - لعلها كانت نتيجة الخوف من ظهور الصواريخ المصرية المضادة- ألقت هذه الطائرات بقنابلها المختلفة بهدف ضرب وتدمير طابور العربات . . لكنها لسوء حظ الأسري وقعت فوقهم فسقط المئات قتلي خاصة وأن أغلبهم كانت أيديهم مقيدة خلف ظهورهم مما عوق حركتهم . . ولم يتمكن من النجاة سوي من كانوا بالقرب من العربات المصرية .

وقد تجلت سخرية القدر هنا مرتين . . أولاهما أن يموت معظم الأسري بقنابل طائراتهم . وثانيهما أن ينجو أولئك الذين كانوا بالقرب من العربات العسكرية المصرية التي كانت الهدف الأساسي للطائرات الإسرائيلية .

نماذج من الأسري الإسرائيليين .. وأقوالهم:

١-رفعوا أيديهم إلى أعلى وفيها خرائط الحرب:

في هجوم مضاد قام به اللواء الإسرائيلي المدرع (٦٠٠) وكتيبة دبابات اللواء ٤٦٠ ضد الفرقة (١٦) المشاة . . دمرت كتيبة المقدم حسين طنطاوي أربع دبابات، وارتدت السريتان اللتان تصدي لهما بكتيبته ، وقد شاهد المقدم طنطاوي ثلاثة جرحي إسرائيليين يشيرون إلي دبابة لهما منسحبة حتي تحملهم ، لكنها لم تتوقف وتركتهم وهربت في اتجاه الشرق ، وبالتالي وقع الجنود الثلاثة في الأسر وكانت حالتهم خطيرة .

وفي الساعة الواحدة ظهراً من نفس اليوم (٨/ ١٠/ ١٩٧٣) قام الإسرائيليون بهجوم مضاد علي كتيبة المقاتل (علم) ثلاث مرات، ونجحوا في اختراق القطاع لكن الكتيبة المصرية حاصرت الدبابات المتقدمة ودمرتها بالأسلحة القصيرة والقنابل اليدوية المضادة للدروع، وقد أسرت في هذه المعركة دبابتين رفع جنودها الإسرائيليون أيديهم إلي أعلي وفيها أعلام بيضاء للاستسلام، وعندما تم أسرهم اتضح أنهم لم يكونوا يرفعون أعلاماً ولكنها خرائطهم الحربية التي جعلوا منها أعلاماً للاستسلام وقد كانت هذه الخرائط غنيمة رائعة حيث كشفت جزءاً من خطط العدو . أما الجنود فقد تم نقلهم علي الفور إلي مركز تجميع الأسري في الخلف بالقرب من الضفة الشرقية للقناة .

٢- جمعونا كالثمار المعطوبة:

الملازم الإسرائيلي مفتال كان واحداً من الأسري الذين وقعوا في أيدي القوات المصرية، وقد حكي قصة سريته لقائد كتيبة مصري سجل بنفسه ما قاله الملازم الإسرائيلي . . وأنقل الآن عن شريط التسجيل ما قاله (مفتال) حرفيًا . «كنا نتقدم بدبابتين متجهين بسرعة نحو الفردان وفجأة وقبل أن نصل بثلاثة كيلو مترات . . رأيت بقعاً تقفز من الحفر ومن وراء التلال . كانوا رجالاً يتحركون وبعضهم كانوا يحملون أشياء تشبه الصناديق السوداء . . ولم أعرف في البداية ماذا يعني هذا!!

وأمرت بتوجيه الرشاش ضدهم . . برغم علمي بأن ذلك ليس أمراً واقعيًا فقد كانوا يتواثبون في خفة القطط ويرتمون علي الرمال ويختفون خلف تلة أو تبة .

ولكننا فعلنا ذلك . . وأطلقنا رشاشاتنا . . .

ياإلهي . . إن أحداً لم يقل لنا بأننا سنحارب جنود مشاة، لأنني أدركت بعد ذلك ماذا يحمل هؤلاء الرجال معهم . . لقد شاهدت صاروخ(ساجر) ينطلق من ناحيتهم في اتجاه دبابة علي يساري .

وعندما صرخت يبدو أن أحداً لم يسمعني لأن صوتي كان مبحوحاً . . كنت أصرخ قائلاً « نار » «نار». ورأيت حديد الدبابة ينصهر، وتنفجر من داخلها بفعل الذخيرة الموجودة فيها .

وجهت مدفع دبابتي إلي الرجال الذي مازالوا يطلقون علينا صواريخهم، انفجرت القذيفة . . اختفوا عن أعيننا فترة . . لكن مرة أخري رأيت صاروخاً جديداً في اتجاهي . وشعرت بخبطة عنيفة . . لقد أصاب الصاروخ برج الدبابة . أصيب حامل اللاسلكي ، واستطعت أن أصدر تعليمات، بالصراخ وبالرفس في جنودي . .

ثم رأيت الدماء تسيل من ذراعي . . وبعد لحظات كنا جميعاً خارج الدبابة وجرينا في اتجاه دبابة أخري من دباباتنا لتحملنا لكنها لم تتوقف ، ولا حقتنا طلقات رصاص من أسلحة خفيفة .

التفت خلفي والدماء تنزف مني . وجدت قائد السرية يزحف علي ركبتيه والدماء تنزف من كتفه هو الآخر . لقد انفجرت دبابته أيضاً . وعندما اقتربت منه قال لي : «أعط هذه الدبلة لزوجتي» وخلعها من معصمه . وبكيت من الحزن والقهر . .

(ثم فوجئنا بالمصريين بيننا يجمعوننا من الأرض (جرحي وأصحاء) كما لو كانوا يجمعون ثماراً معطوبة سقطت من الأشجار.

ووضعونا في منخفض بين تلين بينما انحني أحدهم يضمد جراحي أنا وقائد السرية، وقيدوا غير المصابين من أيديهم، فقد كانوا مضطرين إلى تركنا لمواجهة أية دبابات جديدة من دباباتنا تظهر في القطاع، واكتفوا من حين إلى آخر بواحد من جنودهم يأتي ليلقي نظرة عابرة علينا من قرب.

ولم تكن هناك وسيلة لتقلنا إلي حافة القناة.. فلم تكن هناك مركبة مصرية واحدة قد عبرت حتي تلك الساعة!!

٣- الطيار الذى مات بعد دقيقة من أسره:

لم أصدق حكاية هذا الطيار إلا عندما رواها لي ضابط المشاة المصري الذي كان طرفاً ثالثاً فيها.. وقد بدأت (الحكاية) عندما انطلق هذا الطيار ضمن سرب من طائرات الفانتوم لمحاولة الإغارة علي أحد الجسور المصرية، وكانت شبكة الصواريخ قد أحدثت خسائر كبيرة في الطيران فى اليومين السابقين، وبمجرد دخول التشكيل المغير فى مدى هذه الصواريخ انطلقت نحوه فسقطت طائرتان وفرت بقية الطائرات

مذعورة.

وكان هذا الطيار الوحيد الذي استطاع الهبوط بمظلته.. وعندما اقترب منه الضابط المصري ليسأله عن اسمه ورتبته والطائرة التي كان يقودها.. نظر الطيار الإسرائيلي حوله في رعب بالغ....

وقال له « أنا شفت صاروخ.. أنا «مت»..

والمثير أنه سكت بعد ذلك فجأة، فانحني عليه الضابط المصري ليقوده أمامه إلي مركز تجميع الأسري.. ولكنه اكتشف أنه مات بالفعل.

٤- كنت أسعد حظاً عندما أسرني المصريون!

.. في حديث مسجل.. يقول الأسير الإسرائيلي الجاويش زيفي (وكان واحداً من طاقم إحدي الدبابات التي وقعت في كمين مجموعة من رجال الصاعقة المصريين).

« لقد أذهلني- وأنا الذي اشتركت في حرب ١٩٦٧- أن أري الدبابات الإسرائيلية تتراجع إلي الوراء . . كانت هذه هي الحرب الأولي التي يحدث فيها شيء كهذا . . بل لقد بقيت بعض دباباتنا في أرض العدو(يقصد الأرض التي استعادتها القوات المصرية) بقيت مدمرة ومصابة وفي داخلها قتلي وجرحي دون أن يكون بالإمكان إنقاذهم . .

والذين قفزوا من داخل دباباتهم إما أدركهم رصاص المصريين أو كانوا أسعد حظًا مثلي فتم أسرهم» .

٥- من مذكرات عساف ياجورى « أشهر أسير إسرائيلى»

الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣

منذ وصول الجنرال آدن في الساعة ٨٠٠ صباح اليوم وتسلُّمه قيادة النطاق الشمالي من جبهة قناة السويس- وأنا أخوض مع قواتي معارك متصلة في محاولات مستمرة لإيقاف تقدم المصريين وضرب قواتهم التي عبرت القناة وطوقت بعضها حصون خط بارليف .

لم تهدأ هذه المعارك لحظة واحدة . . وقد تركت بصماتها علي قواتي ، وقد فقدت خلالها الكثيرين من زملائي . . . وبسبب عنف هذه المعارك لم نجد وقتاً للحزن علي هؤلاء الذين سقطوا قتلي .

الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣

الاثنين الأسود(يوم الدم . . وخيبة الأمل . . والألم العظيم)

- الساعة ١٤٠٠ (الثانية ظهراً)

- أرابط مع قواتي داخل المنطقة التي حددها لي الجنرال آدن شرق الفردان .

- وصلت إلينا الآن أوامر الجنرال (آدن) بالهجوم في اتجاه الفردان تنفيذاً لأوامر الجنرال بشن الهجوم المضاد العام علي جبهة سيناء . كلفت الألوية المدرعة الثلاثة التابعة للجنرال آدن بمهمة تطهير النطاق الواقع بين طريق حيتام العرضى (وهو الطريق العرضى رقم ٢ الموازى للقناة والذى يبعد عنها بنحو ٣٠ كيلوا متراً) وضفة القناة وذلك فى حركة مروحية من الشمال الشرقى فى اتجاه الجنوب الغربي- وتحدد لنا أيضاً - ضمن مهمتنا- محاولة إنقاذ من بقى حيًا فى حصون بارليف التى انهارت تحت وطأة الهجوم المصري .

- انتشرت الألوية الثلاثة على الطريق العرضى بين بالوظة شمالاً ، والطاسة على الطريق الأوسط جنوباً لتنفيذ مهمة الهجوم والوصول إلى القناة فيما بين القنطرة والفردان وجنوب الإسماعيلية، وكان نصيب لوائى هو قطاع الفردان حيث تحددت مهمتى بالوصول إلى كوبرى الفردان والاستيلاء عليه (وقد كنا نسميه « حزايون» إحياءً لاسم الحصن المجاور له والذى فقدناه فى أول أيام الحرب).

- الدنيا تنقلب رأساً على عقب:

فى الساعة ١٤٣٠ بدأت ألويتنا الثلاثة فى التقدم . أعطيت أوامرى بأن تنطلق دبابات ومصفحات لوائى بأقصى سرعة لإثارة سحب من الغبار تحجب عن العدو حجم قواتي، ولإحداث الارتباك فى صفوفهم- فأنا أعلم جيداً طبيعة هؤلاء المصريين وضعف تماسكهم وانهيارهم السريع.

-اخترقنا النطاق المحدد. . ولا توجد مقاومة تذكر للعدو. .

- فتحت الاتصال اللاسلكى بالجنرال آدن. بادرنى بالسؤال - فى قلق - عن موقف لوائى . قلت له ضاحكاً. إن كل شيء على ما يرام ودباباتى تدوس الجنود المصريين الذين أربكهم الهجوم ولم تظهر حتى الآن محاولة لصدنا.

- لم أكد أنتهى من اتصالى بآدن. . حتى أبلغتنى الدبابات الثلاث الأولى بوصولها إلى مقربة من ضفة القناة.

- فى هذه اللحظة نفسها . . حدث ما لم يكن فى الحسبان إطلاقاً. لقد انقلبت الدنيا رأساً على عقب . إن المصريين قد أوقعونا فى كمين محكم. . كيف ضبطوا أعصابهم ونيرانهم طوال هذا الوقت؟

لا أدرى !! لقد انصبت مدافعهم علينا بنيران مذهلة الكثافة والدقة فى التحكم كما لو كان ضابط مدفعية مصرى يقف فوقى دبابتى لضبط وتوجيه نيران مدافعهم.

وقفز الجنود المشاة من حفرهم التى اختبأوا فيها واندفعوا نحو دباباتنا بصواريخهم القاتلة.

الدبابات تنفجر . . والجنود والضباط يقفزون منها . . يصرخون. . ويبحثون عن مكان يهربون فيه. رشاشات المصريين تسكت هذه الصرخات

اكتملت حلقة الكمين باشتباك عدد من الدباباتهم فى ضرب إحدى كتائب اللواء التى لم تكن قد تعرضت لمثل الضرب العنيف الذى تعرضت له الكتيبتان الأخريان،

وكانت الدبابات المصرية تحارب بكفاءة عالية وكان قتالها متفوقاً وباسلاً .

- أعصابى خانتنى تماماً .

- لم يف الجنرال آدن بوعده لى بأن يرسل لنا طائرات سلاحنا الجوى حتى المدفعية الثقيلة التى كلفت بمعاونتنا لا صوت لها!!

هل وصل إليها المصريون هى الأخري؟! لا أدرى شيئاً وقد فقدت الاتصال ببقية وحداتى المدرعة .

- معظم دباباتنا تنفجر أمامي .

- حاولت الارتداد إلى الخلف بأقصى سرعة . .

- سقطت دبابتى والثلاث دبابات الأخرى فى كمين آخر وجه قذائفه لتخترق دباباتنا الأربع .

- قفزت من الدبابة . . وأسرعت إلى الاختفاء خلف تل صغير من الرمال ومعى أربعة جنود . .

-فوجئنا بعربتين مصفحتين مصريتين . . تمشطان المنطقة بحثاً عنا . .

- حاول بعض جنودى الذين اختفوا خلف مرتفع آخر . . الفرار . . وأطلقوا نيرانهم على الجنود المصريين الذين كانوا يقفون مكشوفين فوق العربتين . . وأعتقد أن أحدهم أصيب . . ولعله قتل . .

- اندفع الجنود المصريين خارج المصفحتين . وانطلقوا نحو هذه المجموعة - من جنودى - وهجموا عليهم فى شراسة بالغة . . وسكتت بعددقائق مقاومتهم تماماً . ماتوا بالطبع . . .

- اتجه المصريون بعد ذلك ناحيتنا- « لا مفر من الاستسلام . »

- رفعت يدى إلى أعلى وأخذت أصيح فى وجوههم وأنا أرى الموت يتقدم نحوي«إننى جنرال . . أنا جنرال . . لا تقتلونى . . أريد مقابلة قائدكم . »

- فوجئت بهم بتوقفون عن الضرب . . جندى واحد فقط اضطر قائده إلى أن يأمره بصوت حاد بعدم إطلاق النار .

- سرت بينهم مقيداً .

- لا أستطيع أن أقاوم البكاء . . هذا هو أشد الأيام كآبة وأكثرها إحباطاً على الجبهة المصرية .

-نظراتهم صارمة حادة لكنهم لم يفعلوا شيئاً . . كنت أتوقع أنهم سوف يقتلوننى ومن معي . . فى أية لحظة .

– قادونى إلى مقر قيادة الفرقة التى كنت مكلفاً باختراقها . هالنى هدوء وبرود قائدها .

قلت له إننى أملك فى الحياة المدنية فندقاً فى تل أبيب ، وشرحت له كيف كانت خطته محكمة ، وكيف أن الجنود المصريين يقفزون على دباباتنا دون أن يبالوا بأى شيء حتى لو كان الموت . تحدث هو إلى بصوته الهادئ ، أكد لى أنهم يحترمون قرارات جنيف وأننى سأعامل فى الأسر معاملة طيبة .

وألمح هو إلى بعض ما جرى للمصريين فى ١٩٦٧ . وقال :

« مع ذلك لن نعاملكم بالمثل . . وستلقون معاملة إنسانية . . »

– قادونى بعد ذلك إلى القاهرة . . وتم استجوابى من جديد ، وكانت الأسئلة تتناول أموراً كثيرة فلم تقتصر على النواحى العسكرية وإنما امتدت إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبعض الشخصيات العامة . . أعتقد أنه كان من بين المستجوبين أستاذ علم نفس بالجامعة على الأقل .

– وفى اليوم نفسه أخذونى إلى مكان يبدو أنه مبنى التليفزيون . وعندما رفعوا العصابة عن عينى ليبدأ المذيع حواره معى . . لم أستطع أن أفتحهما فى البداية لشدة أضواء الكشافات فى الاستوديو . بعد ذلك ألقيت نظرة على بعض الوجوه المحيطة بى . كانوا ينظرون إلىَّ بفخر وحب استطلاع . وكان شاب صغير من بينهم يدخن فى عصبية ويرمقنى بنظرات حادة ثم يتحدث إلى من معه .

– بعد انتهاء التسجيل معى للتليفزيون والتسجيل لإذاعة القاهرة الناطقة بالعبرية . . قادونى إلى مقر الأسر . وقد نظموا لى طوال فترة وجودى فيه عدة رحلات إلى الأهرام وفندق هيلتون كما التقيت ببعض اليهود الذين مازالوا يعيشون فى مصر ، وذلك بناءً على طلبى .

– أثناء فترة أسرى . . كنت أقول لنفسى ترى ماذا جرى لبقية زملائي . . ترى هل وجدوا طريقهم إلى النجاة؟

– بعد عودتى من الأسر فوجئت -بل أذهلنى- حجم الخسائر التى وقعت فى صفوفنا . مع ذلك لم تعلن حتى الآن الأرقام الحقيقية لخسائرنا .

- حائر أنا . . حيرتى بالغة . . كيف حدث ذلك لجيشنا الذى لا يقهر وصاحب اليد الطولى والتجربة العريضة؟ كيف وجدنا أنفسنا فى هذا الموقف المخجل؟ أين ضاعت سرعة حركة جيشنا وتأهبه الدائم؟

- استدعيت لأدلى بأقوالى أمام لجنة أجرانات .

- علمت أن اللواءين الآخرين من فرقة آدن . . ظل أحدهما مقيداً بنيران المدفعية المصرية، حتى إن قائده ادعى لتبرير ذلك بأنه لم يتلق أمراً ببدء الهجوم . فى حين شغل اللواء الثانى نفسه بأعمال ثانوية فى المكان نفسه الذى كان يتمركز فيه مؤثراً هو الآخر عدم مواجهة المصريين .

- منذ عودتى إلى تل أبيب وأنا أشعر أنهم يهددوننى . لقد حدث شىء لم يسبق له مثيل . انكشفت ثغرات واسعة فى قاعدة حياتنا، والمصيبة أن المسئولين يبذلون أقصى جهودهم لإخفاء هذه الثغرات بدلاً من الاهتمام بعلاج أسبابها .

- لقد كان هناك من يشعر بالأمل فى وقت من الأوقات . . على أساس أنه سوف تظهر الحقائق وتُعالج الأخطاء . . وقد كنت واحداً من هؤلاء حتى وقت قريب .

- ولكننى اليوم أنتمى إلى من خابت آمالهم!!

(توقيع)
عساف ياجوري

وثيقة تاريخية

«أيها الناس. إننى أتكلم إليكم جميعاً، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التى نلتها وكيف أنى قد كوفئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة وكيف أن اسم الرجل الشجاع يمكث فى الشىء الذى فعله، وأن اسمى لن يغمر فى هذه الأرض أبداً.

فعندما بدأت الحرب على الماء فى القناة «يزدكوأواريس» أسرت من الأعداء أسيراً وأحضرت يداً، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ومن أجل هذا أعطيت «ذهب الشجاعة».

وقد عاد القتال فى هذا المكان وقمت بأسر آخر، وأحضرت يداً، فأعطيت -ذهب الشجاعة ثانية، وعندما حاربوا فى مصر فى الجزء الجنوبى من هذا البلد- (أواريس)- أحضرت أسيراً حياً وقد ذهبت به إلى الماء لأنه كان قد أسر فى الجبهة التى فيها المدينة، وحملته معى بعد أن أسرته وعبرت الماء إلى الجهة الأخرى وقد أعلن حاجب الملك بذلك! وتأمل لقد كوفئت بذهب الشجاعة من جديد، وعندما سار (الأعداء) بعد ذلك لنهب «أواريس» أحضرت من هناك (من بينهم) أسلاباً: رجلاً واحداً وثلاث نساء. أى مجموع أربعة رءوس، وقد أعطانيهم جلالته عبيداً، وفى حصارهم لبلدة (شروهن) أحضرت من هناك امرأتين ويداً. وقد أعطيت من جديد ذهب الشجاعة.

وفى (معركة) مع بدو بلاد النوبة أحضرت من هناك أسيرين وثلاثة أيد كوفئت بالذهب من جديد.

وبعد ذلك (وفي معارك أخري) أحضرت محاربين أسيرين من سفينة «آتا»، ثم عندما أتى ذلك الخاسىء المسمى (تيتى عن) وقد جمع العصاة معه. (دارت معركة) وذبحه جلالته وقضى على بحارته، وأحضرت أنا ثلاثة رءوس..........)

[من وثيقة فرعونية كتبها "أحمس بن آبانا" أحد الضباط في عهد الملك أحمس، ويرجع تاريخها إلي أكثر من ١٥٠٠ عام قبل الميلاد.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنها إلي جانب غيرها من وثائق التاريخ الفرعوني تدل علي شجاعة المقاتل المصري العربي الذي استسلم له الأعداء منذ قديم الأزل].

بالوثائق وبشهادات قادة إسرائيل أنفسهم، لولا الدعم الأمريكى لكان الانهيار الإسرائيلى مدوياً وشاملاً! ! لقد بدأت طلبات النجدة من الولايات المتحدة الأمريكية عبر رجل إسرائيل هناك (هنرى كيسنجر) منذ اليوم الثانى للقتال وعلى الفور تحركت الماكينة الأمريكية فى كل الاتجاهات :

١- ترتيب شحن الأسلحة والمعدات المطلوبة (وأكثر) .

٢- اتصالات مع مصر للتضليل والخداع !

٣- إمداد فورى لإسرائيل بكل ما تلتقطه أقمار التجسس وتجمعه عناصر المخابرات الأمريكية من معلومات عن انتشار القوات المصرية وتحركاتها !

* ولعل ما يجسد ذلك كله . . هو ما أثبته الأستاذ محمد حسنين هيكل بالمعلومات الموثقة فى كتابه (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة) الى جانب ما تضمنته مصادر أخرى إسرائيلية وأمريكية من اعترافات لقادة إسرائيل ابتداءً من جولدا مائير رئيسة الوزراء . . وحتى المجندات اللائى استقبلن (بالزهور والقبلات) الطيارين الأمريكيين الذين حملوا الأسلحة والمعدات التى كانت بمثابة نقل الدم لجيش الدفاع الذى أوشك على الاحتضار !

*** * استغاثات واعترافات!**

*** أنقذوا إسرائيل»:**

«نص رسالة الاستغاثة العاجلة التى تلقتها وزارة الخارجية الأمريكية فى ٩/ ١٠/ ٧٣»

* «ولما جاء اليوم الرابع من الحرب . . كانت إسرائيل قد هزمت تماماً وبشكل مروع، ولذلك فإن الجسر الجوى والبحرى الأمريكى لم ينقل لإسرائيل الأسلحة والمعدات بقدر ما كان يقوم بعملية نقل دم هائلة لشرايين إسرائيل التى نزفت كل دمائها ! !»

(توقيع)
التاريخ الحديث

* «إن وصول طائرات النقل الأمريكية الضخمة (س-٥) ناقلة الأعتدة والسلاح بصورة مستمرة أنقذ إسرائيل مما لم يكن تحمد عقباه . وإننى أذكر أنه عندما اتصلت يوم ٧ أكتوبر بسفيرنا فى الولايات المتحدة مرة أخرى قال لى إننا في الساعة الثالثة

صباحاً، ولا أستطيع أن أوقظ أحداً من المسئولين الأمريكيين الآن، فقلت له لا يهمني كم تكون الساعة الآن. إن الموت يأكل جنودنا. وإن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً. أيقظهم جميعاً. اتصل بالدكتور كيسنجر فوراً. . وقد رد كيسنجر بأن الطائرات العملاقة من طراز (س ١٥٠ جالاكسى) قد تلقت أمر الرئيس بنقل كل ما تطلبه.»

(توقيع)
رئيسة وزراء إسرائيل
جولدا مائير
«فى كتابها قصة حياتى»

* «لقد تعرضنا لنقص فى الوسائل التى تكفل استمرار القتال، وكان الجسر الجوى الذى أقامته الولايات المتحدة لنقل الأسلحة إلى إسرائيل أضخم جسر من نوعه فى التاريخ، وأكبر حتى من عملية الإنقاذ التى تمت بالنسبة إلي برلين. . والمؤكد أنه بدون هذا الجسر لم يكن باستطاعتنا أن نستمر فى القتال.»

(توقيع)
إسحق رابين
رئيس وزراء إسرائيل الذى خلف جولدا مائير

* «إن قواتنا تتآكل. . والأمل الآن فى أن يرسل إلينا الأمريكيون إمدادات عاجلة من الأسلحة».

(توقيع)
موشيه ديان
٩-١٠-١٩٧٣

* «ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها فى كفة الميزان عندما أرسلت إلينا على الفور الإمدادات والمعدات، وأعلنت حالة التأهب فى جيوشها؟!»

(توقيع)
المؤرخ الإسرائيلى
يعقوب تلمون

* «بعد يومين من بدء القتال، كانت إسرائيل على حافة هزيمة مروعة لا تقل عن أية هزيمة ألحقتها بالعرب من قبل، فلم يكن قد تبقى لديها سوى ٩٠ دبابة منهكة وأطقم خائرة تقف بين جيش مصرى منتصر وبين تل أبيب».

(توقيع)
المحرر العسكرى لصحيفة صنداى تايمز

* «لقد ثبت لنا فى يوم ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣ أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا ٢٣ ساعة فقط ينتهى بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات والمدرعات والمدفعية وبطاريات الدفاع الجوى التى تعتمد على صواريخ هوك».

(توقيع)

الجنرال دانييل جراهام

رئيس وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية

* «كان معدل الخسائر الإسرائيلية عالياً جداً.

وكانت عمليات إعادة تسليح إسرائيل من خلال الجسر الجوى الأمريكى تسير بمعدلات لم يسبق لها مثيل لتعويض هذه الخسائر الرهيبة؛ إذ كانت إسرائيل تخسر دبابة كل ربع ساعة وطائرة كل ساعة تقريباً خلال الأيام الأولى للحرب».

(توقيع)

رئيس معهد الدراسات العسكرية فى السويد

* فى الساعة العاشرة والنصف صباح ٦ أكتوبر (بتوقيت واشنطن) غادر «هنرى كيسنجر» اجتماع مجموعة العمل الخاصة فى مجلس الأمن القومي، لكى يقابل «شاليف» القائم بالأعمال الإسرائيل الذى وصل بدون موعد سابق ليؤكد رسالة «جولدا مائير» التى سبق له نقلها بالتليفون.

وبعد اجتماع مع «شاليف» اتصل «هنرى كيسنجر» بالجنرال «الكسندر هيج» رئيس أركان البيت الأبيض طالباً نقل رسالة منه إلى الرئيس «نيكسون» مؤداها (طبقاً لمذكرات «كيسنجر») أنه إذا انتصر العرب فسوف يكون من المستحيل إجراء أية مفاوضات للوصول إلى حل للأزمة. وأن توصيته كوزير للخارجية هى أن الولايات المتحدة يتعين عليها أن تقدم لإسرائيل ما تحتاج إليه لتعويض خسائرها، وحتى تتمكن من تثبيت وتصحيح الموقف العسكرى بسرعة خلال يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير.

وقد عاد الجنرال «هيج» فاتصل بـ «هنرى كيسنجر» بعد ربع ساعة وأبلغه أن الرئيس «نيكسون» وافق على توصيته، وأنه سيتم تبليغ هذه الموافقة إلى وزير الدفاع «جيمس شليزنجر».

* وفى الساعة الثانية عشرة ظهراً كان «كيسنجر» يشعر أن وزارة الدفاع تتلكأ فى تنفيذ أمر الرئيس الذى أبلغ إليها عن طريق آل (تصغير اسم ألكسندر للتدليل) هيج

واتصل بنفسه بـ «كى بسكاين» بولاية فلوريدا -حيث كان الرئيس «نيكسون»- طالباً أن يتحدث إليه، وقد قال له «كيسنجر» إنه تلقى الآن تقريراً وصل إلى وزارة الخارجية نقلاً عن سفير أوروبى غربى فى مصر، مؤداه أنه «سمع من السادات أنه لا يريد أى اجتماعات لمجلس الأمن (يصدر عنها قرار بوقف إطلاق النار) لأنه مصمم على مواصلة الهجوم حتى يتحقق تحرير سيناء بالكامل».

ولم يكن ذلك صحيحاً:

* لأن الرئيس «السادات» لم يستقبل فى الساعات السابقة أى سفير غربى.

* ثم إن «كيسنجر» كان قد قرأ بالفعل رسالة الرئيس «السادات» التى تلقاها بتوقيع «حافظ إسماعيل»، وفيها التعهد بصراحة بأن «مصر لا تعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة».

* وأيضاً فإنه كان مقتنعاً بذلك إلى درجة أنه أفتى به أثناء المناقشة التى اشتركت فيها مجموعة العمل قبل نصف ساعة فقط!

وقد أضاف «كيسنجر» بعد ذلك إلى الحاحه على الرئيس «نيكسون» نبرة تحريض قائلا للرئيس انه «يتحتم على وزارة الدفاع أن تستجيب لطلبات إسرائيل، وأن تنصاع لتوجيهات الرئيس بسرعة شحن الطلبات الإسرائيلية، وألا ترسم سياسة خاصة بها».

* وفي الساعة الواحدة والنصف ظهراً، وبعد حديثه مع الرئيس «نيكسون»، اتصل «كيسنجر» بوزير الدفاع «شليزنجر» ونقل إليه على لسان «نيكسون» أمره بالإسراع بشحن الطائرات والذخائر وبعض المعدات التكنولوجية الحساسة بما فيها صواريخ "Sidewinder".

* وفى الساعة الثانية قام «هنرى كيسنجر» باستدعاء «شاليف» القائم بالأعمال الإسرائيلى إلى مقابلته، وطلب منه ترتيب مجىء عدد من طائرات شركة «العال» الإسرائيلية لتنقل المعدات المطلوبة بسرعة لأن وزارة الدفاع قد تتعلل بنقص إمكانات النقل.

وقد بدا «شاليف» محرجاً أمام «كيسنجر» من الصورة التى ظهرت بها إسرائيل، وأبدى ملاحظة قال فيها «إنه مندهش من تأخر الهجوم الإسرائيلى المضاد». ورد عليه «كيسنجر» قائلاً بالحرف «يبدو أنهم فوجئوا حقيقة هذه المرة»

I think they were really surprised this time.

* وفى الساعة ١٠, ٣ عاد «كيسنجر» يتصل بـ «آل هيج» للمرة الثالثة طالبا تدخل «نيكسون» شخصيا فى الضغط على وزارة الدفاع لأن الاستجابة السريعة للطلبات الإسرائيلية ضرورة سيكولوجية كما هى سياسية وعسكرية، لأن العرب لا ينبغى لهم أن يحققوا أية مكاسب بأسلحة سوفيتية.

* وفى الساعة ٤٠, ٣ قام «ال هيج» باتصال تليفونى مع «شليزنجر» وأبلغه باسم الرئيس «نيكسون» أمراً صريحاً بسرعة إعداد الطلبات الإسرائيلية، وأضاف إلى ذلك قوله نقلا عن الرئيس «إن العرب لا ينبغى لهم تحقيق انتصار بأسلحة سوفيتية». وكان ذلك نفس تعبير «هنرى كيسنجر»نفسه.

* وفى الساعة السادسة مساءً كان «سميحا دينتز» قد عاد من إسرائيل إلى واشنطن، وتوجه مباشرة من المطار إلى لقاء «كيسنجر» حاملاً معه استعداد إسرائيل لإرسال طائرات «العال» بأسرع وقت للمشاركة فى نقل إمدادات السلاح. وتحمس «كيسنجر» قائلا «إن طائرة العال المسافرة إلى إسرائيل على الخط العادى تستطيع هذه الليلة أن تأخذ معها بعض المعدات، ومن ضمنها ٨٠ صاروخاً من طراز "Sidewinder".

وفى هذه الليلة أجرى «كيسنجر» تحليلا للموقف على ضوء أحداث الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، بما فيها تلك الرسالة التى تلقاها من الرئيس «أنور السادات» قبل ساعات، والتى كانت فى جزء منها استعادة للمناخ الذى جرت فيه محاولات الحل السلمى قبل الحرب. وقد تمكن «كيسنجر» -طبقاً لروايته- من وضع تصور عام للموقف و كانت خطوطه على النحو التالي:

١- إن حالة اللا سلم واللا حرب قد انتهت فى الشرق الأوسط- وهناك الآن حرب.

٢- لا يمكن السماح تحت أى ظرف بهزيمة تحيق بإسرائيل، حتى ولو أدى ذلك إلى تدخل أمريكى مباشر.

٣- لا يجب أن يظهر الاتحاد السوفيتى بعد هذه المعركة باعتباره المنقذ الوحيد للعرب.

٤- إذا انتصرت إسرائيل فى هذه الحرب بطريقة ساحقة، فينبغى ألا تجد أمريكا نفسها هدفًا لسخط عربى واسع بسبب إمدادات السلاح.

٥- إن العمل الأمريكى إذن يجب أن يكون موجهًا إلى إثبات عدم جدوى الحرب.

٦- إذا تحقق ذلك فالخطوة التالية هى التوجه نحو السلام.

٧- إذا حدث التوجه نحو السلام فلا بد أن يكون ذلك بإشراف أمريكى كامل.

وكان آخر ما فعله فى ذلك اليوم أن أعطى تعليماته للوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة للبدء فى اتصالات لعقد جلسة لمجلس الأمن فى خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة، فمثل هذا الاجتماع كان أمراً ضرورياً ومنطقياً، وكانت الولايات المتحدة هى التى تعرقله حتى تترك لإسرائيل الفرصة لتصحيح الوضع العسكرى- والآن وقد بدأت إسرائيل تتلقى كل ما يلزمها، فإن كيسنجر يستطيع أن يقبل انعقاد مجلس الأمن لبحث الأزمة ولكن بعد ٢٤ ساعة على الأقل.

٩ أكتوبر فى واشنطن: صباحاً

فى الساعة ١,٤٥ طلب السفير الإسرائيلى فى واشنطن «سيمحا دينتز» إيقاظ وزير الخارجية الأمريكى «هنرى كيسنجر» من نومه، وفاجأه بسؤال عن مدى إمكانية المسارعة أكثر بإرسال مدد عسكرى لإسرائيل. وقد فوجىء «كيسنجر» بالسؤال، خصوصاً أنه تذكر تطمينات «دينتز» له قبل ساعات. وسأله «كيسنجر» بصوت نصف نائم «ما هى المشكلة، وما هو سبب العجلة؟» ورد عليه «دينتز» بأن «هناك حاجة ماسة إلى طائرات وذخائر وبعض المعدات الإلكترونية». وقد روى «كيسنجر» أنه استغرب إقدام «دينتز» على إيقاظه، وخطر بباله أن السفير الإسرائيلى يوقظه من النوم لمجرد استعراض عضلاته أمام الحكومة الإسرائيلية، ولإثبات أنه يستطيع أن يوقظ وزير خارجية الولايات المتحدة من نومه فى أى وقت. وقد أبدى «كيسنجر» لـ «دينتز» أن كل الطلبات تمت الموافقة عليها، وأنه فى الصباح سوف يقوم باستعجال عمليات الشحن، وسوف تتم بسرعة.

وفى الساعة الثالثة صباحاً عاد «دينتز» إلى إيقاظ «كيسنجر» من نومه للمرة الثانية فى الليلة نفسها. وبدأ «كيسنجر» يحس أن الموقف لابد أن يكون أخطر مما يتصور. ودعا «دينتز» إلى مقابلته فى البيت الأبيض فى الساعة الثامنة صباحاً.

ووصل «دينتز» إلى البيت الأبيض ومعه الملحق العسكرى الإسرائيلى الجنرال «موردخاى جور». وطلب الاثنان أن يدور الحديث فى غرفة الخرائط حيث يستطيع الجنرال «جور» أن يشرح لوزير الخارجية الأمريكى تطورات الموقف أمام خريطة. وتم ذلك بالفعل. وكان تعقيب الجنرال «جور» فى نهاية عرضه للموقف هو قوله: «إن خسائر إسرائيل حتى هذه اللحظة مروعة staggering . وقد جاءت غير متوقعة

بالمرة totall unexpected، فلقد أسقطت لنا حتى الآن ٤٩ طائرة. بينها ١٤ طائرة من طراز «فانتوم»، إلى جانب ٥٠٠ دبابة. «(أى أن الجيش الإسرائيلى فقد خمس طائراته وربع دباباته فى أربعة أيام من القتال). وكان «كيسنجر» يسمع صامتاً وإن لم يخف دهشته بتقاطيع وجهه. وقد تدخل «دينتز» فى الحديث طالباً من «كيسنجر» أنى يبقى هذه المعلومات سراً لنفسه ولا يبوح بها لأحد، لأن تسربها يمكن أن يؤدى إلى كارثة. وكان أول ما نطق به «كيسنجر» هو تساؤله «كيف حدث ذلك؟» وراح الجنرال «جور» يقدم تفسيره. ولكن «كيسنجر» كان، إلى جانب دهشته، مملوءاً بالغضب، وقد توجه إلى «دينتز» يسأله: «أين ذهبت توقعاتك بالانتصار الساحق وقد عدت لتأكيدها لى قبل ساعات؟» «ورد دينتز» بأسى: "something went wrong" (لقد اختلت الأمور).

ووجد «كيسنجر» نفسه -إلى جانب الدهشة والغيظ- واقعاً فى حالة من الحيرة سببها أن تقديراتهم العسكرية، ومن ثم تحركاتهم الدبلوماسية، خصوصاً فى اتصالاتهم مع الاتحاد السوفيتي- كانت قائمة على أساس انتظار نصر إسرائيلى سريع، وساحق!

وقد أبدى «كيسنجر» للجنرال «جور» ملاحظة قال فيها -متأملاً- «يظهر لى والأمور على هذا النحو، أنه ليس فى استطاعتكم تغيير الموقف بالسرعة التى نتصورها. فالجيش السورى ولو أنه تلقى ضربة قوية- إلا أنه لم ينكسر حتى الآن. وبالتالى فإنه سوف يكون من الصعب عليكم نقل القوة الرئيسية للجيش الإسرائيلى من جبهة الجولان إلى سيناء». وتوجه الجنرال «جور» بسؤال إلى «كيسنجر» قال فيه: «هل يمكن أن تعطينا وكالة المخابرات المركزية والمخابرات العسكرية الأمريكية كل ما لديكم من معلومات عن أوضاع الجبهة؟» وقام «كيسنجر» باستدعاء مساعده الجنرال «سكوكروفت» وطلب منه أن تستجيب الوكالات المختصة بالمخابرات لكل الطلبات الإسرائيلية.

وفى هذه اللحظة طلب «دينتز» أن يختلى بـ «كيسنجر» وحده لمدة خمس دقائق. وخرج «جور» و «سكوكروفت». وفوجىء «كيسنجر» بالسفير الإسرائيلى فى واشنطن يفضى إليه همساً برغبة رئيسة الوزراء «جولدا مائير» بالقدوم إلى واشنطن فى زيارة سرية لمقابلة الرئيس «نيكسون» ولتشرح له بنفسها خطورة الموقف.

(ذكر «كيسنجر» فى مذكراته (صفحة ٤٩٢) أنه لم يكن يعرف أنه فى هذه اللحظة نفسها كان «ديان» فى حالة انهيار كامل، وقد تقدم بطلب من مجلس الوزراء الإسرائيلى إذناً بالانسحاب إلى الخط الدفاعى الثانى فى سيناء وراء خط المضايق، وهو خط قريب من الحدود المصرية).

فى الساعة ٩,٤٠ صباحاً (يوم ٩ أكتوبر) دعا «كيسنجر» إلى اجتماع عاجل لمجموعة العمل الخاصة. وعرض على أعضائها بعض ما سمع من السفير ومن الملحق العسكرى الإسرائيليين. ونشب خلاف داخل المجموعة: ذلك أن «ويليام كولبى» مدير المخابرات المركزية قال إن طلبات إسرائيل من السلاح كما شرحها «دينتز» و«جور» مبالغ فيها، وقد يكون الدافع اليها هو الرغبة فى تدعيم موقف إسرائيل بعد انتهاء القتال. وقد أيده فى ذلك نائب وزير الخارجية «كينيث راش». واقترح وزير الدفاع «شليزنجر» استجابة جزئية لمطالب إسرائيل. وأوصى بشكل خاص بألا ترسل فى الوقت الحاضر أية أسلحة يحتاج تشغيلها إلى خبراء أمريكيين، ثم علق بملاحظة قال فيها: «إن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن حدود إسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧، ولكنها ليست ملتزمة بالدفاع عن الأراضى المحتلة بعد ذلك». وفقد «هنرى كيسنجر» أعصابه قائلاً: «إن إسرائيل قد تلقت هزيمة استراتيجية، بصرف النظر عما يمكن أن يحدث بعد ذلك» "Israel has suffered a strategic defeat no matter what happens" ولا ينبغى للولايات المتحدة أن تسمح لهذه الهزيمة بالوصول إلى مداها».

وتوتر جو المناقشة، وطرح اقتراح بتأجيل الجلسة لمدة نصف ساعة للاستراحة.

ويعقب الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل على ذلك الحوار بين كيسنجر وأعضاء مجموعة العمل الخاصة، قائلاً:

«من المفارقات المحيرة أن ذلك اليوم -٩ أكتوبر- كان هو اليوم المقرر لتطوير الهجوم شرقًا والوصول إلى المضايق، ويروى المشير «محمد عبد الغنى الجمسي» فى مذكراته (صفحة ٣٨٣) التفاصيل التالية بالحرف:

«وحان الوقت يوم ٩ أكتوبر لتقرر مصر متى يستأنف الهجوم وتطويره شرقًا فى اتجاه المضايق تنفيذاً لخطة الحرب. وكان ترك العدو الإسرائيلى بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادأة له. ولا ينتظر أن تتخذ القوات الإسرائيلية أوضاعًا دفاعية حتى

نهاية الحرب، بل إنها ستحاول اختراق أحد القطاعات بالجبهة حتى يكون دفاعها إيجابيًا نشطاً، وقد تصل بعض قواتها إلى خط القناة. ولذلك يجب حرمان العدو من القيام بهذا العمل بالمحافظة على المبادأة فى أيدينا، ولا يتحقق ذلك إلا بتطوير العمليات الهجومية شرقاً.

ولقد كانت القوات الإسرائيلية فى سيناء فى وضع سيىء من الناحية المعنوية والقدرة القتالية بعد الفشل الذى لحق بها، والخسائر الكبيرة التى تحملتها، أما موقفها فى الجولان فقد كان يشير إلى تطوره فى صالحها تكتيكيًا، وأصبح واضحًا للقيادة الإسرائيلية أن عمق رءوس الكبارى المصرية وصل إلى ١٢-١٥ كيلو مترا، وأن لدينا أعداداً كبيرة من الدبابات والمدفعية والأسلحة المختلفة، وكان ذلك يجبر إسرائيل على اتخاذ الأوضاع الدفاعية على مواجهة واسعة، حوالى مائة كيلو متر من القنطرة شمالا حتى السويس جنوباً.

كان من رأيى ضرورة استغلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقًا للخطة دون أن نتوقف طويلا حتى نحرم العدو من فرصة تدعيم مواقعه أمام قوات الجيش، وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم فى الظروف الأفضل لنا والأسوأ للعدو.

ناقشت الفريق أول أحمد إسماعيل فى هذا الموضوع يوم ٩ أكتوبر خلال مقابلتين معه داخل مركز العمليات، وجدت منه الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقاً، فكان يرى الانتظار لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة من أوضاع قواتنا فى رءوس الكبارى قبل استئناف الهجوم، وكان الفريق أول أحمد إسماعيل يرى أيضًا أن القوات البرية القائمة بالهجوم ستتعرض بشدة للطيران الإسرائيلى فى وقت لا تتمكن فيه المقاتلات وصواريخ الدفاع الجوى من توفير الحماية الكافية لها.

وفى مناقشتى معه أوضحت أن استئناف هجومنا يترتب عليه التحام قواتنا مع قوات العدو، الأمر الذى يجعل تأثير السلاح الجوى الإسرائيلى أقل. وللحد من تأثير السلاح الجوى المعادي، يجب استغلال طاقة قواتنا الجوية التى أثبتت قدرتها ضد طيران العدو خلال الأيام الأربعة ٦-٩ أكتوبر.

فضلاً عن ذلك فإن صواريخ الدفاع الجوى -خفيفة الحركة- برغم قلتها إلا انها مؤثرة، وفى الوقت نفسه يمكننا تحريك بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى -بطيئة الحركة- على وثبات للأمام.

وقلت أيضا إن احتفاظنا بالمبادأة باستئناف الهجوم استغلالاً للنجاح الذى تحقق يعطينا فرصة تحقيق الهدف الاستراتيجى بنجاح برغم أننا نتحمل الخسائر، ولكنها خسائر مقبولة، وفى المقابل فإن طول الانتظار يعطى فرصة أفضل للعدو ليكون فى موقف أقوى عندما نستأنف الهجوم.»

٩ أكتوبر في واشنطن: ظهراً

وعادت مجموعة العمل إلى استئناف اجتماعاتها، وكانت الساعة الثانية عشرة إلا ثلثًا، وبدأ «كيسنجر» الاجتماع بقوله «إنه خلال الاستراحة قرأ عدة برقيات واردة إلى وزارة الخارجية وإلى مجلس الأمن القومي، تفيد أن الزعيم السوفيتى «ليونيد بريجنيف» بعث برسالتين إلى الملك «حسين» فى عمان وإلى الرئيس «بومدين» فى الجزائر، يناشدهما فيها دخول المعركة بكل قوة، وأضاف «كيسنجر» قائلاً: وإذن فأمامنا الآن قضيتين:

* **الأولى** دعم إسرائيل فوراً.
* **والثانية** ردع الاتحاد السوفيتى فوراً.

وزاد «كيسنجر» على ذلك قوله إنه أثناء الاستراحة «اتصل بالرئيس نيكسون الذى طلب إليه إبلاغ وزير الدفاع «شليزنجر» على لسانه، بضرورة شحن طائرات الفانتوم لإسرائيل فوراً، ومن خطوط الإنتاج مباشرة إذا اقتضى الأمر، وتجهيزها بأحدث معدات الكترونية، حتى ولو كانت هذه المعدات لم تسلم بعد للقوات الأمريكية».

وخرج «كيسنجر» من الاجتماع ليقوم بتحركات سريعة وجدها ضرورية:

١- بعث برسالة إلى الملك «حسين» يرجوه «أن يحافظ على مصداقيته كرجل دولة»، وواعداً بمساعدات أمريكية للأردن بعد الحرب.

(رد عليه الملك «حسين» بأنه سوف يمارس ضبط النفس مادام كان ذلك ممكناً -لكنه إذا لم يحدث وقف إطلاق نار سريع، فلن يكون ذلك فى مقدوره، وأشار الملك فى رسالته- طبقاً لرواية «كيسنجر»- إلى أن استمرار الحرب سوف يؤدى إلى تقوية نفوذ الاتحاد السوفيتى فى المنطقة).

٢- اتصل «كيسنجر» بـ «أناتولى دوبرينين» السفير السوفيتى فى واشنطن، ووجه إليه تحذيراً شديد اللهجة بأن «بريجنيف» يقوم بعملية تحريض لـ «بومدين» وأن ذلك سوف يؤدى إلى أزمة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- اتصل «كيسنجر» بالسفير الإسرائيلى «دينتز» وطلب إليه أن تتحرك كل جماعات الضغط الإسرائيلية وتركز نشاطها على الكونجرس، حتى يقوم الكونجرس بدوره بالضغط على الرئيس الأمريكى «نيكسون»!!

وفى الساعة ٤٥ , ٤ كان الرئيس «نيكسون» قد عاد إلى واشنطن، وعقد اجتماعاً فى البيت الأبيض حضره «كيسنجر»، ورئيس أركان حرب البيت الأبيض الجنرال «آل هيج»، والقائم ببعض ذيول فضيحة «ووترجيت»، كما أن استقالة «سبيرو آجنيو» نائب الرئيس كانت على وشك أن تعلن خلال ساعات). وقد بدأ الاجتماع بأن قام «كيسنجر» بإبلاغ «نيكسون» برغبة «جولدا مائير» فى القيام بزيارة سريعة لواشنطن لمقابلته، وعقب على ذلك قائلاً: «إنه إذاكانت مائير على استعداد لأن تترك إسرائيل فى وقت حرب وتجىء إلى واشنطن سراً، فمعنى ذلك أن الموقف العسكرى سيىء جداً»، ثم واصل «كيسنجر» كلامه قائلاً: «إذا أحس العرب بأن إسرائيل قد تعرضت لهذا الحجم من الخسائر، فإن ذلك قد يغريهم بالاندفاع أكثر، وفى هذه الحالة فإن إسرائيل لن تكون فى وضع يسمح لها بقبول قرار لوقف إطلاق النار».

كان ضغط الكونجرس (بتحريض من وزير خارجيته!) قد أصبح محسوساً على الرئيس الأمريكي، وطالت المناقشات حتى الساعة السادسة وعشر دقائق، وطرح «كيسنجر» مشروع قرار يتضمن موافقة الرئيس الأمريكى على طلبات إسرائيل كافة، ووافق «نيكسون» قائلا «إنه يظن أن الولايات المتحدة لا ينبغى أن تسمح لإسرائيل أن تخسر الحرب»، وقد وافق على مشروع القرار الذى عرضه «كيسنجر»، وخوله إبلاغه إلى «دينتز» بالنيابة عنه، راجياً منه فى الوقت نفسه أن ينقل إلى السفير الإسرائيلى شعوره، بأن الوقت قد لا يكون مناسباً لزيارةسرية تقوم بها «جولدا مائير» لواشنطن، فمثل هذه الزيارة لن تظل سراً، ثم إن من شأن إعلانها فى هذا الوقت إعطاء انطباع للعرب بأن إسرائيل تواجه موقفاً ميئوساً منه، وهذا خطر بالنسبة إلى إسرائيل، كما أنه قد يكون محرجاً بغير داع للولايات المتحدة.

وقام «كيسنجر» باستدعاء «دينتز» إلى البيت الأبيض، وأبلغه بنص القرار، وكان على النحو التالى:

«إن الرئيس قد استجاب لكل طلباتكم الخاصة، ووافق على كل قائمة الأسلحة التى تقدمتم بها، وبالنسبة إلى قائمة الذخائر والمعدات الإلكترونية، فإنها سوف تصل إليكم بالطائرات، وكذلك سوف تصل إليكم تعويضات كاملة عن كل ما خسرتموه فى الطيران، وأما فيما يتعلق بالمعدات الثقيلة كالدبابات، فإنكم سوف تحصلون على عدد كاف من دبابات «م ٦٠» وهى أحدث ما لدينا.

وسوف يجرى تعويضكم بالفانتوم -فوراً- كما أننا نستطيع بعد ذلك أن نعمل على مهل لترتيب جدول شحن ببقية ما قد تطلبونه.

كذلك سوف تصل إليكم ذخيرة الأسلحة المضادة للدبابات، وقد تلقى وزير الدفاع الأوامر الخاصة بذلك، وإن صادفتكم عراقيل فى وزارة الدفاع فيمكنكم الاتصال مباشرة بالجنرال سكوكروفت، إن ذلك يستجيب لجميع طلباتكم فيما عدا بند واحد، وهو قنابل الليزر.

ونحن ندرك أنكم سوف تحتاجون إلى دبابات أكثر بعد هذه المعركة، ونحن نقدم لكم تعهدنا بشحنها.

كذلك فنحن نقدم إليكم تأكيدنا الإضافى بأنه إذا نشأت ضرورة مفاجئة فإننا نتعهد بإرسال الدبابات بالطائرات» (٥).

وقبل أن ينام «هنرى كيسنجر» هذه الليلة عاد «دينتز» إلى الاتصال به ليبلغه رسالة «جولدا مائير» تبدى فيها تقديرها للقرارات «العظيمة والشجاعة» التى اتخذها الرئيس الأمريكي، كما تبدى شكرها وتقديرها للجهد «المخلص والهائل» الذى عرفت أن «هنرى كيسنجر» قد قام به شخصيًا فى هذا الصدد.

وكان «كيسنجر» يتابع الاتصالات التى راحت تجرى فى مجلس الأمن بحثاً عن مشروع قرار يصدره المجلس، ورأى قبل أن ينام أن من المناسب له أن يقوم بعملية تخدير وإلهاء الجانب المصري، وهكذا بعث عن طريق القناة الثانية السرية برسالة جديدة إلى الرئيس «السادات»، موجهة بالاسم إلى السيد «حافظ إسماعيل»، قال فيها بالنص:

من الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل

يود الدكتور كيسنجر أن يعرب عن شكره للسيد إسماعيل، لرده الفوري، وما تضمنته رسالته المؤرخة ٩/ ١٠/ ١٩٧٣ من عبارات ودية.

إن الجانب الأمريكى على ثقة من أن الجانب المصرى يفهم أن ما فعلته الولايات المتحدة حتى الآن فى الأزمة الراهنة، هو تصرف الحد الأدنى المطلق الذى استطاعت القيام به، نظراً للضغط الشعبى الذى تعرضت له الحكومة الأمريكية، ونتيجة لما تضمنته رسالة السيد إسماعيل من إيضاح، فإن الجانب الأمريكى يفهم الآن بجلاء الموقف المصري، فيما يتعلق بتسوية سلام.

غير أن الجانب الأمريكى أقل استنارة بصدد آراء الجانب المصرى بصدد كيفية إمكان وضع نهاية للقتال الراهن، حيث ستكون هذه الآراء مفيدة جداً للجانب الأمريكى فى صياغة موقفه في المناقشة الراهنة بمجلس الأمن، وعلى أمل سماع آراء الجانب المصري، سوف يمسك الجانب الأمريكى أطول وقت ممكن عن إبداء موقف أمريكى نهائى فى مجلس الأمن.

ويود الجانب الأمريكى أن يكرر إبداء استعداده للتشاور عاجلاً مع الأطراف المعنية، من أجل تحقيق تسوية سلام عادل فى الشرق الأوسط، ومن المهم فى هذه الأوقات العصيبة ألا يبرح عن البال منظور المدى الطويل هذا، وتفادى المواجهات والنقاش المرير، حيث نسعى لحل الأزمة الراهنة.

ولسوف يكون هذا المبدأ المرشد للجانب الأمريكي، ونحن نأمل أنه سيحفز بالمثل تصرفات الجانب المصرى.

مع تحياتى الشخصية الحارة. .

وكانت الرسالة مجرد كلمات إنشائية وأسئلة نظرية عن التشاور وعن التسوية، بالإضافة إلى كلام مائع يصف المساعدات الأمريكية لإسرائيل -وقد تسربت أنباء عنها إلى وكالات الأنباء- بأنه تصرف «الحد الأدنى المطلق نظراً للضغط الشعبى الذى تعرضت له الحكومة الأمريكية.

ولعلها أيضًا كانت عملية لعب وتلاعب واضحة الأهداف!

١٠ أكتوبر فى تل أبيب:

بدأت «جولدا مائير» يوم ١٠ أكتوبر بتحرير رسالة مكتوبة إلى الرئيس الأمريكى «ريتشارد نيكسون» -تعزز رسالتها الشفوية بشكره على ما قدمه بها، وجاء فى الرسالة بالنص: «لقد أخطرت عند الفجر بقراركم بتأكيد إمداد إسرائيل فوراً بسيل من العتاد

الأمريكي immediate flow of U.S. material ولقد كنت أدرك أنني في لحظة الحاجة هذه أستطيع أن أتوجه إليكم بطلب المساعدة، وأستطيع أن أعتمد على فهمكم الدقيق لضرورات الموقف إلى جانب مشاعركم العميقة تجاه إسرائيل».

كانت رسالة «جولدا مائير» تعكس نوعاً من الاطمئنان، ولكن مجلس الوزراء بكامله كان لا يزال في حالة انهيار من تأثير تقرير «ديان»، ذلك أن الجنرال «ديان» كان يبدو -حسب تعبير الوزير «يزرائيل جاليلي»- «أمامنا باستمرار نموذجاً حيًا لجندي إسرائيل المقاتل- لكنه في هذه اللحظة الحاسمة تهاوى كأنه تمثال مصنوع من التراب، وليس من الرخام».

«كيف كان الجسر الجوي الأمريكي؟!»

أعلنت أمريكا رسميا بصورة علنية ورسمية أنه بدأ شحن مواد أولية ومعدات حربية وأسلحة بمعدل كبير إلى إسرائيل عبر جسر جوي من قواعد أمريكية في الولايات المتحدة وألمانيا الغربية.

وتوالى وصول الطائرات العملاقة من نوع (جلاكسي سي-٥) و(ستار لفترسي-١٤١) و (هيركيوليزس-١٣٠)، ولا يدخل ضمن شحنات هذه الطائرات الضخمة ما وصل إلى إسرائيل من طائرات الفانتوم وطائرات سكاي هوك التي كان يجري تحويلها إلى إسرائيل رأساً من قواعدها في الولايات المتحدة وأماكن أخرى.

هذا وقد شحنت الطائرات الأمريكية الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل عبر الممرات الجوية التالية، وقد انقسمت هذه الطائرات إلى فئتين:

(أ) طائرات الفئة الأولى: وهي الطائرات الاعتراضية والقاذفة التي تستطيع الطيران إلى إسرائيل، وقد اشتملت هذه على طائرات «الفانتوم» و «سكاي هوك».

١- أقلعت طائرات الفانتوم من القاعدة الأمريكية (أوشينا Occana التابعة للبحرية الأمريكية القريبة من مدينة (نورفولك) -ولاية أمريكا الشمالية- رأساً إلى إسرائيل، وكانت تتزود بالوقود أربع مرات أثناء تحليقها في الجو فوق المحيط الأطلسي والبحر الأبيض من طائرات الصهاريج الجوية الأمريكية طراز (بوينج ك س-١٣٥) التي كانت تحلق في الجو بصورة مستمرة فوق هذه المناطق.

٢- أقلعت طائرات (سكاي هوك) من القاعدة نفسها، وكانت -نظراً لقصر مدة

طيرانها، قياساً بطائرات الفانتوم- تهبط وهى فى طريقها إلى إسرائيل على ظهر حاملة الطائرات الأمريكية (جون كنيدى) التى أمرت بالمرابطة فى شرق المحيط الأطلسى قريباً من جزر «الأزور»، ثم تحلق من جديد لتهبط مرة أخرى على إحدى حاملتى الطائرات الأمريكية من طراز «انديينداس» U.S Indepen dence و«فرانكلين روزفلت» U.S. Fr. RIssevelt اللتين رابطتا فى عرض البحر الأبيض المتوسط، وكانت بعد ذلك تتجه رأساً إلى إسرائيل، وقد تم شحن الدفعات الأخيرة من هذه الطائرات بعد ذلك بواسطة السفن.

ماذا نقلت أمريكا إلى إسرائيل فى طائرات النقل العملاقة؟

(أ) دبابات (م-٦٠)، وناقلات جنود مجنزرة (م-١١٣)، وكانت الطائرات المحملة بهذه المعدات والأسلحة تهبط مباشرة فى قاعدة العريش فى سيناء ليتمكن الجيش الإسرائيلى من استخدامها فى القتال بأسرع ما يمكن.

(ب) أسلحة موجهة من الجو إلي الأرض، وتضمنت الأنواع التالية.

١- «وول-آي» (wall eye): وهى قنبلة معقدة يتم توجيهها تليفزيونيًا، وزنتها (١٠٠٠) رطل، ومداها (٢٥) ميلاً، وتستخدم بطائرات سكاى هوك والفانتوم، ضد قواعد الصواريخ والمدفعية والأهداف- المحمية والمدفونة عميقاً فى الأرض.

٢- صواريخ «شرايك» (Shrike): وهى صواريخ موجهة ضد أجهزة الرادار.

٣- صواريخ «روك-آي» "Rockeye".

صواريخ ضد الدبابات، وتستخدم لأول مرة، وهى تحتوى علي مجموعة قنابل صغيرة، تطلقها الطائرة فوق مجموعة من الدبابات، وعند اقتراب الصاروخ من الهدف ينفجر لتنطلق منه القنابل الصغيرة حيث تتوجه كل منها إلى دبابة أو آلية، وبهذا يمكن إصابة عدد من الدبابات أو تعطيل قاذفة آليات حربية بضربة واحدة.

٤- صواريخ «مفاريك Mavrick».

وهذا النوع من الصواريخ يوجه تليفزيونيًا من الجو إلى الأرض، ويوجهه الطيار نحو الهدف، ويستعمل ضد الدبابات والأهداف التكتيكية المهمة.

٥- «روكيل Rockwell»

قنبلة موجهة راداريًا، أو بواسطة الأشعة فوق الحمراء، وتزن كل قنبلة منها (٢٠٠٠) رطل، وتستخدم ضد الدبابات والأهداف المخفاة والمموهة.

٦- جهاز تيسيو "Tissue"

جهاز معقد ودقيق للغاية، تستخدمه الطائرات لكشف الأهداف المتحركة المحلقة فى الجو والمتحركة على الأرض، وبإمكان هذا الجهاز معرفة هوية الطائرات المحلقة فى الجو وتصنيفها «إما صديقة أو عدوة» من مسافة (٣٦) ميل، كما أن بإمكانه أيضاً تمييز الأهداف الأرضية من مسافات كبيرة لا تدركها العين المجردة.

٧- أجهزة (أ. ل. أي-٢٩ ALE-29) وتستخدمها طائرات سكاى هوك وهى خاصة بطائرات الفانتوم، وهذه الأجهزة عبارة عن أوعية تحتوى على كميات كبيرة من مادتى الزجاج المعدن ونفايات الألمنيوم، تستخدم ضد الصواريخ، وتعمل كحاجز واق بين الطائرة والصاروخ، ينجم عنه التشويش على جهاز الرادار الموجه للصاروخ، وبهذا يفقد الصاروخ الأثر ويحيد عن الطائرة. (وقد تسلمت إسرائيل (٥٠٠٠٠٠) جهاز من هذا النوع فى يوم ١٢/ ١٠، واستهلكت فى المرحلة الثانية من الحرب كمية أكبر من ذلك).

(ج) صواريخ موجهة ضد الدبابات والتحصينات والأهداف المهمة: وتشتمل على الأنواع التالية:

١- صاروخ (تاو- Tow) الموجه المضاد للدبابات والتحصينات المهمة، ويوجه هذا الصاروخ ويعمل على تتبع الأثر بواسطة السلك، وقد شحنت الولايات المتحدة (٢٠٠٠) صاروخ من هذا النوع إلى إسرائيل.

٢- قذيفة صاروخية (لو - Law) وهى قذيفة مضادة للدبابات، وتطلق بواسطة أنبوب على طريقة إطلاق قذيفة البازوكا لكنها دقيقة فى إصابة الهدف وزنتها خمسة أرطال، ويمكن استخدامها أيضاً ضد التحصينات.

(د) ذخيرة وقنابل وصواريخ للدبابات والطائرات والمدفعية، وقد كانت نسبة استهلاكها عالية جداً.

(هـ) طائرات استطلاع بدون طيار من طراز تليد اين ريان ١٢٤-١»

Teledyne Ryan 124 - 1 Reconnaissane Drone

(و) ١٢ طائرة من طراز «هير كوليزسى ١٣٠» التى تتسع الواحدة منها لنقل مائة جندى على الأقل، وذلك من أجل إسعاف إسرائيل بتعزيز قدرتها على النقل السريع لجنودها. (وقد قيل إن هذه الطائرات قدمتها أمريكا على سبيل الإعارة!!).

* هذا كله بالإضافة إلى معدات وأجهزة إلكترونية دقيقة لم يعلن عنها، ولكنها وصلت بكميات وفيرة إلى إسرائيل منها شبكات توجيه وشوشرة تليفونية.

تفاصيل الجسر البحرى

فى الوقت نفسه الذى امتد فيه الجسر الجوى الأمريكى الهائل إلى إسرائيل، أقامت أمريكا جسراً بحريًا آخر (لم تسلط عليه الأضواء بما فيه الكفاية) ففى ١٠/ ١٠/ ١٩٧٣ رست فى ميناء (نورفولك norfolk) بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة، سفن شحن إسرائيلية، وقامت بشحن أسلحة ومواد حربية بصورة سرية، وقد اشتملت التجهيزات التى شحنت بواسطة هذه السفن أمريكية أخرى على ٦٠٠ دبابة (ام - ٦٠)، (ام-٤٨)، وطائرات سكاى هوك، وطائرات هليوكبتر من مختلف الأنواع الأمريكية المستخدمة فى السلاح الجوى الإسرائيلى، كما اشتملت على مدافع (م ١٠٩) عيار ١٧٥ ملم ذاتى الحركة وقنابل وصواريخ وذخيرة مختلفة الأنواع والأحجام.

إلى هذا الحد كانت إسرائيل تطلب الإنقاذ:

١- تكشف نوعيات وكميات الأسلحة والمعدات والأجهزة التي تدفقت على إسرائيل من خلال الجسرين الأمريكيين الجوى والبحرى... كيف كانت إسرائيل تقترب فعلاً من حافة الهاوية تحت ضغط القوات المصرية والسورية.

٢- ثمة دليل آخر على ضخامة هذه الإمدادات الأمريكية يجيء على لسان شخصية أمريكية كبيرة.. صرخت قائلة: «إن مخزون الجيش الأمريكى معرض للنفاد نتيجة لنقل كل هذه الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل».

٣- لم تستطع المصانع والمخازن الأمريكية تغذية الجسر الجوى والبحرى السريع والضخم فتم سحب دبابات وأسلحة مختلفة من بعض قوات الجيش الأمريكى العاملة وقد أحدث ذلك رد فعل ملموس فى الولايات المتحدة، وخاصة فى وزارة الدفاع.

وبرغم ذلك كله . . لم تكن هذه فقط هى عملية إنقاذ إسرائيل :

كان انهيار إسرائيل -بشهادة قادتها- منذ الأيام الأولى للحرب أكبر من أن تستعيد بعض توازنها -بعده- بسهولة . وبرغم عملية «نقل الدم» المسلح الهائلة التى قام بها الجسران الجوى والبحرى الأمريكيان -فإنها ظلت تطلب المزيد ، ولعلنى أستطيع أن أضيف -مطمئناً- هذه العمليات الإنقاذية الأخرى التى شاركت فى دفع دماء الحياة والتماسك فى شرايين إسرائيل دولة وجيشاً :

١- تلقت إسرائيل طائرات وأسلحة أخرى من التى فى حوزة قوات جنوب إفريقيا .

٢- استعانت إسرائيل بطيارين من أوروبا وأمريكا وجنوب إفريقيا وبعضهم من ذوى الجنسية المزدوجة» .

٣- استعانت إسرائيل أيضاً بمتطوعين من الخارج من رجال المدرعات ، كما أنها استعانت بخبراء أمريكيين للعمل على الأجهزة الحديثة التى وصلت إليها .

٤- أطلقت أمريكا قمرين صناعيين من طراز (بيج بيرد Big Bird) فى مدار حول الأرض لالتقاط صور الحرب الدائرة بما فيها صور القوات العربية وأوضاعها ، ثم دفعت طائرتى تجسس من طراز (اس-آر-١٧) لتقوما باختراق المجال الجوى لمصر وسوريا (علناً) ولتقدم بعد ذلك إلى إسرائيل صوراً إضافية عن وضع القوات المصرية شرق وغرب القناة- ومن المعروف أن القوات الإسرائيلية استغلت هذه الصور التى حددت لها منطقة الفاصل بين الجيشين المصريين الثانى والثالث ، وكذلك الوضع العسكرى على الضفة الغربية للقناة .

٥- منذ البداية المبكرة لاندلاع نار القتال استنفرت الولايات المتحدة قطعاً من أسطولها السادس العاملة فى البحر الأبيض ، وأمرت سفناً حربية وغواصات تابعة للأسطول السابع العاملة فى المحيط الهندى بالتحرك فوراً للمرابطة فى بحر العرب .

ويكفى جداً الأثر النفسى لهذا التحرك البحرى بالنسبة إلى القوات الإسرائيلية التى تشعر أن الولايات المتحدة على استعداد لمؤازرتها ولو بشكل مباشر .

٦- حتى بعد كل هذا الدعم لإنقاذ إسرائيل، وبعد نجاحها المحدود فى الوصول إلى منطقة ضيقة غرب القناة، ثم حينما استغلت قرار وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، ووسعت هذه المنطقة، وحين قررت مصر تصفية هذه الثغرة تحركت أمريكا بأسرع ما يمكن، ووصل وزير الخارجية هنرى كيسنجر إلي مصر وقال للرئيس السادات «إن أمريكا لن تسمح بتصفية القوات الإسرائيلية فى الثغر، ة وإنها ستتدخل ضد القوات المصرية بشكل مباشر لو فعلت ذلك . . »

اعترافات وشهادات أخرى

«أيام وساعات انتظرناها على فترات متقطعة لرؤية أضخم طائرات نقل فى العالم تهبط للمرة الأولى فى إسرائيل، جميع الشعب يقف بانفعال عظيم حول المنطقة التى تهبط بها الطائرات، إنهم يقفون على الأسطح وعلى الأشجار والكل منفعل جداً.

إن طائرة (ت. اي. والاس. س.) عبارة عن برج شالوم طائر، وهى أكبر من طائرة (الجامبو) مرتين، ولها ذيل بارتفاع ٣٥ متراً، ولها ٢٤ أو ٢٨ عجلة.

وتستطيع أن تحمل ٨٠٠ جندى أو ١٢٠ طناً (والتوتر والشوق لهذا الجمل الطائر عظيمان جداً. . الجميع هنا متوترون وينتظرون قدوم كل طائربصبر نافد)!!

(توقيع)
المراسل الحربى الإسرائيلي
شاومو أهرنون

. . . .

. . . .

«إن طائرات النقل الأمريكية قامت بخمس وسبعين رحلة إلى إسرائيل، كما تم حتى الآن وصول ٢٠ طائرة فانتوم و٢٠٠ دبابة، كما أن السفن الإسرائيلية تأتى من ميناء نورفلوك فى فرجينيا محملة بطائرات سكاى هوك.

إن رئيس الدولة، ورئيسة الحكومة، والسفير الأمريكى فى إسرائيل قاموا فى أوقات مختلفة بزيارة لمطار عسكرى فى مكان ما من البلاد لمشاهدة عملية تفريغ الطائرات الأمريكية العملاقة التى أحضرت شحنات الأسلحة إلى إسرائيل. . ».

«إذاعة إسرائيل العبرية»

«إن موقفنا خلال الأسبوع الأول من الحرب، كان يائساً حيث لم نكن نملك قذائف كافية إلى أن جاءتنا الإمدادات الأمريكية».

(توقيع)

وزير الدفاع الإسرائيليموشى ديان

«لقد واجهت إسرائيل فى حرب أكتوبر تهديداً حقيقياً وخطيراً، حتى إن الأمر تطلب قراراً على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة لكى لا تتعرض إسرائيل للغرق».

(توقيع)

أبا إيبان

وزير الخارجية الإسرائيلية أثناء الحرب

«إن إسرائيل بقيت قائمة كدولة، لأننا لم نخنها، فبدون الأسلحة والنفاثات الأمريكية كان محتوماً أن تفنى إسرائيل».

(توقيع)

الجنرال الأمريكى إيفيل بانجر

«لو لم نمد الجسر الجوى إلى إسرائيل لما كان فى مقدورها الصمود أكثر من ٤٨ ساعة أخري.

(توقيع)

الرئيس الأمريكى (السابق) ريتشارد نيكسون

الفصل السادس

الفصل السادس

أولاً: سير العمليات القتالية:

- وقائع الحـرب يوما بيـوم
- لماذا تاخرتطوير الهجـوم
- ملحمة المـزرعة الصيـنية
- قصة الثـغرة بالتـفصـيل
- السـويس تبـتلع أحلامهم
- اعترافات وشهادات توضح حجم الثغرة الحقيقي

ثانياً: كيف حاربت مختلف الأسلحة المصرية

كلمة لابد منها:

أود أن أشير إلى أننى سألتزم الإيجاز فى سرد العمليات القتالية من جانب القوات المسلحة المصرية لأسباب ثلاثة :

١- فى الفصل الخاص بالتخطيط والإعداد قدمت الكثير من أوراق القوات المصرية .

٢- فى الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الإسرائيلى سرد شبه تفصيلى لسير العمليات وصحيح أنه من وجهة النظر الإسرائيلية، لأن التفصيل فى شرح العمليات القتالية بالكامل من جانب القوات المسلحة المصرية قد يحمل نوعاً من التكرار .

٣- سوف نتناول دور كل سلاح على حدة الى جانب المواقف والصور المختلفة، بما يعتبر استكمالا لما قد يحتاج للتفصيل من أوراق القوات المسلحة المصرية .

سير العمليات القتالية

يوم الجمعة ٥ أكتوبر:

إذا كانت الحرب «الفعلية» قد بدأت فى ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلا أن التسجيل الأمين لعمليات القوات المسلحة المصرية يجب أن يبدأ من يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، فلقد تمت بالفعل عمليات فى هذا اليوم، وهى وإن كانت قد تمت فى صمت فلم تعلن عنها انفجارات القنابل أو دوى الرصاص، إلا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من الحرب الشاملة.

ولكن ما هذه العمليات العسكرية التى قامت بها القوات المسلحة المصرية فى هذا اليوم والتى لم يتوقف أمامها الكثيرون من المؤلفين والمحللين؟

لقد دفعت القيادة المصرية فى هذا اليوم بعناصر من المهندسين والصاعقة تسلقت الساتر المانع الترابى وتسلل بعضهم بين حصون خط بارليف. . وتسللت مجموعات الصاعقة خلف خطوط العدو، وكانت المهام المكلفة بها هذه المجموعات هي :

١- استطلاع أخير للموقف الذى كانت عليه قوات العدو، أو هى نظرة استكشاف أخيرة على نقاط خط بارليف الحصينة والطرق المؤدية لها من الشرق ثم ما كان يجرى خلف هذا الخط وفى أعماق متفاوتة لقوات ومواقع العدو.

٢- القيام بتعطيل المانع (الناري) المتمثل فى تلك المستودعات الضخمة بما فيه من مواد ملتهبة، والخراطيم التى ستحمل هذه المواد، والمواسير التى ستحملها أيضاً وتلقيها فى القناة لكى تشعل بالنيران وتتحول إلى قطعة من جهنم تلتهم القوات المصرية بمجرد الإحساس ببدء عبورها

. . . .

تلك كانت العمليات الصامتة التى تمت من جانب القوات المسلحة المصرية يوم الجمعة ٥/ ١٠/ ١٩٧٣ . وقد نجحت هذه العمليات نجاحاً كاملاً.

السبت ٦ أكتوبر

- فى الساعة ١٤,٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) بدأت -القوات المصرية- هجوماً مركزاً وشاملاً على طول خط المواجهة فانطلقت الطائرات المصرية القاذفة والمقاتلة فى طلعة واحدة وبعدد يصل الى ٢٢٠ طائرة إلى أعماق سيناء، وهاجمت

أهدافاًمحددة، فقامت القاذفات من طراز تي-يوم-١٦، وسوخوى بمهاجمة القواعد الجوية الإسرائيلية فى العريض وبير جفجافة وتمادا بينما قامت الطائرات المقاتلة الاعتراضية من طراز ميج ٢١ بتقديم الحماية الجوية للقاذفات الثقيلة، وفى نفس الوقت اندفعت القاذفات المقاتلة من طراز سوخوى وميج ١٧ لتضرب مركز أم مرجم (وهو المركز الرئيسى للسيطرة الخاص بالقيادة الإسرائيلية)، ثم مقر القيادة نفسه، ومركز أم خشيب، ومركز التشويش، ومواقع الدفاع الجوي، والرادارات، ومواقع «الهوك» وبعض مواقع المدفعية.

وقد نجحت هذه الضربة الجوية المركزة فى تحقيق التالي:

١- تدمير أو تعطيل الأهداف التى حددت من قبل.

٢- إرباك القوات الإسرائيلية وشلها عن العمل والتفكير.

٣- إنزال الخسائر فى صفوف ومعدات القوات الإسرائيلية وبالتالى التأثير على معنويات الجنود الإسرائيليين.

. . . .

وفى نفس الوقت الذى قامت فيه تلك الطائرات المصرية بغاراتها الشاملة على سيناء، اقامت عدة طائرات من طراز ميج ٢١ بعمل مظلة جوية بصفة دائمة، تأهباً لاعتراض الطائرات الإسرائيلية بمجرد دخولها العمليات والتصدى مع الدفاع الجوى لمحاولات التسلل من طائرات العدو إلى الأعماق المصرية، وأيضا لتقديم الحماية والمساندة الجوية للقوات البرية المتقدمة باتجاه الشرق بالقوارب وفوق الجسور التى جرى إقامتها على القناة.

. . . .

. . . .

* هذا وقد استمرت الطائرات المصرية فى أداء دورها الحاسم والفعال منذ الساعة ٠٥, ١٤ وحتى الغروب.

أما الطائرات الإسرائيلية، فبرغم أنها كانت فى أقصى حالات التأهب منذ عشية يوم ٥/ ١٠/ ١٩٧٣، فإن رد فعلها بدأ بعد أربعين دقيقة كاملة من بدء الهجوم المصري.

وقذفت إسرائيل بأعداد كبيرة من طائراتها فى محاولة لمنع تدافع القوات المصرية إلى سيناء وإنقاذ قواتها فى حصون خط بارليف، إلا أن السلاح الجوى الإسرائيلى فشل فى تحقيق مهامه للأسباب التالية:

١- نجاح السلاح الجوى المصرى فى تدمير وتعطيل المطارات الإسرائيلية فى سيناء.

٢- نجاح السلاح الجوى المصرى فى ضرب مراكز السيطرة والقيادة.

٣- النجاح الكبير لقوات الدفاع الجوى المصري.. التى تصدت على الفور بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية، لطائرات العدو.. التى أخذت تتساقط أو تهرب من سماء المعركة.

٤- حلول المساء وبالتالى ضيق الفترة المتاحة لعمل الطائرات الإسرائيلية (حتى برغم فشلها)، وقد كان هذا العامل فى اعتبار القيادة المصرية (حسب ما جاء فى فصل التخطيط والإعداد)

....

....

* ومن جهة أخري.. وفى نفس اللحظات، ومع، وبعد القصف المدفعى العنيف الذى قام به أكثر من ألفى مدفع، كان حوالى ٨٠٠٠ جندى يعبرون القناة سباحة أو بقوارب مطاطية، واجتاز هؤلاء الجنود كل المواقع والصعاب (التى سبق الحديث عنها تفصيليا) واندفعت مجموعات منهم لقطع الطرق أمام المدرعات الإسرائيلية التى ستندفع من مواقعها فى الشرق إلى ضفة القناة لضرب عملية العبور، بينما قامت مجموعات أخرى بحصار «وإشغال» قوات نقاط خط بارليف الحصينة.

.. وفى الوقت نفسه بدأ سلاح المهندسين فى بناء الجسور والكباري، وقد تم ذلك فى سرعة قياسية حطمت كل التوقعات (كان موشيه ديان وجهاز القيادة العسكرية الإسرائيلية يقدرون لهذه العملية مدة تتراوح بين ٢٤، ٤٨ ساعة).. ولكن سلاح المهندسين المصرى أقام عشرة جسور فى أقل من ست ساعات، بالإضافة إلى أكثر من ٥٠ معدية (عبر عليها فى أول يوم خمس فرق مشاة وعدد من الدبابات).

وكان التنفيذ للخطة الموضوعة بالغ الدقة والسرعة، وقد فوجئ العدو -ضمن المفاجآت العديدة- باستخدام القوات المصرية لمضخات المياه لفتح الثغرات فى

الساتر الترابي، وقد تمكنت من فتح (٦٠) ثغرة فى خلال ست ساعات، كما استخدم المهاجمون أيضا السلالم الخشبية والمطاطية المصنوعة من الحبال أثناء تسلقهم الساتر الترابى (قبل فتح الثغرات فيه).

وكان القطاع الذى يعمل فيه الجيش الميدانى الثانى بقيادة اللواء سعد مأمون هو المواجه للمساحة ما بين بورسعيد فى الشمال وقليلا إلى الجنوب من مدينة الإسماعيلية، بينما يعمل الجيش الثالث الميدانى فى مواجهة القطاع الجنوبى والجزء الجنوبى من أراضى القطاع الأوسط ما بين مدينة السويس فى الجنوب، والإسماعيلية جنوباً، وقد تمكنت قوات هذين الجيشين بعد قتال عنيف من الاستيلاء على الأجزاء الرئيسية من خط بارليف (علماً بأن الجيش الثالث واجه مشكلة أخرت عبور مدرعاته بعض الوقت حيث إن طبيعة التراب الرملى الذى تكون منه الساتر فى قطاع الجيش الثالث كانت مختلفة إلى حد ما (طينية) واستغرق فتح الثغرات فى هذا القطاع وقتا أطول.

من جهة أخرى تسللت عناصر من المهندسين تحت ستر نيران المدفعية للتأكد من أن مواسير السائل الملتهب التى أغلقت بالأمس مازالت مغلقة.

- هذا وقد تمت عملية العبور لقناة السويس واقتحام الساتر الترابى وخط بارليف فى فترة زمنية قياسية أثبتت قدرة المشاة وكفاءة سلاح المهندسين والتنظيم الدقيق والجيد للعبور، وقد وصف وزير الدفاع الأمريكى هذه العملية بقوله:

«إن عبور القوات المصرية لقناة السويس، واقتحامها لخط بارليف هو علامة بارزة فى الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية».

. . . .

وفى البحر:

منذ اللحظات الأولى كان للبحرية المصرية دورها، فقامت القطع البحرية العاملة فى البحر المتوسط بمهمة مساندة عملية عبور القوات البرية العاملة فى القطاع الشمالي، وذلك بقصف الأهداف الإسرائيلية البعيدة عن مدى نيران مدفعية الميدان، كما شاركت القطع البحرية المتمركزة فى البحر الأحمر بقصف الأهداف الإسرائيلية المنتشرة فى مواجهة مدينة السويس وعلى الشريط الساحلى الجنوبى لشبه جزيرة سيناء، وشاركت فى القصف أيضا مدفعية السواحل البعيدة المدى الراسية على

مدخل القناة في بورسعيد. . وقد اشتركت في هذه العمليات (٥٠) قطعة بحرية من مدمرات، وغواصات وزوارق حربية.

وقد كانت المهمة الأساسية للقوات البحرية المصرية هي الدفاع عن السواحل المصرية وتأمين الموانئ وخطوط المواصلات وتأمين وصول الإمداد والمواد الاستراتيجية.

أما الشق الهجومي للمهمة فكان يتمثل في قطع خطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية ومنع وصول الإمداد الاستراتيجي إلى موانئها سواء في البحر الأبيض المتوسط (حيفا- أشدود- يافا) أو في البحر الأحمر (ميناء إيلات وشرم الشيخ) وجميع مراسى خليج السويس.

كذلك قامت بعض القطع البحرية المصرية بخطوة استراتيجية مهمة وهي إغلاق مضيق باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية والسيطرة علي منافذه بالتعاون مع الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

ومن جهة أخرى قامت الغواصات ببث الألغام على طول امتداد الساحل الغربى لسيناء لمنع الإسرائيليين من نقل بترول أبو رديس والاستفادة منه في المجهود الحربي، وقد أجمع الخبراء على أن استخدام الألغام البحرية كانت مفاجأة وأسلوباً جديداً في الحرب بين مصر وإسرائيل.

اليوم الثاني ٧/١٠/١٩٧٣.

استثمرت القوات المصرية نجاحها الهائل في اقتحام قناة السويس والساتر الترابى والسيطرة على معظم حصون خط بارليف، فاندفعت مع صباح اليوم ٧/ ١٠ القوات المدرعة والآلية عبر الجسور التى نجح سلاح المهندسين في إقامتها على قناة السويس لتقيم رؤوس جسور في الضفة الشرقية.

مع انقضاء هذا اليوم وصل عدد القوات التى أتمت عبورها إلى الشرق (٨٠) ألف جندي (خمس فرق ومعها ٥٠٠ دبابة) وكان لسرعة ودقة العبور أثر كبير في إفشال محاولة الصد الإسرائيلية، كما أن المشاة من صائدى الدبابات ورجال الصاعقة الذين انتشروا بسرعة البرق منذ ظهر الأمس فوق الرمال وأقاموا الحفر، قد كبدوا بأسلحتهم المضادة المدرعات الإسرائيلية التى تقدمت لمنع العبور وفك الحصار عن نقط خط بارليف الحصينة خسائر فادحة وصلت إلى ١٥٠ دبابة.

استمر تدفق القوات المصرية عبر الجسور . . وواصلت طائرات الهليوكبتر نقل رجال الصاعقة وإنزالهم خلف الخطوط الإسرائيلية فى أعماق سيناء مستهدفة الطرق الرئيسية والنقاط العسكرية الاستراتيجية لمنع تدفق التعزيزات والإمدادات للقوات الإسرائيلية المشتبكة فى القتال .

وفى الوقت نفسه واصلت القوات المصرية الرئيسية ضغطها على الإسرائيليين لمنعهم من إعادة تنظيم صفوفهم، وشل قدرتهم على شن هجمات مضادة واسعة ولإعطاء القوات العابرة على الجسور فرصة الالتحاق بوحداتها .

وكانت للمدفعية المصرية دور بارز فى تقديم الغطاء للقوات المتدفقة عبر الجسور، وفى منع الإسرائيليين من الهجوم المضاد عليها .

وقد بذلت القوات المصرية جهوداً جبارة وتمكنت من دحر المدرعات الإسرائيلية بعد أن نجحت فى إقامة رءوس الجسور ممهدة بذلك الطريق لعبور المزيد من لقوات إلى الضفة الشرقية .

وأثناء عملية العبور كانت خسائر القوات المصرية قليلة إلى حد مذهل وكانت نسبةالإصابات بين الضباط تصل إلى ١٠٪ من المصابين والشهداء وهذا دليل على أن الضباط كانوا دائماً فى طليعة جنودهم وليس خلفهم .

. . . .

* وبالنسبة للطيران فقد قامت الطائرات المصرية الاعتراضية بالتنسيق مع الدفاع الجوى بالتصدى للطائرات الإسرائيلية، كما قامت الطائرات المقاتلة والقاذفة بمساندة القوات البرية التى عبرت إلى الشرق، وبقصف الأهداف العسكرية والمنشآت الحيوية فى أعماق سيناء .

وقد دارت معارك جوية كبيرة مع الطيران الإسرائيلى أثبت فيها الطيارون المصريون مهارة وشجاعة كبيرتين .

. . . .

* وفى البحر دارت معارك محدودة مع الزوارق الإسرائيلية فى منطقة شمالى سيناء وفى خليج السويس، وواصلت قطع الأسطول المصرى زرع شواطئ سيناء الغربية بالألغام وخاصة فى المنطقة المحيطة بآبار النفط فى «أبورديس» لمنع الإسرائيليين من الاستفادة بنفط هذه الآبار .

كما قامت وحدات الأسطول المرابطة فى البحر الأبيض بقصف المواقع والأهداف الإسرائيلية على الساحل الشمالى لسيناء، وتقديم الدعم للقوات المصرية العاملة فى القطاع الشمالي.

اليوم الثالث ٨/١٠/١٩٧٣ [اليوم الأسود لإسرائيل]

زاد الطيران الإسرائيلى من حجم غاراته على الجسور المقامة عبر القناة، كما ركزت المدفعية الإسرائيلية قصفها الكثيف على الجسور للتأثير على استمرار عملية العبور ولتفتيت تماسك القوات التى تمركزت على الضفة الشرقية، وفى نفس الوقت دفعت القيادة الإسرائيلية بلواءين مدرعين يزيد عدد دباباتهما على مائتى دبابة للقيام بهجوم مضاد واسع بهدف إرغام القوات المصرية على إيقاف زحفها والتراجع عن مواقعها فى الشرق، وبذلك تصل المدرعات الإسرائيلية بأى ثمن إلى القناة.

أما القوات المصرية فقد استخدمت مدرعاتها استخداماً ذكياً وجزئياً، وكان التنسيق بين المدرعات والمشاة من صائدى الدبابات كاملاً ودقيقاً فأطبقت القذائف والصواريخ على المدرعات الإسرائيلية الضخمة، ودارت معركة طويلة وعنيفة، وخسرت فيها إسرائيل ١١٢ دبابة وفرت بقية دباباتها إلى الشرق، وتم تدمير اللواء ١٩٠ مدرع وأسر قائده عساف ياجورى وبذلك استكملت القوات المصرية فرض سيطرتها الكاملة والقوية على خط المواجهة شرق القناة من بورسيعد شمالا إلى بورتوفيق جنوباً.

. . . .

وقد انتهت اليوم أيضا معركة تحرير مدينة القنطرة شرق، فأكملت القوات المصرية من المشاة والصاعقة استرداد المدينة (التى ظلت تحت السيطرة الإسرائيلة ست سنوات وبضعة شهور) وقد تكبدت القوات الإسرائيلية فى هذه المعركة التى دمرت فيها تماماً خسائر ضخمة للغاية.

. . . .

. . . .

وفى نفس هذا اليوم دخلت قوات الصاعقة التى تم إبرارهاخلف خطوط العدو فى معارك عديدة خاصة فى شرم الشيخ وأبو رديس، وبالرغم من عدم التكافؤ الكمى

والنوعي، حيث كان الصاعقة المصريون يحاربون مترجلين ودون مساعدة جوية أو مدرعة بينما كانت القوات الإسرائيلية التى تشتبك معهم تستخدم الدبابات وطائرات الهليوكبتر والطائرات القاذفة المقاتلة، فإن هؤلاء الرجال -برغم وقوع خسائر بينهم- قد حققوا الكثير من مهامهم وبثوا الخوف بين القوات الإسرائيلية . . حتى فى مقر قيادة الجبهة ذاتها كان القادة يجلسون متوجسين من ظهور الصاعقة المصريين فى أى وقت.

بل إن جونين قائد الجبهة الإسرائيلية نصح ديان الذى حضر بطائرته الهليوكبتر للاجتماع بقادة القوات فى سيناء، نصحه بعدم النزول بالقرب من مقر القيادة . . خوفاً من رجال الصاعقة المصريين . .

* وفى الجو دارت معارك أخرى عنيفة وطويلة فوق منطقة القناة وفوق منطقة الدلتا، وقد لعبت الصواريخ المصرية دوراً بارزاً مع الطائرات الاعتراضية فى منع الطيران الإسرائيلية من تحقيق أهدافه، وانسحابه من المعركة وقد تكبد خسائر كبيرة.

. . . .

* وفى البحر حاولت زوارق الصواريخ الإسرائيلية مهاجمة الأهداف الحيوية على الساحل المصرى بين «دمياط» «والبرلس» وتصدت لها القطع البحرية المصرية . . وبالرغم من أن الزوارق الإسرائيلية لم تكن تعمل وحدها حيث كانت تساندها ست طائرات هليوكبتر مسلحة بالصواريخ الموجهة جو-سطح مما لم يتح للقطع المصرية فرصة المناورة، وأعطى فى نفس الوقت حماية للزوارق الإسرائيلية، فإن المعركة الرهيبة انتهت دون أن تحقق البحرية الإسرائيلية هدفها.

هذا وتعتبر هذه المعركة هى الأولى من نوعها فى العالم حيث استخدم فيها الفريقان المشتبكان الصواريخ الموجهة سطح-سطح بهذا الحجم والتكتيك.

. . . .

اليوم الرابع ١٠,٩/١٩٧٣ [يوم آخر من الأيام المجيدة للقوات المصرية]

لم تتوقف معركة الجسور. والمشاة من صائدى الدبابات الذين يواصلون تدمير الدبابات الإسرائيلية.

تابعت القوات التدفق عبر القناة بأعداد كبيرة.

دارت معارك طاحنة بين المدرعات المصرية والمدرعات الإسرائيلية.

ركزت القيادة المصرية هجماتها للسيطرة على الطرق المؤدية إلى قلب سيناء ففى القطاع الشمالى وجه الجيش الثانى جهده إلى محورين :

١- طريق القنطرة شرق-العريش . ٢- طريق الإسماعيلية-جفجافة

وفى القطاع الجنوبى وجه الجيش الثالث جهده فى محورين أيضاً هما :

١- طريق السويس- صدر الحيطان- نخل مع ما يتفرع منه من محاور ثانوية .

٢- الطريق المؤدى إلى أبو رديس- الطور- شرم الشيخ .

وفى نفس الوقت ركزت القوات الإسرائيلية جهدها فى محاولة صد القوات المصرية واستعادة سيطرتها على الضفة الشرقية للقناة ، وإعادة محاولة الإختراق والوصول إلى غرب القناة . وكان لشدة تركيز القوات الإسرائيلية على هذه الأهداف ، أنها استخدمت فى هجومها ثلاثة ألوية مدرعة ، وثلاث كتائب دبابات بالإضافة إلى عشرات الدبابات المتبقية من القوات التى قامت بهجمات فى الأيام الأولى ، وانسحبت بعد فشلها .

نجحت قوات الفرقة الثانية مشاة بقيادة العميد حسن أبو سعدة بالتعاون مع قوة مدرعات وبعض قوات الفرقة ١٨ مشاة ، فى صد وتدمير جميع هجمات المدرعات الإسرائيلية التى قام بها لواءان مدرعان كاملان وقد تم تدمير لواء بأكمله هو اللواء ١٩٠ ، كما تم أسر العقيد عساف ياجوري ، أما اللواء الآخر فقد تكبد أيضاً خسائر فادحة فى المدرعات والأفراد ، وسارعت بقاياه بالفرار شرقاً .

- وفى القطاع الجنوبى استولت قوات الجيش الثالث على نقطة هامة فى منطقة عيون موسى ، كما أرست أعداداً من القوات الإسرائيلية واستولت على بطاريتى مدفعية عيار ١٥٥مم سليمتين تماماً تركهما أطقمهما وقوات الحراسة فى محاولة للهروب .

- وقد واصلت القوات المصرية هجماتها وتمكنت من الإندفاع شرقاً والتوغل إلذى عمق يتراوح ما بين ١٠-١٢ كم شرق القناة . . وكان تشكيل القوات كالتالى :

١- **رأس جسر الجيش الميدانى الثانى:** يتكون من فرقةالمشاة (١٦) بقيادة العميد عبد رب النبى حافظ ، والفرقة المشاة (٢) بقيادة العميد حسن أبو سعدة والفرقة المشاة (١٨) بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى .

٢- رأس جسر الجيش الميدانى الثالث: يتكون من فرقة المشاة (١٩) بقيادة العميد يوسفى عفيفى، وفرقة المشاة (٧) بقيادة العميد أحمد بدوى.

- وذلك بالإضافة إلى الفرقة الخامسة مشاة التى تقوم بالسيطرة على طرق الإقتراب إلى رءوس الجسور.

....

فى نفس الوقت.. أحكمت قوات الصاعقة الحصار على حصون ومواقع خط بارليف التى لم تسقط بعد، وواصلت ضرب محاولات المدرعات الإسرائيلية للوصول إلى هذه الحصون لنجدتها.

وفى نفس الوقت أيضاً نشطت وحدات الصاعقة خلف خطوط العدو خاصة فى مناطق شرم الشيخ وبلاعيم وأبو رديس ورأس سدر والمناطق المحيطة بالممرات الاستراتيجية، وكان لكثرة وعنف تحركات هذه القوات أثر فى مضاعفة قلق القوات الإسرائيلية حتى أنها استنفدت طاقة وجهد أعداد من طائراتها المقاتلة والقاذفة والهليكبتر وأيضا مدرعاتها، ومظليها فى محاولة تعقب هذه الوحدات، والتصدى لها.

وفى الجو..

حاولت إسرائيل تعويض فشلها (فى البر) فوجهت أعداداً كبيرة من طائراتها فى هجمات جوية فى عمق الأراضى المصرية، عززتها بأعمال بحرية ليلية.. ولم تفلح هذه الهجمات فى تدمير أهم الأهداف المحددة وهى مطار المنصورة ومطار القطامية.. بينما تكبدت الطائرات الإسرائيلية خسائر كبيرة نتيجة لتصدى الطائرات الاعتراضية المصرية، وبطاريات الصواريخ سام.

وفى البحر..

تصدت قطع الأسطول لزوارق الصواريخ الإسرائيلية عند المنطقة من دمياط إلى البرلس، وتم صد هذه الزوارق وإغراق بعضها، وفى نفس الوقت هاجمت الزوارق المصرية آبار النفط فى بلاعيم وأبو رديس.

السؤال الخطير: لماذا تأخر التطوير؟!

هذا السؤال الملح ردده كثير من الخبراء والمعلقين، بل إننى سمعته بنفسى من الضباط والجنود الذين كنت ألتقى بهم فى الجبهة، وقد تكرر ذلك اليوم أكثر من مرة:

لماذا لا يتطور الهجوم حتى المضايق (على الأقل)؟! . . ومن خلال لقاءاتى الإذاعية والصحفية، وإعتمادا على ما جاء فى أهم المصادر والمراجع أستطيع الآن أن أضع هذه الإجابة :

١- كانت خطة الحرب تقتضى فعلا الوصول إلى خط المضايق، وهذا ما أكده الرئيس الأسد عند اتفاقه مع الرئيس السادات .

٢- بعد إتمام المهمة المباشرة للعبور والإقتحام يوم (٩ أكتوبر) أصبح الوقت ملائما تماماً لتطوير الهجوم بعد الوقفة التعبوية التى استكملت تقريبا مساء اليوم .

٣- يبدو أن القائد العام الفريق أحمد إسماعيل كان يميل إلى الحذر الزائد الذى أدى إلى البطء والتأخير الزائد فلم تكن هناك حاجة حقيقية لأن تستمر الوقفة التعبوية من يوم ١٠/ ١٠ الى ١٣/ ١٠ ، وإن كان هناك احتمال بأنه وجد نفس الحذر عند القيادة السياسية، فاستجاب لها .

٤- غير صحيح أن الفريق سعد الدين الشاذلى كان من رأيه تطوير الهجوم فوراً، بل انه كما ذكر بنفسه فى مذكراته كان ضد فكرة التطوير بصفة عامة .

٥- يرى المشير الجمسى أن تأخير التطوير أتاح فرصة كبيرة لإسرائيل لتكون أكثر ثباتا على الجبهة المصرية، وتحول مجهوداً أكبر على الجبهة السورية، كما أتاح الفرصة لأمريكا كى تمد إسرائيل بالأسلحة والمعدات التى عوضت خسائرها حتى يوم ١٢ أكتوبر .

اليوم الخامس ١٠/ ١٠/ ١٩٧٣

قضت القوات المدرعة الإسرائيلية ليلة أمس تلعق جراحها وتلملم صفوفها بتدعيم جديد، ثم عاودت محاولتها لدفع القوات المصرية خاصة العاملة فى مواجهة البحيرات المرة وبحيرة التمساح إلى الخلف . .

ولكن القوات المصرية تصدت لها، بل جعلتها تنسحب من مواقعها الأصلية عدة كيلو مترات باتجاه الممرات .

هذا وقد فشلت الطائرات الإسرائيلية فى تحقيق أهدافها من الغارات الكثيفة على منطقة الدلتا، وتم إصلاح الإصابات البسيطة التى تعرض لها أحد المطارات . . وقد دفعت إسرائيل ثمن هذه الغارات فادحاً، من طائراتها وطياريها .

وفى نفس الوقت واصلت القوات المصرية تدفقها إلى الضفة الشرقية وإقامة التحصينات الضرورية لصد المدرعات الإسرائيلية، كما واصلت توسيع المنطقة التى سيطرت عليها، فتقدمت القوات الضاربة شرقاً على الطرق الرئيسية الثلاثة فى سيناء، ووصلت فى بعض المناطق إلى مسافة عمقها ١٥ كيلو متراً.

* . . وقد حققت الطائرات المصرية نجاحاً جديداً فى تحقيق مهامها وصد الطائرات الإسرائيلية بالتنسيق مع بطاريات الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات.

. . وفى البحر نشبت معركة بحرية كبيرة فى خليج السويس وقد تم تدمير وإغراق عدد من الزوارق الصاروخية الإسرائيلية، ووقعت بعض الخسائر فى القطع البحرية المصرية.

. . . .

. . . .

تم أسر المزيد من الضباط والجنود الإسرائيليين، وقد أجريت مقابلات تليفزيونية مع بعضهم، وكان ظهورهم على شاشة التليفزيون المصرى ضربة قاصمة للإعلام والمعنويات فى إسرائيل.

. . . .

. . . .

* ضربة أخرى تلقتها إسرائيل اليوم. . فقد تمكنت القوات المصرية من تدمير بعض المصفحات والدبابات، ونجحت فى ضرب مصفحة قيادة، كان بها الجنرال إبراهام مندلر قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى سيناء. . وقد قتل هو ومن معه فى المصفحة.

اليوم السادس: ١١/١٠/١٩٧٣

قامت القوات المصرية العاملة فى القطاع الشمالى بصد هجوم إسرائيلى حاولت قواته الالتفاف حول الوحدات المصرية التى كانت تحاصر حصناً فى شمال مدينة القنطرة، فتراجعت القوة المصرية فى خطوة تكتيكية ثم اندفعت فى ملاحقة القوة الإسرائيلية التى حاولت الانسحاب إلى الخلف.

وفى نفس الوقت واصلت القوات المصرية الرئيسية فى هذا القطاع ضغطها على القوات الإسرائيلية ودفعها شرقاً.

أما فى القطاع الأوسط فقد دارت معارك كبيرة بين الدبابات المصرية والإسرائيلية وفشلت المدرعات الإسرائيلية فى الوصول إلى القناة . . وتكبدت خسائر كبيرة فى المعدات والأفراد .

وقد ظلت القوات المصرية المدرعة في اقترابها الشديد من المدرعات الإسرائيلية مما حرم هذه المدرعات من حرية المناورة ومنعها من لم شمل قواتها المتراجعة باتجاه الممرات، كما أن ذلك أتاح الفرصة للقوات المصرية لكى توجه ضربات متلاحقة للقوات الإسرائيلية المنسحبة لمنعها من التقاط أنفاسها أو إتخاذ مواقع دفاعية سريعة تكون بديلة للمواقع التى انسحبت منها .

وكذلك نجحت هذه الخطة فى تحييد الطيران الإسرائيلى الذى استحال عليه توجيه ضربات للقوات المصرية نظراً لاقترابها الشديد بل وتداخلها مع قواتهم المدرعة .

ومن جهة أخرى تقدمت قوات الجيش الثالث شرقاً باتجاه ممر متلا وجنوباً باتجاه رأس سدر، وقد حققت جزءاً من أهدافها، نظراً لمقاومة المدرعات والطائرات الإسرائيلية .

. . . .

. . . .

وفى الجو..

هاجمت الطائرات المصرية ميج ١٧ وسوخوى ٧ تجمعات المدرعات والمدفعية الإسرائيلية فى سيناء وكبدتها خسائر جسيمة، وللمرة الثانية قامت الطائرات المصرية بمهاجمة آبار أبو رديس وقد أصيبت المبانى وقتل وأصيب عدد من الإسرائيليين. وفى نفس الوقت قامت القاذفات الثقيلة بضرب القوات الإسرائيلية على ساحل البحر الأبيض، وبالذات فى بالوظة .

اليوم السابع ١٢/ ١٠/ ١٩٧٣

حققت القوات المصرية العاملة فى القطاع الأوسط نجاحاً ملحوظاً بهجومها العنيف على القوات المدرعة الإسرائيلية، وقد تمكنت القوات المصرية من دفع القوات المعادية إلى الخلف وإجبارها على الانسحاب من نقطة المثلثات رقم (١٠٠) التى تبعد ١٤ كيلو متراً شرق القناة، وتعتبر من أكبر وأهم المواقع الإسرائيلية الدفاعية

الموجودة فى هذا القطاع إذ كانت ترابط فيها قوات مدرعة، ومشاة ميكانيكية، ومدفعية ذاتية الحركة ومدفعية مضادة للطائرات، وبعد معركة عنيفة اشتركت فيها أعداد كبيرة من المدرعات.. تقهقرت القوات الإسرائيلية، واحتلت القوات المصرية هذه النقطة الهامة جداً، وعندما قام الإسرائيليون بهجوم مضاد لاستردادها مستخدمين الطائرات المدرعات، تكفلت المدافع المضادة للطائرات بإجبار الطائرات الإسرائيلية على الخروج من المعركة، وتكفلت الألغام وصواريخ الأفراد المشاة وبعض الدبابات فى تدمير وقهر المدرعات الإسرائيلية ولم تفلح القوات المعادية فى استعادة الموقع، أو حتى إخلاء الجرحى الذين استسلموا للأسر بعد ذلك.

.. وقد استخدمت القوات المصرية فى هذه المعركة عدة تكتيكات بارعة فى قتال الدبابات فى الصحراء، حيث استخدمت أسلوب الدفاع الهجومى، واستدراج الدبابات الإسرائيلية إلى كمائن متعددة ومتنوعة اشترك فيها الأفراد المشاة (صائدو الدبابات)، كما اشتركت فيها المدرعات أيضاً.

وفى القطاع الشمالى حيث كفة الجيش الثانى هى الراجحة منذ بداية الحرب قامت القوات بضرب المدرعات الإسرائيلية التى عاودت محاولة فك الحصار المضروب حول أحد الحصون شمال القنطرة، وقد بدأت القوات العاملة فى هذا القطاع الإعداد لهجوم واسع بهدف تحرير المزيد من الأرض.

- أما قوات الجيش الثالث، فقد نجحت فى الضغط على القوات الإسرائيلية المواجهة لها، وقامت بتوسيع رقعة الأرض التى احتلتها.

. . . .

- استسلمت اليوم القوة الإسرائيلية التى كانت متركزة فى حصن لسان بور توفيق بعد ضغط الحصار المصرى عليها وفشل جميع محاولات الإنقاذ براً وجواً وبحراً وقد حضر مندوب الصليب الأحمر وعدد من المراسلين العرب والأجانب عملية استسلام هذه القوة التى بلغ عددها ٣٦ فرداً وقد ظهروا على شاشة التليفزيون المصرى، وأرسلت نسخ من الفيلم الذى سجل مشهد استسلامهم إلى مختلف تليفزيونات العالم.

. . . .

* وفى الجو . . دارت معارك جوية فى سماء بور سعيد والمنطقة المحيطة بها، قود أجبرت الطائرات الإسرائيلية على الانسحاب دون تحقيق مهامها بعد أن اشتبكت معها الطائرات المصرية فى معارك عنيفة، كما أن الطائرات المصرية ساعدت القوات البرية بتوجيه غارات متلاحقة على القوات الإسرائيلية المدرعة.

- وفى البحر تصدت القطع البحرية المصرية للزوارق الإسرائيلية المسلحة التى حاولت مهاجمة منشآت ميناء الزعفرانة، وقد دمرت لها زورقاً وأصابت آخر. وفقدت البحرية المصرية زورقاً أصيب وتم انتشال أفراده.

. . . .

وفى أعماق العدو وخلف خطوطه، وجهت وحدات الصاعقة عدة ضربات لمواقع ومدرعات العدو . . وقد اشتركت جميع أسلحة العدو فى البحث عن أفراد هذه الوحدات التى تسبب إزعاجاً دائماً لمؤخرة العدو.

. . . .

. . . .

*** اليوم الثامن ١٣/١٠/١٩٧٣**

شنت وحدات من الفرقة (٢١) التى انتقلت من الضفة الغربية إلى سيناء هجوماً قوياً تساندها فيه فرقة مشاة ميكانيكية. وقد دارت المعركة مع قوات شارون فى القطاع الأوسط وكان الهدف هو السيطرة على الطريق الرئيسى المؤدى إلى ممر الجدى، وبرغم ظهور الأسلحة والمعدات الأمريكية الجديدة التى تدفقت على إسرائيل، فإن القوات المصرية دفعت القوات الإسرائيلية المدرعة إلى الخلف بضعة كيلو مترات، ولكن المعركة كانت من أعنف وأشرس المعارك وتكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة، وقد قال الجنرال شارون بعد هذه المعركة «لقد حضرت معارك كثيرة لكننى لم أشهد فى حياتى أعنف من هذه المعركة. .».

. . . .

وبالنسبة للقطاعين الشمالى والجنوبى ظل الوضع على حاله باستثناء بعض الهجمات المحددة التى قام بها الجيش الثالث لتوسيع رقعة أرضه، والتراشق بالمدفعية بين قوات الجيش الثانى والقوات الإسرائيلية المواجهة لها.

وفى الجو...

تكبد السلاح الجوى الإسرائيلى المزيد من الخسائر برغم هجومه المكثف لمساعدة الوقات البرية إلا أن بطاريات الصواريخ والمدفعية المصرية المضادة، بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية قد أفشلت هذا الهجوم.

. . . .

وفى البحر..

تصدت الزوارق المصرية والبطاريات الساحلية المدفعية والصاروخية لهجوم الزوارق الإسرائيلية المسلحة على المواقع العسكرية الواقعة على الشاطئ بالقرب من دمياط، وقد انسحبت هذه الزوارق دون أن تتمكن من تنفيذ مهامها.

وقد تم إغراق عدد من هذه الزوارق.

. . . .

عمل أمريكي خطير:

قامت ظهر هذا اليوم طائرتا تجسس أمريكيتان من طراز إس. آر. ٧١- باختراق المجال الجوى المصري- بسرعة تزيد على ثلاثة أضعاف سرعة الصوت- وقد التقطت هاتان الطائرتان الاستطلاعيتان الحديثتان جداً صوراً لمواقعنا غرب القناة وشرقها، والمؤكد أنها ستقدمها إلى إسرائيل، الى جانب الصور التى تلتقطها أقمار التجسس الأمريكية وكان ذلك مؤشرا إلى إصرار أمريكا على مساعدة إسرائيل فى تحقيق أى مكسب!

اليوم التاسع [١٤/ ١٠]

* تطوير الهجوم (المؤجل!!)

بقرار سياسى من أجل تخفيف الضغط على الجبهة السورية، تحدد يوم ١٣/ ١٠ لتطوير الهجوم شرقا فى اتجاه المضايق، لكنه تأجل الى اليوم وكانت الفرقة ٢١ مدرعة (من احتياطى الجيش الثانى) تغير أوضاعها بتحركها من غرب القناة الى الشرق فى منطقة الدفرسوار على المحور الأوسط تأهبا للهجوم، ومعها بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى، ومن الواضح -طبعاً- أن طائرات وأقمار التجسس الأمريكية قد رصدت هذا التغيير فى المواقع وأبلغت به إسرائيل لتنفذ الخطة المدبرة.

فى السادسة والنصف من صباح اليوم بدأ تطوير الهجوم بتمهيد جوى تم قصفة نيران من المدفعية عل مدى ١٥ دقيقة، واتخذ الهجوم أربعة محاور إثنان منها فى قطاع الجيش الثانى، ومحوران فى قطاع الجيش الثالث، وشارك فى الهجوم- إلى جانب الفرقة ٢١ مدرعة التى عملت فى المحور الأوسط باتجاه الطاسة، لواء مدرع من الفرقة الرابعة المدرعة (من احتياطى الجيش الثالث) ولواء مشاة فى اتجاه المضايق الجبلية (متلا والجدى) على المحور الجنوبى، بينما يعمل لواء مدرع فى اتجاه رمانة على المحور الشمالى انطلاقا من القنطرة. . وقد استهدف تطوير الهجوم الوصول الى غرب المضايق الجبلية حتى تفقد القوات الإسرائيلية حرية الحركة فى مواجهة رءوس كبارى الجيشين من القنطرة شمالا حتى السويس جنوبا، ومعنى ذلك فى نفس الوقت إجبار إسرائيل على تخفيف الضغط على الجبهة السورية. وقد دارت معارك ضارية حيث كانت إسرائيل قد حشدت قوتها الرئيسية من دبابات ومدرعات وقاذفات صواريخ موجهة للدبابات، كما شنت طائراتها هجمات مكثفة مما جعل تقدم قواتنا بطيئا، ودارت أكبر وأشرس معارك الدبابات حيث اشترك فيها أكثر من ألف وخمسمائة دبابة من الطرفين تدعمها المدفيعة والصواريخ المضادة وفى الجو ظهر واضحا من كثافة نشاط السلاح الجوى الإسرائيلى أنه.

قد حول مجهوده الرئيسى من الجبهة السورية إلى سيناء، ومع ذلك قامت قواتنا الجوية بتوجيه هجمات فعالة ضد الأهداف المعادية، وتصدت لطائرات العدو وأسقطت منها ١٥ طائرة فانتوم مقابل ٩ طائرات ميج، وبلغ إجمالى عدد الطلعات الجوية المصرية ما يزيد على ٥٠٠ طلعة لكن تطورات المعارك أكدت أن قواتنا تواجه الولايات المتحدة الأمريكية وليس إسرائيل وحدها، وهذا ما تم توضيحه للرئيس أنور السادات أثناء وجرره فى مساء هذا اليوم بغرفة العمليات، وقد توقفت عملية تطوير الهجوم، وظلت ساحة الحرب تشهد أعنف وأشرس المعارك.

اليوم العاشر ١٥ / ١٠

لم تهدأ حدة القتال، وأتاح توقف عملية تطوير الهجوم فرصة لكى تقوم القوات الإسرائيلية بهجوم مضاد فى قطاع الجيش الثانى، بينما واصلت طائرتا الاستطلاع الأمريكيتان إمداد إسرائيل بالصور الدقيقة أولا بأول، كما دخلت المعركة دبابات وطائرات وأسلحة أخرى من التى نقلها الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل، وبدأت

عملية الثغرة التى أكد المراقبون أنها عملية (تليفزيونية) ساهمت أمريكا فى تحقيقها لحفظ ماء وجه جيش الدفاع الإسرائيلى وإنقاذ الروح المعنوية المنهارة.

*** هكذا حدثت الثغرة**

بالاستعانة بالصور التى التقطتها أقمار وطائرات التجسس الأمريكية ركز العدو مجهودة الرئيسى فى هذا اليوم ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى (منطقة الدفرسوار شرق القناة) لكى تخترق بعض قواته المدرعة لتصل إلى الضفة الشرقية للقناة، واستخدم العدو لذلك فرقتين مدرعتين بقيادة كل من شارون وآدان، ضد الفرقة ١٦ مشاة وكانت كل فرقة تتكون من ثلاثة ألوية دبابات (٣٥٠ دبابة) ولواء مظلات وعربات مجنزرة التى يدعمها لواء مدرع ويقودها العميد عبد رب النبى حافظ، إلى جانب الفرقة ٢١ المدرعة التى يقودها العميد ابراهيم العرابى والتى أنهكتها معارك الأمس المتواصل، وقد قاومت الفرقة ١٦ مشاة بشجاعة هائلة وكبدت فرقة شارون خسائر ضخمة رغم نجاح قوة من لواء المظلات فى التسلل ليلا الى الشاطئ الغربى للقناة ولحقت بها بضع دبابات لا تزيد عن تسعة أو عشرة، واختفت فى منطقة الأشجار الكثيفة لتأمين إنشاء المعبر.

اليوم الحادث عشر ١٦/ ١٠ (ملحمة المزرعة الصينية)

تواصلت المعارك الضارية، وزاد عدد الدبابات الإسرائيلية فى الغرب إلى ٣٠ دبابة، ولسوء الحظ لم يحسن قائد الجيش الثانى بالإنابة تقدير عدد الدبابات المتسللة مما أثر على قرار وشكل مواجهتها حيث أكد انها ٧ دبابات فقط، وكانت قوات الجيش الثانى قد أغلقت الطريق الذى تقدمت من خلاله الدبابات الإسرائيلية فى الشرق وأصبحت القوات المتسللة معزولة تماما مما جعل موشى ديان يتصل فى الصباح الباكر يجولدا مائير ويقول لها منهاراً «إن قواته لم تتمكن من إقامة الجسور والموقف أصبح صعباً ومقلقاً»، ودفع العدو بقوات جديدة تحت قيادة الجنرال آدان فى محاولة أخرى، واشتعل القتال فى ميدان المعركة الرئيسى شرق الدفرسوار وفى معركة (المزرعة الصينية) وهى مزرعة تجريبية أنشئت منذ سنوات عديدة، وعمل بها بعض الخبراء الصينيين ولذلك أطلق عليها الأجانب اسم المزرعة الصينية، بينما تعرف فى مصر باسم قرية الجلاء، هذا وقد بدأت محاولات الاختراق فى هذه المنطقة يوم ١٤/ ١٠ لكنها فشلت جميعها، ولذلك حشد العدو هجومه الرئيسى

بحيث يتم بعد منتصف الليل لتحقيق أكبر مفاجأة تشل الدفاعات المصرية، وبدأ الهجوم الأول فى الساعة ١١ صباحا على دفاعات الكتيبة ١٦ على الجانب الأيسر للواء ١٦ مشاة، وكان يقودها المقدم محمد حسين طنطاوى (وزير الدفاع حالياً)، وكانت قوة الهجوم الإسرائيلى مشكلة من لواء مظلات ولواء وكتيبة مدرعة، وقد اتخذ المقدم طنطاوى قراراً شجاعاً للغاية بأن تم حبس النيران لأطول فترة ممكنة، وبإشارة ضوئية منه فتحت جميع أسلحة الكتيبة نيرانها المكثفة ضد القوات المهاجمة التى كانت المفاجأة بالنسبة لها هي، وارتبكت صفوفها وتساقط القتلى والجرحى، ولولا الضباب الذى انتشر ساعات الصباح الأولى لما تمكنت تلك القوات من سحب خسائرها من الجرحى والقتلى لكنها تركت دباباتها وعرباتها المدرعة فى أرض المعركة شاهدا حيا على ما حققه رجال الكتيبة ١٦ مشاة من انتصار مبهر.

ونموذج رائع للمقاومة الإيجابية الصلبة رغم عدم التكافؤ فى عدد القوات أو أسلحتها ومعداتها، وقد حققت الكتيبة ١٨ مشاة نفس الإنجاز الكبير وأمنت الحد الأيمن للجيش الثانى الميدانى طوال فترة القتال، وقد تم تدمير ٣٠ دبابة للعدو أمام الخط الأمامى للدفاع، ثم دمرت سبع دبابات كانت قد وصلت الى النسق الثانى للدفاع وتم ردها وتدميرها.

وبعد ذلك بدأ الهجوم الرئيسى الشامل الآخر بعد منتصف الليل ونجحت الكتيبتان (١٦، ١٨) فى صد القوات المهاجمة طوال الليل الى أن ظهر الصباح ليشهد الدخان الكثيف المنبعث من دبابات العدو المدمرة والمحترقة أمام دفاعات الكتيبتين.

ويقول اللواء سمير فرج (مدير الشئون المعنوية للقوات المسلحة) إن هذه المعركة شهدت أكبر معركة دبابات خلال حرب أكتوبر، وكان استخدام الإسرائيليين لقوات لواء مظلات فى أعمال قتالية برية (دون إسقاط) وهو من أقوى الوحدات المقاتلة فى إسرائيل يوضح مدى الأهمية التى كانت تركز عليها حتى تنجح العملية المدبرة ولذلك جاء فشل الفرقة المدرعة (مجموعة العمليات) ومعها لواء المظلات أكبر دليل على عظمة وقدرة المقاتل المصرى وإذا كانت تلك شهادة خبير عسكرى. . ومصرى فإن ثمة شهادة أخرى تجئ من جانب الإسرائيليين أنفسهم، شهادة واعتراف من قائد كتيبة مظلات شاركت فى المعركة حيث يقول:

لأهمية هذه المعركة قرر الجنرال جونين أن يدعم الجنرال آدان بلواء المظلات الذى كان يعمل فى منطقة سدر، وبالفعل تم سحبه ودفعه الى منطقة الطاسة ليكون تحت قيادة آدان، وبدأ التخطيط للهجوم على أن يتم ليلا باستغلال فترة آخر ضوء لتنفيذ التمهيد النيرانى والصاروخى المكثف ضد قطاعات اللواء ١٦ مشاة وتبع ذلك عدة قصفات استمرت حتى منتصف الليل بشكل مكثف لدرجة أنه لم يكن هناك متر مربع واحد فى المنطقة لم تسقط فيه قذيفة من أى نوع، وبعد منتصف الليل تقدمت القوات لواء المظلات فى الأمام وخلفه لواءان من المدرعات، وكنا نتقدم ونحن نظن أن المصريين مستغرقون فى النوم فى هذا الوقت المتأخر من الليل وبعد إرهاقهم الشديد طوال اليوم بقصف المدفعية، لكننا ما إن وصلنا إلى مشارف حقول الألغام لفتح الثغرات فى الدفاع حتى وجدنا المنطقة وقد أضيئت بالكامل والنار من حولنا، وخطوط النيران الثابتة كما تعلمناها نحن فى ورشة المظلات الإسرائيلية، كان المصريون ينفذونها ببراعة واقتدار، كما كانوا يستخدمون أجهزة الرؤية الليلية المعقدة ويطلقون بها النيران ويصيبون أهدافنا بنفس البراعة، كما اتضحت لنا شجاعة ومقدرة قادتهم التى جعلتهم يحبسون نيرانهم لآخر لحظة ثم يضعوننا فى مقتل حتى إننا عجزنا عن التراجع والانسحاب، ولذلك كانت خسائرنا كبيرة فى أقوى ألوية جيش الدفاع، ولقد كانت السماء رحيمة بنا لأنه مع بزوغ أول شعاع لشمس النهار هبط على المنطقة ضباب سيناء لمدة ساعتين فأعطانا فرصة لكى نسحب قتلانا وجرحانا، وعدنا إلى الخلف ونحن لا نكاد نصدق ما حدث!!

هكذا اعترف القائد الإسرائيلى بالفشل الذريع للمرة الثانية فى تحقيق الإختراق، وما كان ذلك ممكنا لهم بأى حال بعد ذلك، لولا الدعم الأمريكى الجديد الذى تدفق على إسرائيل، إصراراً على تحقيق أى إنجاز وبصعوبة بالغة استطاعت قوات الجنرال آدان تحريك بعض الأطواق العائمة ووصلت الى خط المياه، وتعرضت بعض قواعد صواريخ الدفاع الجوى فى الغرب لنيران الدبابات المتسللة، وأصدرت القيادة المصرية أوامرها للواء ٢٣ المدرع بالتحرك من شرق القاهرة ليتمركز فى أقرب مكان لمنطقة الاختراق استعداداً للدخول فى معركة ضد الدبابات الإسرائيلية، وقد شهد ذلك اليوم موقفين هامين، ففى الصباح توجه الرئيس أنور السادات بصحبة وزير الحربية الفريق أحمد اسماعيل الى مجلس الشعب وألقى خطبة عبر فيها عن العبور

العظيم ورؤية مصر لحل مشكلة الشرق الأوسط، وفى نفس اليوم بدأت بوادر الخلاف بين القائد العام الفريق أحمد إسماعيل ورئيس الأركان الفريق سعد الدين الشاذلى واختلاف آرائهما بالنسبة لتصفية الثغرة بعد أن تمكن العدو من دفع الجانب الأيمن للجيش الثانى لمسافة حوالى ٢ كيلو متر شمالا وأتاح له ذلك إمكانية دفع بعض قواته الى غرب القناة، وفى هذا اليوم أيضا تم تعيين اللواء عبد المنعم خليل قائدا للجيش الثانى بدلا من اللواء سعد مأمون الذى حال مرضه المفاجئ دون الاستمرار فى مهمته.

اليوم الثانى عشر: [١٠/١٧]

كبدت قواتنا من أحد ألوية الفرقة ٢١ المدرعة واللواء ٢٥ مدرع (من الجيش الثانى) فرقة شارون وفرقة آران المدرعتين خسائر خضمة فى محاولة سد ثغرة الفرسوار فى شرق القناة، وكانت كتيبتان من فرقة شارون وكتيبتان من المظلات قد انضمتا للدبابات المتسللة فى الغرب، ويعترف موشى ديان بما لحق بفرقة شارون من خسائر فادحة بقوله: «لقد تكبدت فرقة شارون أبشع الخسائر وتعرض رجاله الذين أقاموا رأس جسر على الضفة الشرقية للقناة لنيران المصريين المتواصلة المهلكة، وفى هذه المعركة قتل أكثر من مائتى رجل، وفى لواء (. . . .) قتل جميع قادة السرايا مرتين على التوالى، حيث قتل أولا القادة الأصليون ثم قتل بعد ذلك الذين حلوا محلهم ليتولى القيادة بعدهم الصف الثالث!!).

اليوم الثالث عشر [١٠/١٨]

حاولت قوات شارون التقدم شمالاً نحو الاسماعيلية بهدف دخولها لتحقيق إنجاز سياسى ومعنوى، وأيضا لتهديد مؤخرة قوات الجيش الثانى، لكن القوات المصرية أحبطت محاولة شارون وكبدت فرقته خسائر أخرى، فى الوقت ذاته اتجهت بعض القوات الإسرائيلية من فرقة آدان غربا جنوبا فى اتجاه السويس لتوسيع الثغرة وضرب مواقع صواريخ الدفاع الجوى، وقد انتقل الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان فى هذا اليوم الى منطقة الثغرة لدراسة الموقف على الطبيعة، وتقدمت قوات العدو نحو فايد ثم أوقفت وعاد الفريق الشاذلى مساء يوم ٢٠ أكتوبر الى القاهرة متحمسا لفكرة سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق الى الغرب للدخول فى معركة شاملة مع قوات العدو فى الثغرة مؤكدا ان ذلك لن يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق وأنه الطريق إلى الإجهاز على كل القوات المتسللة، لكن الفريق أحمد إسماعيل لم يوافق على هذا

الاقتراح وأعلن ذلك أمام الرئيس السادات فى غرفة العمليات، وأيده اللواء الجمسى وبعض القادة خشية أن يؤثر سحب قوات من الشرق على معنويات الجيش الثانى ويؤدى الى اهتزاز دفاعاتنا فى الشرق، وهنا كان قرار الرئيس السادات بعدم تنفيذ اقتراح الشاذلى الذى وصفه الرئيس بأنه كان منهاراً، وإن كان المشير الجمسى فى مذكراته ينفى ذلك عن رئيس الأركان، كذلك قرر الرئيس السادات فى ذلك الاجتماع قبول وقف إطلاق النار .

اليوم السادس عشر: [٢١/ ١٠]

أبلغ الرئيس السادات الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بقبول وقف إطلاق النار بعد أن بعث برسالة الى الرئيس حافظ الأسد يقول له فيها : إن أمريكا دخلت الحرب ضدنا لإنقاذ إسرائيل حتى بالأسلحة التى مازالت تحت الاختبار، ونحن نحارب أمريكا منذ عشرة أيام من خلال أحدث وأخطر الأسلحة التى أمدت بها إسرائيل، ولذلك فإننى أرفض مواجهة أمريكا خاصة وأن الاتحاد السوفيتى لا يعوض خسائرنا .

اليوم السابع عشر [٢٢/ ١٠]

وافقت مصر وإسرائيل على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذى يدعو كافة الأطراف الى إيقاف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط حربى فوراً، وقام الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا بزيارة إسرائيل (!)، وعندما توقف القتال لم تكن إسرائيل قد حققت هدفا سياسيا أو هدفا عسكريا استراتيجيا، وإذا كانت قد نجحت تكتيكيا فى معركة الدفرسوار (الثغرة) فإن قواتها فيها محاصرة من كل الجهات، بينما كانت قوات الجيش الثالث والثانى فى أوضاعها شرق القناة ثابتة وراسخة ولا تستطيع إسرائيل زحزحتها .

وكعادتها لم تحترم إسرائيل قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ودفعت قوات جديدة فى نفس الليلة الى غرب القناة، ودارت المعارك مرة أخرى بصورة متقطعة .

اليوم الثامن عشر [٢٣/ ١٠]

تحركت الطوابير الإسرائيلية المدرعة مع فجر هذا اليوم مواصلة محاولاتها لتوسيع منطقة الثغرة وحصار الجيش الثالث وبعثت مصر برسالة أخرى الى كيسنجر عن انتهاكات إسرائيل لوقف القتال، وفى نفس الوقت كان كيسنجر يتلقى رسالة أخرى من تل أبيب . . تتضمن ما معناه أن قوادها العسكريين يطلبون يومين أو ثلاثة يواصلون

فيها القتال للسيطرة على السويس وحصار الجيش الثالث استثماراً لقرار وقف إطلاق النار، وكان ذلك -طبعا- على هوى الوزير الأمريكى الذى اعتذر فى نفس اليوم عن دعوة حافظ إسماعيل لزيارة القاهرة حتى لا يتعرض لضغوط مباشرة من أجل إلزام إسرائيل باحترام قرار مجلس الأمن، كذلك حاول كيسنجر امتصاص غضب موسكو بعد أن وصلته رسالة بريجنيف التى جاء فيها «إن القوات الإسرائيلية لاتزال تتحرك على الضفة الغربية لقناة السويس، وقد تأكدنا من ذلك بوسائلنا الخاصة، وهذا أمر غير مقبول، وهو يشكل من جانب الإسرائيليين عملية خداع صارخة يصعب السكوت عليها، ولابد أن يدينها مجلس الأمن ويطالب بوقفها، وأن يحدث ذلك فى ظرف مدة لا تتجاوز ساعتين».

وبعد مناورات ومشاورات بين كيسنجر وجولدا مائير، كلف كيسنجر المندوب الأمريكى الدائم فى مجلس الأمن بأن يبذل قصارى جهده لتعطيل انعقاد مجلس الأمن!

.. وفى نهاية ذلك اليوم اتخذ المجلس قراره رقم ٣٣٩ بعد أن عدل نص مشروعه الأصلى (وفقا للضغوط الأمريكية) فبدلا من (مطالبة) إسرائيل، قال النص الجديد (مناشدة إسرائيل).

فى الجزء الثانى من مذكراته (بعنوان سنوات القلق) قال هنرى كيسنجر:

«بمجرد وصولى إلى إسرائيل (ظهر يوم ٢٢ أكتوبر) لمست بنفسى حجم الإنجاز الكبير الذى حققه العرب، لقد رأيت كيف تعرضت صلابة إسرائيل لامتحان عسير، وكان الجميع مدنيين وعسكريين ممن رأيتهم فى مطار بن جوريون متلهفين لقرار وقف إطلاق النار، لقد لاحظت وهم يصفقون لى أنهم كانوا رجالا على حافة الكارثة وقد أنهكتهم الحرب، ولمحت الدموع فى عيون كثيرين منهم، وهم يجدون فى شخصى المنقذ المخلص، وعندما التقيت بالقادة وبنيهم جولدا مائير وأعضاء مجلس الوزراء فى بيت الضيافة، أحسست أن التجربة العنيفة التى مروا بها أثرت حتى فى ملامح وجوههم، وعلى تركيبهم البدنى، وعبثا كانوا يحاولون أن يتظاهروا أمامى بالتماسك! لقد اختفت نبرة الثقة الإسرائيلية التى كنت أعرفها من قبل!.. إن ثمة انكسارا تحت السطح الإسرائيلى لا يمكن إخفاؤه، فهالة الجيش الذى لا يقهر تم تدميرها تماما وأفلتت إسرائيل بالكاد من هزيمة كبرى، وعندما تحدثت مع جولدا مائير عن قرار وقف إطلاق النار قالت لى بصراحة إن جيش الدفاع يحتاج إلى ثلاثة

أيام ليحقق بعض الأهداف على الجبهة السورية، وحينما أشرت مرة أخرى إلى القرار صاحت فى وجهى قائلة: إن أكثر من ألفى مقاتل إسرائيلى سقطوا قتلى حتى الآن، وإذا قسنا عدد السكان مع الولايات المتحدة فإن معنى ذلك كما لو أن أمريكا فقدت أكثر من مائتى ألف قتيل فى معركة؟

.. وعندئذ ألمحت لها أن جيش الدفاع يستطيع أن يواصل عملياته (منتهكا قرار وقف إطلاق النار) على الأقل طوال المدة التى تستغرقها طائرتى من تل أبيب إلى واشنطن، علما بأننى سأتوقف عدة ساعات فى لندن!!

- وتحطم «جازيت» لأنه نشر الخريطة الحقيقية:

توالى تبديل وتغيير المسئولين عن الإعلام الإسرائيلى فى محاولة لإنقاذه من الفضائح المتتالية، وبعد أن استدعى أهارون ياريف (رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق) ليتولى هذه المسئولية، اعتزل مهمته كمسئول عن الإعلام فى اليوم الثالث، واقترح موشيه ديان على السيدة مائير رئيسة الحكومة أن تضع شئون الإعلام فى نطاق مسئوليتها، وقد وافقت على ذلك، ولكن بعد أقل من اثنى عشرة ساعة اتصلوا هاتفياً من مكتبها بديان وقالوا له: «ليس عندنا شخص ملائم لتولى هذه المهمة» وهكذا أعيدت الكرة إلى وزارة الدفاع، فقام ديان بتعيين الجنرال «شلوموجازيت» منسق الأعمال فى المناطق المحتلة، مسئولا عن شئون الإعلام، وبعد أسبوع تحطم جازيت أيضاً وأبعد عن مسئوليته الإعلامية فماذا كان الخطأ الفادح الذى ارتكبه؟!

إن مؤلفى كتاب المحدال الإسرائيليين يقولون إجابة على هذا السؤال: «لقد ارتكب جازيت خطأ فادحاً عندما عرض خريطة توضح الخطوط التى وصل إليها الجيش الإسرائيلى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، لأنه فى اليوم التالى عندما تم توسيع مجال السيطرة الإسرائيلية غربى القناة على إثر خرق وقف إطلاق النار عرضت الخريطة التى رسمها (جازيت) كبرهان على مكان وقوف القوات الإسرائيلية فى اليوم الذى أعلن فيه وقف إطلاق النار!!

.. هكذا طرد مسئول الإعلام لأنه لم يتنبه لأسلوب الخداع والكذب الذى مارسه الإعلام الإسرائيلى.. فكان نشره لتلك الخريطة التى وضحت موقف القوات الإسرائيلية فى الثغرة قبل انتهاكها لقرار وقف إطلاق النار.. دليلا على أمرين هامين:

١- ضعف وحرج موقف هذه القوات التى بدأ تنفيذ القرار وهى بين فكى القوات المصرية.

٢- انتهاك إسرائيل لقرار وقف إطلاق النار لكى توسع هذه القوات من الأرض التى تنتشر عليها حتى تخف قبضة القوات المصرية عليها!

* ونستطيع أن نقول بصورة أخرى إن الإعلام الإسرائيلى حين أخطأ فذكر الحقيقة كشف الفشل العسكرى، وحين عاقب المسئول عن ذكر هذه الحقيقة، أكد الإصرار على انتهاج أسلوب الكذب والخداع.. فهو بذلك قد سقط مرتين!!

اليوم التاسع عشر [٢٤/١٠]

لم يكن نصيب القرار ٣٣٩ بأفضل من القرار السابق بالنسبة لإسرائيل فلم تلتزم به هو الآخر بل استغلته لمواصلة جهودها المحمومة لتوسيع الثغرة بهدف حصار الجيش الثالث واحتلال السويس، وتوتر الموقف العالمى عندما صدر فى موسكو بيان يحمل توقيع بريجنيف يعتبر إنذارا قاطعا حيث قال بوضوح ان استمرار العدوان الإسرائيلى سوف يسفر عن عواقب وخيمة، ومادامت إسرائيل لا تلتزم بقرارات مجلس الأمن، ونظرا لما يبدو من عدم استعداد الولايات المتحدة للتعاون فى فرض تطبيقه فإن الاتحاد السوفيتى سوف يقرر لنفسه منفردا اتخاذ الخطوات الضرورية والعاجلة لتأكيد احترام وقف إطلاق النار فلا يمكن لإسرائيل أن تفلت من مسئولية انتهاكها له!

وعلى الفور تحرك كيسنجر بأسلوبه الخاص، وأكد التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار، وأوحى -كذبا- لوزير خارجية الاتحاد السوفيتى بأن السادات على اتصال بالرئيس نيكسون عن طريق قناة سرية، وأنه لم يصل فى غضبه إلى الدرجة التى وصل إليها غضب الرئيس بريجنيف، لكن الرئيس السوفيتى لم يبلع الطعم وبعث برسالة أخرى إى نيكسون مؤكدا إصراره على إرغام إسرائيل على احترام قرار وقف إطلاق النار، وعندما قرأ كيسنجر هذه الرسالة اقترح على الرئيس نيكسون أن يكتب رسالة بنفسه إلى جولدا مائير يطلب منها وقف العمليات العسكرية فوراً، وكانت إسرائيل مستميتة فى محاولتها لاحتلال السويس وتحرك لواءات من فرقة آدان المدرعة لإقتحامها من الشمال والغرب بعد قصفها بالمدفعية والطيران مدة طولة لتحطيم الروح المعنوية للمقاتلين داخل المدينة، لكن أبناء السويس نجحوا مع قوة عسكرية

من الفرقة ١٩ مشاة ورجال الشرطة فى التصدى للقوات الإسرائيلية وكبدتها خسائر ضخمة أجبرتها على التراجع ، ومن ثم فشلت خطة إسرائيل فى استغلال وقف القتال لتفرض واقعا جديدا باحتلال السويس ، على العكس من ذلك تعرضت لهزيمة أخرى وانهارت معنويات قواتها ، وتأكدت عزلتها التى تعنى إمكانية تصفيتها ، وهذا ما تأهبت مصر لتنفيذه لولا الإنذار الذى وجهه كيسنجر إلى الرئيس السادات بأن أمريكا لن تسمح بالقضاء على القوات الإسرائيلية فى الثغرة!

«السويس تبتلع آخر أحلامهم»

ولكن . . كيف كانت معركة السويس التى تحطمت على صخرتها آخر محاولات إسرائيل لتحويل الثغرة إلى (شيء حقيقى) إننى لن أروى قصتها من منظور مصرى ولكننى سأكتفى بتسجيل ما اعترف به خبير إسرائيلى مشهور .

وقبل أن أترك الصفحات التالية لقلم (الكاتب والخبير الإسرائيلى الكبير زئيف شيف) ليروى بنفسه حكاية السويس بتفاصيلها التى جمعها من كبار القادة ومن الضباط والجنود الذين اشتركوا فى محاولة الاحتلال .

أستأذنك صديقى القارئ فى أن أضع هذه النقاط كمدخل ضرورى للرواية الإسرائيلية لحكاية «السويس» .

١ - ليس هناك أدنى شك فى أن زئيف شيف بمكانته الكبيرة فى إسرائيل كمحرر وخبير عسكرى قد حصل على كل الوثائق والمعلومات التى تحكى قصة محاولة دخول السويس ، كما أنه باتصالاته الشخصية الواسعة جمع تفاصيل كثيرة من لقاءاته مع كبار القادة والضباط والجنود الذين اشتركوا فى المحاولة .

٢- ليس هناك أدنى شك -أيضاً- فى أنه يحاول قدر جهده وبما أوتى من ذكاء وخبث دعائيين ، أن يقلل من حجم الصدمة التى تلقتها القوات الإسرائيلية فيبحث عن مبررات كثيرة لفشلهم محاولاً أن يجعل صلابة وشراسة المقاومة التى أبداها شعب السويس مجرد سبب من أسباب كثيرة كنقص المعلومات مثلاً لدى القوات المهاجمة ، فهو فى هذه الحالة يدين بالفعل مخابراتهم واستطلاعاتهم لكنه -فى النهاية- يحاول أن يبرر انهيار هذه القوات أمام عنف المقاومة .

٣- حسب وثائق وأوراق القيادة الإسرائيلية ، يتضح لنا أن مساعد جونين القائد الإسرائيلى لجبهة سيناء ، وهو «أورى بن آرى» أبلغ «آدن» قائد إحدى الفرق المدرعة التى تمكنت من عبور القناة إلى الضفة الغربية بضرورة الاستيلاء على السويس -بعد فشل شارون فى الوصول بقواته إلى الإسماعيلية ، وكان هذا الأمر الذى نقله «أورى ابن آرى» إلى «آدن» يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣- أى بعد صدور قرار وقف إطلاق النار بأربع وعشرين ساعة- وهم حاولوا بالطبع تبرير انتهاكهم الفورى للقرار الدولى بأن قالوا إن الكوماندوز المصريين أطلقوا قذائفهم على بعض الدبابات الإسرائيلية؟

٤- تقول تلك الوثائق والأوراق الإسرائيلية إن مساعد القائد العام لجبهة سيناء . . حين أبلغ آدن بأوامر الاستيلاء على السويس قال له بالحرف الواحد :

«إننا نريد أن تستولوا على مدينة السويس، ولكن بشرط ألا تكون هذه ستالينجراد أخرى» .

فماذا حدث بعد ذلك . . وكيف أصبحت السويس رغماً عنهم ستالينجراد أخرى؟! هذا ما سنقرأ تفاصيله .

٥- تقول الدعاية الإسرائيلية إن جيش الدفاع كان يشعر بأن الحرب قد انتهت قبل أوانها، وأن الانتصار الكامل قد سرق منها .

حسناً . . ها هي ذي فرصة أخرى لكي ينهوا هم الحرب كما يشاءون، ويستردوا الانتصار المسروق، وهي ليست مجرد فرصة أخرى، إنها فرصة سانحة تماماً، فقرار المجتمع الدولي بوقف إطلاق النار قد أصبح سارى المفعول منذ ٢٤ ساعة، والقوات المصرية احترمت القرار فور سريانه، وقوات إسرائيل هي التي انتهكته منذ أول لحظة بحجة تخليص قواتهم التي وقعت في كمين للكوماندوز المصريين على طريق الإسماعيلية حينما حاولت دخول المدينة فتصدت لها مجموعات الصاعقة . . في معركة عنيفة . . انسحبت منها القوات الإسرائيلية لكنها لم تستطع تخليص مجموعة كبيرة من حصار المصريين .

ثم إن السويس هدف مدنى . . وليس موقعاً عسكرياً حصيناً مجهزاً . . وبالتالى فإن المهمة أسهل بكثير أمام قوات جيش الدفاع الإسرائيلى .

. . . .

و . . لنقرأ القصة الآن، كما يرويها الكاتب الإسرائيلي . محتفظين بهذه النقاط أمام عيوننا وفى أذهاننا، دون أن تغيب عنا لحظة واحدة .

أهي مدينة مهجورة.. أم فوهة أسد؟

دخلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي في فوهة الأسد بدون أن تشعر أن أنيابه قد تطبق عليها، فجنود الاستطلاع الذين تجولوا في الصباح حول المواقع المصرية قدموا تقارير مفادها أن هذه مدينة أشباح مهجورة، أو أن القوة الموجودة بداخلها صغيرة وغير منظمة، ومع أنهم لاحظوا وجود مواقع للمدافع المضادة للدبابات إلا أن هذه المواقع لم ترد على النيران التى أطلقتها الدبابات الإسرائيلةى نحوها .

. . وكان فى مدينة السويس بضعة آلاف من الجنود المصريين، وكان بينهم على الأقل وحدة واحدة منظمة كما ينبغى. وكان القادة الإسرائيليون مقتنعين بأن سكان المدينة، والعدد القليل من الجنود، يريدون الاستسلام، وكانت شبكة التليفونات ما تزال تعمل فى المدينة، وقام القائد الإسرائيلى بالاتصال بالمحافظ الذى كان مستعداً للاستسلام لكنه قال له إنه لا معنى لاستسلامه بدون موافقة القائد العسكرى المصرى، ووعد بالمثول مع هذا القائد ولكنه لم يعد إلى الاتصال مرة أخرى.

وتمكن الإسرائيليون من الاتصال تليفونياً بالقائد المصرى للمركز الكائن بجانب ميناء الأدبية وقال الرجل إنه مستعد للاستسلام مع رجاله، وأنهم سيلقون سلاحهم بمجرد وصول قوات جيش الدفاع الإسرائيلى إليهم، وهكذا كان كل شيء يبدو سهلاً ومضموناً، وعليه تقرر دخول المدينة.

ملحوظة سريعة:

أجدنى مضطراً للتدخل هنا فى سياق رواية الكاتب الإسرائيلى لأقول إنه حتى إذا صحت واقعة الاتصال التليفونى مع المحافظ وقائد ذلك المركز- فإن المعنى الوحيد لرد كل منهما هو أنهما آثراً أن يخدرا أعصاب القائد الإسرائيلى ويعطيا إيحاء بأن المدينة أضعف من أن تفكر فى غير الاستسلام وهذه نقطة تحسب بالتأكيد للإنسان المصرى).

. . . .

ويواصل زئيف شيف روايته لقصة السويس فيقول:

. . فى الساعة العاشرة والنصف بدأت القوات الإسرائيلية التحرك نحو المدينة وتقدمت باتجاهين، رتل من الشمال، وآخر من الغرب على أن يلتقوا عند الميناء.

وكان يتقدم هذه الأرتال كتيبة دبابات، تتبعها عربات نصف مجنزرة ومصفحات بداخلها مظليون وأفراد وحدة استطلاعية.

ولم يكن يتقدم هذه الأرتال قوات مشاة تكون مهمتها التأكد من خلو الطريق من الكمائن، وتقدمت الأرتال فى شوارع ضيقة، بين أبنية مرتفعة من الجانبين، وقد تم الدخول بهدوء، وبدون إزعاج.

وفجأة فتحت النيران الشديدة على القوة المتقدمة من كل صوب، وقام المصريون بإلقاء آلاف القنابل اليدوية من نوافذ المنازل، ومن الأسطح، وكانوا يوجهون قنابلهم

إلى داخل العربات نصف المجنزرة المفتوحة، كما أخذوا يطلقون الصواريخ المضادة للدبابات من خلف الجدران والشرفات.

وخلال فترة قصيرة كان الكثير من الدبابات والعربات قد أصيبت «من بين الـ ٢٤ دبابة التى تقدمت الهجوم، استطاع المصريون اقتناص قادة ٢٢ دبابة» وتبعثرت الأرتال الإسرائيلية فى منطقة واسعة، ولم تكن هناك طريقة للخلاص من النيران ومن الكمائن إلا بالانسحاب، وقد أصيب عند مشارف السويس اثنان من قادة الكتائب منهم الكولونيل (يومى) الذى قاد العملية بأكملها، وقد تولى القيادة بعد ذلك أحد قادة السرايا، توجهت الدبابات الى الخلف محاولة أن تنجو بنفسها، أما المظليون فكانوا مكشوفين أكثر، وقفز الكثيرون منهم من عرباتهم المصابة، والتجأوا إلى بيوت مجاورة، وقاموا بالدفاع عن أنفسهم من خلالها.

وكما حدث فى المزرعة الصينية، وكما حدث بالقرب من الإسماعيلية، فقد كانت المشكلة هنا هى كيفية إخراج المظليين من معركة لم يعرفوا قدرة العدو فيها.

وأصبح الجهد كله الآن موجهاً لتخليص الرجال وإخلاء المصابين، وأسرعت إلى الداخل عربة الاستخبارات نصف المجنزرة التابعة للواء، ولكنها أصيبت وقفز أفرادها إلى أحد الجدران القريبة، وقد شوهد أفراد الاستخبارات التسعة هنا للمرة الأخيرة!!

بعد ذلك أرسلت سرايا من الدبابات إلى الداخل بقصد الاتصال بالمظليين الذين حاولوا الانسحاب فى مجموعات، فأصيبت هذه الدبابات بمجرد دخولها، وبذلك زاد عدد المصابين.

.. ومحاولة إنقاذ بالطائرات.. لعل وعسى!!

قامت طائرات عمودية بالهبوط قرب المدينة، من أجل إجلاء المصابين بسرعة، كما أقلعت طائرة عمودية ضخمة فى طريقها إلى السويس أيضاً وكان من بين الذين تحملهم هذه الطائرة الدكتور (أورى فرند) الذى جمع ثلاثة من المضمدين، وقرر التوجه بنفسه لإخلاء المصابين، وبينما كانت هذه الطائرة فى طريقها إلى موقع الهبوط قرب مدينة السويس، أصيبت بصاروخ من طراز (ستريللا) الذى يطلقه الجندى من فوق كتفه!

وتحطمت الطائرة.. وقتل من فيها..

جرى تخليص مجموعات جديدة من المظليين . . من المدينة التى أغرقها المصريون بالنيران، وقد قتل حوالى ثمانية من هؤلاء المظليين ورجال المدرعات، ولكن كان لا يزال هناك ثلاث مجموعات محشورة داخل المدينة، رجال الاستخبارات الذين قطع الاتصال معهم، ومجموعة من المظليين وعلى رأسهم (ح)، ومجموعة أكبر كانت تتحصن داخل إحدى العمارات، وكان يوجد فى هذه المجموعة قائد كتيبة مصاب بجراح خطرة، وقد حل مكانه قائد إحدى السرايا، ومع حلول الظلام قررت المجموعة التى يرأسها (ح) الخروج سيراً على الأقدام، وحملت معها جرحاها وقد نجحت هذه المجموعة فى تخليص نفسها والخروج من المدينة .

أما المجموعة الثانية الأكبر، فقد وقعت فى مشكلة أخطر، وقام المصريون بتركيز قوات كبيرة حولها، وكان يبدو أنها محاصرة، من كل جانب، وقد قتل فى إحدى محاولات التخليص مساعد قائد لواء المظليين، وفشلت جميع المحاولات التى قامت بها الدبابات لتخليص هذه المجموعة، وقد تمكنت خمس دبابات واثنتان من العربات نصف المجنزرة، من الوصول إلى مسافة حوالى مائة متر من المكان الذى تحصنت فيه المجموعة، وكان المصريون قد أقاموا على الطريق متراساً كبيراً، وزرعوا ألغاماً كثيرة، وقاموا بتوجيه الصواريخ المضادة للمدوعات على الدبابات والعربات المتقدمة فاضطرت هذه إلى الانسحاب .

وفى حوالى منتصف الليل جرت مشاورات حول ما إذا كانوا سيقترحون على قائد القوة المحاصرة الخروج مشياً مع جرحاه، أو الانتظار حتى طلوع النهار حتى تساعده الطائرات والمدفعية ؟ .

وطلب جولين التحدث مع قائد القوة المحاصرة، وكان ذلك قبل منتصف الليل بعشر دقائق، واستمرت المحادثة اللاسلكية حتى الساعةالثانية بعد منتصف الليل أى انها استغرقت أربع ساعات، ظل فيها قائد القوة متردداً وخائفاً وتبين أن هذه القوة موجودة فى مبنى مركز شرطة مدينة السويس، وتم تحديد موقع هذا المبنى، وبعد دراسة الطرق التى يمكن أن تسلكها القوة فى طريقها إلى خارج المدينة أشرف جونين

على توجيه المدفعية فيما يشبه صندوق النيران المحيط بطريق الانسحاب، وصدر الأمر لقائد القوة بالخروج فوراً بدون الانتظار حتى مطلع الصباح، وأعطيت له تعليمات لسلوك طريق محدد للوصول الى نقطة خارج المدينة، حيث كانت تنتظره هناك سيارات الإسعاف لإخلاء المصابين من أفراد القوة.

. . . .

. . هكذا سجل قلم الكاتب الإسرائيلي الكبير قصة السويس. . كيف هاجمتها القوات الإسرائيلية (بعد سريان مفعول وقف إطلاق النار) وكيف خدع المصريون قادة الحملة الإسرائيلية، فأوحوا إليهم -بشكل مباشر وغير مباشر- أن المدينة تفتح أبوابها لهم، ثم فجأة اندلعت المقاومة الشاملة العنيفة.

وبدلاً من أن تكون مهمة القوة الإسرائيلية الضخمة- المكونة من مدرعاتهم ومظلييهم ومخابراتهم -هي احتلال السويس بأسرع وقت- أصبحت مهمة هذه القوة العمل على تخليص أنفسهم من (أيدي) المصريين.

وذلك بعد أن فشلت محاولات دفع قوات جديدة إلى الداخل للقيام بعملية الإنقاذ- ولم ينتج عنها إلا إضافة أعداد جديدة من القتلى والجرحى والمدرعات والطائرات المدمرة.

و... اعترافات وشهادات توضح حجم الثغرة الحقيقى

«إن الثغرة التى حققها الإسرائيليون لم تكن سوى ضربة حظ حتى وإن لم يعترفوا بذلك، فعلى سبيل المثال حدث ما كان لا يمكن أن يصدقه عقل إذ كيف يمكن أن يعقل أن يتمكنوا من سحب كوبرى طوله ٢٠٠ متر ووزنه ٥٠٠ طن مسافة عشرين كيلو متراً عبر ميدان قتال دون أن تصيبه أضرار، ولكن هذا ما حدث بالفعل.

كما أن القيادة الإسرائيلية لم تقرر القيام بهذه العملية إلا بعد بدء الجسر الأمريكى الذى نقل إلى إسرائيل كميات هائلة من الأسلحة والمواد العسكرية. وكذلك بعد أن قدمت أمريكا إلى قادة رسرائيل صورة من التقارير التى جمعتها طائرتا التجسس الأمريكيتان (بلاك بيرس- ٧) والتى أفادت بأن منطقة تمتد حوالى ٤٠ كيلو متراً تكاد تخلو من القوات تقع على الضفة الغربية على جانبى الدفرسوار، وتقابلها على الضفة الشرقية منطقة مماثلة إلا أنها أضيق نطاقاً منها.

. . . .

إنه مما لا شك فيه أن الإسرائيليين نجحوا فى العبور بضربة حظ على الرغم من أنهم لا يعترفون بذلك، ولولا الكميات الهائلة من الدعم الأمريكى التى مكنت الإسرائيليين من القيام بأكثر من ألف طلعة طيران يومياً عبر الثغرة مستخدمة أحد الوسائل المضادة- الإلكترونية لمواجهة الصواريخ السوفيتية.

كما أنه لولا تجاهل إسرائيل الصارخ لقرارات وقف إطلاق النار أكثر من مرة.

لولا ذلك كله لما تمت عملية الثغرة. .

وبالرغم من ذلك فقد أصيب الإسرائيليون بخيبة الأمل مرتين: المرة الأولى عندما فشلوا فى دخول السويس، والمرة الثانية عندما فوجئوا بصمود الجيش الثالث الذى تصوروا أنه سيلقى سلاحه ويستسلم، بل إن قوات مصرية صغيرةتشبثت بمواقعها داخل المنطقة التى ادعى الإسرائيليون أنهم احتلوها. . ولم تستسلم هذه القوات.

. . . .

إننى أرى أن وصف عملية الثغرة بأنها عملية تليفزيونية. . هو وصف دقيق.

وإن كنت أفضل استخدام وصف (معركة الدعاية) لأن العالم ركز اهتمامه عليها بعد

أن توخى الأمريكيون والإسرائيليون قدراً كبيراً من الحرص والعناية فى توجيهها. فقد كان الإسرائيليون يريدون استرجاع صورة الجندى الذى لا يقهر، أما الأمريكيون فقد كانوا يريدون أن يبرهنوا على تفوق أسلحتهم.

لقد كانت معركة الدعاية (عملية الثغرة) معركة حافلة بكثير من الأباطيل التي حاول البعض (الإسرائيليون) أن يؤكدوها وهي أباطيل يمكن أن تولد كثيراً من الآمال الزائفة.

(توقيع)

الخبير العسكري البريطاني

الجنرال ادجار أوبلانس

من يحاصر.. من؟؟

التقيت فى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ أثناء قيامى بعملى كمراسل لليوناتدبرس فى جبهة سيناء، بجندى إسرائيلى (سبق تجنيده فى الجيش الأمريكى قبل أن يأتى إلى إسرائيل) وقبل أن أتحدث إليه، قال لى:

«أتعرف لماذا نشعر باليأس؟».

وقبل أن أرد عليه أو أطلب إليه تفسير شعوره، نظر هو إلى ناحية الجنود المصريين من قوات الجيش الثالث فى الضفة الشرقية للقناة وقال: «لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم لكن انظر إلى روحهم المعنوية المرتفعة؟ إنهم دائماً مستعدون للقتال فى أى وقت، إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن كما ندعى أننا الذين نحاصرهم، اسمع يا سيدى.. إننا لا نريد الحرب هنا.. لا نريد شيئاً هنا..»

وتركنى الجندى الإسرائيلى بعد ذلك ومضى بعيداً عنى.. وكان من الواضح أنه كزملائه يعانى من يأس قاتل.. ولقد أدركت اليوم تماماً لماذا أصدرت القيادة الإسرائيلية أوامرها بمنعنا نحن الصحفيين من التحدث إلى أى واحد من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى الموجودة فى جبهة سيناء.

إن السبب ليس هو الحيلولة دون تسرب الأسرار العسكرية كما تزعم القيادة الإسرائيلية ولكنهم أرادوا بقرارهم ألا ننقل مثل هذه الصورة التى جسدها حوارى مع ذلك الجندى، كما أنهم يخشون من نقل ونشر الشتائم والاتهامات التى يوجهها الجنود.

(توقيع)

المراسل الحربى لوكالة يونيتد برفى ١٣/ ١٢/ ١٩٧٣

«إن القوات الإسرائيلية لم تستطع تطويق الجيش الثالث المصرى إلا بعد قرار وقف إطلاق النار».

(توقيع)

توم شومسكي

فى كتابه «السلام فى الشرق الأوسط»

«طبقاً للمقاييس العسكرية البحتة . . فإن محاولة شارون لإقامة رأس الجسر كانت تمثل «كارثة»، إن القوات التى بدأت العملية كانت تساوى فرقة كاملة، ولكن بعد ١٦ ساعة من النشاط الإسرائيلى الجنونى . . فإن شارون لم يستطع أن ينقل إلى الضفة الغربية من القناة سوى قوة تقل عن كتيبة واحدة، بالإضافة إلى دعم مدرع صغير.

وبالإضافة إلى ذلك كله . . فلم ينجح الإسرائيليون فى إقامة كوبرى أو جسر ويسب إصابة القذائف المصرية لأجزاء الجسر فإنه لم تكن هناك فرصة لإقامته خلال الاثنتى عشرة ساعة التالية.

. . . ولو أخذنا فى الاعتبار كمية النيران التى كانت مستمرة فى الانطلاق خلال كل منطقة المثلث (الطاسة- البحيرات المرة- الاسماعيلية) منذ المساء السابق فإن الإسرائيليين لم يكن لديهم الحق فى أن يأملوا أن تكون فى جانبهم حتى الآن المفاجأة، ولو كانت قوة مصرية مؤثرة من أى نوع قد تدخلت يوم الثلاثاء (١٦/ ١٠) فإنها كانت ستقضى على العملية كلها مهما فعل الإسرائيليون.

إن الخطة الأصلية للقيادة الإسرائيلية العليا كانت تقتضى أن يقوم شارون ولواء تحت قيادته بإقامة رأس جسر وتأمينه، حتى يستطيع العميد أفراهام آدن أن يعبر بعد ذلك فوراً لكى يبدأ الاكتساح فى اتجاه الجنوب بهدف قطع الجيش الثالث المصرى، ولقد كان أصحاب الخطة يقولون إنه بمجرد تمركز القوات الإسرائيلية جنوباً، فإن إسرائيل سوف تحتاج فقط إلى السيطرة على جبهة تمتد خمسة عشر ميلا تقريباً بين الشلوفة والسويس، وهذا يمكنها من احتواء الجيش الثالث.

. . . ولكن فى صباح يوم الثلاثاء كان المصريون قد حطموا كل هذا، حتى أن الأمل فى إقامة رأس الجسر تضاءل تماماً، مما جعل شارون يقول: «فليذهب رأس الجسر هذا إلى الجحيم . . إن الشيء المهم الآن هو أن نتسلل خلف خطوط المصريين».

إن الخطأ من الجانب المصرى يكمن فقط فى نقص الاتصالات العسكرية ونقل المعلومات بسرعة، إذ لم يكن هناك معادل مصرى للدوريات الإسرائيلية ونشاط الاستطلاع، إن القادة المصريين الصغار كانوا ببساطة يحاربون الإسرائيليين بشجاعة خارقة وكفاءة ممتازة عندما كانوا يظهرون أمامهم، ولكن النقص الوحيد هو أنهم لم يقوموا بإعطاء أولوية كاملة لعمل تقارير قتال يتم إبلاغها فوراً إلى أعلى المستويات.

ومع ذلك فإن المصريين تمالكوا أنفسهم وقاموا بهجوم منسق ومترابط ومرتفع للغاية فى يوم ١٦ أكتوبر، ولقد ركزوا هجومهم هذا على المداخل الشرقية لنقطة العبور، ومع أن هذا الهجوم جاء متأخراً فإنه كان فعالا جداً، ونجح تقريباً، لقد جاء الجيش الثانى المصرى من الشمال الى ناحية الجنوب بثقله كاملاً، وتحرك الجيش الثالث من الجنوب شمالا، وكان هدفهما نجدة وتعزيز المشاة المصريين الذين ما زالوا يحتفظون بمواقعهم فى منطقة المزرعة الصينية ضد الطائرات والمدرعات الإسرائيلية.

ولقد كان مقدراً أن يؤدى هذا الهجوم المصرى إلى وضع نهاية للخطط الإسرائيلية لأن انطلاق كمية خطيرة من النيران المصرية من المزرعة كان سيجعل نقطة العبور مجردة من الحماية.

ولقد دارت معركة دبابات قاسية وضارية طوال الليل، وكان المصريون يقاتلون فيها الإسرائيليون دبابة بدبابة، ووصل الأمر إلى أن أحد المهندسين الإسرائيليين عند ضفة القناة قال: «إن المصريين أغلقوا الطريق خلفنا».

ومع الفجر وأثناء اشتعال معركة الدبابات.. بدأ المهندسون الإسرائيليون ينقلون المهمات والمعدات من جديد، ولكن المدفعية المصرية تدخلت فى نفس اللحظة تقريباً.. ويصف أحد الجنود الإسرائيليين هذا الموقف قائلا: «إننى كنت فوق نقالة (معدية مائية) حينما وصلنا إلى الضفة الغربية، وكانت النقالة تحمل عربتين نصف مدرعتين وسيارة جيب وبالضبط فى نفس اللحظة التى وصلت فيها هذه الشحنة إلى الشاطئ الآخر، بدأ قصف المدفعية على الشاطئ تماماً.

ويقول الجاويش (زفى): «مع صباح الأربعاء سيطر المصريون بالنيران علينا فى كلتا الضفتين، ففى اللحظة التى كانت تبدأ فيها نقالة مائية فى الخروج من ضفة متجهة إلى الضفة الأخرى، فإنها كانت تجد أمامها وفوقها سداً مخيفاً ومرعباً من المدفعية المصرية، وإذا وصلت إلى الشاطئ فإنهم كانوا يقصفونها من جديد».

. . . الآن وبعد أن تحرك المصريون أصبح الإسرائيليون يتساقطون قتلى وجرحى بأعداد كبيرة وضخمة .

ولكن كان من الواضح أن إسرائيل تستميت تماماً فى هذه المعركة لأنها سوف تكون العامل المخفف الوحيد الذى ستخرج به فى مقابل النجاح الكامل الذى حققه المصريون طوال الأيام العشرة الأولى، وهذا ما يفسر الخسائر الضخمة التى تحملتها، والمحاولات المستميتة التى قامت بها بواسطة كل أنواع الأسلحة .

. . . (قال ضابط إسرائلى «لقد كنا تحت النيران المصرية طوال الوقت، وكانت هذه النيران خطيرة جداً، وكان جنودنا هدفاً للمدافع والطائرات فى المواقع المجاورة، ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقاً فى هذه المعركة» .

***

وبرغم تلك الاستماتة، فإن الحقيقة هى أن الخطة الإسرائيلية فشلت أصلا، وبشكل درامي . . ولم يتم رتقها إلا بصعوبة بالغة .

وكما اتضح تماماً بعد ذلك فإن هذه العملية الإسرائيلية غرب القناة قد حققت فقط- نجاحاً فى الحد الأدنى من أهدافها السياسية، ولقد كان الهدف السياسى الرئيسى هو رفع الروح المعنوية للرسرائيليين والحصول على ورقة للمساومة بها .

وحتى في هذه الحدود فإن الأمر يحتاج إلى استغلال إسرائيلي وغد وسافل لانتهاكات وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

(توقيع)
اندريه دويتش
(فى كتابه خفايا حرب الشرق الأوسط)

«إن وجود القوات الإسرائيلية غرب القناة كان من الممكن أن يتحول إلى كارثة بالنسبة لإسرائيل» .

(توقيع)
المعلق العسكرى لتليفزيون لندن

«إن الحديث عن الوصول إلى غرب القناة طنطنة لا تفيد، والأولى بكم أن تواجهوا الواقع».

(توقيع)

النائب البريطانى الصهيونى كروسمان

فى حديث إلى زعماء إسرائيل

إن القوات الإسرائيلية فى غرب القناة، كانت رهينة فى أيدى القوات المصرية إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجى كما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر.

يضاف إلى ذلك أنها كانت فى قلب منطقة الحشد العسكرى المصرى، وبناء عليه فإن هذه العملية لم تكن سوى تليفزيونية.

(توقيع)

الخبر العسكرى الفرنسى العالمى ومدير

معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسية السابق

(الجنرال بوفر)

* * *

لقد تميزت عملية الثغرة بالمصادفات (التى وقفت إلى جانب القوات الإسرائيلية) فقد استطاع المصريون أكثر من مرة تثبيت القوات الإسرائيلية المشتركة فى هذه العملية شرق القناة، وعندما أردنا إنزال معدات العبور إلى الماء وتقدم رجال المظلات لفتح الطريق لها لم يسمح لهم المشاة المصريون بالتقدم خطوة واحدة، وانهالت القذائف والصواريخ المصرية، وقتل الليفتنانت كولونيل «جونى» كبير المهندسين المختصين ببناء الكوبرى، وذلك قبل وصوله إلى الماء، وبعد بناء هذا الكوبرى دمر المصريون بعض أجزائه وتركز الهجوم عليه بكافةالأسلحة حتى الهليوكبتر شاركت فى محاولة إحراقه، وكان دور المدفعية المصرية قاسياً.. فلم ترحم الكوبرى أو القوات التى حاولت إقامته».

(توقيع)

الجنرال حاييم هيرتسوج

*** صور لخسائر الإسرائيليين فى عملية الثغرة:**

قال الجنرال آدن [قائد فرقة مدرعة إسرائيلية]:

«ما كادت تمر ثلاث دبابات حتى تعطل الجسر، ثم تلقينا أشد قصف عرفناه.

ومنذ اللحظة التى اكتشف فيها المصريون حقيقة وجود رأس الجسر، وجهوا إليه معظم القوة المدفعية التى كانت فى حوزتهم فى تلك المنطقة، وقد بذلوا جهوداً مضنية لهدم الجسر وضرب القوات الموجودة حوله ثم شرعوا فى إرسال موجات وموجات من طائراتهم نحو الجسر والمحاور المؤدية إليه.

ولم تتمكن طائراتنا الهليوكبتر من انتشال الجرحى..

من عاموس إلى زوجته:

فى مذكراته التى أخذت شكل رسائل بعث بها قائد الجسر الإسرائيلى (عاموس) إلى زوجته.. يتضح جانب من حجم الخسائر الرهيبة التى تكبدتها القوات الإسرائيلية فى محاولة الثغرة.

يقول عاموس (فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٣):

«لا أدرى كيف انقضت هذه الليلة علينا. إن ذلك يعد أعجوبة، لقد أطلق المصريون علينا نيران الكاتيوشا طوال الليل، وكانت قافلة من الذخيرة تقف فى وسط الساحة وخفت من أن تنفجر سيارة الوقود وحقا اشتعلت داخل الساحة سيارة كهذه لكنها كانت بعيدة وقد انفجرت بجانبها سيارة أخري.

لقد كان القصف كارثة.. وكان الرفاق يهجرون المصفحات ويتركونها دائرة، كان القصف المدفعى أكثر الأمور قسوة علينا، ولكن عندما يأتى مع هجوم جوى أيضاً فإن الموقف يصبح أصعب بكثير، فعندما تسقط القذائف من الطائرات تريد أن ترى أين هى لكى تهرب منها، لكى تغير موقعك، بينما يتحتم عليك -مع قصف المدفعية- أن تدفن رأسك فى الرمل».

لقد كان هذا أتوناً بحق. ويبدو أن المصريين قرروا القضاء على الجسر، وقد أنزلوا علينا يوم الخميس ثلاثة أسراب رباعية من طائراتهم، فأصابتنا بالصواريخ إصابات مباشرة، ومن بين من قتلوا ضابط الهندسة».

ثم يوجه عاموس رسالة ثانية يقول فيها:

كان هناك مثلاً قطاع أصبح العبور فيه إحدى التجارب القاسية، لقد كان هناك قصف لا يتوقف، ثم فجأة صراخ: «طائرات.. طائرات..» وأغارت الطائرات المصرية، أما أنا فقد قفزت مذعوراً بينما هي تلقى قنابلها التى أصبت أنا بشظاياها، وتمالكت نفسى، وأخذت أركض باتجاه الجسر، وبنيما كنت أركض مهرولاً، شاهدت أربع طائرات ميج تغير علينا، والتصقت بالحاجز الترابى ورأيت القنابل تسقط، والصواريخ تنطلق، إنها لحظة تشعر فيها بأنها قد ضاقت عليك، لكنها على أية حالة انقضت.

اقتربت من الجسر، ورأيت هناك مسلخاً، ونحو عشرة من الرفاق قد اختبأوا بين الحاجز وبين جرار كان هناك، أغارت عليهم طائرة ميج وأصابتهم جميعاً، وكان كل شيء حولهم يشتعل، كان منهم القتلى والجرحى، قمنا بنقل من بقوا منهم على قيد الحياة إلى محطة تجميع الكتيبة، كانت هناكتلة صغيرة داخل «الساحة» عليها حمالات وحمالات وحمالات.. (نقالات) مغطاة جميعها بالبطانيات، وبمرورك من هناك كنت تشاهد أحذية حمراء وسوداء وخضراء، كنت تشاهد أطراف خصلات الشعر الأشقر والأسود، كانوا بالعشرات والعشرات حتى أننى خشيت أن أرفع بطانية من هذه البطانيات لأننى إذا فعلت ذلك سأرى رفيقاً.

وإننى -يا زوجتى العزيزة- باعتبارى قائداً- كان على أن أقلل قدر الإمكان من الرضوخ لعواطفى فى مثل هذه الظروف وإلا انتهيت، فهناك وظيفة، وهناك ضرورة لمن يشجع الآخرين فلا يجوز أنى يعزى الواحد الآخر.

كنت أفكر ملياً فى تلك الصفوف العديدة من الحمالات (النقالات) فى الليالى الطوال، وانتظرت طلوع النهار لأبتعد عن تلك المناظر، ولكى أتوقف عن الركض فى الظلمة تحت القصف المصرى المتواصل، إننا كنا نتساءل: «ما الذى لم ينزل علينا من ألوان القصف والضرب؟ لا شيء أقل من القذائف عيار ١٦٠ مليمتراً.

... لقد كانت الساعات تمر علينا كما لو كانت -لبطئها- تزحف لا أكثر.

وصورة أخرى يسجلها الضابط طبيب «عيران»:

ماذا تفعل حين تجد أن عليك أن تتلقى الضربات وتتلقى.. وتتلقى. دون أن يكون فى مقدورك أى شيء؟ وكأن أحداً يوقفك فى ركن ويضربك بقبضته، وكل ما تستطيع

أن تفعله أنت هو أن تتلقى الضربات. . لقد كانت هذه هى حالتنا، لكن هناك فارقا بين كسر أسنانك وبين فقدان حياتك. .

أذكر مثلاً أنه حدث قصف شديد، وخرجت بسيارتى الجيب إلى الجانب الآخر حيث كان الجرحى يتزايدون، وعندما عدت من هناك، على الجسر، سقطت قذيفة فى الماء، سقطت أمامى تماماً، ووصلت إلى محطة تجميع الجرحى، فوجئت بقذيفة تسقط على بعد ١٠ أمتار أمامي، نعم عشرة أمتار فقط، قفزت إلى دبابة الإخلاء، وأخذت أطرق لهم على بابها، فاعتقدوا أن ذلك طرق الشظايا المتناثرة ولم يفتحوا أخذت أصرخ وأصرخ حتى يفتحوا لي، ولم يدخلونى إلا بعد أن نفذ صراخى إلى داخل الدباباة، وبعد أن توقف القصف، خرجت منها ولكننى ما كدت أسير قليلاً حتى سقطت قذيفة آخرى فاختبأت فى مكان ما، جلست وطأطأت رأسى، سمعت الصفير وزعقات الشظايا، وبعد أن خف القصف، التفت حولى وشاهدت دبابة تشتعل وكان هناك قبل ذلك طاقم دبابة أخرى تلقى وجبته (من القذائف). وكانت إصابة الأفراد الأربعة مباشرة، ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة»).

. . . .

** ومرة أخري نعود إلى عاموس قائد قوة الجسر. الذى يكتب حلقة أخرى من مذكراته الدرامية فى صورة رسالة ثالثة لزوجته يقول فيها:

«فى يوم ٢٢ أكتوبر وقبل تنفيذ قرار وقف إطلاق النار بفترة بسيطة، كان القصف المدفعى المصرى الأخير مخيفاً وقاتلاً، وما كدت أدخل إلى مجنزرتى حتى سمعنا الصفير، وسقطت قذيفة بالقرب منها، واحتكت بالفولاذ، وانفجرت على مسافة متر واحد منا، كان الانفجار هائلاً، ودخلت الشظايا إلى المحرك واشتعلت سيارة الوقود، وانفجرت سيارة الذخيرة.

استمر سقوط الموت علينا ربع ساعة، وكنت واثقاً أنها نهايتنا. . وسمعت تأوهات الجرحى حولنا فى كل مكان. . كما سمعت أصواتاً تستغيث من كل صوب «يا مضمد. . يا مضمد».

وفجأة ساد الهدوء (بدأ تنفيذ قرار وقف إطلاق النار من قبل القوات المصرية) ساد الهدوء ونحن لا نصدق أننا نجونا. . أو أننا كتبت لنا الحياة. . لقد كلفنا قصف الوداع غالياً».

أخيراً. . ولعل أكبر دليل على فشل وضعف عملية الثغرة، أن مصر عندما وضعت الخطة لتصفيتها (فى أقل وقت كما تعهد اللواء سعد مأمون الذى كلف بالمهمة) سارع هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي، بالسفر إلى القاهرة. . حيث التقى بالرئيس أنور السادات. . وقال له بالحرف الواحد:

«إننا لن نسمح لكم بتصفية القوات الإسرائيلية فى غرب القناة وسوف تتدخل أمريكا ضدكم مباشرة لو فعلتم ذلك!!!».

– وبديهى أنه لولا إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لضعف موقف القوات الإسرائيلية غرب القناة وإمكانية سحقها، لما استخدمت هذه اللهجة، وأبدت هذا الانزعاج عندما كشفت لها أقمار التجسس عن استعداد القوات المصرية المحيطة بها لتدميرها تماماً.

. . . .

. . . .

ثانيا: كيف حاربت مختلف الأسلحة والأجهزة المصرية

١- الحرب السرية.. وتفوق المخابرات المصرية؟

٢- السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها)الطيران)

٣- المدفعية تهدر.. تمهد.. وتدمر

٤- مصيدة الذراع الطويلة

٥- الصاعقة.. اسم على مسمى

٦- السلاح الذى خنق إسرائيل.

٧- أكبرحرب مدرعات فى التاريخ.

٨- المشاة.. والمهندسون..ومشاهد العبور التاريخية.

(١)

الحرب السرية

* الذكاء المصرى يتألق فى الحرب السرية . . « حرب المخابرات»

* ماذا فعلت المخابرات المصرية فى مواجهة مخابرات إسرائيل والمخابرات الأمريكية؟

* الدهاء المصرى يوقع مخابرات إسرائيل فى أكثر من مصيدة

* خريطة (سيريوس) فى أيدى المخابرات المصرية .

* إعترافات خطيرة عن سقوط قلاع السرية الإسرائيلية . « لواحد من أكبر الكتاب الإسرائيلين» .

* كان نجاح المخابرات المصرية وفشل المخابرات الإسرائيلية سبباً فى العديد من المآسى .

***

أكاد أسمعك - أيها القارىء العزيز- - وأنت تقول لنفسك ، بمجرد أن وقعت عيناك على عنوان هذا الباب : « لماذا يخصص المؤلف باباً مستقلاً للحديث عن المخابرات ودورها ، إن الصفحات السابقة - خاصة تلك التى يضمها فصل الإعداد والتخطيط ، وبخاصة فى باب المفاجأة - قد أشارت أكثر من مرة إلى دور المخابرات . فمن يقرؤها . . لابد أن يشم رائحة المخابرات فيها ، أو بتعبير المنظمات الفدائية . . من يقرأ سطراً واحداً من هذا الفصل يكاد يرى البصمات التى تقول «إن رجل المخابرات مر هنا»

ولست أنت وحدك - أخى القارىء - الذى تراوده هذه التساؤلات ، فأنا - قبلك - ترددت كثيراً فى إضافة شىء آخر من دور المخابرات ، فما بالك بتخصيص باب كامل لها؟!

ولك أن تسألنى : « كيف إذن حزمت أمرك . . وقررت أن تضيف هذه الصفحات عن المخابرات المصرية . . والإسرائيلية؟!

وأقول بكل صدق وأمانة إن ملف الحرب السرية الرهيبة بين مخابرات مصر ومخابرات إسرائيل (المدعمة) والتى قالوا إنها أصبحت أسطورة حية فى العالم لقوتها ووصفوا أحد رؤسائها بأنه«نبى». . . . !!

هذا الملف قد أغرانى بإضافة هذا الباب بل أننى أحسست أن الاكتفاء بما قدمت بين السطور السابقة يعنى أننى قد بخلت عليك بمعلومات واعترافات لها قيمتها ووزنها، ويجب ألا يخلو «منها كتاب وثائقى كهذا الكتاب الذى يشرف بالمثول بين يديك».

وعلى أى حال سأترك لك الحكم فيما إذا كنت قد أصبت أم أخطأت بمجرد انتهائك من قراءة هذه الصفحات عن الحرب السرية بين المخابرات المصرية . . والمخابرات الإسرائيلية (الأمريكية) مع تحفظ صغير أسارع إلى تسجيله . . وهو أننى سأعتمد كثيراً على ما كتبه المحرر العسكرى لصحيفة يديعوت أحرونوت . فقط سأسجل - قبل أن نلتقى حول قلم هذا الكاتب الإسرائيلى - بعض النقاط الضرورية .

* فى الحديث عن دور الرئيس أنور السادات الشخصى فى تحقيق المفاجأة أشرت إلى صلته واهتمامه البالغ بالمخابرات.

* كان رجال المخابرات المصرية وراء اكتشاف مواسير النار التى أعدها الإسرائيليون لتدفع اللهب إلى القناة بمجرد بدء العبور المصرى ، لكى تتحول القناة بمن عليها إلى قطعة من الجحيم، ولم يتوقف أكتشاف المخابرات المصرية لهذا السلاح السرى الإسرائيلى عن مجرد تحديد أماكنه وقوته، بل إنها استطاعت أن تحضر عينة من السائل المعد للإشعال . . وتم التدريب على التعامل معه.

* بالرصد الدقيق . . حددت المخابرات المصرية ساعة الصفر (الثانية وخمس دقائق) . وقد ذكرت من قبل قصة هذا التحديد وخطورته.

* قدمت المخابرات للقيادة المصرية بيانات مفصلة عن توزيع الجيش الإسرائيلى فى سيناء ، ومعلومات دقيقة عن القادة الإسرائيلين ابتداء من الجنرال شموئيل جونين إلى قادة الفرق والوحدات مع جدول لكل وحدة ومالها من طاقة وإمكانية للقتال.

* كانت المخابرات وراء تسريب أخبار معينة (مثل الأخبار التى تحدثت عن ضعف مصر وسوريا فى مواجهة القوة الضخمة لإسرائيل) وذلك بهدف تخدير العدو.

* قامت المخابرات المصرية بتأمين سرية الاستعدادات للمعركة، بابتكار أساليب إخفاء جيدة للمعدات ووسائل العبور أثناء وبعد نقلها إلى الجبهة ، وفى نفس الوقت كشفت عملاء المخابرات الإسرائيلية وبالتالى حرمتها من أهم مصادر معلوماتنا.

نماذج تفصيلية لبعض أعمال المخابرات المصرية:

النموذج الأول:

استخدمت المخابرات المصرية الجنرال موشيه ديان شخصياً في الوصول إلى معلومات هامة حول الطيران وشبكات الرادار الإسرائيلية.

كيف حدث ذلك؟؟

بدأت القصة بالاهتمام غير العادى من المخابرات المصرية بكل ما نشر وينشر داخل إسرائيل حول أهم وأتفه الموضرعات بلا تفرقة باعتبار المواد المنشورة مصدراً طيباً من مصادر المعلومات المتعددة.

والصلة بين موشيه ديان وهذا الاهتمام غير العادى من المخابرات المصرية بدأت حين ألقى بياناً وافياً أمام الكنيست عن إسقاط طائرة الركاب الليبية المدنية (التى أسقطتها مقاتلات الفانتوم قبل الحرب بحوالى سبعة شهور، والتى أحدث إسقاطها ردود فعل عنيفة ضد بربرية إسرائيل) وكانت الطائرة قد انحرفت عن طريقها نتيجة خطأ ملاحى، وظهرت على ارتفاع ٢٤ ألف قدم فوق مستوطنة (نسيون) التى تقع غرب رأس سدر بمسافة ٣٢ ميلا بحرياً، وكانت تطير بسرعة ٧٥٠ كيلو متراً فى الساعة فى الاتجاه الشمالى الشرقى فى تمام الساعة الواحدة وأربع وخمسين دقيقة بعد ظهر الأربعاء ٢١ فبراير ١٩٧٣.

وقال ديان فى بيانه إن الرادار الإسرائيلى أوضح الخط الملاحى للطائرة فى الساعة الواحدة وست وخمسين دقيقة بالضبط، وأن الأوامر صدرت فى الواحدة وتسع وخمسين دقيقة لطائرتى فانتوم للحاق بطائرة الركاب، وظلت الفانتوم تدور حول فريستها لمدة سبع دقائق. ثم أطلقت النار وأسقطتها فى الساعة الثانية وإحدى عشرة دقيقة وكانت قد وصلت غرب (رفيديم) بمسافة خمسة وخمسين كيلو متراً، أى على مسافة عشرين كيلو متراً شرق القناة.

وضع ضباط المخابرات المصريون هذا البيان الذى ألقاه ديان فى الكنيست على مائدة البحث والتشريح، واستخلصوا من تلك الأرقام الغامضة أن الرادار الإسرائيلى يقضى دقيقتين فى تحديد مسار طائرة تسير بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة، وأن قيادة سلاح الجو الإسرائيلى تصدر أوامرها بالإجراء المناسب بعد ثلاث دقائق كاملة. ودخلت هذه المعلومات إلى مرحلة أخرى تتصل بالتطبيق فى المعارك الجوية.

هكذا قدم موشيه ديان خدمة ممتازة للمخابرات المصرية اليقظة دائماً. إذ أن هذه المعلومات أضيفت إلى المعلومات التى كانت تستخلصها المخابرات من مصادر أخرى (مثل العميل «فريد» وهو إمرأة فى الأربعين كانت تعمل فى القوات الجوية الإسرائيلية برتبة مساعد، وقد أمدت المخابرات المصرية قبل لجوئها إلى القاهرة عن طريق قبرص، بأكثر من أربعمائة وثيقة هامة).

ولذلك فإنه - على سبيل المثال أيضاً- كان جميع الطيارين المصريين يعرفون ويحفظون عن ظهر قلب كل شىء من محطات الرادار الإسرائيلية ابتداء من محطة «مار الياس» (١٦٧٢٢٤٨٠) (ثابتة للإنذار البحرى والجوى) والتى تقع فى أقصى الشمال، وانتهاء بمحطة (جبل بعون) (١٦١٦٩٤٥٢) فى أقصى الجنوب.

وذلك طبعاً بالإضافة إلى القواعد الجوية بكل تفاصيلها، والأهداف - الأخرى التى تم تحديدها فى مهام الطيارين المصريين!!

النموذج الثانى:

آخر لقطة من الصورة: الزمان: الجمعة ٥ - أكتوبر ١٩٧٣.

المكان: مسكن متواضع فى مدينة القنطرة شرق

ملامح الصورة: فى ذلك المسكن المتواضع فى مدينة القنطرة شرق، كانت إحدى النوافذ مفتوحة على مصراعيها، وفى مواجهتها على الضفة الغربية كانت عربة مدرعة مصرية تقف كأنها فى موقع حراسة عادية، وتحت مدفع «الجرينوف» الذى يعلو الكابينة كان غطاء الفتحة اليمنى مرفوعاً بينما فتحة مدخل السائق محكمة الغطاء، وكان باستطاعة من يلقى نظرة من الجانب الشرقى أن يدرك من منظر هذه العربة التى تشبه ذئباً نائماً أن جنودها قد هجروها بسبب أو لآخر، لكن الواقع أنه كان خلف الفتحةاليمنى عميل من المخابرات يتصل باللاسلكى بجهة ما ليخطرها عن حالة النافذة التى تواجهه فى ذلك المسكن فى القنطرة شرق.

لقد كان هناك فى هذا المسكن عميل بالغ الذكاء، ابتكر وسيلة اتصال غريبة. بأن قسم زجاج نافذة غرفة نومه إلى ثمانية مربعات متساوية. وألصق على كل مربع ورقة بلون مختلف، وكان يقوم بتثبيت مصباح صغير خلف المربع الذى يريد له أن يضىء ولما كانت النافذة تطل على الغرب فقد أمكن لذلك الجاثم فى العربة المدرعة أن

يتبين بسهولة إذا كان الضوء ينبعث من المربع رقم (١) أو المربع رقم (٨) . لقد كان كل مربع من هذه المربعات رمزاً لدرجة الاستعداد فى القوات الإسرائيلية .

وقد استمر هذا العميل يمارس عمله الخطير منذ سنوات ، حتى كان هذا اليوم ٥/ ١٠/ ١٩٧٣ حين ظلت النافذة مفتوحة بصفة دائمة ، ليدلى هذا الجهاز الغريب لنقل الشفرة بمعلومة على جانب كبير من الاهمية ، والخطورة .

وقد انتهى دور هذا العميل – مؤقتاً– فى الساعة الثانية من ثالث أيام القتال بعد أن تم تحرير القنطرة تماماً وانتقل الرجل إلى مكان ما فى القاهرة .

تلك بعض الأعمال والنماذج السريعة لما قامت به المخابرات المصرية فى حرب«الطوفان» كما سجلتها بعض الملفات التى أمكن الاطلاع عليها . أما الآن . . فنقرأ معاً ما كتبه إيتان هير المحرر العسكرى لصحيفة يديعوت أحرونوت فى ٢٥/ ٦/ ١٩٧٤ عن المخابرات المصرية والإسرائيلية .

بالإضافة إلى المفاجأة الكبرى –وهى اندلاع الحرب ، أوقع المصريون الجيش الإسرائيلى بمفاجآت أخرى وقد اتضح فور نشوب القتال أن المصريين تنصتوا على المحادثات التى كانت تدور بين القيادات الإسرائيلية فى صحراء سيناء فهاجموا الوحدات الإسرائيلية بنيران المدفعية وبالطائرات بعد التأكد مما يجرى بين القيادات الإسرائيلية فى سيناء من واقع الأحاديث التى كانوا يستمعون إليها .

وحتى قبل إطلاق الرصاصة الأولى فى الحرب قامت المخابرات المصرية بعمل لم يسبق له مثيل فى حجمه حيث أقامت وحدات استماع ومتابعة ، وكان واضحاً أن هذه المخابرات استطاعت تغطية الوحدات الإسرائيلية سواء كانت على الجبهة أم فى المؤخرة بوحدات مصرية للإستماع والمتابعة ، فكان لكل وحدة إسرائيلية وحدة مصرية على الجانب الآخر ، تتنصت عليها وتتابعها : وهى عملية لم يعرفهاالشرق الأوسط من قبل .

(وقد اتضح – مثلا – بعد أيام قليلة من القتال فى حرب الغفران ، أنه لدى المصريين خريطة إسرائيلية موضح عليها مناطق و أماكن بأسماء كودية وهى خريطة «سيريوس» وهكذا بواسطة رجال المخابرات المتحدثين بالعبرية استطاع القادة المصريون متابعة الخطوات العسكرية الاسرائيلية ، فعرفت المخابرات المصرية الأسماء الكودية الإسرائيلية لمناطق خطوط الجبهة مثل (طرطور) و (لكسيكون) و (عخبيش) و(متسمد) .

فكيف وصلت خريطة سيريوس إلى أيدى المصريين؟

بالتأكيد لن تعرف الإجابة إلى الأبد!

إن حرب الغفران التى ابتدأت بالقصف من الطائرات وبنيران المدفعية والعبور الجماعى قد كشفت عن حرب أخرى هى (حرب العقول) حرب عقول المخابرات من كلا جانبى الحدود غير المرتبطة بتحركات قوات فقط، ولم يكف أى طرف منها عن العمل.

«قرود علي الأبراج»

ويستطرد الكاتب الإسرائيلى قائلا:

منذ أكثر من أربعة أعوام أوقف الجيشان - عبر ضفتى قناة السويس - إطلاق النار، بينما استمرت حرب المخابرات بلا توقف من خلال استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية ومن طبيعة الأشياء أن تدور هذه الحروب وراء ستار من السرية.

والحقيقة التى يجب أن نعترف بها - وإن كانت مؤلمة - هى أن الجندى المصرى قد سجل لصالحه نجاحاً مذهلاً نجح فى مفاجأة جيش الدفاع الإسرائيلى ودولة إسرائيل كلها، بعد أن استطاع المحافظة بسرية كاملة على استعدادته وأخفاها عن الآخرين وهو ما نسميه عندنا فى جيش الدفاع الإسرائيلى بالجهد المانع فى مجال الأمن الميدانى.

ولابد من أن ستنتشر فى السنوات القريبة القادمة تفاصيل أكثر عن عمليات التضليل المصرية السورية التى أركبت وجمدت أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية على السواء.

والحقائق التى تكشفت عن حرب يوم الغفران واضحة، فمنذ أن توقف القتال فى حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧) بدأ مستوى المخابرات المصرية بتحسن تدريجياً بعد أن أجرى تغيير وتنظيم كامل فيها حتى إنه فى حرب الاستنزاف بين إسرائيل ومصر فى صيف ١٩٧٠ كان واضحاً أن هناك تحسناً ملحوظاً فى عمل المخابرات المصرية حيث مكنها من الوصول إلى ما وصلت إليه فى حرب الغفران، فقد أقام هذا الجهاز لنفسه شبكة واسعة من مصادر الجمع والكشف والتنصت لم يسبق لها مثيل فى منطقة الشرق الأوسط على الإطلاق.

وتعمل المخابرات الإسرائيلية الآن جاهدة على تفهم أساليب عمل المخابرات المصرية.

فبعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وحتى قبل ابتداء حرب الاستنزاف، أقام المصريون سلسلة من أبراج المراقبة على طول خط قناة السويس من بورسعيد في الشمال وحتى بورتوفيق في الجنوب ، وكان إستخدام هذه الأبراج بعد كل توقف لإطلاق النار حيث كان من السهل رؤية رجال المراقبة أو القرود كما أطلق عليهم رجال جيش الدفاع الإسرائيلى .

وقد كون العدد الكبير لهؤلاء القرود فوق أبراج المراقبة - كون مع الوقت - صورة واسعة وشاملة لقوات جيش الدفاع الإسرائيلى لأماكنه ونقاطه على خط القناة فلقد عرفوا تقريباً وبالدقة ماذا يوجد فى كل نقطة حصينة، ووضحوا كل موقع لإطلاق النار من الدبابات وكل طريق تسلكه هذه الدبابات ، كما عرفوا سير التدريبات والاستعدادت لجيش الدفاع الإسرائيلى .

ومن أبراج المراقبة هذه استطاعت المخابرات المصرية أن تعرف أيضاً الطرق التى يمكن الوصول منها لقوات معاونة إلى مواقعنا على القناة، وكم تحتاج إليه الدبابة لكى تصل إلى المرابض الخاصة بها .

وهكذا حدث فى ظهيرة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما ابتدأت الحرب، أن عرفت كل قوة مصرية إلى أين ستصل ، وماذا تعمل لكى تمنع وصول معاونه إسرائيلية .

بعد ذلك ينتقل إيتان هير إلي تحرك المخابرات المصرية في العمق الإسرائيلي فيقول:

وبالنسبة لمعرفة ما يجرى فى العمق، كان على المصريين أن يقوموا بطلعات جوية للتصوير، ومنذ وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠ قام المصريون بطلعات استطلاعية لتصوير المواقع والوحدات الخلفية من على بعد من القناة، وكانت الطائرات تقوم بعملها هذا من على ارتفاع منخفض ، وقد صورت فى بعض الأحيان خلايا صغيرة . هذا ولم يكن بالإمكان منع هذه الطلعات .

الاستماع: كذلك طور المصريون فى السنوات الأخيرة وسائل الاستماع العديدة وقد تعلم المصريون اللغة العبرية ليكون استماعهم مفيداً، وقد استفاد المصريون فى أيام الحرب من وسائل الاستماع، حتى إن الكثير من قادة إسرائيل ذكروا أنه بعد وقت قصير جداً من أى اتصال لاسلكى كانوا يهاجمون المدفعية وهذا يؤكد تماماً أن المخابرات المصرية استفادت فى ذلك من وحدات الاستماع التى أقامتها على الجبهة .

المعلومات المنشورة

بعد حرب الأيام الستة قام المصريون بجهد كبير لجمع كل المواد المنشورة عن إسرائيل وقد استفادت المخابرات المصرية بدون شك من الصحف والمجلات الإسرائيلة. واتضح أن رجال المخابرات فى مصر كانوا يهتمون بكل شىء ويجمعون عنه مواد دسمه (من خلال الصحف والإذاعة والتليفزيون) بل إنهم اهتموا أيضاً بالإعلانات و، المنشورات والمعلومات التى قد لا تهم المواطن الإسرائيلى كثيراً، مثل نقاش فى الكنسيت أو تقرير مفتش الدولة.

وقد ظهر نجاحهم فى إعداد ملفات لكل ضابط ابتداء من اللواء (يعقوب دورى المرحوم) ، أو العميد (جدعون شيكون) وما إلى ذلك من حاخامات عسكريين ومتحدثين عسكريين وقادة جدناع، إن لدى المخابرات المصرية معلومات كاملة عن كل هؤلاء (تتضمن تفاصيل تاريخ حياة كل منهم وصوراً مختلفة له)».

عملاء: أكثر المصريون قبل حرب العفران من استخدام عملاء مخابرات لهم من بين البدو الذين يعيشون فى صحراء سيناء، وقد زودوا بعضهم بكاميرات - وأجهزة اتصال دقيقة، كا أن المخابرات المصرية استخدمت عدداً من الطلبة العرب من قطاع غزة القادمين إلى الجامعات المصرية للدراسة.

كما عملت المخابرات المصرية على الإستفادة من مصادر تعمل فى البعثات والسفارات الشرقية فى إسرائيل.

التحليل: استثماراً للمعلومات التى كانت تجمعها المخابرات المصرية من هذه المصادر المتعددة المتنوعة، كان يتم نقلها على الفور إلى الخلف لدراستها وتحليلها . مستفيدة فى نفس الوقت من مؤسسات علمية كمركز الدراسات الفلسطينية فى الأهرام ومعهد الدراسات الفلسطينية فى بيروت.

وتهاوت قلاع السرية الإسرائيلية

إن قلاع السرية لجيش الدفاع الإسرائيلى قد تهاوت وأهدرت فى حرب يوم الغفران كما لم يحدث من قبل.

وقد تكشف المزيد من أسرارجيشنا بعد أن وقع عدد كبير من جنودنا فى الأسر المصرى والسورى، وبعد أن وقعت وثائق ومعدات حربية كثيرة بأيدى المصريين والسوريين وتسريب معلومات دسمة عن أجهزة الاتصال.

إن هذه الحرب مستمرة، ولن تتوقف للحظة واحدة فهذه حرب عقول لا تعرف الليل أو النهار!!

وقال رجلا المخابرات الإسرائيلية

لقد تمكنت المخابرات المصرية من أن تحصل على تفاصيل الخطة الإسرائيلية المضادة لأى هجوم مصرى، بل إن الخطة التى وضعتها القيادة الإسرائيلية لعبور القناة إلى الغرب بواسطة فرقة الجنرال شارون المصرية استطاعت أن تحصل عليها. وتوقعت تنفيذها عند منطقة الدفرسوار، وتم تحصين هذه المنطقة (طوال الأيام الأولى للحرب) بكثافة ضخمة من القوات المصرية.

وأكثر من هذا نجحت المخابرات المصرية فى الحصول على الخريطة الكودية (خريطة بالشفرة السرية) لسيناء بما في ذلك منطقة القناة والضفة الغربية، وكانت القيادة الإسرائيلية قد طبعت تسع نسخ فقط من هذه الخريطة عام ١٩٧٣ ووضحت عليها جميع الأسماء السرية لشبكة الاتصالات الإسرائيلية وقام المصريون بترجمة ذلك كله إلى اللغة العربية، مما يؤكد أن خطة تأمين وسائل الاتصال والإشارة الإسرائيلية كانت فاشلة تماماً خلال حرب أكتوبر الأمر الذى أدى إلى عديد من الأخطاء المأساوية.

ولقد كان أحد هذه الأخطاء وراء مصرع الميجور جنرال «أبرت ماندلر» قائد المدرعات الإسرائيلية فى سيناء (١) الذى تلقى قذيفة مباشرة بمجرد أن ذكر لجونين الإسم الكودى للمكان الموجود فيه».

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتوج
مدير المخابرات الإسرائيلية السابق

" إن الجيش الإسرائيلى، وقعت عليه الحرب كالمفاجأة، وإننى كنت طوال سنوات خدمتى فى المخابرات، يؤرقنى هذا الكابوس، وقد حذرت دائماً من استخدام عنصر المفاجأة ضدنا، وطالبت أكثر من مرة بوجوب قيام مخابراتنا بتحذير الجيش - بمده كافية - عند شعورها بأى تحرك مصرى، حتى لا يحدث مثل ما حدث من تشويش وارتباك فى كل إجراءات استدعاء الاحتياط وإرسال القوات والمعدات إلى الجبهة».

(توقيع)
أهارون باريف
رئيس المخابرات ثم وزير الإعلام الإسرائيلى السابق

السلاح الذى أفقد اسرائيل توازنها

[الطيران]

« . . كنت فى غرفة العمليات أتابع سير المعارك، وأصبت بالدهشة عندما عرض قائد الطيران على قائدى الجيوش البرية تقديم المزيد من المساعدات الجوية قائلاً لهما إن لديه احتياطياً من الطلعات وإنه مستعد وجاهز.

وكان القادة فى الجيشين الأول والثانى يقولون له: شكراً . . إن الطلعات الموجودة الآن كافية تماماً».

وكانت دهشتى لأن المعروف أن قادة الجيوش (البرية) دائماً يصرخون طالبين النجدة من القوات الجوية، ودائماً لا تتوفر هذه النجدة بالكمية المطلوبة أو فى الوقت المحدد.

أما الآن - فى حرب أكتوبر - فقد تغيرت الموازين . . وقائد الطيران هو الذى يعرض على قادة الجيوش أنه لديه احتياطى إضافى وهم يقولون له «شكراً . . لسنا فى حاجة للمزيد»

وقد قال لى قائد الجيش الثانى - بعد الحرب - إنه بعد أن حرر القنطرة دفع العدو بلواء مدرع من الشمال لاستعادتها، فطلب هو مساعدة جوية، ووصلت إليه الطائرات بأقصى سرعة وبدأت معركتها مع المدرعات الإسرائيلية - وأخذ هو يتابعها مبهوراً وهو يرى الطيارين المصريين ينزلون على الدبابات دبابة دبابة بكل ثقة وهدوء أعصاب «واخدين راحتهم خالص والواحد منهم يأخد اللفة بتاعة الدوران مضبوطة، وييجى، ويضرب، ويطلع اللى . . . وراه . . وهكذا . . كل هجمة بعمود نار. كنت واقف أتفرج فعلا عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارينا».

(الرئيس الراحل أنور السادات
فى حديث داخل إحدى القواعد الجوية)

هكذا تحدث القائد الأعلى على القوات المسلحة الرئيس الراحل انور السادات عن دور السلاح الجوى المصرى وقائده (اللواء) حسنى مبارك الذى أدار المعارك الجوية بثقة وتوازن واقتدار فأفقد اسرائيل توازنها، وفتح أبواب النصر، وقد وردت فى الفصول السابقة اعترافات وشهادات أخرى تجد الدور البطولى الحاسم لسلاحنا الجوى، ولكننا يمكن أن نضيف الآن مزيدا من هذه الاعترافات والشهادات

* قام السلاح الجوى المصرى فى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بتنفيذ الضربة الجوية الأولى إيذاناً ببدء القتال.

ولقد كان نجاح هذ الضربة إعلاناً عن نجاح خطة المفاجأة المصرية كما أنها أسفرت عن فقدان العدو لتوازنه، وتخبط وارتباك قيادته فى إصدار القرارات.

وقد اشترك فى هذه الضربة، كما أشرنا - أكثر من ٢٢٠ طائرة ما بين قاذفة وقاذفة متوسطة ومقاتله، وقد طارت تشكيلات الطائرات فى هذه الضربة على ارتفاعات منخفضة جداً فكانت تبدو كأنها ستلامس الساتر الترابى على جانبى القناة.

وقد بدأ التمهيد النيرانى للمدفعية بعد بدء الضربة الجوية بخمس دقائق ولذلك كانت عودة الطائرات بعد قصف الأهداف مهمة صعبة تم التنسيق لها مع قيادة الدفاع الجوى، ذلك أن الوقت بين دور كل طائرة وأخرى عبر ممرات محددة لم يكن يتجاوز بضع ثوان.

والنتيجة العامة للضربة الجوية هى أنها نجحت بنسبة ٩٨٪ وليس بنسبة ٢٥٪ كما توقع الخبراء السوفيت ولم يفقد السلاح الجوى المصرى فى هذه الضربة التى قام بها سوى طائرة واحدة فقط وليس ٣٥٪ من مجموعة الطائرات التى قامت بهذه الضربة وكان الخبراء السوفيت قد توقعوا ذلك.

وقد حققت الضربة النتائج المحددة التالية:

١- شل ٣ ممرات فى مطارات العدو الرئيسية فى سيناء (مجموع زنة القنابل التى ألقيت على مطار المليز مثلا ٦٠ طناً)

٢- شل ٣ ممرات فرعية

٣- إسكات ١٢ موقع مدفعية صواريخ هوك.

٤- إسكات (٢) موقع مدفعية.

٥- تدمير (٢) مركز قيادة رئيسى أحدهما مركز أم مرجم.

٦- إسكات (١) مركز إرسال.

٧- تدمير (٢) موقع ردار

٨- تدمير مركز الإعاقة والشوشرة الرئيسى (مركز أم خشيب) وكان يحوى أحدث الأجهزة الإلكترونية فى العالم ويشكل خطراً على الاتصالات بين القوات المصرية.

ومن الناحية المعنوية فالمؤكد أن الضربة الجوية الأولى أحدثت شرخاً فى الروح المعنوية للجنود الإسرائيليين حينما رأوا فجأة السماء وقد غطتها الطائرات المصرية المندفعة من الغرب لتنقض على مواقعهم فى سيناء كما أن تدمير مراكز القيادة ومركز الإعاقة والشوشرة قد أحدث ارتباكاً بالغاً فى صفوف القيادة.

ومن جهة أخرى فإن الروح المعنوية للمقاتلين المصريين قد ارتفعت تماماً حينما رأوا طائرات سلاحهم الجوى مندفعة نحو الشرق لتوجيه الضربة الأولى - وقد زاد من حماس المقاتلين أن الطيارين فى طريق عودتهم بعد تنفيذ مهمتهم. أخذوا يهزون أجنحة الطائرات تحية لهم وتعبيراً عن نجاحهم فى ضرب الأهداف الإسرائيلية.

* ويقول المشير الجمسى فى مذاكراته عن تلك اللحظات الحاسمة: كانت قلوبنا فى مركز العمليات تتجه إلى قواتنا الجوية تنتظر منها نتائج الضربة الجوية الأولى، وكان دعاؤنا للطيارين بالتوفيق وأن تكون خسائرهم أقل ما يمكن، لأن مثل هذه الضربه الجويه بهذا العدد الكبير من الطائرات ضد أهداف هامة للعدو تؤمنها حماية مكثفة ينتظر أن يترتب عليها خسائر كبيرة فى الطيارين والطائرات، لكن قواتنا الجويه بقيادة اللواء حسنى مبارك حققت نجاحاً كبيراً بخسائر لا تكاد تذكر!!

* هذا.. وقد واصل السلاح الجوى تنفيذ مهامه التى تلت الضربة الجوية الأولى الناجحة تماماً، فقام بمساندة القوات البرية وحماية عملية العبور، وإبرار قوات الصاعقة خلف خطوط العدو، والتصدى مع الدفاع الجوى لطائرات العدو التى حاولت الإغارة على المطارات والحشود المصرية.. ثم قامت الطائرات المصرية بدور آخر لا يقل خطورة عن الضربة الجوية الأولى، وهو ضرب القوات الإسرائيلية فى الثغرة والتصدى للطائرات الفانتوم والميراج خاصة بعد أن أسكتت بعض مواقع الدفاع الجوى فى منطقة الثغرة

وإننى إذ أقرر حقيقة واقعة وهى أن محاولة إعطاء صور البطولات التى قام بها الطيارون المصريون أمر يحتاج لكتاب بل كتب مستقلة، فإننى أحاول تقديم أمثلة محدودة دون التقيد بتمثيل مختلف أنواع الطائرات، وقبل أن نصل إلى هذه الصور نتوقف أمام بعض الحقائق التى سجلها التاريخ باسم الطيران المصرى

١ - ثمة فارق شاسع بين الضربة الإسرائيلية فى يونيه ١٩٦٧، والضربة الجوية المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣، حيث كانت ضربتهم فى يونيه لأهداف سهلة ومكشوفة لا تحميها حتى أجهزة ردار حديثة أو وسائل دفاع جوى متقدمة.

أما الضربة الجوية المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ فتختلف تماماً، فقد كانت عند الإسرائيلين شبكات من الردار تغطى سيناء والمطارات الإسرائيلية فى العمق، وكانت هناك مظلة من الفانتوم والميراج تعمل ليلا ونهاراً وكان لديهم حائط من الصواريخ المتطورة على طول خط بارليف ، بالاضافة إلى القمر الصناعى الأمريكى الذى كان يمدهم بكل المعلومات نتيجة رصده لحركة الطيران والقوات المصرية المختلفة .

٢- كان الوقت المحدد لإعادة التموين بالوقود "(١٤) دقيقة، ولكن أثناء المعركة تم اختصار هذا الوقت إلى (٦) دقائق فقط، وقد كان الإسرائيليون يتباهون بأنهم ينفذونها فى (٨) دقائق .

٣- ضرب رجال الخدمة الأرضية والصيانة أرقاماً قياسية فى أعمالهم المختلفة مل إعادة تموين الطائرات ومثلها بالذخيرة .

٤- فى مساندتها للقوات البرية قامت الطائرات المصرية بضرب تجمعات وطوابير المدرعات الإسرائيلية، وكانت من أجل ذلك تنخفض إلى مستوى قريب حتى لتكاد تلامس الأرض، وكانت الحصيلة النهائية أن مجموع ما دمرته الطائرات من المدرعات والدبابات الإسرائيلية يصل إلى ٤٣٠ دبابة، ومدرعة .

٥- فى معركة كبيرة بين الطائرات المصرية والطائرات الإسرائيلية فوق الدلتا استمرت ٤٠ دقيقة أسقط للعدو ١٨ طائرة ولم يسقط لنا سوى طائرة واحدة .

٦- وقعت معركة جوية أخرى فوق شمال الدلتا اشترك فيها حوالى ٧٠ طائرة مصرية ضد عدد مشابه من طائرات العدو الفانتوم والميراج وقد استغرقت المعركة ٥٠ دقيقة تم فيها إسقاط عدد كبير من الطائرات الاسرائيلية وقد أسقط طيار مصرى واحد ثلاث طائرات فانتوم فى هذه المعركة .

٧-لم يتعطل مطار مصرى واحد طوال الحرب (أكثر من ست ساعات) برغم محاولات الطيران الإسرائيلى المستميتة لتحقيق ذلك .

٨- تمكن الطيار المصرى - قائد الميج ١٧- من إسقاط الطائرة الفانتوم برغم الفارق الرهيب بين إمكانية الطائرة المصرية والطائرة الإسرائيلية المتقدمة جداً .

٩- لأول مرة فى التاريخ تسقط طائرة هيلوكوبيتر طائرة مقاتلة . بل ومن طراز فانتوم

١٠- نجح بعض الطيارين فى إسقاط أربع وخمس طائرات مقاتلة. بل ومن طراز فانتوم

١١- فى الأيام الثلاثة الأولى للثغرة قامت الطائرات المصرية بثلاثة آلاف طلعة قتال فوق منطقة الدفرسوار وقد اشتركت فى هذه الطلعات جميع أنواع الطائرات حتى طائرة التدريب.

١٢- كرر كثير من الطيارين المصريين الطلعات فى اليوم الواحد حتى قام بعضهم بست وسبع طلعات يومياً.

والمعروف أن الرقم القياسى العالمى لا يزيد عن أربع طلعات فقط.

١٣- قام الفنيون المصريون بتطوير الطائرة المقاتلة الاعتراضية الميج ٢١ وجعلوها مقاتلة قاذفة، لتعويض النقص فى القاذفات ولمواجهة السيل المتدفق على إسرائيل الفانتوم والسكاى هوك.

١٤- حقق مهندسو المطارات سرعة عالية فى إصلاح الممرات وردم الحفر وتطهيرها من القنابل بكفاءة مذهلة.

١٥- واصل مهندسو وفنيو المطارات الليل بالنهار فى حماس مذهل لإصلاح الطائرات ورفع كفاءتها بحيث لم تتعطل طلعات العمليات فى أى وقت بسبب عدم صلاحية الطائرات.

١٦- انخفض زمن إقلاع طائرات فى حالة الاستعداد الأولى إلى دقيقتين فقط.

١٧- كان تدمير الهدف المعادى لا يستلزم من الطيار غير هجمة واحدة أو اثنين لا أكثر

وقائع .. وصور من ملفات الطيارين المصريين

هذا المركز الذي يحصى الأفكار في رأس [..!!]

بعد سنة ١٩٦٧ أنشأ الإسرائيليون فى سيناء مركزاً استطلاعياً على جبل أم خشيب وقد بلغ من دقة هذا المركز وآلاته الإلكترونية المتطورة جداً أن أحد القادة الإسرائيليين قال فى وصفه:

«صحيح أن موسى وحده هو الذى تكلم مع الله، أما الآن فلا أحد يستطيع ذلك .. ولكن عن طريق الأجهزة فى أم خشيب نستطيع أن نحصى الأفكار الموجودة فى رأس الله ..»

إلى هذا الحد كان مركز أم خشيب بالغ الخطورة والأهمية، إلى هذا الحد كان الإسرائيليون يطمئنون إلى ما يفعله وسيفعله مركز أم خشيب.

ولذلك . . كان لابد أن تعمل القيادة المصرية حساب هذا المركز فى الضربة الجوية الأولى . . وكانت المهمة الخطيرة من نصيب الطيار المقاتل شريف الذى قال لى : «بوصول تشكلينا إلى الموقع فى الثانية وبضع دقائق من ظهر السبت ٦/ ١٠/ ١٩٧٣ فوجئت بأن عدد الهوائيات المنتشرة فى المركز يفوق الحصر مما أكد لنا خطورة هذا المركز . وقد قمت أنا وتشكيلى على الفور بالانقضاض وإلقاء جميع حمولات طائراتنا الميج ١٧ . . وكانت الدفاعات الجوية الكثيفة حول الموقع قد بدأت تقاومنا فى إرتباك شديد . كان علينا أن نتفادى قذائف المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ هوك وأيضاً الطائرات الفانتوم والميراج .

وقد أدى إصرارانا على تدمير المركز إلى مزيد من الارتباك فى صفوف العدو خاصة عندما اشتبكت مع إحدى طائراته الفانتوم التى حاولت منعنا من تدميره وأسقطتها فوق تحصيناته . . ولعل أكبر دليل على ارتباك الإسرائيليين واستماتتهم فى حماية هذا المركز أنهم أطلقوا صواريخهم دون تفرقة بين طائراتنا وطائراتهم . . وقد انتهت الغارة . . بعد أن وفقنا الله إلى تحقيق النتائج التالية :

١ – تدمير مركز أم خشيب وتعطيله تماماً (لم يعمل إطلاقاً أيام الحرب وقد نقلوا نشاطهم إلى مركز آخر بعيد فى العريش لم يستطيع تعويض هذا المركز) .

٢– إسقاط عدد من الطائرات الفانتوم والميراج .

٣– تدمير قواعد الصواريخ المحيطة بالمركز» .

ضرب طائرات إسرائيلية على الأرض

وليصبح الرد خالصاً..

برغم الفوارق الهائلة بين ظروف الضربة الجوية الأولى التى قامت بها الطائرات المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ ، والضربة الجوية الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧ ، فإن الطيار المصرى تمكن فى ١٩٧٣ من ضرب عدد من الطائرات الإسرائيلية على الأرض وكأنه كان بذلك يرد على ما فعلته الطائرات الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧ .

والقصة بطلها الطيار الشهيد صبحى الشيخ الذى كان قائداً لسرب ميج ٢١ وكان مكلفاً بضرب مطار رأس نصرانى وقد اندفع التشكيل إلى مهمته فى ساعة الصفر للضربة الجوية الأولى، وتم تحقيق المهمة لكن طائرته أصيبت فى نفس اللحظة ،

وكان يستطيع القفز بالمظلة والنجاة بنفسه، لكنه لمح ثلاث طائرات فانتوم إسرائيلية تخرج من دشمتها الثلاثية لتستعد لاعتراض أو بالتحديد لمطاردة الطائرات المصرية التي هاجمت المطار. وهنا قرر الطيار صبحي الشيخ أن يحول طائرته إلى قنبلة (بشرية) يضرب بها الطائرات الفانتوم الثلاث وهي مازالت على الأرض. فصاح في اللاسلكي رداً على زملائه الذين أخذوا ينادون عليه محذرين إياه من أن طائرته ستنفجر، صاح قائلاً "الله أكبر.. تحيا مصر" ثم انقض بالطائرة وسط الطائرات الثلاث فانفجرت طائرته وتوالى معها انفجار الطائرات الفانتوم التي كان لإنفجار قنابلها وذخيرتها دوى رهيب.. وقد أضاف هذا الانفجار تدميراً جديداً للمطار هو الآخر.

وبذلك استشهد الطيار صبحي الشيخ بعد أن حقق التالي:

- ضرب وتدمير المطار الإسرائيلي (رأس نصراني)
- تدمير ثلاث طائرات فانتوم (قبل أن تقلع بثوان معدودات)
- قتل الطيارين الستة الذين كانوا في هذه الطائرات.
- قتل وإصابة عدد غير محدد من جنود وضباط المطار.

الميج ١٧ تسقط الميراج إلى جانب الفانتوم:

ليس هناك مجال للمقارنة على الإطلاق بين إمكانيات الميج ١٧ والفانتوم.. فالأولى تعتبر بالنسبة للثانية نوعاً بدائياً من الطائرات.. ومع ذلك فقد استطاع الطيارون المصريون - بالميج ١٧ - أن يحققوا إنجازات كبيرة، ثم كانت قمة تفوقهم حين اشتبكوا مع الطائرات الفانتوم الإسرائيلية، وتمكن بعضهم من إسقاط هذه الطائرات.

وقد التقيت في إحدى القواعد الجوية بواحد من هؤلاء الطيارين وهو الطيار الشاب (نقولا).. الذي إستعاد بعض ذكرياته عن المعارك الجوية التي خاضها والأهداف التي حققها هو وزملاؤه..

.. وقال لي:

-« في الساعة ٢,٠٥ يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كنا فوق موقع صواريخ هوك في (أبو سمارة) شمال سيناء.

بعد وصولنا (المنطقة الميتة للموقع) أطلق الإسرائيليون صواريخهم علينا، وقد

ساعدنا ذلك فى تحديد مكان الموقع الحقيقى بين المواقع الهيكلية .

وكنت قد تأخرت قليلاً وراء التشكيل الذى أعمل معه نظراً لأننى بعد إقلاعى، وعندما بدأت أرفع العجل، فوجئت بأنه لم يرتفع، وكان الحل الطبيعى أن أعود إلى قاعدتى أو أبلغ قاعدتى فى اللاسلكى ولكن نظراً للأوامر بعدم التحدث فى اللاسلكى (ضماناً للسرية والمفاجأة). ولما كنت مصمماً على عدم العودة قبل مشاركة زملائى فى الضربة الأولى، فقد واصلت الطيران خلف التشكيل الذى سبقنى ٣ أو ٤ كم، وبمجرد أن رأيت زملائى ينقضون على الهدف اشتعل حماسى أكثر واندفعت نحو الموقع وقد أتاح تأخرى تلك الثوانى أن أرى نتائج ضرب زملائى للموقع الذى تم إسكاته تماماً.

والطريف أننى عندما عدت إلى قاعدتى . فوجئت بزملائى وقد انفعلوا عندما رأونى لأنهم توقعوا أننى قد سقطت بعد أن شاهدونى وأنا أطير على ارتفاع أقل من ٥ أمتار تقريباً نتيجة للعطل الذى حدث فى الطائرة .

هذا وقد اشتركت بعد ذلك فى ضرب المستودع الرئيسى للبترول فى شمال رمانة، كما قام تشكيلنا بضرب مدرعات العدو على الساحل الشمالى، وما زلت أذكر منظر الجنود الإسرائيلين وقد تركوا دباباتهم المشتعلة وأخذوا يركضون هنا وهناك فى ذعر تام .

وقد هبطت أنا وزميلى (. .) بطائرتنا إلى ارتفاع منخفض فوقهم تماماً مما أثار رعبهم فأخذوا يلقون بأنفسهم على الأرض ويدفنون وجوههم فى الرمال .

أما المعركة التى قمت فيها بإسقاط طائرة ميراج . . فقد حدثت يوم ١٦/ ١٠/ ١٩٧٣ حينما كان تشكلينا ملكفاً بضرب مدرعات العدو المتقدمة على الطريق الأوسط (لعمل الثغرة) وقد بدأت الطلعة فى الساعة ٤٥ , ١٠ صباحاً ، وكنا ٨ طائرات فقط، وتصدى لنا ٢٤ طائرة معادية . وقد أبلغنا قائد التشكيل بأن توجه حمولاتنا فوق أرتال العدو المدرعة، ثم نشتبك مع طائراته . . وبالرغم من عدم التكافؤ بين طائراتنا وهذه الطائرات المعادية بالإضافة إلى التفوق العددى الذى كان فى صالحهم فإننا استطعنا القيام بمناورات سريعة، وأسقط لنا طائرة واحدة . هذا ولم تحاول الطائرات المعادية الدخول وراءنا إلى غرب القناة لأن الطيارين كانوا من جنوب أفريقيا كما أظهرت علامة السلاح الخاصة بدولتهم» .

*** هو يقود هليوكبتر**

*** وهما يقودان الفانتوم**

*** أى الطرفين يضرب الآخر؟**

لو وضعت هذه المعادلة البسيطة أمام أى طفل لقال بغير تردد: «مسكين طيار الهليوكبتر إن طيارى الفانتوم سيلعبان به كما تلعب القطة بالفأر الصغير ثم تلتهمه».

ولو أضيفت إلى طرفى المعادلة معلومات أخرى تمثل الثقة التى يشعر بها الطيارون الإسرائيليون فى أنفسهم وفى طائراتهم ثم السمعة الدولية التى يحظون بها منذ يونية ١٩٦٧ فى مقابل الصورة المهزوزة للطيار المصرى- أيضاً منذ يونية ١٩٦٧ - حيث كان الطيارون المصريون ضحايا النكسة فلحقت بهم كل الإساءات وسوء التقدير.

لو أضيفت هذه المعلومات إلى طرفى المعادلة ثم وضعت من جديد أمام ذلك الطفل ليستنتج أى الطرفين فى هذه المعركة يدمر الآخر. فإنه أغلب الظن سوف يتبسم ويرفض الإجابة لأن السؤال فى هذه الحالة يعد استهانة بعقله فحين ينعدم التكافؤ بهذا الشكل يصبح الاستنتاج تحصيل حاصل.

ومع ذلك حدث مالا يتوقعه أحد.

وقام الطيار المصرى بما لم يسلقه اليه طيار آخر فى العالم.

. . . ونقرأ القصة المثيرة من أولها:

كان ذلك فى أول أيام الحرب (٦/ ١٠/ ١٩٧٣) حين اجتاز تشكيل من طائرات الهليوكبتر المصرية قناة السويس ليقوم بإبرار مجموعات من رجال الصاعقة فى عمق سيناء وخلف خطوط العدو. وظهرت على الفور طائرات الفانتوم الإسرائيلية التى كانت تبحث كالمسعورة عن أى طائرة هليوكبتر مصرية. لأن معنى وجودها إبرار وحدات من رجال الصاعقة الذين ينتشرون على الفور ويوجهون ضرباتهم الخاطفة المدمرة لخطوط العدو ومواقعه فى العمق.

كان عدد الطائرات الفانتوم ثمانى طائرات. وكان تشكيل الهليوكبتر مكوناً من أربع طائرات فقط.

استطاع الطيارون المصريون أن يقوموا بعدة مناورات أفلتوا بعدها من حصار

الطائرات الفانتوم ، وتمكنوا من إبرار رجال الصاعقة ومعداتهم فى أماكن قريبة من المناطق المحددة .

وبدأت رحلة العودة..

لكن الطائرات الإسرائيلية - وقد أشعل الغضب حماس طياريها - سارعت بمطاردة الهليوكبتر قبل أن تعود إلى مواقعها غرب القناة .

وكان التفوق الساحق فى الإمكانيات والتجهيزات يؤكد أن المعركة لن تستغرق أكثر من دقيقتين) .

عمد الطيارون المصريون إلى استغلال ما لدى الهليوكبتر من إمكانيات محدودة مثل «الطيران العمودى، والهبوط الرأسى، والوقوف فى الجو، وتغيير السرعة والاتجاه فجأة. ثم الطيران المنخفض جواً» وقد استطاعوا بمناوراتهم البارعة الهروب من الصواريخ التى أخذت تطلقها طائرات الفانتوم المسعورة .

ثم حدثت المفاجأة المذهلة .

لقد شاهد الطيار المصرى - قائد الهليوكبتر الثانية فى التشكيل - أمامه مباشرة وفى مواجهته إحدى الطائرات الفانتوم التى قرر طيارها إرباك الهليوكبتر بحدة الاندفاع نحوها لكن الطيار لم يشغل نفسه فى إمكانية تفادى هذه المناورة .

وبسرعة خاطفة وذكاء متقد ، قرر أن يقبل المواجهة غير المتكافئة وهو يصيح فى اللاسلكى لقد أخطأ ابن الـ . . . » وضغط بأصبعه لكى تنطلق صواريخه (المضادة للدبابات) نحو طائرة الفانتوم التى كانت قد اقتربت تماماً باندفاعها الحاد. وفى أقل من ثانية انفجرت هذه الطائرة ولم يستطيع طياراها أن يتمكنا من القفز منها واحترقا بداخلها . .

تلك هى القصة .. التى قلبت كل الموازين..

لكن الدهشة تتضاءل حين يعرف الإنسان المحايد أن الصورة التى رسمتها الدعاية الإسرائيلية للطيار المصرى كانت كاذبة تماماً وقد دفع الإسرائيليون أنفسهم ثمن هذا الكذب حين أثبتت معارك أكتوبر ١٩٧٣ أنه طيار كفء وذكى وجرىء إلى أقصى حد وأن لديه من الدوافع الوطنية القومية ما يجعله يقتحم أعتى المخاطر ويقبل أصعب التحديات حتى لو كانت مثل تلك المواجهة بينه فى طائرته الهليوكبتر وبين طيارين إسرائيليين فى الفانتوم المقاتلة الحديثة جداً .

من أوراق المقاتل طيار جلال:

في يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ظهر تشكيل إسرائيلى قادماً فى اتجاه أحد مطاراتنا وصدرت الأوامر باعتراض هذا التشكيل قبل الوصول إلى الهدف . وكانت مهمتى حماية قائد تشكيلينا الذى بدأ يصوب مدافعه على إحدى الطائرات المعادية، شاهدت طائرتة فانتوم تحاولان الهجوم على طائرتى من الخلف . . فقمت بعمل مناورة حادة ووضعت إحداهما فى مجال مدفعى وأصبتها، وهربت الثانية ، وفى أثناء قيامى بحماية المطار تعطلت إحداهما فى مجال مدفعى وأصبتها ، وهربت الثانية ، وفى أثناء قيامى بحماية المطار تعطلت طائرتى ووقف المحرك تماماً. كان المفروض أن أقفز بالمظلة، لكننى مع تكرار المحاولة وفقنى الله إلى إدارة المحرك مرة أخرى ودارت الطائرة فى الوقت الذى كانت قد هبطت فى إلى ارتفاع أمتار قليلة من الأرض وراقبت كمية الوقود فوجدتها كافية وبالتالى توجهت على الفورلتعزيز زملائى وقمت فى نفس الاشتباك بإسقاط طائرة أخرى فانتوم.

وفى يوم ٢١ أكتوبر كلفت بمهمة حماية طائرتنا القادمة بعد ضربها لقوات العدو فى الثغرة وشاهدت تشكيلا من الميراج المقاتلة وراء قاذفاتنا ، فقمت بعمل مناورة جادة وفجأة أصيب قائد تشكلينا ولمحت الطائرة التى أصابته فقمت بعمل مناورة أخرى ودخلت خلفها وأصبتها بنيران مدفعى وأخذت بثأر زميلى الذى أصيبت طائرته.

وبذلك يكون مجموع الطائرات التى أسقطتها للعدو ثلاثاً . . واحدة ميراج واثنتان فانتوم. هذا بالرغم من أننى لم أشترك فى المعارك إلا ابتداء من ١٤ أكتوبر».

*** وكانت بطولات الفنيين من رجال الطيران بلا حصر:**

ويكفى أن نذكر ما فعله المساعد الميكانيكى بإحدى القواعد الجوية حين التقط قنبلة زمنية ألقتها طائرة إسرائيلية، فأخذت تتدحرج فوق منزل يؤدى إلى دشمة طائرة. التقطها المساعد الفنى على الفور وهو يعلم أنها قد تنفجر فى أية لحظة ثم جرى بها خارج القاعدة وألقاها بعيداً ، وما كاد يلتفت عائدا حتى انفجرت محدثة تدميراً كبيراً فى الأرض الفضاء!!

حقائق أخرى عن الطيران المصرى:

تجلت دقة التدريب والتخطيط واتنفيذ فى تحقيق انجازات رائعة بكل المقاييس مثل:

١- إقلاع أكثر من ٢٠٠ طائرة من القواعد الجوية المصرية المنتشرة فى كافة المحافظات بطول مصر وعرضها فى توقيتات معينة بحيث تلتقى كلها فى لحظة واحدة لتنطلق معا فى مهمتها (توجيه الضربة الجوية الأولى).

٢- نجاح توجيه الطائرات لكى تدخل فى وقت واحد على أول كشف رادارى للعدو لتتمكن من تنفيذ المفاجأة.

٣- عودة الطائرات بعد تنفيذ الضربة الجوية الأولى من ممرات محدودة ونجاحها بالتالى فى تجنب تعامل المدفعية المصرية مع الأهداف المعادية، حيث كانت ستتعرض للخطر لو عادت بالشلل التقليدى بينما مدفعيتنا تشغل المنطقة بنيرانها.

٤- أنشىء فى أغلب المطارات أكثر من ممر واحد، بعضها متواز، ليسهل الإقلاع والهبوط فى مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات وليكون كل نهم بديلا للآخر.

٥- تم تمويه الدشم ببراعة فائقة باستغلال البيئة المحيطة بها، كما موهت بعض الممرات مما يجعل رؤيتها من الجو أمراً صعباً للغاية.

٦- ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض، برغم أن فكرة البالونات ألغيت تماماً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

٧- استحدث أسلوب أستخدام طائرات إعادة الإذاعة لنقل المعلومات إلى الطائرات أثناء الطيران المنخفض حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جداً إلا للطائرات التى تكون على ارتفاعات عالية.

٨- توصل مهندسو المطارات - بالتنسيق مع أجهزة القطاع العام، إلى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التى تحدثها القنابل فى الممرات، ويتم ذلك خلال ساعات معدودة (بعد أن كان يحتاج إلى وقت طويل).

٩- اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتى لكل مجموعة طائرات فى إعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ فى زمن قصير جداً حتى أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها لا تتوقف لحظة.

***

شهادات تاريخية للطيران المصري

* قال الجنرال «ستيج لوفجرين» وهو أحد قادة القوات المسلحة السويدية.

«لقد استطاع الطيارون المصريون (بواسطة الطائرات الميج ٢١) سد الثغرات بين سدود وأحزمة نيران وحدات الدفاع الجوى المصرى، وصنعوا بذلك أسلوباً متكاملاً لأحدث خطط الدفاع الجوى القائمة على الطائرات جواً ووحدات الصواريخ والمدفعيات أرضاً، كما عمل الطيران المصرى إلى جانب الدفاع الجوى من خلال شبكات إنذار جيدة، وقيادة واعية».

* أما الكاتب الخبير الأمركى روبرت هونز فقد قال - بشكل تفصيلى أكثر - فى دراسة طويلة له بمجلة «أفيش ويك» نشرها فى يونية ويولية ١٩٧٥ :

«كانت سنة ١٩٦٧ بالنسبة للأمة المصرية - العربية كارثة، وقد استطاعت هذه الأمة أن تنهض بعد ذلك، وتقوم بإنجازات الحرب فى ١٩٧٣، وأن يدخل طياروها بعد هزيمة مدمرة لقواتهم فى ١٩٦٧، أشرس المعارك الجوية ضد الطيران الإسرائيلى ويقاتلوا بندية له حرمته تفوقه الذى اعتاد عليه، بل، وينتزع الطيار المصرى السيطرة على الجو بعد أن كانت للطيران الإسرائيلى دوماً هذه السيطرة. لقد استخدمت القوات الجوية المصرية أسلوباً جديداً فى الاستطلاع والقيادة والسيطرة مع تعاون تام مع قوات الدفاع الجوى، وكانت النتيجة أن السلاح الجوى الإسرائيلى تعرض لخسائر فادحة فى الطيارين والطائرات، حتى إن إسرائيل لم تعاود الهجوم بعد الأيام الثلاثة الأولى من الحرب بطائراتها «ماكدونالد دوجلاس» (سكاى هوك) ولقد قام المصريون بتدعيم كافة مطاراتهم ومراكز القيادة ومواقع الرادار.

* كما قاموا ببناء الدشم من الأسمنت المسلح كحظائر للطائرات، كذلك مخازن الوقود ومعدات التسليح والأسلحة، كما طورت ممرات الطائرات لتكون مجهزة لانتشار الطيارين، واستخدامات الطوارئ للعودة السريعة إلى ميدان المعارك الجوية.

* كما تلقت مجاميع كبيرة من وحدات الإصلاح الميدانى تدريباً خاصاً يتفاوت- بين الإصلاح السريع لممرات الطائرات، والإصلاح الفورى للأعطال الميدانية التى تصيب الطائرات والصواريخ والرادارات والمركبات.

* وقامت القوات الجوية المصرية وقوات الدفاع الجوى ببناء شبكات محكمة من المواقع البديلة والمجهزة بأجهزة الإنذار والطائرات والصواريخ الهيكلية، وكذلك

شبكات اتصال خداعية، وقاموا بتحريك قواتهم المقاتلة الحقيقية فى إطار هذا التركيب لإرباك العدو وتضليله.

. . . ويعد هذا العمل من الإنجازات الهائلة التى تتطلب جهداً عصبياً مضاعفاً، ولذلك كان عدد الهجمات الجوية التى شنتها القوات الجوية الإسرائيلية على تلك المواقع الهيكلية كبيراً.

ومن جهة أخرى فإن المهندسين المصريين استحدثوا إضافات إلى المعدات الروسية الجوية والأرضية لتحسين أدائها فى أثناء القتال، تبعاً للظروف الخاصة التى يواجهونها.

المدفعية تهدر .. تمهد .. وتدمر !

بعد اندفاع الطائرات المصرية نحو أهدافها فى سيناء، لتحقق الضربة الجوية الأولى، أصدر قائد المدفعية أمره «النيل . . اضرب» فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف، وأماكن تمركز احتياطيات العدو.

وبينما استمر أكثر من ألفى مدفع ميدان ومتوسط وثقيل وصواريخ وهاونات تصب قذائفها على خط بارليف ونقطه الحصينة وغير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل، راح عدد من المدافع يطلق بالرمى المباشر على مزاغل الدشم ونقط النيران المكتشفة، ويفتح الثغرات فى مواقع الأسلاك الشائكة والألغام.

وفى اللحظات نفسها التى بدأ فيها التمهيد النيرانى، وتحت ستر النيران المتدفقة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب الدبابات الموجودة فى العمق القريب (على الضفة الشرقية وخلفها) وتبث الألغام والشراك فى المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطيات العدو المدرعة المحلية لتمنعها من التدخل فى اقتحام القناة- بواسطة القوات الرئيسية- الذى سيتم بعد دقائق.

ولعل خير ما يشهد على قوة وعنف ودقة التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية أن معظم بطاريات المدفعية الإسرائيلية (بالتحديد أكثر من ٩٠٪ منها) تم إسكاتها منذ اللحظات الأولى، ولم تتمكن من توجيه ضربات مؤثرة إلى قواتنا. وقد كان لهذا النجاح السريع والساحق أثره الكبيرة على سير عمليات العبور والاقتحام وعلى معنويات المقاتلين من الطرفين. فقد تأكدت ثقة المقاتلين المصريين فى السلاح

والتخطيط الذى وضعته القيادة، وأصيب جنود العدو فى الخطوط الأمامية بإحباط شديد نتيجة فشل الدعم المدفعى الذى طلبوه.

صرخ قادة إسرائيل وضباطها من هول الجحيم الذى أطلقته عليهم المدفعية المصرية بقيادة الرجل الذى كان مثالاً لهدوء الأعصاب وسلامة التفكير الفريق محمد الماحى.

أرقام من واقع التمهيد للمدفعية المصرية:

١- كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة فى الثانية الواحدة.

٢- كان وزن الدانات التى أطلقت ٣ مربع كجم.

٣- كان عدد القذائف والطلقات التى صبتها المدفعية فى الدقيقة الأولى فقط ١٠٥٠٠ طلقة وقذيفة.

دور المدفعية المصرية في صد الهجمات المضادة:

بطبيعة الحال لم يكن دور المدفعية المصرية مقصوراً على التمهيد النيرانى، ولكنها ظلت تطور أدوارها حسب تطور العمليات القتالية. ولقد كان لها فى صد الهجمات الإسرائيلية المضادة ضد القوات التى اقتحمت القناة والساتر الترابى وخط بارليف وأخذت تقيم رؤوس جسور، دور كبير تلخصه هذه الكلمات لجندى إسرائيلى:

«لقد تعرضنا لستار من المدفعية لا يمكن وصفه، فلقد انصبت من كل جانب قذائف المدفعية الثقيلة والصواريخ ونيران الدبابات. وقد تمكنا من شق طريق لنا، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات؛ إذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية العنيفة، حتى احترق كل شيء حولى، وكان زملائى يصرخون ويقفزون من دباباتهم».

أمثلة لما قامت به المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة:

فى الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المصرية التى اقتحمت القناة وتمركزت شرقاً، قد استولت على أكثر من نصف النقط الحصينة من خط بارليف، وحاصرت الباقى، واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق، وقبل أن يبزغ فجر يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت هذه القوات قد وصلت إلى عمق من ٥-٦ كيلو مترات، وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة، وخلال نهار هذا اليوم بدأت القوات فى تطوير هجومها شرقاً، ووصلت إلى

عمق من ٨-١٠ كيلو مترات؛ حيث بدأت تستعد لصد الهجمات الإسرائيلية المضادة .

وفى فجر الإثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦-٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاه ميكانيكى للعدو مدعم بعدد كبير من الدبابات، وقد تجمع على الطريق الأوسط ليعيد الملء .

بسرعة تم تقدير الموقف، واتضح أن هذا اللواء المدعم فى مرمى نحو ٢٠ كتيبة مدفعية واقترح قائد مدفعية الجيش الثانى على اللواء سعد مأمون قائد الجيش أن توجه المدفعية، قصفة شاملة للواء الإسرائيلى قبل أن ينتهى من إجراءات إعادة الملء فوافق القائد على ذلك، وعلى الفور تم تأكيد إحداثيات مكان اللواء . وهدرت مدافع العشرين كتيبة لتصب نيرانها الكثيفة لمدة عشر دقائق على هذا اللواء، وقد حقق القصف الدقيق نتائج حاسمة؛ إذ اشتعلت الحرائق فى كل مكان، وتم التقاط استغاثات قائد اللواء الإسرائيلى وبلاغاته المتلاحقة عن خسائره الفادحة .

هل كان هناك ضابط مدفعية مصري يقف فوق دبابة عساف ياجورى؟

تعددت وتنوعت المعارك التى اشتركت فيها المدفعية المصرية بكفاءة نادرة، حتى إن العقيد عساف ياجورى قائد اللواء المدرع (١٩٠) عندما تم أسره بعد تدمير لوائه بواسطة قوات الفرقة الثانية مشاة بالتعاون مع احتياطى المدفعية المضادة للدبابات، قال مصوراً دقة القصف المدفعى المصرى، وكيف أسهم فى تكبيده خسائر جسيمة فى قواته قبل أن يدخل المعركة المباشرة :

«لقد تعرضت قواتى طوال تقدمها من (بالوظة) وحتى قيامها بالهجوم المضاد فى قطاع "الفردان" لقصف مؤثر من المدفعية المصرية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠٪ من المشاه الميكانيكية التابعة للواء ١٩٠ .

لقد كنت أتصور أن دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابتى ويصحح نيران المدفعية على قواتى» .

والواقع أن عساف ياجورى لم يكن مبالغاً فى تصويره وتحليله لدقة القصف المدفعى المصرى، ولعله لم يكن يتصور أن ضباطاً من المدفعية كان قد تم دفعهم منذ

اللحظات الأولى للحرب فى العمق لهذا الغرض، وهو تصحيح مسار النيران لتصيب احتياطيات العدو المتقدمة.

بل إننى أضيف من واقع معلوماتى الشخصية والمؤكدة أن قائد مدفعية الجيش الثانى اللواء محمد عبد الحليم أبو غزالة- تقدم أكثر من مرة بين مواقع العدو، وقام بنفسه بتصحيح النيران لقواته مما أعطى المثل لضباطه وجنوده وزاد من اشتعال حماسهم وحرصهم على تحقيق أدق النتائج طوال أيام الحرب. ولعل ما تعرضت له قوات الثغرة الإسرائيلية من قصف مدفعى رهيب صرخوا بسببه يؤكد أن المدفعية المصرية واصلت أداء دورها الكبير حتى لحظة توقف إطلاق النيران.

* وهذه شهادة أخرى للمدفعية على لسان الچنرال "يورى دان" الذى يقول:

«كان ضباط الاستطلاع المصريون (ضباط المدفعية الذين يقومون بتصحيح الضرب) يختبئون بالقرب من قواتنا ويتجولون هناك، وكانوا يوجهون مدفعيتهم إلى المظليين (الذين طلبنا مساعدتهم فى مواجهة كمائن المشاة المزودين بالصواريخ) وكلما كان هؤلاء المظليون يتحركون، كان هؤلاء الضباط يوجهون مدفعيتهم نحوهم.. ولقد كانوا يفعلون ذلك فى الليل أيضاً بمساعدة القنابل المضيئة.

لقد كانت قذائف المدفعية المصرية قاتلة. كانت تصيب الأفراد والأشجار وتنفجر فى الجو وكانت الشظايا رهيبة، وفى ثلاث حالات(فى هذه المعركة) سببت القذائف انهيارات دفنت جنودنا فى حفرهم.. وقدتكبد رجالنا من المظليين نحو ٥٠٠ قتيل وأكثر من ٩٠٠ جريح فى هذه المعركة..

ولكن..

هل كان دور المدفعية محصوراً داخل استخدام المدافع المختلفة؟ إن هناك البعض الذين لا يعرفون حتى الآن أن المشاة الذين تصدوا للدبابات الإسرائيلية بصواريخهم وقذائفهم يتبعون سلاح المدفعية. ومن خلال هذه الحقيقة يتضح لنا حجم الدور الهائل الذى قامت به المدفعية المصرية فى طوفان أكتوبر.

و.. نتوقف الآن.. أمام بعض الوقائع والمواقف والصور.. صائدى الدبابات!!

صائدو الدبابات

«لا يفل الحديد إلا الحديد» هذا مثل شائع، ولعله حكمة عالمية لم تتكون إلا بعد

مقدمات طويلة ومتنوعة ضربت جذورها فى أعماق التجربة الإنسانية.

وكانت ترجمة هذا المثل أو تلك الحكمة فى ميادين القتال ما اصطلح عليه العسكريون من أن الدبابة لا يوقفها إلا دبابة أو مدفع ضخم تحيط به التحصينات» .

وقد أصبحت هذه الحقيقة نظرية عسكرية لا تقبل الجدل.

لكن المقاتل المصرى والسورى قدم للعالم وللعسكرين ضمن ما قدم من مفاجآت تلك المفاجأة التى قلبت هذه النظرية الثابتة.

فهو لم يوقف فقط الدبابة الإسرائيلية . . لكنه تصدى لها، ودمرها وقتل أو أسر طاقمها من جنود المدرعات الإسرائيليين . .

وليس هذا فقط . . لقد تكرر مشهد مثير شهدته ميادين القتال حين كان الجندى المشاة . . يطارد الدبابة الإسرائيلية . . وتجرى هى أمامه بحجمها الضخم وطاقمها المتحصن داخل دروعها الصلبة - تجرى أمامه مذعورة مرتبكة. ولعل أكثر الروائيين خيالاً ما كان ليتصور هذا المشهد الغريب المثير ، بل إن كُتاب مسرح العبث ما كانوا ليتخيلوا هذه الصورة.

وقبل أن نستعرض معاً بعض أوراق ومواقف صائدى الدبابات نلقى نظرة على ما قاله واحد من أكبر معلقى إسرائيل، ثم ما قاله كاتب فرنسى كبير.

" كنا نعتقد أن الدبابة تسحق دائماً قوات المشاة، وقد أدهشنا أن يقوم المصريون بالهجوم على الدبابات، وكان لدى هؤلاء الجنود المشاة الشجاعة لإطلاق هذه الصواريخ على المدرعات الإسرائيلية» .

(توقيع)

المعلق الإسرائيلى زئيف شيف

« اندفعت الدبابات الإسرائيلية لتهاجم الجنود المشاة، وكانت مقتنعة تماماً بأنها تستطيع القضاء عليهم بأسرع ما يمكن ، لكنهل فوجئت بأن عليها أن تواجه دفاعاً مخيفاً وخارقاً. بل إنها واجهت شراسة مميتة من جانب المقاتلين العرب إذ إن المشاة المصريين كانوا مزودين بالصواريخ المضادة للدبابات من طراز «ساجر» و «سواتر» (شميل) بواقع صاروخ لكل ثلاثة رجال. على أن استخدام هذه الصواريخ لا يتطلب مهارة معينة بقدر ما يتطلب شجاعة من الجندى الذى سسيقذفه ، فهو يتكون من

صاروخ يمكن حمله، وحقيبة صغيرة، ونظارة لتحديد المرمى. ويستطيع الجنود وهم متربصون خلف أحد التلال أو حتى وهم على الأرض المكشوفة أن يتوقفوا. ويدمجوا عناصر الصاروخ المختلفة ويفتحوا النيران. ويكفى الجندى عادة متابعة الهدف المتحرك (سواء كان دبابة أو عربة مصفحة نصف مجنزرة) من خلال نظارة المرمى، ويقوم جهاز الصاروخ الخاص بتحديد الهدف، ثم يقوم الجندى بباقى العملية بتوجيه الصاروخ بواسطة سلك رفيع جداً.

ومن المعروف أن مدى هذه الصواريخ يصل إلى ثلاثة كيلومترات، وتحديده للهدف شبه مؤكد. وقد نجح المشاة المصريون فى القضاء على كتائب مدرعة كاملة مثل كتيبة «برين» التى أمطرتهم بنيران مدفعيتها ولكن دون جدوى.

وقد روى جنود المدرعات الإسرائيليون الذين أصابهم الذعر مما شاهدوه فقالوا:
" كنا نضرب ونضرب وكانوا هم يأتون دائماً!!

وقد كانت هذه المفاجأة فى تكتيك العمليات من الأمور المثيرة للدهشة والاستغراب إذ إن إسرائيل لم تكن تجهل وجود هذه الصواريخ، وكان الصاروخ «آر. بى. جى ٧» الذى صنعه السوفيت فى عام ١٩٦٤ قد تبادلته جميع الكتب العسكرية لجيش «تسهال» بالوصف الدقيق. أما فيما يتعلق بالصواريخ (شميل) أو الصواريخ (ساجر) فقد استعملت من قبل فى حرب الأيام الستة، وحرب الاستنزاف .. والحقيقة أن ما أثار دهشة الضباط اليهود هو استخدام المشاة المصريين لمختلف هذه الصواريخ، وبأعداد كبيرة.

وقد تم تدمير عدد كبير من المدرعات الإسرائيلية (على أيدى المشاة المصريين حاملى الصواريخ) وقد اضطر عساف ياجورى أحد قادة المدرعات الإسرائيلية (قائد اللواء ١٩٠) إلى أن يترك دبابته الستوريون وهى مشتعلة، ويسلم نفسه أسيراً فى أيدى المصريين.

(توقيع)
جان كلود جيبوه
الكاتب الفرنسى ومؤلف كتاب
(أيام إسرائيل الرهيبة)

من أوراق «عبدالجابر» أحد قادة مجموعات صائدي الدبابات

فى ساعة الصفر كنت أتمركز مع أفراد القوة التى أقودها، وهم من رجال المدفعية

المشاة الذين تم تسليحهم بالصواريخ المضادة للدبابات إلى جانب القواذف وغيرها من الأسلحة. كنا نتمركز على مصاطب الساتر الذى أقامته قواتنا على الضفة الغربية للقناة لكى نصطاد من فوقها مدرعات العدو التى سوف تنطلق فى اتجاه القناة للتصدى لموجات العبور الأولى.

وبالمناسبة هذه المصاطب أعطتنا دفعة قوية لأنها كانت مسيطرة تماماً على شرق القناة، وكنا بمجرد أن صعدنا فوقها قد ألقينا نظرة على الضفة الشرقية حيث تعرفنا فى مشروعات التدريب على كل ما يتوقع أن يحدث فى المعركة. كان كل شىء محسوباً بدقة بحيث إننا بعد عبورنا فى الساعة (كذا) سيقابلنا احتياطى مدرعات العدو (كذا).

وأعود إلى أول عمل لقواتنا .. فى الساعة ٢,٢٠ ظهراً ظهرت دبابة ومجنزرة إسرائيلية على طريق الشط (على بعد بنحو كيلو متر من القناة) وعلى الفور أطلق اثنان من صائدى الدبابات صواريخهما فانفجرت بمن فيهما من أفراد. واستمر اصطيادنا لأى مدرعة يدفعها العدو نحو القناة.

وبعد آخر ضوء بحوالى ساعة. كنت مع زملائى موجودين شرق سرابيوم فى منطقة أطلقنا عليها منطقة «البرميل» (وذلك لأننا عند قيامنا بالاستطلاع قبل العبور حدد لنا قائد التشكيل هذه المنطقة التى كان يشير إليها برميل سولار وضعه فيها العدو).

قمنا بالتمركز فى هذه المنطقة. وأعددنا الحفر اللازمة وكان علينا سد الكوبرى.

بدأ العدو فى الهجوم المنظم على الجانب الأيسر، واستطاع اللواء الذى كان يقوده المقاتل عادل يسرى أن يصد الدبابات المعادية، وقد تمكنت (١٢) دبابة منها من الدخول فى «الفاصل» الذى تحتله قوتى .. وكان موجوداً بالقرب منى فى ذلك الوقت المقاتل (....) وعند سماعى لصوت جنازير الدبابات المقتربة، طلبت منه الإضاءة، وماإن انكشفت أمامنا حتى انهالت عليها الصواريخ وقذائف الـ آر. بى. جى، وتم تدمير سبع دبابات وهربت خمس دبابات إلى منطقة تسمى قرية الجلاء. وصدرت لنا الأوامر بالتحرك جنوباً والتعامل مع هذه الدبابات الخمس، وبمجرد أن تمت إضاءة المكان حاولت الهروب بأقصى سرعتها، لكن أفراد القوة كانوا أسرع فى تدميرها عن آخرها. وكنا قد انتشرنا حولها فى شكل حدوة حصان. وعندما تحركت فى اتجاه الشرق زمجرت صواريخنا التى انطلقت من كل جانب بوميض أحمر وهى

تتجه إلى هدفها، ومثلما حدث فى المعركة الأولى. فقدت دبابات العدو توازنها وفشل قادتها فى تحديد الأماكن التى تطلق منها الصواريخ، فكانت تحركاتهم مضطربة ومرتبكة والطريف أنه مما كان يساعدنا على تحديد أماكن هذه الدبابات. أن انفجار كل دبابة بذخيرتها كان يحدث ضوءاً قوياً نستغله فى توجيه المزيد من الصواريخ أو اصطياد الأفراد الذين يقفزون من الدبابات المشتعلة.

وكانت دقة زملائى فى إصابة مدرعات العدو موضع تعليقهم، فقال لى المقاتل «. . . . » (احنا فى التدريب كنا بنتدرب على ضرب أهداف أقل فى الحجم من دبابات العدو. .).

وأذكر أن المقاتل (. . .) فى هذه المعركة دمر دبابتين وكانت هذه هى بداية المنافسة بينه وبين عبدالعاطى وبيومى.

ومن المواقف المثيرة فى المعركة الثانية أن دبابات العدو فى اندفاعها السريع اقتربت تماماً من حفرنا ولم يترك واحد من رجالنا حفرته واحتفظنا جميعاً بهدوئنا. . حتى إن إحدى هذه الدبابات اقتربت من حفرتى ولم يعد يفصل بينى وبينها سوى خمسة أمتار فقط. . ثم انطلق الرجال خارج حفرهم وتعاملوا مع هذه الدبابات بالقنابل اليدوية وجميع الأسلحة ودمروها جميعها ولم تقع أية خسائر بين صفوفنا باستثناء إصابة طفيفة فى يد المقاتل (. . . .)

وأذكر أننى تركت حفرتى، واتجهت بسرعة إلى أحد الأفراد لكى أوجهه للتعامل مع إحدى الدبابات التى بدأت تطلق نيرانها علينا، وفوجئت بالمقاتل (. .) يرتمى على ويطرحنى أرضاً لأنه لاحظ أن إحدى الدبابات قد صوبت مدفعها تجاهى. وسقطت القذيفة فعلاً بالقرب منى ولكنها على أية حال لم تطلق غيرها، لأن صاروخ المقاتل (. . . .) عاجلها على الفور.

لاعب الكرة الذى برز فى صيد الدبابات:

كان عبدالعاطى يعد أشهر صائدى الدبابات ليس فى مجموعتى فقط. . ولكن فى الجبهة كلها. . وقد لمع اسمه حينما دعى إلى افتتاح معرض الغنائم باعتبار أنه دمر أكبر عدد من دبابات العدو وهو ٢٣ دبابة. (بالمناسبة ربما لا يعرف الكثيرون أن مجموع ما دمره عبدالعاطى من دبابات هو ٢٦ دبابة ولكننا حسبنا له ٢٣ دبابة فقط؛ لأن الدبابات الثلاث الأخرى التى دمرها أيضاً كانت فى قطاع زميله بيومى).

وربما لا يعرف الكثيرون أيضاً أنه كان من أبرز لاعبى الكرة في الوحدة، ويبدو أن هوايته فى تسجيل الأهداف العديدة فى مرمى الفريق المنافس ، قد انتقلت إلى ميدان القتال حيث تنافس فى إصابة الأهداف وكانت هذه المرة دبابات العدو.

ولكن الأهم من هذا كله . . أن عبدالعاطى قد سجل رقمه القياسى بالرغم من أنه لم يشترك فى القتال الفعلى - كصائد دبابات - إلا فى اليوم الثالث (الاثنين ٨/ ١٠/ ١٩٧٣) بعدأن ألح على قائد المجموعة بأن ينتقل من مؤخرة القوة ليقوم بالتصدى لدبابات العدو مثل زملائه الذين نصبوا الكمائن، وظلت أخبارهم تصل إليه عن ا لدبابات التى قاموا بتدميرها . وقد أخذ عبدالعاطى يلح على قائده الذى أخذ يقنعه بالانتظار . لكنه بكى أمامه . . وقال له: " سيادتك لا تثق بقدرتى على تحقيق النتائج نفسها التى حققها زملائى منذ أول يوم".

ولم يجد قائده بداً من إعطائه واجباً قتالياً بعمل كمين فى مكان محدد لبعض دبابات العدو المتقدمة.

اندفع عبدالعاطى و زملاؤه الثلاثة إلى الموقع المحدد فى حماس شديد وأخذوا يراقبون الأرض والتلال المرتفعة التى أمامهم . . وبعد فترة وجيزة تقدمت الدبابات الإسرائيلية متخطية سطح التل الذى أمامهم ، وارتفعت أصوات الجنازير، ولكن القائد لم يصدر لهم أمر الاشتباك حتى تظهر بقية الدبابات المختفية خلف السطح، وفعلاً عبرت جميع الدبابات وكان عددها ثلاث عشرة دبابة ، وأعطى القائد أوامره بالاشتباك وكان أول من أطلق صاروخه هو عبدالعاطى ، وتبعه بيومى صديقه الحميم وبدأ سباق غريب بينهما وبين دبابات العدو.

أخذت الصواريخ تهدر وقادة الدبابات يبحثون فى ارتباك عن مصدرها ويحاولون المناورة أو الالتفاف للهروب من هذه المصيدة.

وبعد عشرين دقيقة فقط انتهت أول معركة يشترك فيها عبدالعاطى، وقد دمر فيها تسع دبابات ، ودمر بيومى أربعاً، وقد عاتبهما زميلهما عوض قائلاً: إنكم لم تتركوا لى شيئاً لأضربه »

المعركة الثانية:

بعد لحظات من المعركة الأولى، صدرت الأوامر لعبدالعاطى ورفاقه باحتلال موقع آخر ، وكان هذه المرة مرتفعاً ويسيطر على الأرض التى تحيط به . ولم تمض فترة بسيطة حتى هاجمتهم ست دبابات اندفعت نحو الموقع فى عنف وعصبية فسارع عبدالعاطى إلى اصطياد الدبابة الأولى ثم اصطاد الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وكان يقوم بتجهيز الصاروخ بنفسه ثم توجيهه بعدأن أصيب قائده (. . .) إصابة خفيفة منعته من مساعدته فى التجهيز ، وقد تمكن من مطاردة الدبابة السادسة التى سارعت بالفرار . . ودمرها قبل أن تخرج من مدى صاروخه .

ذاعت شهرة عبدالعاطى وزملائه بين إخواتهم المقاتلين المصريين كما أدرك العدو أن الاقتراب من هذه المنطقة التى تربض فيها هذه الكمائن عمل انتحارى ولذلك فقد مرت أربعة أيام دون أن تظهر دبابة معادية واحدة وأخذعبدالعاطى وزملاؤه يشعرون بالملل والضيق فهم لم يتعودوا (كما قال بيومى) الجلوس هكذا بدون عمل» .

والتقى عبدالعاطى بقائده المقاتل جابر . . وطلب منه أن ينقله إلى قطاع آخر قائلاً فى لهجة مرحة «إن موقعنا الحالى لم يعد فيه رزق لنا» لكن قائده قال له : لا تتعجل فلابد أن العدو سيحاول مرة أخرى من خلال قطاعكم .

لم يطل انتظار عبدالعاطى وزملائه بعد هذا اللقاء ، ففى اليوم التالى مباشرة دفع العدو بإحدى دباباته ليحاول بأسلوب آخر القضاء على هذه المجموعة تمهيداً لاقتحام المنطقة ، . . جاءت تلك الدبابة واحتلت مكاناً يصعب رؤيتها منه حيث اختفت تماماً، ولم يظهر منها أى جزء . . وأخذت تقصف الموقع بقذائف متتالية ثم تنزل مرة أخرى فى مكانها ، وأيضاً اختفى موقع عبدالعاطى تماماً فقد وجدوا أن القذائف تهدر بجوارهم وتأكدوا تماماً أنهم قد تم اكتشافهم ولكنهم فى الوقت نفسة ظلوا يراقبون فى حذر دقيق مصدر النيران وفجأة رأى عبدالعاطى مكان الدخان ينبعث من مدفع الدبابةفحدد مكانها .

وانتظر لحظات يفكر فيها فى أسلوب التعامل معها . وبعد فترة وجد أن الضرب قد انقطع ، ثم فوجىء بأن برج المواقبة وهو الجزء الذي أصبح طاهراً الآن ، قد فتح وخرج شخص ، ثم وقف فوقه وأخذ يراقب الموقع بنمظاره لفترة زادت على دقيقة وقد أطمأن إلى أنه قد دمرها تماماً ، وظهر ذلك من إشارته لبقية طاقم الدبابة الذى ظل بداخلها ، ثم أخذ هذا الفرد يتناول بعض الحاجيات (مقذوفات فارغة) من داخل

الدبابة ويلقى بها إلى خارجها وفى الحال أسرع عبدالعاطى فى الاستعداد ، وبالذكاء المصرى اللماح استنتج أن الدبابة المتربصة تحتاج إلى فترة زمنية حتى يمكنها الاشتباك من جديد ، ومع أنها من الأهداف الصعبة إلا أنه قرر أن يبعث لها صاروخاً أو «يشيع لها صاروخاً» على حد تعبيره وتوكل على الله ، وأطلق صاروخه بكفاءة مذهلة ، فانفجرت الدبابة وتطايرت أجزاؤها وانتشرت من حولها الجثث .

ودمرها بصاروخ «لوب»:

كعادتها . . استنجدت المدرعات الإسرائيلية بالطائرات لتخلصها من هذه المجموعة من المقاتلين وقامت الطائرات الفانتوم والسكاى هوك والميراج بغارة كثيفة لم تحقق منها شيئاً . . سوى سقوط طائرة سكاى هوك . . بصاروخ سام ٧ وهروب بقية الطائرات .

وبحث العدو عن أسلوب آخر . . فدفع دبابة نحو الموقع وخلفها عربة مدرعة محملة بعدد كبير من الجنود . . ومثلما جدد العدو فى أسلوبه جدد عبدالعاطى فى استخدامه للصاروخ ، فبعد أن دمر زميله بيومى الدبابة المتقدمة هجر الجنود عربتهم المدرعة التى كانت تقف خلف الدبابة المصابة ، وانتظر عبدالعاطى إلى أن ظنوا أنهم أصبحوا فى أمان ، ولكنهم ما كادوا يعودون إلى عربتهم المدرعة حتى أطلق عبدالعاطى صاروخاً (لوب) أى أنه ارتفع ليمر من فوق الدبابة المصابة ، وسقط مباشرة على العربة المدرعة من أعلى ، فانفجرت عن آخرها ولم ينج جندى واحد من طاقمها ! . . وهكذا استخدم (الكابتن) عبدالعاطى أسلوب لاعب الكرة الماهر الذى يسدد الكرة لوب من فوق رأس الحارس لتدخل المرمى ! . . ولعل من القصص التى توضح إلى أى مدى بلغ التمكن والاقتدار من عبدالعاطى وزملائه ؛ أنه عندما استعد مع طاقمه للتصدى لبعض الدبابات . . قال له زميله فؤاد الخولى (يا ريت توجه الصاروخ لجنزير الدبابة فقط علشان ما تنفجرش ، وناخذ منها الحاجات اللى جواها ، وفعلاً عملها عبدالعاطى وبمنتهى الدقة وثبات الأعصاب اصطاد آخر دبابة فى جنزير ، بعد أن دمر دبابتين وفرت الباقية ، وأسرع الخولى إلى الدبابة المعطلة وحمل ما بداخلها من أوراق وخرئط و مأكولات !!

رقصة الصواريخ:

من الاعترافات العديدة لضباط وجنود اسرائيل بما فعله فيهم صائدو الدبابات

المصريون، ستستوقفنا هذه الشهادة لقائد إحدى سرايا المدرعات هو «بارى شمير» الذى يقول: "كلفت سريتى بالتحرك نحو خط المياه (القناة) فى المناطق التى يعبر منها المصريون لعرقلتهم وضربهم وعندما تلقينا الأمر بالانطلاق ، صعد الرجال إلى الدبابات تأهباً للانطلاق السريع ، وكان أكثر شىء حظى باهتمامى هو أن تكون لدينا كميات كافية من السندوتشات والملابس الداخلية، والكتب والمجلات ، لتمضية الوقت بعد أن ننتهى من القوات المصرية ، لقد كنا نظن أننا خارجون فى نزهة طويلة، وكنت أخشى أن نصاب بالملل. .

انطلقنا فى المنبسطات المكشوفة ضمن مدى الرماية وعلى بعد نحو ٤٠٠ متر من التحصين الواقع بالقرب من البحيرة المرة الصغرى بمحاذاة التصاق البحيرة بالقناة توقفت ودبابتى وبدأنا نطلق النار، وكم كانت طمأنينتنا كبيرة حين اكتشفنا أن الأهداف التى تواجهنا هم رجال المشاة وليست المدرعات ، كان ذلك بالنسبة لنا – حقيقة – مفاجأة مطمئنة . حتى إن أحد رفاقى فى الدبابة قال بصوت عالى «إن هذا انتحار من جانبهم إن المصريين ينتحرون بهذه الطريقة » والواقع أننا كما علمونا فى مدرسة المدرعات نعرف أن دبابة العدو هى المشكلة فهى الهدف الأول، أما المدافع المضادة للدبابات فهى الهدف الثانى ، وبعد ذلك تطلق النار على المشاة .

غيرت دبابتى مكانها ثلاث مرات، وأنا أتصور أنه ما دام شريط المدفع الرشاش فى الدبابة يفرغ الرصاص ، فإن الجنود المصريين يسقطون فوق الرمال، ولكننى لاحظت أن حركتهم الجماعية لا تهدأ أو تتوقف . ثم لم أتنبه لما يحدث، فبينما كنت منهمكاً فى إلقاء قذائف المدفع الفارغة إلى الخارج شعرت فجأة بالنار تشتعل فى مؤخرة المدفع، واعتقدت فى البداية أن قذيفة انفجرت فى بيت النار ولكننى شعرت آنذاك بحرق فى ذراعى، واستطعت أن ألقى بنفسى إلى الخارج من المؤخرةالتى كانت لحسن الحظ مفتوحة، وتدحرجت بضع مرات على الرمال، واتضح لى عندئذ أن ثيابى لا تشتعل .

اشتعلت النار فى دبابتى، كما اشتعلت فى علبة السندوتشات بالطبع ونظرت حولى فشاهدت قذائف نارية مشتعلة تتنزه فى الصحراء وهى تنطلق من قلب الرمال .

اقتربت من رفاقى الذين كانوا قد قفزوا معى من دبابتنا المشتعلة وأنزلنا منها جالون الماء، وانتزعنا المدفع الرشاش من برجها وحملنا معنا القنابل اليدوية وقنابل دخان

وكانت أيدينا كلها قد أصابتها الحروق . . كنا مذهوليين ويبكى رجل المدفع وكنا لا نزال عاجزين عن فهم ما يحدث . . اختبانا وراء تل من الرمال . . وكنت أفكر طول الوقت فى هذا الصاروخ الغامض . . لم أكن أعرف بعد ماذا يسمونه ولا أنه عندما يخترق الدبابة يولد موجة من الحرارة تزيد على ١٠٠٠ درجة مئوية، وأنه يدمر أجهزة الدبابة، ومن شأنه إحراق كل من يجلس فيها. هذا ولم يكن حظ الدبابات الأخرى فى سريتى بأفضل من حظنا، فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية شاهدنا مشاعل تحترق . . وقد كانت هذه منذ دقائق دبابات السرية ! !

(توقيع)
بارى شمير

مصيدة الذراع الطويلة!!

بعد كل ما ذكرناه عن الذراع الطويلة أو سلاح الردع الإسرائيلى الأول، وكل ما قيل عنه، لسنا بحاجة إلى أن نقول إن قيادة تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) أصدرت الأوامر لقواتها الجوية بالتصدى فوراً للقوات المصرية والسورية وضربها بشدة وقسوة لإفشال عمليات العبور والاقتحام، ثم الاتجاه إلى العمق المصرى والسورى لتدمير المطارات والأهداف العسكرية والحيوية - ولا مانع من ضرب بعض الأهداف المدنية (من باب التهذيب والإصلاح . .).

وكانت قيادة (تسهال) مطمئنة تماماً لما سيفعله سلاحها الجوى، خاصة أنه إلى جانب (قوته الأسطورية!) قد تلقى إنذاراً قبل الحرب بفترة كافية ليكون فى أقصى حالات التأهب والاستعداد.

ولكن حرب أكتوبر ١٩٧٣ حملت للطيران الإسرائيلى واحدة من مفاجآتها العنيفة، وكانت أول دلائل الفشل هى تأخر رد الفعل الجوى الإسرائيلى لمدة ٤٠ دقيقة كاملة، نتيجة للضربة الجوية المصرية التى شلت تفكير وحركة القوات الإسرائيلية وعلى رأسها السلاح الجوى طوال هذه المدة.

ولكن برغم هذا التأخير . . انطلقت الطائرات الإسرائيلية الفانتوم والميراج والسكاى هوك إلى سماء المعركة . . إلا أنها ما كادت تقترب من أهدافها . . حتى وجدت فى انتظارها المفاجأة المؤلمة لها ولإسرائيل كلها.

لقد انتصب حائط الدفاع الجوى المصرى (والسورى أيضاً) فى وجه هذه الطائرات المطمئنة الواثقة بإمكاناتها . . وبدأ التساقط السريع . . . وتهاوت الفانتوم والميراج

والسكاى هوك كالعصافير على حد تعبير الضابط الإسرائيلى (موتى اشكنازى) وكما شهد المراسلون العالميون .

وإذا كنا قد تكلمنا عن الجانب الدفاعى للسلاح الجوى المصرى فى هذه المعارك . . فإننا نتوقف الآن أمام حائط الصواريخ . . أو بتحديد أكثر «أسلحة المقاومة الأرضية للطائرات» . .

الإنجازات العامة:

١- قامت قوات الدفاع الجوى (الأرضية) بحماية مناطق الحشد للقوات المسلحة المصرية ، كما وفرت الحماية لهذه القوات فى أثناء تنفيذها للمرحلة الأولى من الهجوم، وبعد أن تمركزت فى سيناء فشكلت فوقها مظلة من الصواريخ المضاد للطائرات .

٢- شاركت وحدات الدفاع الجوى الملحقة بتشكيلات القوات المسلحة فى تحقيق المهام المحددة لها كافة .

٣- شاركت قوات الدفاع الجوى (بالتنسيق مع الطائرات المقاتلة الاعتراضية) فى حماية العمق المصرى، ومنع طائرات العدو من ضرب المطارات والأهداف العسكرية والمنشآت الصناعية فى سائر أنحاء الجمهورية .

صورة لحائط الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات:

امتدت قوات الدفاع الجوى المصرى بامتداد المواجهة من السويس جنوباً إلى بورسعيد شمالاً على طول قناة السويس ، وكان امتدادها من الجنوب إلى الشمال امتداداً لشبكات أخرى من القواعد المضادة للطائرات حتى؛ لا تكون هناك ثغرة فى الطرف الجنوبى للحائط العملاق. وقد كان عمق هذا الحائط من القواعد الصاروخية يكفل لتشكيلات القوات المسلحة الحشد والانتشار فى أوضاع الهجوم والاقتحام .

وأيضاً كان كافياً للتعامل مع الطائرات المعادية التى قد تستطيع الإفلات من إحدى القواعد الأمامية ؛ حيث كانت تنتظرها على الفور قواعد أخرى .

(بلغ عدد منصات إطلاق الصواريخ أكثر من (٨٠٠) منصة ، بالإضافة إلى عدد هائل من بطاريات المدافع المضادة للطائرات) . .

ومن جهة أخرى حددت قيادة الدفاع الجوى مواقع تكتيكية لهذه القواعد بحيث تشكل فيما بينها حماية متبادلة . بمعنى أن الطائرات التى تحاول ضرب قاعدة منها

. . لابد أن تكون فى متناول القواعد الأخرى . .

وقد كانت هذه النظرية من أبرز نجاحات الفكر العسكرى المصرى فى هذا المجال .

كذلك اتسم عمل القواعد بالمرونة وسرعة الحركة النابعتين من الكفاءة الفنية والبدنية والمعنوية العالية لرجال الدفاع الجوى، فكانت تتم مناورات وانتقالات مستمرة بعد كل معركة مع طائرات العدو، بحيث تتغير مواقعها من وقت إلى آخر بعد أن يكون العدو قد التقط صوراً للمواقع الأولى، وأيضاً لعب رجال الدفاع الجوى بالقواعد الهيلكية فى مهارة وجسارة حتى إن عدداً من طائرات العدو تم إسقاطه فى الوقت الذى تصور فيه طياروها أنهم دمروا الموقع الذى لا يكون سوى موقع هيكلى . .

ولابد أن الفكر العسكرى سيتوقف بالتحليل أمام عملية مواءمة أوضاع قواعد الصواريخ مع أوضاع القوات البرية المتقدمة لتحتفظ لها بالمظلة الصاروخية كغطاء يحميها من الطائرات المعادية . وهذه العملية المعقدة لا يمكن أن تتم إلا إذا توافرت لدى الرجال أقصى درجات الكفاءة الفنية والتكتيكية، وأعلى درجات الحذر واليقظة والذكاء المتوقد .

صور لانهيار السلاح الجوى الإسرائيلى:

بعد أن تحطمت موجات الطائرات الإسرائيلية التى اندفعت لضرب المعابر وتجمعات القوات المصرية على جانبى القناة . بدأ الطيران الإسرائيلى ، يعمل بنوع من الحذر . . ولكن المعارك التى كان مضطراً إلى دخولها حولت الحذر إلى خوف واضح فتكررت هذه المشاهد والمواقف :

١ - نتيجة لدقة استخدام الصواريخ، وبالتالى زيادة الخسائر فى الطائرات المغيرة لوحظ أن بعض الطيارين الإسرائيليين كانوا يقفزون من طائراتهم بمجرد أن تشير أجهزة الإنذار لديهم بصورها المختلفة إلى أن قذيفة صاروخية مضادة أطلقت عليهم . وقد تكرر ذلك بالفعل . . حتى إن عدداً من تلك الطائرات كان يسقط من تلقاء نفسه بعد هبوط الطيارين ! !

٢- أصدرت القيادة الإسرائيلية تعليماتها إلى الطيارين بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة ١٥ كيلومتراً حتى لا تصطادهم الصواريخ المصرية المضادة للطائرات .

٣- ثبت فى بعض الحالات (خاصة مع الطيارين المرتزقة) أن القيادة الإسرائيلية قد ربطتهم فى مقاعدتهم، أو نزعت جهاز إطلاق المقعد بالمظلة فى حالة إصابة الطائرة .

٤- أضرب الطيارون الإسرائيليون فى بعض القواعد عندما لاحظوا تناقص عددهم بشكل متزايد نتيجة للخسائر العالية .

(وصلت نسبة الخسائر فى الطائرات الإسرائيلية إلى ١٠٠٪ فى بعض الحالات، مثلما حدث فى الإغارة على أحد المطارات فى شمال الدلتا، حين أسقطت الصواريخ جميع الطائرات الفانتوم والميراج التى قامت بالإغارة . . وقد سقط طياروها ما بين قتيل وجريح وأسير) .

٥- سارعت إسرائيل- بعد وصول الإنقاذ الأمريكى عبر الجسر الجوى والبحرى إلى تغيير أسلوب سلاحها الجوى الذى أضيفت لطائراته أجهزة الإعاقة الإلكترونية الحديثة لمواجهة الصواريخ المصرية (سام ٦ وسام ٢ وسام ٣ وسام ٧)، لكن الرجال من قوات الدفاع الجوى أدركوا التغيير الجديد، وتعاملوا مع الطائرات المعادية بأسلوب آخر، وكبدوها خسائر ضخمة حتى إنه أُسقط فوق بورسعيد وحدها خمسون طائرة فانتوم وميراج وسكاى هوك .

٦- أصيب عدد من الطيارين الإسرائيليين بصدمات عصبية ونفسية امتد تأثيرها لفترة طويلة .

٧- تقول المصادر الغربية إن إسرائيل خسرت ٢٠٠ طائرة، بينما تقول المصادر الشرقية إن عدد الطائرات التى أسقطت لإسرائيل ٢٨٠ طائرة وقد ذكرت القيادة الإسرائيلية أن ٣٠٪ من هذه الطائرات أسقطتها الصواريخ، ٣٠٪ سقطت بفعل المدافع ٢٣مم الرباعية المواسير (الشيلكا)، وبالرغم من أنهم ذكروا أن ١٥٪ من الطائرات سقطت في معارك جوية ولم يذكروا شيئاً عن الـ ١٥٪ المتبقية إلا أنه مع ذلك يبقى للدفاع الجوى الفضل فى إسقاط ٦٠٪ من مجموع ما سقط من الطائرات الإسرائيلية .

نتائج مهمة جداً:

١- أسهم الدفاع الجوى فى تحطيم أسطورة ذراع إسرائيل الطويلة أو عصا إسرائيل

الغليظة وهى سلاحها الجوى، وبذلك تحطم جزء أساسى من نظرية الردع الإسرائيلية، ونظرية الأمن ذاتها . .

٢- كشف الأداء والتخطيط العظيمان لقوات الدفاع الجوى زيف الإدعاء بأن هناك فجوة تكنولوجية واسعة تفصل بين التقدم الإسرائيلى والتخلف العربى، إذ إن وسائل الدفاع الجوى التى استخدمها المقاتل المصرى والسورى بلغت من الدقة والتعقيد حداً يصعب استيعابه إلا من مقاتل متقدم يتمتع بالذكاء والثقافة والقدرة على التصرف المرن السريع .

قالوا عن شبكة الدفاع الجوى المصرى:

"لقد كانت شبكة الدفاع الجوى المصرى تعمل بدرجة عالية من الكفاءة جعلتها تسقط لا أقل من عشر طائرات فى أول ساعتين من القتال فى حرب أكتوبر ، الأمر الذى جعل قيادة القوات الجوية الإسرائيلية تحذر الطيارين كافةمن الاقتراب من هذه الشبكة لأكثر من مسافة ١٥- ٢٠ كم .

لقد أثبتت شبكة الدفاع الجوى المصرى التى أنشئت أثناء المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٨ -١٩٧٠ فعاليتها تماماً .

(توقيع)
(الجنرال إدجار أوبلاس)

«إن القدرة الكاملة لنظم أسلحة الدفاع الجوى لم تظهر واضحة إلا فى حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط . . ذلك أن اجتماع المدفعية التقليدية وصواريخ أرض/ جو وطائرات الاعتراض أتاح استخدام نظام دفاع جوى فعال يغطى عمليات عبور القناة ومنطقة الإمدادت فى الخلف، ومنطقة العمق فى مصر» .

(توقيع)
(جنرال فارار هوكلى)
رئيس قسم تطور القتال
فى القوات المسلحة البريطانية

«إننى بعد النتائج التى حققتها شبكة الدفاع الجوى المصرى ، وبعد زيارتى لعدد من قواعدها أقول إننى لم أكن أتمنى أبداً أن أكون طياراً إسرائيلياً» .

(توقيع)
خبير عسكرى فرنسى

«فى الأيام الأولى من الحرب كانت هناك ثلاث طائرات تسقط على جبهة القناة من بين كل خمس طائرات إسرائيلية تحاول الإغارة على القوات المصرية وجسور العبور».

(توقيع)
أحد مراقبى الأمم المتحدة
فى تحقيق نشرته النيوزويك الأمريكية

صور من سجلات رجال الدفاع الجوى المصرى

رجل يواجه طائرة!!

(كانت إحدى صور الشجاعة الممتزجة بالكفاءة النادرة تتمثل فى رجال الدفاع الجوى الذين يستخدمون صاروخ الكتف (استريللا)، حيث يصبح الأمر هنا صراعاً بين رجل فرد وطائرة مقاتلة قاذفة . .

ومن قصص هؤلاء الرجال . . قصة المقاتل نعيم . . وتقول تفاصيلها «كان ذلك فى يوم الأحد ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ . . حين كانت القوات المصرية تواصل عبورها واقتحام الموانع والتصدى للهجمات الإسرائيلية المدرعة، عندما ظهر فى السماء أربع طائرات إسرائيلية من طراز فانتوم أقبلت بحمولاتها الضخمة من القنابل والصواريخ مستهدفة المعابر ومن عليها .

وكان نعيم يقف مع زملائه الثلاثة عند بداية المعبر، عيونهم تلاحق الطائرات المعادية. كانت المسافات بين الرجال الأربعة تكاد تكون منتظمة ، وسقطت قنابل الفانتوم فى المياه وعلى السد الترابى ، وتطايرات الشظايا ، واستدارت الطائرات الأربع عائدة إلى قواعدها ولكن نعيم وزملاءه المقاتلين الثلاثة كانوا قدأطلقوا بسرعة البرق أربعة صواريخ من القواذف التى يحملونها فوق أكتافهم.

ومرقت الصواريخ كالسهام النارية تطارد الطائرات حتى انجذبت إلى مؤخرتها بسرعة خارقة. وانفجرت الطائرات الأربع فى السماء . . وتناثرت شظاياها وجثث طياريها الثمانية على الأرض.

واستمر المعبر فى القيام بمهامه . . أما نعيم وزملاؤه . فقد استعدوا لأى هجوم آخر . .

لابد أن تواصل القاعدة عملها:

فى ظهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت كتيبة الصواريخ المضادة للطائرات التى يقودها المقاتل أيمن (فى بورسعيد) تشتبك مع أربع طائرات إسرائيلية . وفجأة أصيبت إحدى المعدات بعطل مفاجىء ، واستلزم هذا العطل أن يتقدم أحد الأبطال للتحكم فى الأسلاك التى تعطى جهداً كهربائياً عالياً (يكفى لصعق مائة فرد فى لحظة خاطفة) وقرر المقاتل أيمن أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة الخطيرة، وبالفعل اتجه نحو الأسلاك وأمسك فى يده بقطعة صغيرة من الخشب وأخذ يضغط بها وأصدر أوامره بإطلاق ثلاثة صواريخ فاهتزت أرجاء الموقع ، وزمجرت الصواريخ الثلاثة وهى تندفع فى شراهة نحو ثلاث طائرات معادية من طائرات العدو . . كل هذا والقائد أيمن مازال ممسكاً بالقطعة الخشبية التى يضغط بها على الأسلاك حتى لا ينقطع التيار الكهربائى أثناء توجيه الضربة إلى الطائرات الإسرائيلية .

وأبلغ ضابط التوجيه القائد . . «الهدف الأول تدمر بصاروخ واحد!!

وراحت عيون الرجال تتابع الصواريخ على شاشة الرادار وهى تقترب من الطائرات الباقية . وصاح ضابط التوجيه مرة ثانية . «الهدف الثانى تدمر بصاروخ واحد!!»

وفى تلك اللحظة قطع السكون داخل كابينة القيادة صوت من خلال مكبر الصوت المعلق على جدارها : «العطل تم إصلاحه» . .

ورفع أيمن يده عن الأسلاك . . وأقبل نحوه ضابط الصواريخ وعانقه وهو يقول له : «والهدف الثالث تدمر بصاروخ واحد يا افندم!!» .

حتى آخر قطرة من دمه:

أحد مواقع المدفعية المضادة للطائرات على ساحل البحر الأحمر، حيث كان يتم الدفاع عن بعض الوحدات البرية من المشاة والدبابات المتمركزة على ساحل البحر . . . . ورجال الموقع لا يتوقفون عن العمل واليقظة . .

وبينما كان أحدهم (مصطفى) جالساً فوق مقعده، ويداه ممسكتان بمنجلة مدفعه المضاد للطائرات من العيار المتوسط، وعيناه تدققان النظر فى التلسكوب الموضوع أمامه، ويدور المدفع فى قوس تفتيش بحثاً عن أى طائرة إسرائيلية قد تظهر فى الأفق

الممتد، أمامه، فى تلك اللحظة يعلو صوت قائد طاقم الموقع وفى يده سماعة التليفون:

«طائرات معادية . . الاتجاه(. . . . .) المسافة (. . . . .) الارتفاع (. . . . . .) استعد للاشتباك . . »

واندفعت القذائف من فوهات المدافع، وأخذ مصطفى يضغط على بدال النار بمدفعه بكل قوته، وتقذف الطائرات التى فشلت فى الاقتراب من الموقع بحمولاتها بعيداً لكن إحدى القنابل تسقط بجوار مدفع مصطفى، وتدخل شظية منها فى ساقة اليمنى فتمزقها، لكنه لم يعد يهتم إلا بمواصلة التصدى للطائرات المغيرة . . وتوحدت كل أفكاره وطاقاته فى الإصرار على الدفاع ضد العدو . . وبدلاً من ساقه المصابة أخذ يضغط بيده على بدال ضرب النار، بينما يوجه المدفع بيده اليسرى.

وفشلت الطائرات مرة أخرى فى ضرب هدفها لكن قنبلة ثانية تسقط بجواره مباشرة . . فيسقط مصطفى شهيداً دون أن تفارق يده منجلة مدفعه التى ظل قابضاً عليها . . .

الصاعقة :اسم على مسمى !!

كان الجنرال شموئيل جونين قائد القوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء ، مجتمعاً مع ضباط القيادة فى غرفة العمليات، لمناقشة عملية الصد والهجوم المضاد على ا لقوات المصرية التى تواصل عبورها إلى سيناء ، وتحاصر وتحتل عدداً من النقاط الحصينة من خط بارليف . . وفجأة ، ، تلقى الجندى الذى يعمل على جهاز اللاسلكى فى غرفة العمليات إشارة عاجلة . . ما كاد يسمعها حتى سقط مغشياً عليه . والتقط أحد الضباط تلك الإشارة، ثم أسرع إلى الجنرال جونين ، وقال له بصوت متلعثم مرتبك:

" إن قوات الكوماندوز المصرية توغلت فى العمق، وتقوم بمهاجمة أهداف حولنا فى منطقتنا هذه ! ! "

وساد الارتباك والقلق غرفة عمليات القيادة. وسارع جونين وضباطه إلى الإمساك بأسلحتهم الشخصية فى أيديهم. . ولم يتخلوا عنها طوال الاجتماعات.

وفى منطقة أخرى كان أحد القادة الإسرائيليين (الجنرال كالمان ماجن) يصرخ فى جهاز اللاسلكى : " إن الكوماندوز المصريين يدخلون إلى سيناء من كل مكان . . وبكل وسيلة، إنهم يأتون من الجو . . ومن البحر . . وعلى الأقدام . . إن هذه القوات تقاتل بشراسة وهى مسلحة بأحدث الأسلحة».

وفى الساعة ١١,٣٠ من صباح الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . كان الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى الهليوكبتر متجهاً إلى مقر قيادة جبهة سيناء عندما تلقت غرفة عمليات القيادة إشارة أخرى عن ظهور وحدات من قوات الكوماندوز (الصاعقة) المصريين فاتصل به الجنرال جونين فى الجو وقال له :

" لا تهبط بالطائرة . . . على الأقل لا تهبط بها فى هذه المنطقة . . فالكوماندوز المصريون منتشرون هنا الآن ! ! "

وأصدر ديان أوامره السريعة لقائد الطائرة بتغيير الاتجاه والبحث عن مكان آخر يكون الهبوط فيه مأموناً ! !

أما هم . . رجال الصاعقة (الكوماندوز) المصريون . . فقد كانوا يتنقلون فى خفة النمور بطول وعمق الجبهة كلها . . يظهرون فجأة . . ويوجهون ضرباتهم إلى دبابات العدو ومواقعه . . ويختفون لكى يظهروا فى أماكن أخرى ولكى يبثوا الرعب والفزع حيثما حلوا . . .

وكانت المهام الملقاة على عاتقهم صعبة وانتحارية . . فهم عندما تلقوا الأوامر بالانطلاق إلى المواقع الإسرائيلية فى سيناء . . وخلف خطوطهم . . كانوا - كما قال أحدهم ضاحكاً - يعلمون أنهم قطعوا تذكرة ذهاب . . بلا عودة ! !

. . كان على رجال الصاعقة أن يكونوا طليعة قوات العبور . . ومنهم كانت الوحدات التى قامت بتعطيل مواسير النيران مساء ٥ أكتوبر ، ثم قبل الضربة الجوية الأولى ، وكذلك الوحدات التى كلفت بمحاصرة وإسقاط عدد من النقاط الحصينة لخط بارليف . ومنهم كانت الوحدات التى اندفعت فور عبورها القناة واقتحامها الموانع الأخرى داخل سيناء لتشترك مع مشاة المدفعية فى صد وتدمير المدرعات الإسرائيلية التى ستتحرك نحو القناة لضرب عملية العبور . ومنهم كانت المجموعات التى تم إبرازها داخل سيناء لضرب الخطوط الخلفية للعدو وإرباك أو منع مدرعاته من اجتياز الممرات الرئيسية نحو الغرب . .

وهم كلهم شاركوا بجرأتهم وتضحياتهم الهائلة فى إرباك قيادة العدو وبث الذعر فى القوات الإسرائيلية . . وتكبيدها خسائر كبيرة . . ثم - وهذا هو الأهم - استطاعوا أن يقدموا للعالم صورة رائعة للمقاتل المصرى فى ذروة اللياقة البدنية والذهنية والثقافية تنسجها جميعاً شجاعة غير عادية .

ويعترف الكثيرون فى أنحاء العالم بهذه الحقيقة، فنقول - مثلا- صحيفة «الصنداى تايمز».

«لقد حظى الكوماندوز المصريون بقدر كبير من الاحترام الذى يشى بالحقد من جانب الإسرائيلين !!»

من سجلات مجموعة الصاعقة س[٣٩]:

٥ أكتوبر ١٩٧٣:

قامت بعض وحدات المجموعة، مع وحدات مجموعات أخرى من الصاعقة بالتسلل ليلاً إلى الضفة الشرقية . . وأبطلت جميع معدات وأجهزة ضخ النار "النابالم" التى أعدها الإسرائيليون على الضفة الشرقية لكى يشعلوا بها القناة عندما تعبر القوات المصرية.

٦ أكتوبر ١٩٧٣:

قامت بعض الوحدات بمحاصرة وإسقاط بعض حصون خط بارليف، كذلك قامت بعض وحدات المجموعة بقصف آبار البترول فى بلاعيم.

٧ أكتوبر ١٩٧٣:

فى واحدة من أكبر العمليات وهى الإغارة على مواقع العدو فى شرم الشيخ اشترك فيها جميع ضباط المجموعة، وأكفأ صف ضباطها، فأبحرت ٦ لنشات من الغردقة لترسو على رأس محمد، وتنصب قواعد الصواريخ، وتطلقها على منشآت ومواقع العدو هناك.

كانت المسافة من الغردقة إلى شرم الشيخ ١١٠ كيلو مترات، والبحر الأحمر بطبعه قاس، يبلغ ارتفاع أمواجه ثمانية أمتار.

كان قد تم التجهيز لهذه العملية قبل بدء الحرب بعام كامل. وعندما بدءوا تنفيذها اليوم، كان جو البحر عاصفاً، لكنهم استمروا فى إبحارهم بعد أن عاد لنشان إلى القاعدة فى شدوان ودارت معركة مع طيران العدو، ثم ظهرت لنشاته المسلحة التى تمكنت من إصابة القارب الذى يقوده (وسام) واقترب أحد اللنشات من القارب المصاب وبدأ يوجه إنذاره من مكبرات الصوت. «سلموا أنفسكم» وفجأة دار القارب، واندفع ناحية اللنش الإسرائيلى الذى اختفى بأسرع ما يمكن. وبدأت معركة

أخرى مع طيران العدو . . تخلص منها القارب . وواصل مهمته .

يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣: أغارت المجموعة على منطقة شلاطيم .

يوم ١٥ أكتوبر : أغارت المجموعة على منطقة الطور وضربتها بصواريخ ١٢ ملم . وحتى وقف إطلاق النار .

وحتى وقف إطلاق النار : تصدت المجموعة لقوات الثغرة التى حاولت الوصول إلى الإسماعيلية ومنعتها من تحقيق هدفها بعد أن كبدتها خسائر ضخمة .

من أوراق المقاتل صاعقة شلبى:

فى ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ٧٣ قامت الهليوكبتر بإبرارنا فى عمق سيناء فى القطاع الشمالى الذى يبعد (٣٠) كيلومتراً من القناة، وكان علينا أن نسير على أقدامنا (٤٠) كيلو متراً أخرى لكى نصل إلى المحور الشمالى، وهو الطريق الرئيسى لمرور مدرعات العدو واحتياطاته إلى قناة السويس .

وقبل أن نتحرك أحس العدو بوجودنا فى المنطقة ، فحاول البحث عنا بطائرات الهليوكبتر ، وكان قرارى للرجال بأن نتقدم بأقصى سرعة لنصل إلى مسرح العمليات فى التوقيت المحدد، وفعلاً دخلنا المنطقة المحددة، ثم تمركزنا فى مكان يبعد عن المحور الشمالى بنحو ٥٠ متراً فقط، وكانت مهمتنا أن نعطل تقدم الدبابات الإسرائيلية عن طريق هذا المحور بأى ثمن ولمدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات؛ وذلك لإعطاء الفرصة أمام قوات الجيش الثانى لإنشاء المعبر، وعبور المدرعات بدون تدخل كامل من مدرعات العدو .

. . . عندما وصلنا إلى المكان المحدد وجدنا أمامنا أربع دبابات قامت بالضرب علينا من جميع الاتجاهات، وكانت المسافة لا تزيد على ١٠٠ متر فقط . . وأصدرت قرارى بالتريث وعدم الرد عليها حتى لا يكشف العدو موقعنا. والتزمنا الصمت الكامل لمدة (٤٥) دقيقة انسحبت بعدها الدبابات الأربع . ولم نكن قد تعرضنا لأى خسائر .

واتخذنا مواقعنا حول المحور، وتم حفر هذه المواقع وتمويهها جيداً، وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الأحد ٧/ ١٠/ ١٩٧٣ بدأ العدو عملية جس النبض فحرك عربتين نصف جنزير وعربة جيب ، ثم عادت العربات الثلاث مرة أخرى بأقصى سرعة .

وفى الساعة السادسة صباحاً، سمعنا دبابات العدو تتقدم على المحور من اتجاه العريش (وكانت عبارة عن لواء مدرع يتجه إلى ناحية القناة لإنقاذالمواقع الحصينة من خط بارليف) . تركنا الدبابات تتقدم حتى وصلت بداياتها أمامنا تماماً. فأصدرت أوامرى بفتح النيران، واشتبكنامعها بجيمع الأسلحة الموجودة معنا، وهى أسلحة خفيفة مضادة للدبابات ، وقنابل ، وصواريخ مضادة للدبابات أيضاً.

وكانت نتيجة المعركة حاسمة. ففى خلال ساعتين خسر العدو (١٨) دبابة وأتوبيس ، وعربتين نصف جنزير، وعربتين للأفراد، وعربتين جنزير.

. . . وقد تحركت باقى مدرعات اللواء الإسرائيلى إلى الخلف هاربة من المعركة.

وهكذا نجحنا فى تحقيق مهمتنا الأساسية وهى منع تقدم العدو إلى منطقة القناة حيث إن اللواء المدرع توقف، وانسحب إلى الخلف ليعيد تنظيم صفوفه، وليخلى المنطقة من الدبابات المدمرة التى سدت الطريق. . كما أننا فى الوقت نفسه أوقعنا بالعدو خسائر كبيرة . . بينما لم نخسر نحن مقاتلاً واحداً.

جاءوا للانتقام .. فصاحوا : لا تقتلنا يا مصرى:

فى محاولة سريعة من العدو للقضاء علينا بأى وسيلة، وصلت على الفور إلى المنطقة وخلفنا أربع طائرات هيلوكبتر هبط منها نحو ٨٠ فرداً (من الكوماندوز الإسرائيليين) وتقدموا شاهرين السلاح فى اتجاهنا لمحاولة تطويقنا والقضاء علينا. والتزمنا نحن الصمت الكامل، ثم فتحنا النار فجأة عليهم وتم القضاء على أكثر من ٤٠ فرداً منهم، وانطلق الباقون يحاولون الفرار مذعورين، ورفع بعضهم أيديهم إلى أعلى صارخين «لا تقتلنا يا مصرى» هذا ولم نخسر حتى الآن شهيداً واحداً.

وجربوا استخدام مدرعاتهم ضدنا مرة أخرى:

فى تمام الساعة الثانية من هذا اليوم . . وجدنا وراءنا ٢٦ دبابة تتقدم فى اتجاهنا نحن الذين لا يصل عددنا إلى مائة فرد مترجل!!

. . . المهم . . قررنا ألا نتحرك من حفرنا. وفضلنا أن نموت داخلها . . وبدأ العدو يتقدم نحونا ، وطلب منا الاستسلام (من خلال مكبرات الصوت) . . ولكننا لم نعبأ بما يقوله . وكان ما يشغلنا تماماً هو كيف نواجه هذه الدبابات الكثيرة بينما لم يعد معنا إلا القليل من الذخيرة.

وفى هذه اللحظات اندفع المقاتل (على نجم) من حفرته . وجرى وراء إحدى الدبابات. وألقى عليها قنبلة ففجرتها ، لكنه أصيب بطلقة استشهد على أثرها . ثم تحرك المقاتل (عبدالحليم مهنا) ومعه قاذف آر. بى. جى . وأخذ ينتقل من حفرة إلى حفرة وهو يوجه ضرباته إلى الدبابات المتقدمة . فدمر ثلاث دبابات فى خمس دقائق فقط ، ثم أصيب فترك حفرته وانطلق يعدو- برغم شدة الإصابة - نحو دبابة ودمرها . . واستشهد فوقها . .

بعد ذلك بدأ العدو يطوق المنطقة ، ويخلى دباباته المصابة من المحور لتتمكن المدرعات من المرور . وانشغل فى تطهير المحور حتى الساعة السادسة مساءً.

وكانت الفرصة أمامنا فى العودة إلى الخلف فى المنطقة المحددة لتجمعنا . وفى صباح ٨أكتوبر ، بعد أن دمرنا بعض الأجهزة. وحملنا معنا زملاءنا المصابين بدأنا العودة، وفى أول ضوء النهار اكتشفنا أننا فى منطقة شئون إدارية للعدو . وأصدرت أمراً بأن نثبت فى أماكننا حتى المساء ، وفعلاً تحركنا فى الساعة الثانية من صباح ٩ أكتوبر فى اتجاه رأس العش ثم إلى بورسعيد حيث استقبلتنا قيادتنا أحسن استقبال . وكان أول سؤال نوجهه نحن هو : ما هى مهمتنا التالية؟

(توقيع)
مقاتل صاعقة شلبى

البطل سيد زكريا .. قمة الشجاعة والتضحية

كان يمكن أن تظل قصة بطولته الفذة طى النسيان ، لكن القدر دفع الجندى الإسرائيلى الذى نجا من رصاصاته ، والذى انبهر لدرجة الذهول من شجاعته ، ليعترف بما رأى ، ويشهد له ولجرأته! . . وهكذا كان لإزاحة الستار عن «قصة » بطولة سيد زكريا . . «قصة» أخرى مثيرة!! . . وقد بدأت تفاصيلها فى أحد أيام شهر إبريل ١٩٩٥ أثناء حفل عشاء دبلوماسى دعى إليه سفراء الدول الأجنبية ، وأثناء الحفل اقترب القنصل الاسرائيلى من السفيرة المصرية عزيزة فهمى ، وقدم لها نفسه ، ثم سلمها لفافة من أوراق وهو يقول لها : هذه متعلقات تخص جندياً مصرى مات فى حرب أكتوبر ، وقد احتفظ بها الجندى الإسرائيلى الذى تمكن من قتله تذكاراً لشجاعته!! . . وفوجئت السفيرة بهذا الخبر ، وتناولت تلك المتعلقات فوجدتها عبارة عن بطاقة عسكرية باسم الجندى (سيد زكريا خليل) وتحمل الرقم العسكرى

٥٤٤٥٤٠٤ ، كما وجدت خطاباً من الجندى المذكور إلى والده ، يبدو أنه كتبه أثناء القتال ولم يتمكن من ارساله ! . . وتوجهت السفيرة بالسؤال المتوقع للقنصل الاسرائيلى ، ما الذى أحضر هذه المتعلقات إلى هنا بألمانيا؟! فقال لها : ان الجندى الإسرائيلى (عزرا) الذى سلمها لى يعمل حاليا كموظف فى قنصليتنا هنا وعندما علم بحفل اليوم واحتمال أن أراك فيه ، وجد نفسه مسرعاً إلى ليحكى لى القصة ويسلمنى هذه المتعلقات !! . . وكان من الطبيعى إن تطلب السفيرة مقابلة ذلك الجندى الذى جاء إلى مكتبها فى اليوم التالى وأخذ يحكى لها قصة البطل سيد زكريا . . فقال : كان ذلك فى يوم الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٧٣ بعد أن عبرت القوات المصرية قناة السويس ، واجتاحت أكبر حاجز مائى ، ثم حطمت أكبر مانع حربى ، وهو خط بارليف الحصين ، وبدأت المعركة حيث عبرت وحدة صغيرة من قوات الصاعقة المصرية خلف خطوطنا ، وتمركزت فوق إحدى التباب من جنوب سيناء ، وسرعان ما اكتشف قادتنا هبوط هذه الوحدة المصرية من الصاعقة خلف خطوط جيشنا ، فأرسلوا إليها بعض القوات سريعا ، كما أمروا بإسقاط فصيلة من المظليين على سفح التبة ، وكنت واحداً من تلك القوات التى هبطت على التبة التى تمركز فيها جنود الوحدة المصرية .

وبدأت قواتنا فى الاشتباك معهم واحتوانا قتال عنيف ضار استبسل فيه الجنود المصريون قدر استطاعتهم من الاستبسال والتضحية والفداء ، ولكن بتفوقنا العددى وكثرة أسلحتنا استطعنا أن نحاصر هذه القوة المصرية . . وكدنا نقضى عليها جميعاً فوق التبة . . وكنت مختبئاً فى حفرة أصوب نيرانى تجاههم ، إلى أن فوجئت بنيران مصرية تتجه نحو قواتنا من جهة اليمين . .

وبدأت هذه النيران المصرية تحصد جنودنا فرداً فرداً حتى قضت على فصيلة المظلات بكاملها وبما فيها قائدنا . . وقد تحصنت أنا فى حفرتى فنجوت . . وأخذت أراقب مصدر النيران المصرية دون أن أطلق رصاصة واحدة حتى لا ينتبه المصريون إلى مكانى . . ففوجئت بأن مصدر تلك النيران هو رشاش واحد أمسك به جندى مصرى . . وقد اختبأ خلف مرتفع صغير تحصن به . . وأخذ يطلق نيرانه على قواتنا ولم تخطىء رصاصة واحدة أطلقهاهدفها الذى كان يصوب عليه . . فقضى على الفصيلة التى كنت واحداً من قواتها وهنا أخذتنى الحمية . . وتسللت خلف هذا

الجندى المصرى زاحفا على بطنى دون أن يرانى . . واقتربت منه ، ، وأفرغت خزينة بندقيتى فيه وقد أحكمت نشانى وتصويبى نحوه . .

فارتمى على الأرض مضرجاً بدمائه..

وهنا أحسست بشعورين متناقضين . . شعور بأنى أخذت بثأرى ، وثأر فصيلتى . . وأحسست بالزهو . . ولكن انتابنى شعور غريب نحو هذا الجندى المصرى الذى اعتبرته بطلاً شجاعاً . . فقد حول الهزيمة إلى نصر بقوة إيمانه وشدة حماسه وشجاعته . . وحدة ذكائه . . وحسن تصرفه . . وخفة حركته . . وبسالته فى القتال . . مما أثار إعجابى بشخصه . . »

عندئذ سألته «السفيرة» فى صوت تكتم فيه غيظها : ولكنك أفرغت كل رصاصاتك فى جسده !

فقال «الجندى الإسرائيلى »لأنى كنت خائفاً منه خوفاً شديداً . . وكنت أرتعد . . وكنت أحسب أن رصاصة واحدة أو رصاصتين بل أكثر غير كافية لقتل هذا البطل القوى الشجاع الذى قتل كل أفراد فصيلتى . . كنت أظنه فوق القتل . . فأفرغت خزينتى فيه دون وعى وبصورة جنونية وارتمى هو على الأرض يتلوى من الألم مضرجاً بدمائه . . خفت أن يكون قد ظل على قيد الحياة . . فوضعت فى بندقيتى خزينة أخرى ملئية بالرصاص . . وحاولت أن أتقدم نحوه شيئاً فشيئاً . . وأنا فى حذر شديد . . وكنت أتصور أنه مازال حياً . . وأنه سوف يباغتنى برصاصة مفاجئةتصيبنى

هكذا اعترف الجندى الاسرائيلى بالشجاعة المذهلة للبطل سيد زكريا، ثم حكى كيف أخذ يزحف نحوه خطوة خطوة وهو مازال يرتعد خوفا منه رغم أنه فارق الحياة ! ! . . ثم أخذ يفتش ملابسه حيث وجد ذلك الخطاب وبطاقته العسكرية فقرر أن يحتفظ بهما تذكاراً لبطولة لا يمكن أن ينساها مهما يكن حقده على صاحبها ! !

وتتوالى شهاداتهم لأبطال الصاعقة المصريين

- ** – كيف وقع الإسرائيليون فى أكبر خطر يقع فيه طرف محارب؟

«وقف القائد الإسرائيلى «آمون » عند منطقة أبوسلطان يشاهد معركة مع فصيلة من رجال الصاعقة المصريين . وكان القائد الإسرائيلى يراقب «بإعجاب بالغ» القتال

العنيد الباسل الذى أظهره هؤلاء الرجال المصريون . ومع أن «آمون» قدم معاونة بمدرعاته وعرباته نصف المجنزرة إلى السرية الإسرائيلية المهاجمة . . إلا أن المصريين ظلوا يقاتلون حتى استشهدوا جميعاً فيما عدا رجلا واحداً . ولم يلق هذا الرجلاً سلاحه أمام الجحافل المتقدمة ، لكنه بدلاً من ذلك قفز إلى التل الذى كان الرجل يدافع عنه هو وزملاؤه ، وظل يطلق نيرانه على قواتنا حتى سقط شهيداً على قمة هذا التل .

ولما كان القائد (آمون) يعلم أن وراء هذا الموقع قوات أخرى مماثلة ، ولما كان قد شاهد بنفسه كفاءة هذه القوات فإنه لم يستطيع أن يتقدم إلا بعد إمداده بقوات إضافية من المظليين .

وقد أجمع هذا القائد وضباطه على أن أى مصرى أصيب فى هذه المنطقة كان يعتبر دليلاً حياً على الإصرار المتناهى والشجاعة الهائلة التى بذلها هؤلاء الرجال» .

هذه السطور جاءت على لسان الجنرال حاييم هيرتسوج المتحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير المخابرات السابق ، وقد ذكرها فى كتابه (حرب التكفير) وعبر عنها بقوله (لقد وقعت القوات الإسرائيلية فى أكبر خطر يقع فيه الطرف المحارب وذلك عندما أعجب الضباط والجنود من هذه القوات ببسالة وكفاءة المقاتلين المصريين (من كوماندوز ومشاة وغيرهم) وقدأخذ هذا الإعجاب يتزايد مع تطور عمليات القتال»)

– إن هذه النتيجة الخطيرة التى سجلها المعلق والخبير الإسرائيلى الكبير . . تعد بغير شك علامة فى نقطة التحول الجذرية التى تمثلها حرب أكتوبر . . خاصة وزن المسافة الفاصلة بين نظرة الجندى المليئة بالإعجاب به أثناء وبعد الحرب . . هذه المسافة وهذا الانتقال الحاد بين طرفيها . . لا يمكن أن تنتهى آثارها مهما طال الوقت لأنها تمارس فعلها القوى داخل «النفس البشرية» ومثل هذا التأثير على سيكلوجية الجندى الإسرائيلى بالذات . . يتضاعف حجمه وخطره على ثقته وكفاءته .

٤– كان شيئاً غريباً:

كان جنود الكوماندوز المصريون يتجولون فى المنطقة ، وينصبون الكمائن للدبابات الإسرائيلية (دبابات إريك شارون) و «بيرون» و «كالمان» . وفى أحد الأماكن استطاعوا إصابة دبابات بيرن . ولم تستطيع دباباتنا القضاء عليهم .

وعندها طلبت خمس مجنزرات مع مظلّيى دانى . .

لقد كان شيئاً غريباً . . هل يصد ثلاثون مصرياً ليس معهم أكثر من مدافع البازوكا لواءً إسرائيلياً مدرعاً هكذا؟!

لقد تميز المصريون بالإقدام . وكانت مجموعاتهم الاستطلاعية المزودة كما يجب تعرف كيف تختبىء من قواتنا وتتجول هنا وهناك . .

(توقيع)
أورى دان

كيف رأى جنود الجيش الإسرائيلى .. رجال الصاعقة المصريين؟

١- يا إلهى . . إنها ليست أشجارنا . . إنهم آدميون . . إنهم مصريون!!

قال ضابط إسرائيلى من قوات آدن :

«. . . كنا نتقدم بمدرعاتنا ، ورأيت على البعد بقعاً سوداء فى ثنيات الرمال . ولم أستطع تبين كنه هذه البقع . وعندما اقتربنا منها أكثر . اعتقدت أنها جذوع أشجار فلم تكن هناك أية حركة تنبعث من هذه الأشياء التى تناثرت أمامنا فى الطريق الذى نقف عليه . وأمسكت بجهاز الاتصال وسألت طاقم الدبابة التى تتقدمنا عن تلك الأشياء فى اللحظة التى صرخ فيها أحد قادةالدبابات قائلاً :

«يا إلهى . . إنها ليست جذوع أشجار . . إنهم آدميون . . إنهم رجال . . إنهم . . »
ولم أستطع أن أفهم شيئاً للوهلة الأولى . . فماذا يفعل أولئك الرجال الذين مازالوا صامتين لا يتحركون بينما نحن نتقدم بدباباتنا ونقترب منهم؟؟

. . . وفجأة . . انفجر جحيم من النيران فوقنا . . وانطلقت صواريخ عديدة نحونا فدمرت الكثير من دباباتنا!!

إننا لم نواجه شيئاً مثل ذلك من قبل . . على الإطلاق!!

٢- لقد قاتلوا بصورة انتحارية:

يقول مؤلفو كتاب "التقصير" الإسرائيليون :

«أدخل المصريون فى الحساب عند تخطيطهم للحرب حقيقة أن الجيش الإسرائيلى هو فى الأساس جيش احتياط ، ولذلك ألقيت على عاتق ألوية الكوماندوز

المدربة مهمة قطع الطرق على قوات الاحتياط للحيلولة بينها وبين الوصول إلى الجبهة. وكانت وحدات الكوماندوز هذه مجهزة بسلاح مضاد للدروع من طراز آر. بي. جى. وكانت أهدافها احتلال مفارق طرق، ونقاط حساسة على محاور الحركة المركزية فى سيناء وضرب الدبابات والمدفعية.

وقد أنزلت عشرات من طائرات الهليوكبتر فى تلك الليلة جنود الكوماندوز فى جميع أنحاء سيناء على بعد عشرات الكيلو مترات خلف خطوطنا فى الجبهة.. وبالرغم من إسقاط بعض هذه الطائرات فإن المصريين استمروا فى إبرار جنود الكوماندوز فى عمق ميدان القتال، وقد نجح المصريون فى إنزال أعداد كبيرة منهم خاصة فى شرم الشيخ جنوباً، وفى القطاع الشمالى من قناة السويس - حيث برز الكوماندوز المصريون فى الحرب.

وعندما اندفعت دبابات الوحدات المدرعة الإسرائيلية الأولى إلى الجبهة الجنوبية فى الساعات الأولى من صباح الأحد (٧/ ١٠/ ١٩٧٣) اصطدمت بكمين كبير من الكوماندوز المصريين الذين سمحوا لقوات القيادة التى كانت تسير فى المقدمة بالمرور بسلام، ثم فتحوا نيرانهم على بقية الدبابات فأصيب فى الرشقات الأولى عدد من الدبابات بصواريخ البازوكا التى أطلقت عليها من مدى قصير.. وسقط الجنود الأوائل من المدرعات قبل وصولهم إلى الجبهة.

... وقد روى أحد القادة الإسرائيليين عن الاصطدام بكمين كوماندوز مصرى فقال عنهم: «لقد قاتلوا بصورة انتحارية... خرجوا نحونا من مسافة أمتار قليلة وسددوا بازوكاتهم إلى دباباتنا، ولم يخشوا شيئاً... كانوا يتدحرجون بعد كل قذيفة، بين العجلات فعلاً، ويستترون تحت شجيرات صغيرة فى جانب الطريق، ويلقمون البازوكا بطلقات أخرى.

ويرغم إصابة أعداد من جنود الكوماندوز المصريين فإن زملاءهم لم يهربوا بل استمروا فى خوض معارك الإعاقة والعرقلة. وكانت معارك انتحارية مع الدبابات، كما لو كانوا قد أقسموا على دفع حياتهم ثمناً لمنع الدبابات الإسرائيلية من المرور، واضطر جنود المدرعات إلى خوض معارك قاسية معهم.

(توقيع)
يشعابهو - بن - فورات وزملاؤه
مؤلفو كتاب التقصر (المحدال)

يقول التاريخ

. . كان المصريون أول من ابتكروا أعمال الفدائيين (الصاعقة) الكوماندوز فى التاريخ :

«إن الأرض قاطبة سترحب بى بوصفى الحاكم القوى فى داخل طيبة «كامس» حامى مصر. ولقد أقلعت منحدراً فى النيل بوصفى محارباً لأهزم «العامو» (الهكسوس) بأمر آمون صادق التضحية، وقد كان جيشى شجاعاً يسير أمامى كأنه عاصفة من نار، وكان جنود المازوا[1] فى مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع العدو، وليدمروها شرقاً وغرباً. ومعهم طعامهم وأدمهم[2]».

(من وثيقة فرعونية وهى لسان الملك كامس ابن الملك سفنن رع وشقيق أحمس - والثلاثة هم الذين أجهزوا على الهكسوس وطهروا منهم الوطن العربى)

السلاح الذى خنق إسرائيل

النكتة الإسرائيلية وبحرية إسرائيل:

وقف عضو الكنسيت الإسرائيلى ليتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبعد أن مر (مرور الكرام) على بعض جوانب الفشل الذى لقيته قوات الدفاع الإسرائيلى، تلفت حواليه ثم قال بلهجة مسرحية: «ولكن أيها السادة . . فلتعلموا جيداً أننا لم نخسر كل المعارك أوأن أسلحتنا جميعها فشلت فى تحقيق أهدافها. . فلقد قام سلاحنا البحرى بأعمال مجيدة . . وتفوق على البحرية المصرية والبحرية السورية طوال أيام الحرب».

وقد أرسل شاب إسرائيلى خطاباً ينبض بالمرارة إلى صحيفة معاريف، سخر فيه من كلام عضو الكنيست وقال إن كلام العضو المحترم يذكرنى بالنكتة التى يتبادلها الإسرائيليون الآن على المقاهى وفى المنتديات.

وتقول هذ النكتة: (إن رجلاً ذهب إلى نجار يهودى واشترى منه مائدة خشبية ودفع له ثمنها، وتوجه بها إلى بيته، ولكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن إحدى أرجلها مكسورة، فحملها وعاد بها إلى النجار، وشرح له عيبها، فقال النجا بهدوء: «صحيح أن إحدى أرجلها مكسورة لكن لا تنس يا عزيزى أن الأرجل الثلاثة الباقية سليمة تماماً).

(١) المازوا: نسبة إلي بلاد النوبة.

(٢) من كتاب تاريخ الثورات المصرية ص ١١٣ (ترجع هذه الوثيقة إلي أكثر من ١٥٩٠ عاماً قبل الميلاد، ويتضح من سياقها أن ملك طيبة (كامس) قد ابتدع العمل الفدائي قبل أن يعرفه العالم فكانت قوات المازوا التي تتقدم خلف خطوط العدو للاستطلاع والإرباك والتدمير . . هي نفسها قوات الصاعقة أو الكوماندوز في عصرنا هذا)

ولكن ما الصلة بين خطبة عضو الكنيسيت الإسرائيلى ثم التعليق الساخر لواحد من شبابهم وبين الحديث عن دور البحرية المصرية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

إن الصلة وثيقة تماماً، فلقد بدأت إسرائيل منذ وقف إطلاق النار فى تنفيذ مخطط دعائى ما عاد ينطلى على المراقبين الموضوعيين . . لقد تحدث قادة إسرائيل وكتابها عن السلاح البحرى الإسرائيلى ونسبوا إليه أعمالاً كبيرة . . بل قالوا إن هذه الحرب شهدت ميلاد القوة البحرية الإسرائيلية الحاسمة . .

ولاشك أن إسرائيل تحاول بهذه الدعاية أن تعوض انهيار طيرانها ومدرعاتها بأن تضفى بطولات كثيرة على سلاحها البحرى . . وحتى لوافترضنا جدلاً أن ما تقوله صحيح فلقد اتضح أن « مائدة» قواتها المسلحة غير متوازنة «كما تقول نكتهم» .

ولكن حيث إننا نقدم دراسة علمية ، فإننا لا نستطيع ولانملك الحق فى أن نفترض جدلاً صحة أى ادعاء ، لأن استقراء الحوادث والعمليات ينفى ما تدعيه إسرائيل لسلاحها البحرى على حساب البحرية المصرية والسورية . .

بل إن ذلك الشاب الذ ى أرسل خطابه الساخر حول خطبة عضو الكنيست كان أحرى به أن يعدل النكتة الإسرائيلية المشهورة بحيث تكون معبرة عن الواقع الموضوعى للجيش الإسرائيلى كما خرج من حرب أكتوب، فتصبح النكتة مثلاً كالتالى :

(اشترى رجل من نجار يهودى مائدة خشبية وبعد أن دفع له ثمنها توجه إلى بيته، لكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن أرجلها مكسورة ومترنحة فحملها وعاد بها إلى النجار وشرح له حالتها، فقال له النجار فى هدوء : صحيح أن رجلها مكسورة ولكنك عندما تريد استخدامها تستطيع أن تستعير أربعة أرجل لها من عند صديقنا الأمريكى . .)

وإذا كان هذا هو تعقيبى على الدعاية الإسرائيلية لسلاحها البحرى على حساب البحرية المصرية والسورية وما تحمله فى طياتها، فإننى أكون قد وضعت النتيجة أولاً . . وبالتالى فهأنذا أضع المقدمات من خلال وثائق البحرية المصرية . .

الأهداف والمهام التى حققها السلاح البحرى المصرى:

١ - قامت القوات البحرية المصرية بقصف تجمعات العدو الساحلية ومعاونة القوات البرية بالنيران من اتجاه البحر بالوحدات البحرية، والمدفعية الساحلية. وتمت قصفاتها فى الأيام الأولى للعمليات على جبهة عريضة ؛ حيث تم قصف رأس

بيرون وشرق بورسعيد ورأس سدر وشرم الشيخ ورأس محمد فى اليوم الأول للعمليات، بالإضافة إلى الاشتراك فى التمهيد النيرانى بمنطقة عيون موسى ورأس مسلة وشرق بورسعيد . وقد تكررت هذه القصفات فى المراحل التالية العمليات .

٢- أمكن تنفيذ مخطط التعرض لخطوط المواصلات البحرية للعدو . . بكفاءة تامة ، فلم تدخل أو تخرج أية سفينة من ميناء إيلات حتى توقيع اتفاقية الفصل بين القوات . . كما انخفض الدخول والخروج إلى الموانى الإسرائيلية على البحر الأبيض إلى ١٢٪ من حجمها الطبيعى .

٣- لم تستطيع البحرية الإسرائيلية المساس بأمن وسلامة حرية الملاحة إلى الموانىء المصرية الرئيسية وبصفة خاصة بالإسكندرية وسفاجة، بل استمرت هذه الموانىء فى العمل بحالة طبيعية وبالطاقة نفسها إن لم يكن أكثر. فعلى سبيل المثال كان عدد السفن التى دخلت وخرجت من ميناء الإسكندرية فى يوم ٣ أكتوبر عشر سفن بينما وصل العدد فى ١٧ أكتوبر إلى ٢١ سفينة .

إنجازات للبحرية المصرية فى غيبة أو فشل البحرية الإسرائيلية

١- قامت البحرية المصرية بعملية بث الألغام فى المياه التى يطل العدو على سواحلها بمدخل خليج السويس (قبل بداية العمليات) بتشكيل مكون من عدة وحدات . هذا ولم تلاحظ البحرية الإسرائيلية هذا النشاط على الإطلاق. وقد تكرر تنفيذ هذه المهمة عدة مرات دون أى تدخل من السلاح البحرى الإسرائيلى سوى فى المرة الأخيرة التى تمت يوم ١٩ أكتوبر .

٢- قصفت الوحدات البحرية مناطق بعيدة عن قواعدها ولم تعترضها وحدة بحرية واحدة، ومن هذه المناطق منطقةشرك الشبخ التى تعتبرها إسرائيل قاعدة مهمة لتأمين الملاحة عبر مضيق تيران . . وقد تكرر القصف عدة مرات بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة .

٣- بالنسبة إلى المهمة الرئيسية للبحرية الإسرائيلية التى طالما أعلن عنها القادة الإسرائيليون وهى تأمين خطوط المواصلات البحرية . فقد ظهر عجز السلاح البحرى الإسرائيلى عن تحقيق هذه المهمة ، حين نجحت البحرية المصرية فى إغلاق مضيق باب المندب، وقلصت نشاط الموانىء الإسرائيلية على البحر الأبيض المتوسط إلى الحد الأدنى . . وقد تحدثت عن هذه الحقيقة دراسة لمعهد ليونارد ديفيز الإسرائيلى فقالت بالنص :

«إن السفن الحربية المصرية جعلت مصر قادرة على حصار مضيق باب المندب ، ولم تكن إسرائيل تملك سوى وحدات خفيفة بالبحر الأحمر ، وكانت هذه الوحدات عاجزة عن فك الحصار ؛ حيث لم يكن فى مقدور البحرية المتمركزة بهذه المنطقة العمل بأعالى البحار. وإن التغير الجذرى الذى حدث فى البحر الأحمر وفشل إسرائيل فى تجميع قوة بحرية فى هذه المنطقة قد مهد الطريق لحصار إسرائيل بواسطة البحرية المصرية» .

سؤالان وجوابان:

١ - إذا كانت تلك هى الإنجازات الضخمة للبحرية المصرية - وهى بالتالى دليل حاسم على فشل البحرية الإسرائيلية - فما هى مبررات الدعاية التى تعزف باستمرار لإضفاء هالة القوة على السلاح البحرى الإسرائيلى؟

تقول الإجابة العلمية الواقعية : إن البحرية الإسرائيلية فى محاول لإخفاء ماأخفقت فيه لجأت إلى عمليات تكتيكية صغرى لا قيمة لها أكثر من المظهر الدعائى ، فوجهت مثلاً بعض القصفات ضد مناطق نائية وغير حيوية .

٢- هل تكبدت البحرية الإسرائيلية خسائر ملحوظة فى معاركها مع البحرية المصرية ؟

المؤكد أن السلاح البحرى الإسرائيلى فقد فى معاركه المختلفة مع البحرية المصرية العديد من وحداته كسفن وزوارق الصواريخ . .

وكانت أضخم خسائره التى لم يكشف عنها النقاب إلا بعد الحرب بعامين ومن خلال تقارير المخابرات الأمريكية ، غرق واحدة من الغواصات الإسرائيلية فى معركة بحرية بالقرب من بورسعيد. وتقول التقارير إن إغراق هذه الغواصة وحدها يعنى تدمير ثلث السلاح البحرى الإسرائيلى بغض النظر عن الخسائر الأخرى فى الوحدات الأصغر . هذا بالرغم من أن البحرية الإسرائيلية كانت تعمل دائماً تحت حماية الطائرات وخاصة الهليوكوبتر .

من أوراق البحرية المصرية

ما كادت شمس ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تغيب وراء الأفق حتى كانت بعض وحدات

البحرية المصرية تأخذ طريقها فى اتجاه الشرق بمحاذاة الشاطىء ، وقرر القائد أن تكون السرعة بطيئة إلى حد ما حتى لا تثير الشكوك، خاصة أن الاحتمال بأن طيران العدو يقوم بمسح جوى كان قائماً. .

استمرت سفن الصواريخ فى تقدمها شرقاً دون أن يحدث أى اعتراض من قطع العدو البحرية أو يظهر لها أثر. ويشدد القائد على المزيد من الحذر خشية أن يكون العدو قد أعد كميناً مفاجئاً، ثم وصلت السفن إلى أهدافها فوجهت قذائفها وصواريخها لتدمير موقع الرادار الذى أقامه العدو عند (رأس بيرون)، كما ضربت مختلف المواقع على الساحل الذى تحتله القوات الإسرائيلية.

وتماماً مثلما توقع الرجال ظهرت أعداد كبيرة من طائرات الفانتوم والسكاى هوك والهيليوكبتر وألقت مئات الفوانيس المضيئة (فليرز).

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل. . ومعنى ذلك أنه على الرجال أن يشقوا طريق العودة بأية وسيلة لكى يصلوا مع خيوط الفجر إلى المياه الإقليمية؛ إذ إن أمامهم إبحاراً يستغرق أكثر من خمس ساعات متواصلة !!

وأدرك القائد خطة العدو حين لاحظ أن طائراته تلقى القنابل وفوانيس الإضاءة فى طريق عودتهم لكى يضطروا إلى الهروب شرقاً، وعلى الفور تقرر الاستمرار فى الاتجاه نحو قاعدتهم والإنطلاق بالسرعة العالية مع المناورة المستمرة تفادياً لقنابل الطائرات الإسرائيلية، وعندئذ جن جنون هذه الطائرات فبدأت المقاتلات فى الهجوم والضرب برشاشاتها لكنها لم تفلح فى تحقيق أية إصابة، واستخدمت الطائرات الهليوكبتر صواريخها السلكية، لكن قادة الوحدات البحرية كانوا يعرفون جيداً كيف يتفادون هذه الصواريخ، مما أثار إرتباك وحقد الطائرات المعادية فاقتربت إحداهما (هليوكوبتر) من السفينة الأولى بصورة أحس فيها قائدها المقاتل مسعود بأنه لابد أن يستثمرها، فوجه مدافعه نحوها، وفى لحظة واحدة كانت هذه الطائرة الهيليوكوبتر تسقط أمامهم فى البحر.

. استمر هجوم الطيران المعادى ٩٠ دقيقة، واستمر رجال القطع البحرية فى مناوراتهم إلى أن انسحبت الطائرات إلى قواعدها. . . ومع الخيوط الأولى للصباح كانت جميع الوحدات تدخل إلى مراسيها بعد أن نفذت جميع مهامها، مضافاً إليها إسقاط طائرة هليوكوبتر.

من أوراق المقاتل بحرى ناجى

فى ليلة ٨ أكتوبر ١٩٧٣ خرج تشكيل سفن بقيادة المقاتل على، للمرور أمام سواحلنا وتدمير أية أهداف معادية يتم اكتشافها.

كنا أربع سفن. . قادها المقاتل محب والمقاتل ديدى وأنا، أما سفينة القيادة فكان يقودها المقاتل على (قائد التشكيل).

وفى منتصف الليل كشفت راداراتنا عن وجود ٩ أهداف أمامنا، وخلال لحظات تم توزيع الأهداف وأطلق المقاتل على ٣صواريخ على الأهداف الثلاثة التى كانت فى قطاعه فأصابها وبدأنا نحن نتعامل مع الأهداف الباقية.

كانت الصواريخ المندفعة فوق مياه البحر تحيل الليل فى هذه المنطقة إلى نهار ساطع، وبالتالى فإن الغلبة فى مثل هذه المواقف تكون للقائد الذى يعطى أوامره بالإطلاق قبل القائد المعادى ولو بثانية واحدة، وفى أقل من خمس دقائق أغرقنا للعدو خمس زوارق صواريخ من التى أحضرها ضمن صفقة شاربورج المهربة والتى استخدم منها الصاروخ «جبرايل» المصنع محلياً.

كانت نتيجة المعركة قاسية بالنسبة إلى بحرية العدو، خاصة أننا لم نفقد قطعة واحدة، فألقى بطائرات الهليوكوبتر المزودة بالصواريخ داخل المعركة لكننا ظللنا نناور ونحاور هذه الصواريخ إلا أن سفينتين من وحداتنا تعرضتا للإصابة. وخلال ٣٠ دقيقة مواجهة بالصواريخ فى البحر نجحنا فى إدخال الطائرات الهليوكوبتر فى مرمى صواريخنا المنطلقة من قواعدها. . وتنبه الطيارون الإسرائيليون فآثروا الانسحاب. واختفوا من سماء المعركة التى كانت أول معركة تصادمية بين لنشات صاروخية فى تاريخ المعارك البحرية وكانت الغلبة فيها لوحداتنا. .

(توقيع)
مقاتل بحرى «ناجى»

المدرعات المصرية تخوض أكبر حرب مدرعات فى التاريخ

[تفاصيل أخرى عن عملية الثغرة]

مقارنة مع أكبر حروب المدرعات التاريخية:

- لو ألقينا نظرة سريعة على معارك المدرعات الكبرى فى التاريخ، لوجدنا -

بالمقارنة السريعة أيضاً - أن معارك المدرعات التى شهدتها ميادين القتال فى حرب أكتوبر قد فاقتها كمًا ونوعاً وعنفاً.

فمثلاً كان حشد المدرعات فى معركة العلمين التى جرت فى عام ١٩٤٢ يصل إلى ٧٢٥ دبابة للطرفين المتحاربين (قوات مونتجمرى البريطانية وقوات المحور بقيادة رومل) وفى معركة «كورسك» التى أذهلت ضخامة حجمها الخبراء والمحللين كان عدد المدرعات التى اشتركت فيها من الطرفين ٦٥٠٠ دبابة وقانص لدى الجيوش الألمانية .

ـ أما فى حرب أكتوبر فقد بلغ حشد المدرعات لدى الطرفين المتحاربين (إسرائيل والجيوش العربية) ٦٧٠٠ دبابة ومدرعة . بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الدبابات دخلت ميدان القتال من خلال الجسر الأمريكى الجوى والبحرى الذى أمد إسرائيل بأحدث الدبابات والمدرعات . كما أن المدرعات الهائلة العدد التى اشتركت فى هذه الحرب كانت حديثة ومتعددة الإمكانات .

- وبالنسبة إلى المدرعات المصرية فإنها عبرت القناة إلى سيناء بعد عدة ساعات من عبور المشاة .(بعد أن تم إنشاء ١٠ جسور) وقد تم تشغيل نحو ٥٠ معدية انتقلت عليها فى الوقت نفسه دبابات وآليات فى النقاط التى لم يتم إنشاء جسور فيها .

- وقبل بزوغ فجر اليوم الثانى (الأحد ٧ أكتوبر) كانت الدبابات المصرية تتدفق على الضفة الشرقية لتدعم رءوس الجسور التى يحميها المشاة بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدروع وخلال ليلة (٦ - ٧ أكتوبر) قامت سرية من المدرعات البرمائية الخفيفة والمشاة الميكانيكية المصرية بالتقدم نحو ممر متلا؛ حيث هاجمت مركز قيادة القطاع الجنوبى فى الساعة ١٠ ,٨ من صباح اليوم التالى ، وهاجمت فى الساعة ٥٠ ,١ بعد الظهر محطة رادار فى المنطقة نفسها ، ثم عادت السرية لتأخذ مواقعها مع القوات الرئيسية فى رءوس الجسور قرب القناة .

- كما قامت سرية أخرى مماثلة بمهاجمة بعض المواقع الإسرائيلية الصغيرة قرب ممر الجدى ، ثم اندفعت نحو مطار «بيرتمادا» الواقع إلى الشرق من ممر الجدى وهاجمته فى إغارة فدائية سريعة (وكان ذلك فى الساعة ١٠ ,١٠ من صباح ٨/ ١٠/ ٧٣) ثم عادت إلى رءوس الجسور بعد أن هاجمت موقع رادار للعدو فى طريق عودتها .

(وبذلك تكون هذه السرية المدرعة المصرية قد وصلت فى عملياتها إلى عمق ٨٠

كم تقريباً داخل سيناء).

- وقد ركزت المدرعات المصرية بعد ذلك جهدها فى تدعيم رءوس الجسور وربطها بعضها ببعض. واستدعى ذلك بالطبع الدخول فى معارك متعددة مع المدرعات الإسرائيلية التى قامت بأكثر من هجوم مضاد لم ينجح منه هجوم واحد. هذا بينما ظلت الفرقتان المدرعتان المصريتان الفرقة الرابعة والفرقة (٢١) على الضفة الغربية للقناة حتى ذلك الوقت (١١, ١٢, ١٣, ١٠/ ١٩٧٣).

المعركة الكبرى : أو معارك الـ ٣٠٠٠ دبابة

نظراً لاشتداد ضغط الهجوم الإسرائيلى المضاد على الجبهة السورية قررت القيادة المصرية القيام بعملية هجومية نسبياً تنفذها القوات المدرعة الميكانيكية بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية، ثم تعميق شريط الأرض المحررة على الضفة الشرقية إلى عمق ٣٠ كم تقريباً حتى المداخل الغربية للممرات.

وقد أحاط بهذا القرار عدة مخاطر كانت القيادة المصرية تدركها تماماً. ، وأهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركزة غرب القناة ،وكان ذلك يعنى أنها ستتعرض لهجمات سلاح العدو الجوى الذى تلقى دعماً هائلاً من أمريكا بعد أن اهتزت فعاليته إلى حد كبير فى الأيام الأولى، كما كانت القيادة المصرية تؤمن بضرورة الحفاظ على رءوس الجسور وعدم إضعاف القوات التى تسيطر عليها، ولذلك كانت التعليمات تحدد حجم القوات التى ستقوم بهذه المهام بأن تكون مفارز صغيرة نسبياً.

- وبدأ الهجوم فى الساعة ١٥, ٦ من صباح يوم ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣ بقصف تمهيدى من المدفعية استغرق ١٥ دقيقة، واشترك فى تحقيقه (٥٠٠) مدفع وقاذف صواريخ كاتيوشا، على أربعة محاور تقدم.

وبمجرد انتهاء القصف تقدمت على محور ممر متلا فى الجنوب قوة مكونة من لواء مدرع ، وكتيبة مشاة ميكانيكية - وتقدمت فى اتجاه ممر الجدى قوة مكونة من لواء مشاة ميكانيكى ، وعلى المحور الأوسط تقدم لواءان مدرعان ، وعلى المحور الشمالى تقدم لواء مدرع واحد.

. . . . . .

– وقد تعرضت هذه المدرعات لمقاومة عنيفة ما كانت لتتاح للقوات الإسرائيلية لولا أنها كانت تستخدم الأسلحة والدبابات الحديثة التى وصلت إليها منذ أيام عبر الجسر الجوى الأمريكى . فمثلاً استخدمت القوات الإسرائيلية فى صد المدرعات المصرية المتقدمة صواريخ «تاو» الأمريكية الجديدة – لأول مرة – وكانت تستخدمها من منصات أرضية ومن طائرات هليوكبتر . كما أن طيرانها – كما سبق أن أشرنا – قدجرى تدعيمه بطائرات وأجهزة حديثة بالإضافة إلى طيارين متطوعين ومرتزقة .

. . . .

– ومن ثم كان لابد من قرار حاسم وسريع . . وهو ما اتخذته القيادة المصرية بعودة المفارز المدرعة المتقدمة لتساهم فى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحرب وهى مرحلة تثبيت وتقوية رءوس الكبارى ، إذ إن تقارير المخابرات المصرية أفادت بأن إسرائيل سوف تستثمر أسلحة ومعدات الجسر الجوى والبحرى الأمريكى والطياريين والفنيين المتطوعين والمرتزقة فى القيام بهجوم مضاد مدرع للوصول إلى القناة .

. . . .

– ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه فى الوقت الذى عادت فيه المفارز المدرعة «منتصف ليل ١٤ أكتوبر ٧٣» كانت القيادة المصرية قد دفعت بعدة مجموعات من رجال الصاعقة إلى خلف خطوط العدو فى عمق سيناء . وقد بدأت هذه المجموعات على الفور فى توجيه ضربات عنيفة وبالغة الجرأة ضد احتياطات القوات الإسرائيلية كافة التى كانت تتجمع خلف بقية التشكيلات استعداداً للهجوم المضاد الشامل . كما أن الطائرات المصرية دمرت وشتت طابوراً إسرائيلياً على الطريق الساحلى فى نفسه الوقت نفسه الذى دارت فيه معارك تصادمية أكدت فيها القوات المصرية استيلاءها على مركز القيادة الإسرائيلى غرب ممر متلا ، ولعل هذه العمليات هى التى أخرت بدء الهجوم الإسرائيلى الذى كان متوقعاً أن يبدأ فى صباح ١٥ أكتوبر .

– ولعلنا نستطيع أن نخلص فى نهاية هذا الجزء إلى الاستنتاجات المحددة التالية :

١ – بالرغم من نجاح المدرعات المصرية (والسورية) فى تحقيق إنجازات ملموسة فإنها لم تعط أقصى ما لديها من إمكانات . وقد يرجع ذلك – فى غالبيتة – إلى الظروف التى أحاطت بالمعارك الكبيرة التى خاضتها .

٢– بالنسبة إلى المدرعات الإسرائيلية . . كانت خسائرها أحد الملامح البارزة

للحرب . . ويمكن القول إنه قد ثبت لهذا السلاح الإسرائيلى أن أيام الحرب الخاطفة قد ولت إلى الأبد ، وأن الفشل أقرب إليه من النجاح .

المشاة .. سادة المعارك

ومشاهد تاريخية لا تنسى!!

فى لقاء مع مراسل بريطانى ، قال : « إن التاريخ العسكرى والإنسانى حرم من تسجيل عملية العبور المصرية بالصور والتسجيلات الصوتية والكاميرات السينمائية والتليفزيونية» .

وانضم إلى الحديث مراسل يوغسلافى كان معنا داخل العربة الجيب التى انطلقت بنا داخل سيناء بين المواقع المصرية المحررة. قال «إنه مشهد لن يتكرر فى التاريخ . » وأضاف مصور سينمائى مصرى بأنه «لو تم تصوير هذا المشهد لظلت السينما العالمية، والأكاديميات العسكرية فى مختلف أنحاء العالم تستخدمه لعشرات ومئات السنين» .

وكنت أنا بالطبع – ومازلت – أتفق معهم فى ذلك كله . .

ولعل ما ذكرنى بهذا الحوار محاولتى الآن أن أصور بقلمى بعض ملامح هذا المشهد، وأعترف أن القلم فى يدى يحس بعجز شديد وقصور بالغ عن القدرة على تصوير هذا المشهد المثير الضخم .

فكيف أصور مثلاً ما حدث فى الساعة . ٢ , ٢ ظهر السبت ٦أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد انتهاء الضربة الأولى ثم القصف المدفعى الهائل، حين اختفت فجأة صفحة المياه فى قناة السويس وغطتها مئات وآلاف قوارب العبور التى امتلأت بالمقاتلين المصريين الذين أخذت صيحاتهم تهدر وتشق السماء «الله أكبر»، ثم صورة مجموعات منهم وقد ألهبهم الحماس والتلهف للحظة التحرير . . ففضلوا أن يسبحوا إلى جانب القوارب المطاطية؟

. . وكيف أصور الساتر الترابى العملاق وقد أخذت رماله لون ملابس المقاتلين المصريين الذين أخذوا يتسلقونه فى سرعة مذهلة . . وعلى ظهورهم معداتهم وأسلحتهم الثقيلة . . بينما أخذ آخرون يجرون عربات اليد الصغيرة بما عليها من معدات وأسلحة أكبر وقد أقام الرجال بين بعضهم البعض جسراً آدمياً يمتد على الجبال المعلقة إلى الساتر ينقلون حمولة العربات من واحد إلى آخر حتى قمة

الساتر . وأيضاً هذاالتنسيق الغريب فى استخدام السلالم المصنوعة من الحبال للمساعدة فى اعتلاء الساتر .

وفى الوقت نفسه يندفع رجال المهندسين لإقامة الكبارى والمعابر، وتوجه المجموعات الخاصة منهم مضخاتهم التوربينية لتشق الساتر الترابى . . هذا كله . . بينما تهدر قذائف المدفعية . . وتنهال نيران العدو على بعض أماكن العبور بعد أن فشلت فى تحديد جميع الأماكن . . ثم هاهو ذا الطيران الإسرائيلى بعد ٤٠ دقيقة يندفع إلى سماء المعركة ويحاول تدمير وضرب القوات العابرة . بينما تتصدى له وسائل الدفاع الجوى المصرية . . إنه مشهد . . بل مشاهد يتضاءل بجانبها قلم أى كاتب ، بل إن كاميرات السينما والتليفزيون ما كانت لتستطيع نقل كل أبعادها وأعماقها المثيرة .

ولذلك فإننى أكتفى بتسجيل هذه الصور لهذه المشاهد التاريخية ، كما وصفها وسجلها بعض الجنود والضباط الإسرائيلين الذين أخذوا يصيحون فى اللاسلكى «المصريون يعبرون القناة» «جموع غفيرة من الجنود المصريين» مئات من قوارب المطاط » « قوارب من تيل الزجاج» .

وقال أحد جنود نقاط المراقبة على الساتر الترابى، وهو يبلغ قيادته عما يدور فى تلك اللحظات :

«المصريون ينزلون قواربهم تحتنا مباشرة . إنهم يعبرون الآن . القوارب العديدة مملوءة بالكثير من الجنود . . الجنود ينزلون ومعهم مقذوفات وأسلحة مختلفة . . بعض دباباتنا تهاجمهم الآن . قوات مدرعة مصرية تعبر . كثيرون من الجنود يقفزون إلى الشاطىء الشرقى . . ويتقدمون إلى الأمام ومعهم أسلحتهم وصواريخهم .

طائرات هليوكبتر بها كوماندوز مصريون تمر فوقى الآن متجهة إلى داخل سيناء . دبابات ٥٤ تقف فى مواجهتنا على الساتر الغربى وتطلق النيران علينا . . قوارب كثيرة أخرى تعبر . . موجة خلف موجة . . إنهم سينصبون أحد الكبارى . . العربات تسقط البراطيم . . قوافل ضخمة . . مدرعات كثيرة . . دبابات . . لوار . . مدفعية صاروخية . . . أرتال من عربات الجيب . . . .

بطارية هاون تقوم بتقدير المسافة . . ثم بدأت قذائفها فى عنف . . أصبحت مساحة النقطة الحصينة مغطاة بالشظايا كوجه ملىء بالجدرى . . إن ضرب المدفعية المصرية . . مركز وعنيف للغاية!!»

موردخاى .. مقلوباً .. ولا يسمع شيئاً

كان موردخاى يجلس على برج المراقبة فى التحصين المطل على جسر القردان، عند ما سمع فجأة، هديراً يصم الآذان ويزداد قوة وعنفاً . لقد مر عن يساره سرب كبير من الطائرات المصرية النفاثة منطلقاً داخل سيناء على ارتفاع يكاد يصل إلى ارتفاع الكثبان الرملية .

لم ير مردخاى شيئاً على سطح القناة . . ولكن فجأة . . وفى لحظات خاطفة، امتلأت المياه أمامه بعشرات القوارب التى تحمل الجنود المصريين المسلحين ، وهى تجدف عابرة القناة من الغرب إلى الشرق .

قال مردخاى لنفسه «ما هذا؟» إنه منظر لا يصدق . . المصريون يعبرون القناة! ولم يكد مردخاى ينهى تساؤله (لنفسه) حتى تلقى برج المراقبة الذى يجلس عليه، قذيفة من غرب القناة، ولحسن حظه لم يسقط به البرج ، ولكنه وجد نفسه معلقاً بما تبقى له من قوة بالإفريز الحديد الذى كان قد ركز عليه المنظار المكبر .

وشاهد موردخاى مذعوراً عشرات الجنود المصريين يقفزون على الحواجز ، ويركضون على الرمال المنبسطة أمامه، ثم يقتربون من أسوار الحصن ويدسون تحت لفائف الأسلاك الشائكة أنابيب سوداء مستطيلة قذفت سحباً من الدخان، ووهجاً من النيران، وأعمدة من الرمال، ولم يدرك – لسبب ما – لماذا كانت المشاهد التى تدور أمامه صامتة تماماً .

قد كان يخيم صمت مخيف ، ولكن يبدو أنه سادت من حوله ضوضاء هائلة . . رجال يركضون ويلوحون بأزرعتهم ، وزخات رصاص تنطلق من المواقع . كل ذلك يحدث لكنه مازال لا يسمع شيئاً، وأغضبه جداً كونه معلقاً بصورة مقلوبة . . ولم يستطع أن يبلغ عما يجرى أمامه ، ولم يعرف موردخاى ماذا يجرى له إلا بعدأن تمكن من الوصول إلى التحصين؛ حيث أدرك أنه قد أصيب بالصمم نتيجة إصابة القذيفة للبرج ، كما أنه اكتشف أن أجزاء من لحم ساقه قد تمزقت . .

***

صورة تكررت مع جميع حصون خط بارليف

كيف سقط حصن الفردان [حزايون]؟

اندفع المقاتلون المصريون المكلفون باحتلال هذا الحصن بعد أن عبروا القناة وتسلقوا الساتر الترابى يحملون معداتهم وأسلحتهم . . فى وقت قصير للغاية . . اتجهت المجموعة الأولى إلى القسم الجنوبى من النقطة الحصينة ، وقد تم إسقاطه فى ساعات قليلة من بدء الهجوم لكن النقطة الشمالية ظلت تقاوم لمدة تصل إلى خمسين ساعة ، وكان المقاتلون المصريون يهاجمون بإصرار . وعندما اتضحت مناعة الحصن واستفادة القوة الإسرائيلية الموجودة فيه بإمكاناته وتجهيزاته الضخمة ، قرر ضابط شاب أن يلف متستراً بالماء ، واندفع مع رجاله تحت نيران العدو . يهاجمون النقطة الحصينة من الخلف بدلاً من مهاجمتها من الأمام كما حدث طوال «اليومين السابقين» .

اقتحم الضابط إحدى دشم الحصن هو ورجاله . ودار قتال بالسلاح الأبيض . فى الوقت الذى كان يتم فيه التقاط المكالمات اللاسلكية بين جندى الإشارة بالحصن وقيادتهم . . وفى اللحظة التى وعدتهم فيها القيادة بدفع المدرعات لمساندتهم ، وكان جندى الإشارة يصيح طالباً أن يطلقوا المدافع من العمق على القوة المصرية . فى هذه اللحظة كانت القوة قد قضت على مقاومة الجنود الموجودين فى الدشمة الأولى . . ثم انطلقوا إلى بقية الدشم والمخابىء . . وسيطروا تماماً على النقطة الحصينة بعد أن قتلوا وأسروا جميع من كانوا فيها من الضباط والجنود الإسرائيليين .

ورفع العلم المصرى فوق نقطة الفردان . . وفشلت كل غارات العدو الجوية فى إضعاف سيطرة القوة المصرية عليها . . كما تم تدمير وضرب المدرعات التى حاولت الاقتراب لاستعادتها .]

تلك هى قصة سقوط إحدى النقاط الحصينة من خط بارليف . فكيف يحكى الإسرائيليون أنفسهم قصة الذين كانوا بداخلها . . . قصة السقوط . . ؟

«إنهم يقتربون .. إنهم يقتربون » [ثم انقطع الإرسال]:

سجل المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل - دقيقة - بدقيقة - الحوار الساخن الذى دار بواسطة اللاسلكى بين إريل شارون - الذى لم يكن يستطيع التحرك بقواته ، وظل مرابطاً على المرتفعات فى مواجهة الإسماعيلية - وبين الجنود والضباط الذين تبقوا

فى موقع (حيزايون) الحصين، الذى يقع بالقرب من جسر الفردان القديم، وبعد أن تم حصار جنود هذا الحصن وأصبحوا «كالغرقى وسط الجنود المصريين» أخذوا ينادون على قيادتهم لتهب لنجدتهم، «وكانت أصواتهم المنزعجة متوترة بصورة لا يمكن أن تنسى» .

« إننا الآن عشرون داخل الحصن، وقد أصيب القائد . إن الذى يتحدث إليكم الآن هو جندى الإشارة . انهضوا لتخرجونا من هنا» .

وقد اضطر إريل شارون بنفسه إلى أن يتناول السماعة عدة مرات ليطمئن الجنود قائلاً: «عليكم بالهدوء يا أولادى . . لا تخرجوا من الحصن بأى حال، وسوف نغطيكم بالمدفعية . . »

«حسناً لقد فهمنا ذلك، ولكن لا تقطعوا الإرسال بيننا . . إن الموقف قاسٍ للغاية . . »

وطيلة ساعات وساعات من يوم الأحد حتى يوم الإثنين أخذت المدافع الإسرائيلية فى الدفاع عن حصن (حيزايون) عن بعد مستعينة بالصوت المضطرب للجندى المسئول عن الإرسال، وكان عمل المدفعية شبيهاً بدقات المطارق على ذباب غير مرئى، وعادت صرخات الاستغاثة تنطلق من جهاز الإرسال فى الحصن .

«على بعد ٤٠٠ متر من الباب الشرقى عاد المصريون إلى الهجوم» إنهم يلقون سريعاً بقنابل يدوية تحركوا . . تحركوا . . »

وفى الساعة السادسة والنصف، أصاب الذعر الكامل إرسال الحصن، وأخذ صوت بالداخل يصرخ ويصرخ . .

«إنهم يقتربون . . إنهم يقتربون، أطلقوا المدافع سريعاً . . إنهم على بعد ٥٠ متراً . .»

ثم انقطع الإرسال نهائيّاً . . لقد اقتحم المصريون الحصن وأسروا من بقى من الجنود على قيد الحياة .

أما مراسل إذاعة إسرائيل الحربى . . فقد أغلق جهاز التسجيل الإذاعى بيد مرتجفة ولم يمكنه الاضطراب الشديد من التعليق على ذلك التسجيل .

صفحات من مذكرات قائد موقع لسان بور توفيق :

السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

على الرغم من أننا تلقينا أمس إشارة من قيادة الأركان . . عن احتمال قيام المصريين بهجوم على مواقعنا فإننا استبعدنا ذلك تماماً ، فنحن بقوتنا الهائلة قد أدخلنا اليأس إلى قلوبهم ، وهم كما أكدت قياداتنا ، أضعف من أن يفكروا فى دخول حرب جديدة معنا .

ومع ذلك فإننا رفعنا درجة الاستعداد . وكان لدينا - فى موقعنا (ميزح) (١) كل ما يطمئننا - فحتى لو فكر المصريون فى الهجوم ، فإن موقعنا من أقوى مواقع خط بارليف ، وخاصة بعد الإضافات الهائلة التى دعم بها الموقع بعد ذلك الهجوم الذى شنته عليه قوة مصرية فى أثناء ما يسمى بحرب الاستنزاف .

ونتيجة لهذا «الاطمئنان» حاول قائد الموقع (الذى توليت القيادة من بعده إثر مصرعه) وهو الملازم أول دافيد ترجمان - حاول الاتصال - فى الساعة الواحدة والربع - بخطيبته فى شرم الشيخ - (وعلى فكرة - كانت هى أيضاً زميلة لنا فى جيش الدفاع برتبة ملازم) . . وقبل أن يتفق دافيد مع خطيبته على اللقاء فى اللد بمجرد حصوله على إجازة هو الآخر ، قطعت المكالمة واستشاط هو غضباً ، وأخذنا نمزح معه دون أن يبتسم .

وفى الساعة الواحدة والنصف سمع دافيد صوتاً قادماً من بعيد ، ولم يكن هذا هو الصوت المألوف لعامل التليفون فى مركز أم خشيب ، ومرة أخرى استشاط دافيد غضباً ، وطلب من المتحدث أن يدع الخط إلى أن يتحدث مع خطيبته ولكن المتحدث أجابه ببرود : إنه يتكلم من القيادة العامة ليدلى بإشارة عاجلة إلى قائد الموقع . ورد دافيد بحنق :

- أى موقع ؟

- موقع ميزح ؟ (لسان بور توفيق)

- حسناً . . إننى القائد .

- نعم يا سيدى . . إشارة من قائد الأركان : «يحتمل أن يقوم المصريون بـ . . » وهنا انقطع الاتصال قبل أن تنتهى الإشارة ، وعاد دافيد إلى الدق على جهاز التليفون ، ولكن الجهاز اللعين بدا ميتاً ، ولم يتحقق للاتصال أن يتم إلا بعد ثلث ساعة .

. . . إلى أن كانت الساعة الثانية وخمس دقائق حين سمعنا أزيزاً مكتوماً وأصوات انفجارات قريبة . . إن طائرات السوخوى المصرية تقذف سيلاً من القنابل . وفى الوقت نفسه تقريباً تساقطت قذائف المدفعية الحادة . . لا أفهم شيئاً حتى الآن .

دمرت قذائف المدفعية المصرية وسائل الاتصال . ومواقع المراقبة .

. . ترى هل يكون ما يحدث مجرد حادث فردى أكبر قليلاً من الحوادث السابقة ؟ أتمنى ذلك .

. . استمر القصف المصرى ساعتين .

. . رأيت أربع دبابات إسرائيلية تدخل موقعنا . . (ياللكارثة ؟ ! لقد أصيبت ثلاث دبابات منها . . وسقط أطقمها ما بين قتلى وجرحى) .

* قرب الغروب رأينا عشرة قوارب مليئة بالجنود المصريين تعبر بهم القناة أصدرت أوامرى بضربهم بالمدافع الرشاش الثقيل . لا فائدة فقد أصيب هو الآخر . . فتح رجال الموقع نيران مدافع عوزى . . تمكنا من إصابة بعض المشاة . لكن موجة الهجوم وصلت إلى الساتر وسمعناهم يتصايحون فى ثورة : «سنذبحكم . . »

* لماذا لم تعمل مواسير النابالم ؟ لغز آخر ! !

* نسف المشاة المصريون من حملة قاذفات اللهب خزان الوقود فى الموقع .

* بدأ القتال بتبادل القنابل اليدوية .

* سقط أول قتيل منا .

* لاحظت أن القوات المصرية تندفع ناحية الشرق . لكنهم تركوا بعض المشاة الذين بدأوا فى حصار الموقع .

* هبط الليل ، أسوأ ليل فى حياتى ، القذائف تدك المعقل . الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ .

سقط القتيل الثانى ، والثالث .

* لقد حوصر الموقع تماماً ، وتم عزله من جميع الاتجاهات .

* توالى سقوط القتلى والجرحى وكان من بينهم القائد (دافيد) .

* أصبحت مسئولاً عن قيادة الموقع .

* مازلت متأكداً من أن قوات جيش الدفاع سوف تأتى لفك الحصار المصرى وتنقذنا إننى متأكد من ذلك تماماً .

الأحد ٧ أكتوبر [المنظر المخيف !!] :

هبط الليل . . وأخذت القذائف تدك الحصن، وراح الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ والقنابل التى أخذت تنفجر داخل الدشم . لم يعد هناك شك فى أن الموقع أصبح محاصراً، ومقطوعاً عن بقية العالم، الحالة المعنوية منهارة، نفدت حقن المورفين وزجاجات البلازما كما تناقصت كمية الأربطة الموجودة .

مازلت واثقاً بأن طيراننا ومدرعاتنا ستصل لنجدتنا . على الأقل هذا ما أؤكده لرفاقى .

الأثنين ٨ أكتوبر :

مع طلوع فجر هذا اليوم . . تلقينا صدمة أخرى مروعة لقد كان المشهد الذى بدا تحت أنظارنا مثيراً للذعر واليأس . . إن ما اعتدنا رؤيته قبل ذلك كمنطقة بيضاء من الرمال أصبح أسود «من الآليات المصرية» . . لم نعد نشاهد الرمل . كانت الأرض كلها مغطاة بالعربات المصرية، وغير بعيد عن السور المحيط بالموقع كانت تمر الدبابات بأعداد كبيرة، كما كانت هناك سيارات نقل ومدافع وصواريخ، كل ذلك كان يتحرك ويجرى، فى حين أننا كنا بين طرفى الكماشة .

أخذت مئات القذائف تنفجر فوق الموقع والدشم . استطاع جنود المشاة المصريون أن يصلوا إلى فتحات الموقع، فأخذوا يلقون بالقنابل اليدوية داخل الساحات التى تحمى السور، ووجهت الدبابات مدافعها إلى مداخل الموقع، فراحت بقية دباباتنا التابعة للموقع تطلق نيرانها، وأثناء الاشتباك أخذ جندى اللاسلكى يصرخ طالباً النجدة .

. . . .

الثلاثاء ٩ أكتوبر :

يبدو أن المصريين لم يبدأوا هجومهم الفعلى حتى الآن لكن أفراد الموقع – من تبقى منهم – كانوا يعانون من الإرهاق والخوف .

استطعت أن أستخدم نظارتى الميدانية لأعرف ما يدور حول الموقع، ولكنى رأيت ما لم أصدق، لقد كان العلم المصرى يرفرف فوق الدشمة المجاورة ! هبط قلبى وشعرت بالعار والانهيار، وخاصة أن عدد الذين يصلحون للقتال من رجالى فى هذا اليوم لا يزيد على عشرة !!) وكان على أن أواصل رفع روحهم المنهارة. . وأخذت أقول لهم: «لسوف تمر الأزمة. . وسيأتى رجالنا. . إنهم قادمون فقليلاً من الصبر. . قليلاً من الصبر !!» أيدنى المضمد يرحميئيل يسرائيلى فقال هو الآخر. . «إننى متأكد أنهم سيأتون لإنقاذنا».

الأربعاء والخميس والجمعة ١٠، ١١، ١٢

لم نتوقف عن طلب النجدة، الأمل فى وصولها يتلاشى. . الموقف بالغ السوء، لم تعد تجدى تنقلاتى بين مواقع الحصن، فالجنود والضباط ينهارون لحظة بعد أخرى، قال أحدهم إن الذخيرة تنفد.

الهجمات المتقطعة للمشاة المصريين تطرد النوم من عيوننا. تلقينا إشارة من قيادتنا تقول: «إذا لم نستطع إرسال النجدة إليكم. . فعليكم بالاستسلام». . لقد تأكد ماتوقعته !

. . نجح طبيب الموقع ناحوم فريين فى علاج جندى أصيب بجروح بالغة نتيجة إصابته «ببازوكا» فتحطمت يداه، ودخلت الشظايا فى جميع أعضاء جسده وحتى فى عنقه. وبعد مرور ساعات قليلة أخذ يهذى ثم فقد وعيه، قام الدكتور ناحوم بقطع زنده. . وكان يقاوم ارتجاف يديه وهو يفعل ذلك.

إن وضع الجرحى لا يطاق.

. . صورة أول جريح يسقط من بيننا فى يوم السبت الماضى مازالت ماثلة أمامى. فى لحظة هدوء حكى لى الدكتور ناحوم كيف فشل فى علاج هذا الجريح. . قال لى «لم أسيطر على النزيف، وشعرت بأنه سينتهى بين يدى. وقد مات فعلاً بعد ست ساعات تقريباً. . إن هذه هى المرة الأولى التى يموت فيها شخص وأنا المسئول الوحيد عنه. وعندما تحققت من وفاته جلست فى مكان ما من المستوصف داخل الموقع وأنا غير قادر على القيام بأى عمل. وبقيت هكذا مدة عشر دقائق. . إلى أن بدا وصول جرحى آخرين. . وكان لزاماً على أن أسارع إلى إسعافهم».

هكذا أخذ يحدثنى الدكتور ناحوم إلى أن دوت فرقعة هائلة . . فقلت لنفسى : بدأوا الضرب مرة أخرى.

. . . .

صباح السبت ١٣ أكتوبر

مر أسبوع على حصار المصريين لنا، أصبحنا مجموعة منهكة تماماً، قمت بالاتصال لاسلكيًا بالقيادة الجنوبية . . ودار بيننا الحوار التالى :

- القيادة : شلومو . . هل يمكنك الصمود ؟

- أنا : مستحيل . . مستحيل . . ليست هناك فائدة . . إننى سأسلم.

القيادة : اسمعنى جيداً . . إذا استطعت أن تصمد قليلاً . . فسوف نبذل كل جهد لنخرجكم من هناك.

أنا : طالما قلت لك إنه لم تعد هناك أية فائدة.

القيادة : حسناً . . أرجو أن نراك . . هل تريد شيئاً ؟!

أنا : نعم . . أذهب إلى بيتى .

القيادة : هل تعرف شيئاً عن وضعنا ؟

أنا : سلبى . . سلبى .

القيادة : بالنسبة إلى الموضوع (الاستسلام) فقد تم عمل اللازم . . عندما تظهرون فى التليفزيون المصرى . . قل للأولاد أن يرفعوا رءوسهم ويبتسموا .

أنا : لقد وعدونا بتطبيق اتفاقية جنيف .

القيادة : ألا تريد أن تضيف شيئاً ؟

أنا : أبلغ أسرتى . . وقل للزملاء أن يسهروا على أمى وأبى .

* انتهى دورى فى الاتصال بالقيادة، وتركت ضابط الاتصال فى الحصن (عموس سيجل) ليتلو هو عليهم قائمة الرجال الموجودين، وذكر لهم أسماء الجرحى، وحالة كل واحد منهم، ثم قرأ بعد ذلك قائمة القتلى، وكان الذى يتلقى منه هذه القوائم عامل اللاسلكى فى القيادة ويدعى (ماركو) ولما كان يعرف بعض القتلى الذين ذكر (عموس) أسماءهم، فإنه انفجر باكياً وهو يصيح فى الجهاز : «اصمدوا . . اصمدوا . .».

- قمت بالاستعدادات الأخيرة للاستسلام، وقام الدكتور ناحوم بتغيير الضمادات للجرحى، واقترحت أنا على الرجال أن يحلقوا لحاهم ويغيروا ملابسهم لكن معظمهم لم يعبأ بما أقول.

وأمرت أحد الجنود بأن يحمل معه كتاب التوراة الموجود فى الحصن (وكان قد قدم لنا هدية من يهود رومانيا).

- بعد ذلك خرجت . . ومعى الدكتور ناحوم لإجراء المفاوضات مع الضابط المصرى الذى جاء معه صحفيون ومصورو تليفزيون من جنسيات مختلفة. وطلبت إذناً بجمع جثث القتلى، فوافق على الفور، وعدت إلى الرجال فى الحصن، وتم نقل الجرحى فى القارب الأول، وبعد ذلك نقلت بقية المجموعة وكانت عدسات الصحفيين وكاميرات التليفزيون تفترس ملامحنا . .

وبرغم الخوف من الأسر فإننى أحسست بالقدرة على التنفس جيداً».

. . . .

تلك كانت الصورة الحية لانهيار الضباط والجنود الإسرائيليين فى موقع حصين جداً . . وانعدام قدرتهم على المقاومة ولهفتهم على الاستسلام.

تلك كانت الصورة كما سجلها بقلمه مراسل وكالة رويتر.

ونعود إلى مذكرات شلومو أردنيست قائد موقع لسان بور توفيق، مع مراعاة أن الصفحات التالية أضافها إلى مذكراته بعد عام من الحرب.

. . . .

« . . مرت الأيام . . ومرت الشهور . . ومازال كل شىء ماثلاً أمامى بكل الوضوح وكل الألم وكل القسوة، إنك يمكنك أن تفعل أى شىء، أن تقضى وقتاً طيباً، أن تزور أحد أصدقائك، وأن تجلس ساعات طويلة تقرأ الكتب، وأن تسافر خارج البلاد، باختصار تستطيع أن تفعل أى شىء، ولكن تلك السحابة القاتمة لا يمكن أن تنساها أو تغيب عن عيونك، إنها أهوال الحرب، حرب يوم الغفران (أكتوبر) . . إنها الحرب وذكرياتها التى تطاردنى أينما كنت، وأينما ذهبت، إننى حتى الآن لا تفارقنى تلك المناظر الفظيعة . . حين ظهر الصلب الذى برز من الماء

(يقصد الدبابات والمدرعات المصرية). وأبداً لا أنسى الرصاص الذى كان يمر من فوق رؤوسنا بلا توقف، وذلك البحر البشرى المصرى الذى برز لنا من الرمال، لقد حدث لنا فى ذلك اليوم ما لم يكن يخطر على بال أحد منا، أبداً لم نتوقع أن يحدث ذلك فى حياتنا أو فى حياة أجيالنا القادمة.

. . . .

إننى أتذكر الآن كيف تمكن الجنود المصريون المسلحون بقاذفات اللهب من التسلل إلى قرب الحصن، حيث بدأوا بعد ذلك فى توجيه المقذوفات، وإلقاء القنابل اليدوية علينا، أتذكر صرخة أول قتيل من بيننا.. أتذكر.. أتذكر.

أتذكر لحظات استسلامنا للمصريين.. حين سلمنا العلم، وعبرنا إلى الجانب الآخر من القناة معصوبى الأعين، ثم قادونا فى عدة عربات.. أتذكر اللحظة التى دفعونا فيها إلى غرفة التحقيقات.

المهندسون .. يتألقون !!

ربما لايعرف البعض أن رجال المهندسين عبر منهم عدد كبير ضمن الموجات الأولى للاقتحام، حيث حملوا معداتهم الفنية وأسلحتهم معهم فى القوارب المطاطية إلى الضفة الأخرى للقناة فى سيناء، وكانت أهم المعدات التى حملوها معهم تلك المضخات أو مدافع المياه كما أطلقوا عليها والتى كانت من أبرز مفاجآت الحرب، إذ تم استخدامها فى شق الساتر الترابى المرتفع باندفاع فوق المياه، لعمل ممرات أو فتحات تسمح بتشغيل المعديات وإقامة الكبارى. ولعله من المشاهد التاريخية منظر رجال المهندسين وهم يؤدون مهمتهم الخطيرة والحيوية جداً لعملية العبور بين نيران العدو نحوهم فى كثافة جنونية وهم لا يعبأون .

كما أن الطين الناجم عن اختلاط المياه بتراب الساتر قد تناثر على وجوههم وأجسادهم وهم لا يعبأون، وكلما سقط منهم شهيد أو جريح كان يتقدم مكانه على الفور مقاتل آخر، هكذا سارت ملحمة المهندسين الذين استخدموا ٣٥٠ مضخة مياه (مدفع مياه) بامتداد القناة، وقد نجحوا فى فتح أكثر من ثلاثين ممراً خلال عدة ساعات، وبلغة الأرقام نقول إن كل فتحة أو ممر كان (يتهايل) منها ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال، وعندما بلغ عدد الفتحات ستين فتحة (ممر) كان رجال المهندسين قد قاموا بتجريف تسعين ألف متر مكعب من الرمال. لقد كانوا يعملون بحماس وطاقة

بلا حدود . . تتحرك مجموعات بالمضخات لعمل الفتحات، وتتحرك مجموعات أخرى لإقامة الكبارى والمعابر فى سيمفونية من التفانى والفداء . وقد تكبدوا نسبة لايستهان بها من الخسائر، وكان فى مقدمة الشهداء أحد قادتهم الكبار العميد أحمد حمدى الذى أطلق اسمه على نفق قناة السويس .

هذا ولم يقتصر عمل رجال المهندسين على شق الممرات وإنشاء الكبارى الثقيلة، فقد أقاموا عددا مماثلاً من الكبارى لعبور العربات الخفيفة عليها وأيضاً الكبارى الهيكلية التى يمكن أن تجتذب نيران مدفعية العدو وقنابل وصواريخ طائراته بعيداً عن الكبارى الثقيلة، وكانوا فى الوقت نفسه يغطون منطقة الكبارى بستائر من الدخان جعلت رؤية العدو للمواقع بشكل دقيق أمراً صعباً . ومن قصص الإصرار والشجاعة التى تحلى بها رجال المهندسين ما حدث عندما تمكنت الطائرات الإسرائيلية من ضرب أحد الكبارى وإلقاء قنابل زمنية عليه، وكان على الرجال إما أن يتركوا الكوبرى يغرق فى القناة وإما أن يقوموا على الفور بفكه وإصلاحه وسط القنابل الزمنية التى يمكن أن تنفجر فى أى وقت، وكان قرار قائدهم (صالح) العمل على إنقاذ الكوبري، وبالفعل نزل إلى الماء مع رجاله وقاموا بإصلاحه بعد أن قام بجمع القنابل الزمنية المتناثرة فوقه بأسرع ما يمكن، وقد إنفجرت بمجرد إبعادها عن الكوبرى .

هذا وقد نجح رجال المهندسين فى إنشاء «أول كوبر ثقيل» فى نحو الساعة الثامنة والنصف مساءً أى بعد حوالى نحو ست ساعات من بدءً الاقتحام . وفى نحو الساعة العاشرة والنصف - بعد ثمانى ساعات من بدء الاقتحام - كان المهندسون قد أتموا إنشاء ثمانية كبار ثقيلة وأربعة كبار خفيفة، كما قاموا ببناء وتشغيل ثلاثين معدية وأصبحت قواتنا تتدفق عليها شرقاً، بينما تعمل وحدات إنشاء الكبارى بأقصى طاقتها، إلى أن أصبح لدينا فيما بعد عشرة كبار ثقيلة وعشرة كبار خفيفة . وكان إنجازاً عظيماً لوحدات المهندسين يوم ٦ أكتوبر بعد أن حققوا حتى الساعة العاشرة والنصف مساءً أى بعد ثمانى ساعات من بدء القتال :

- فتح ٦٠ فتحة (ممراً) فى الساتر الترابى (تهايل) منها ٩٠ ألف متر مكعب من الرمال .
- إتمام إنشاء ٨ كبار ثقيلة .
- إتمام بناء ٤ كبار خفيفة .
- بناء وتشغيل ٣٠ معدية .

وكانت الدبابات والمدافع والأسلحة الأخرى تعبر فوق الكبارى والمعديات بمجرد الانتهاء من إنشائها ، وكانت كلها جاهزة للعمل بأقصى طاقتها فى العاشرة والنصف مساء .

وبذلك أنجز المهندسون عملاً رائعاً فى الخطوط الأمامية بالجبهة تحت تهديد نيران العدو وتحت ستر نيران قواتنا من الضفتين الشرقية والغربية - وكان ذلك عاملاً رئيسيًا وحيويًا لنجاح العملية الهجومية مع اقتحام قناة السويس .

ولعل خير ما يجسد أعمال سلاح المهندسين وبطولاته، ما اعترف به قادة وجنود إسرائيل، وها هو ذا رئيس الأركان الجنرال ديفيد أليعازار يقول فى مذكراته :

« لقد كانت الإشارات تتوالى بشكل مذهل - كنا بقدر الإمكان نحاول المحافظة على هدوء أعصابنا واتزان تفكيرنا، لكننا بعد وصول الإشارة رقم ٣٣ التى أفادت أن المصريين تمكنوا من إنشاء «عشرة كبار ثقيلة وعشرة كبارى مشاة»، وأن العربات والمعدات الثقيلة بدأت فى العبور إلى الضفة الشرقية للقناة، لم نستطع أن نتوازن بشكل دقيق أو نفكر فى أى شىء، بل سيطر علينا الذهول المقرون بخيبة الأمل .

وأوشك النهار - يوم ٦ أكتوبر - أن ينتهى دون أن نحقق هجوماً مضاداً ناجحاً ومؤثراً، نوقف به تدفق المعدات الثقيلة عبر الكبارى إلى الضفة الشرقية حيث توجد مواقع قواتنا . وكان معنى أن يأتى الليل ويسود الظلام، أن تنتهى أى فعالية لسلاحنا الجوى فى الوقت الذى تستطيع فيه القوات المصرية تثبيت هذه الكبارى وتأمينها .

إن الحقائق بدأت تتضح أمامنا شيئاً فشيئاً، فالإشارات تؤكد أن أكثر من ثلاثين ألفاً من الجنود المصريين أصبحوا يقاتلون فى الضفة الشرقية، ومازالت المعدات الثقيلة تعبر الكبارى إلى الضفة الشرقية . إن التلاحم بين جنودنا والمصريين معناه أن يفقد سلاحنا الجوى فعاليته، وأصبح مجموع ما سقط لنا من طائرات حتى الساعة العاشرة وعشر دقائق مساءً يوم ٦ أكتوبر هو ٣٥ طائرة . .

أصبح القتال يسير ضارياً شرساً . والدلائل كلها تشير إلى أننا نواجه خطة دقيقة ومحكمة لانعرف مداها أو أبعادها، بعد أن أصبحنا أمام واقعين جديدين تماماً فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى أديا إلى سقوط كل حساباتنا العسكرية والمقاييس التى بنينا عليها خططنا . وكان الواقع الأول أنه لم يعد هناك حاجز مائى يمنع تدفق المصريين إلى مواقع قواتنا فى الضفة الشرقية للقناة . وكان الواقع الثانى أن حصون

خط بارليف المنيعة لم تعد لها فعالية، ولم تعد هى الخط الدفاعى المأمون بعد أن سقط معظمها . . لقد بدأت بالفعل مواجهة حقيقية بين القوات المصرية وقوات الجيش الإسرائيلى .

لقد كان ما يحدث بالفعل كارثة حقيقية » .

وفى موقع آخر من مذكراته يقول الجنرال ديفيد أليعازار :

« كانت أخطر الإشارات التى وصلتنا حينئذ، هى التى أفادت أن المصريين بدءوا فى عمل ممرات فى السواتر الترابية السميكة، باستخدام قوة دفع المياه عن طريق مضخات خاصة كانوا يستخدمونها تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والمشاة، كما بدءوا يسقطون معديات ومعدات عبور أمام رءوس الكباري . وفعلاً كانت تلك الإشارة هى أخطر الإشارات لأنها تعنى أن أى تقدير للعمل العسكرى الذى تقوم به مصر وسوريا أصبح تقديراً متأخراً .

فى هذا الوقت جن جنوننا، فأصدرنا أوامر بأن يكثف سلاحنا الجوى هجومه فى محاولة لمنع المصريين من عمل الممرات خلال السواتر، وتعطيل إسقاط المعديات والكباري، ولكن وسائل الدفاع الجوى المصرى المجهزة بصواريخ سام - ٦ أسقطت لنا خلال أربع دقائق خمس طائرات منها اثنتان طراز فانتوم وثلاث سكاى هوك» .

ومن الفصول أو الصور المثيرة لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، تلك الصورة التى عبر عنها أحد الجنود الإسرائيليين من قوات خط بارليف، حيث تحدث عن إنشاء المصريين لكبار وجسور فى سرعة مذهلة وقال : «كنا نراها كالأذرع تزداد طولاً من ضفة إلى أخرى» كما أن موشيه ديان قال : «لقد حطم المصريون اعتقادنا فى المدة التى يحتاجون إليها لإقامة المعابر والكبارى؛ إذ كنا نتوقع أنهم يحتاجون إلى وقت أطول بكثير (يزيد عن ٢٤ ساعة) وبالتالى كنا سنجد الوقت لدفع مدرعاتنا وطائراتنا لتدمر هذه الكبارى قبل أن يكتمل إنشاؤها» .

وإذا كان رجال المعابر والكبارى قد حققوا هذه الملحمة فى وقت قياسى، فإن ذلك يرجع أساساً إلى التدريب الشاق والطويل، وإلى الجهد الكبير لسلاح المهندسين الذى قام بتصنيع ٦٠٪ من معدات العبور .

وقد بدأت هذه الملحمة فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ حين وصلت إلى الجبهة آلاف القطع من معدات العبور، وانتشرت على طول المواجهة خلف الساتر الترابى المقام على الضفة الغربية للقناة، ووضعت كل معدة فى حفرتها وتم تمويهها جيداً.

وتمركزت العناصر الخاصة بفتح الثغرات (الممرات) فى الساتر الترابى الشرقى خلف الشاطئ مباشرة ومعها معداتها. استعداداً لإشارة البدء. وفى نفسه الوقت كانت عدة وحدات من الدفاع الجوى قد اتخذت أماكنها بالقرب من معدات العبور للدفاع عنها ضد طيران العدو. وقد تعمدت بعض الوحدات من رجال الكبارى والمعابر أن تقوم بإلقاء ألغام هيكلية (تعمدت وضعها على مرأى من العدو) فى المساحات المعدة أمام الكبارى، وفى الوقت نفسه قامت بانتشال الألغام الحقيقية من هذه الأماكن!!

وعندما حانت ساعة الصفر.. بلغ الحماس بالمقاتلين حدًا كبيراً حتى إن الأفراد المختصين بتشغيل المضخات المائية التوربينية من الضفة الشرقية لم يستطيعوا الانتظار، فعبروا قبل موعدهم مستغلين دخول الطائرات إلى سيناء وضرب المدفعية لمواقع العدو، ثم بدأوا على الفور فى إسقاط البراطيم.. لتبدأ فصول إنجازهم العظيم.

الفصل السابع

الفصل السابع

مواقف ومشاهد من الجبهة السورية

فى أبريل ١٩٧٣ وصل الرئيس السورى حافظ الأسد إلى مصر فى زيارة سرية، والتقى بالرئيس السادات فى «برج العرب» غرب الاسكندرية وحضر الاجتماع اللواء الجمسى مدير العمليات بالقوات المسلحة وقال الرئيس السادات لأخيه الأسد : لقد قررت أن أدخل المعركة هذا العام وأعطيت تعليماتى للفريق أول أحمد اسماعيل. فما رأيك ؟!

وعلى الفور رد الرئيس الأسد قائلاً : أنا معك . . وداخل المعركة . . ثم اتفق الزعيمان على تكوين مجلس أعلى مشترك للقوات المسلحة المصرية السورية ليضع اللمسات الأخيرة للمعركة. وفى ٢٢ أغسطس وصل إلى الاسكندرية فى سرية تامة اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع ومعه رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات ومدير المخابرات العسرية وقادة الطيران والبحرية والدفاع الجوى، واجتمعوا مع نظرائهم من القادة المصريين على مدى يومين، وتم الاتفاق فى هذا الاجتماع التاريخى على بدء الحرب فى أكتوبر ٧٣، ولتحقيق أقصى قدر من السرية، سافر الرئيس السادات إلى المملكة العربية السعودية وقطر ثم سوريا حيث اجتمع مع الرئيس حافظ الاسد فى دمشق يومى ٢٨ , ٢٩ أغسطس ليصدق الاثنان على قرار المجلس الأعلى المشترك واتفقا على أن يكون يوم ٦ أكتوبر ٧٣ هو يوم بدء الحرب. وفى ٣ أكتوبر سافر الفريق أول أحمد اسماعيل على سرا إلى دمشق لتأكيد استعداد القوات السورية للهجوم فى اليوم المتفق عليه، وأكد له ذلك.

سوريا تنفذ خطة خداعية ناجحة جداً :

مثلما فعلت القوات المصرية من أجل خداع العدو، قامت سوريا بتنفيذ خطة خداعية ناجحة للغاية، ووصلت هذه الخطة إلى ذروتها عندما وقعت فى سبتمبر ٧٣ معركة جدية بين الطيران الاسرائيلى والطيران السورى أسقط فيه اثنتا عشرة طائرة سورية، وكان رد فعل القيادة السورية بالغ الحكمة حيث لم تندفع إلى عمل عسكرى ترد به على اسرائيل، واكتفت بتكثيف حشود قواتها فى الجبهة تحت انطباع بأنها تستعد لعمل انتقامى، لكنها مترددة فى اتخاذه وكان ذلك بالفعل هو تفسير المخابرات الاسرائيلية لتلك الحشود (التى كانت تنتظر موعدها التاريخى فى ٦ أكتوبر).

سير العمليات القتالية :

فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦/ ١٠/ ١٩٧٣ وفى اللحظة التى بدأ فيها الهجوم المصرى، كانت القوات السورية تبدأ هى الأخرى هجومها بستار كثيف من نيران المدفعية فانطلق أكثر من ألف مدفع تصب قذائفها على جميع المواقع الإسرائيلية فى الجولان .

وفى نفس الوقت كانت الطائرات الميج والسوخوى السورية تندفع موجة بعد موجة وتلقى بحمولتها على المواقع والدبابات ومنشآت اللاسلكى الإسرائيلية .

وتقدمت ثلاثة طوابير من القوات السورية نحو الخطوط الإسرائيلية وهى خطوط دفاعية مزودة بكافة أنواع الأسلحة المضادة للدبابات وبقاذفات الصواريخ .

وكان التقدم السورى على ثلاثة محاور رئيسية :

١ - المحور الرئيسى الأوسط وقد حققت القوات السورية فيه (خرقين) أساسيين يتجه أولهما على محور خان ارينبه - الحميدية ، طريق القنيطرة مسعدة وبطوق القنيطرة من الشمال. ويكمل الخرق الثانى الطوق حول القنيطرة من الجنوب .

وكانت أهداف هذه العملية محاصرة القوات الإسرائيلية الموجودة فى القنيطرة وتدميرها والتحرك بعد ذلك غربا على محورين .

(أ) القنيطرة - واسط - قنيعة

(ب) القنيطرة - كفر نفاخ - صناير .

٢ - المحور الشمالى وهو محور ثانوى يخرق الجبهة فى اتجاه مجدل شمس - مسعدة - بانياس .

٣ - المحور الجنوبى وهو محور ثانوى أيضاً يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم إلى فرعين يتجه أحدهما شمالا على محور : (الرفيد - تل الفرس - الفرارة - القنيطرة). وذلك لتطويق القوات المحصورة بين الخط الأمامى وطريق «الرفيد - الجوخدار - فيق - كفر حارب - المحمة» بالإضافة إلى ضربة تتجه من «تسيل» فى اتجاه طريق «الرفيد - فيق» تقطع مواصلات قوات العدو فى وخدار .

. . . .

وكانت إسرائيل قد أقامت سلسلة من التحصينات الهندسية والموانع الميدانية والنقط الدفاعية فى مواجهة القوات العربية السورية، كما أقامت فى الوقت نفسه مستعمراتها وفق مخطط دفاعى يضمن التعاون فيما بينها بالنيران وتحيط بهما حقول الألغام والأسلاك الشائكة والخنادق.

وقد تقدمت وحدات الهندسة السورية وفتحت الثغرات فى هذه الحقول وحددتها وعندما أعطيت إشارة البدء اندفعت الدبابات والمشاة تتقدمها وحدات الاستطلاع.

وتركزت المعارك منذ البداية فى القطاعين الأوسط والجنوبى، وبدأت القوات السورية بالتوغل فى الجولان.

وفى ثالث أيام الحرب تقدمت القوات السورية على القطاع الشمالى أيضاً، وبدأت عملية تطويق القنيطرة من شمالها وغربها.

وقد بدأت القوات الإسرائيلية الجوية غارتها على المدن السورية منذ مساء ٨-٩ وفى اليوم الرابع (١٠/٦/ ١٩٧٣) قصفت الطائرات الإسرائيلية العاصمة السورية دمشق، وأصابت مستشفى الشرق ودار المعلمين ومبنى نقابة الأطباء والمركز الثقافى السوفيتى وعدداً من المبانى والمساكن.

كما تسللت طائرات أخرى إلى مدينة حمص وضربت مصفاة حمص وسد الرستن. .

. . . .

وقد واصلت القوات السورية - البرية تدعمها الطائرات - هجماتها على المواقع الإسرائيلية واستعادت جبل الشيخ الذى بنى عليه الإسرائيليون مرصداً محصناً بطريقة غير عادية حيث أقيم فى ذروة الجبل وأحيط بأسلاك شائكة وحصائر وسياج وألغام وحوله دشم فى كل منهما رشاش (٥٠٠)، ولكل دشمة سرداب يؤدى إلى الملاجئ الرئيسية للطابق السفلى فى المرصد (من أعلى يوجد طابقان فى شكل برج ومن أسفل ينتهى بنقطة ضيقة).

ويحيط بالمرصد أيضاً جدار من الأسمنت المسلح يصل سمكه إلى متر ونصف المتر وفوقه تراب ناعم ثم أحجار سوداء كبيرة على شكل مدرجات.

وللمرصد مزاغل لإطلاق النيران. أما حقول الألغام فلا تبعد عنه أكثر من ٣٠ متراً مما يجعل مهمة المهاجم لاختراقه من غير الباب الرئيسى بالغة الصعوبة.

وفى الداخل توجد غرفة عمليات وأجهزة دقيقة ويأخذ المدخل شكل دهليز ملتو يتفرع إلى الداخل .

وعلى جوانب هذا المرصد مرابض هاون ومستودعات ذخيرة وملاجئ للأفراد محصنة تماماً. وفى أعلاه هوائيات مختلفة ومداخن للتهوية . ومناظير استطلاع (بيروسكوبات) وكان أسلوب التخاطب بين قوات المرصد يتم بواسطة ديكتافونات موزعة على مختلف الجدران .

وقد اتضح أن المرصد يخدم أغراضاً أكبر من مجرد استطلاع إسرائيل للأراضى والمواقع السورية حيث أشارت الدلائل إلى أن ثمة أبحاثاً وعمليات استطلاع كانت تتم لحساب أمريكا وحلف الأطلنطي . .

هذا وقد سقط موقع المرصد فى أيدى القوات السورية بعد معركة عنيفة لم تستغرق أكثر من ٤٥ دقيقة .

. . . .

وفى اليوم الخامس تمكن العدو من إحراز بعض التقدم والضغط على القوات السورية ومع المزيد من تركيز الضغط والهجمات أحرز الإسرائيليون تقدماً آخر .

وفى اليوم السادس (١١/ ١٠/ ٧٣) واصلت الدبابات الإسرائيلية تقدمها شرقاً بعد أن تمكنت إثر قتال ضار من اختراق خط الدفاع السورى الذى أقامته سوريا إلى الشرق قليلاً من خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ وقد تكبدت القوات الإسرائيلية بمقاومة سورية عنيفة منعتها من التقدم .

وقد نشطت وحدات إسرائيلية من المدرعات والمشاة الميكانيكية فى داخل الجولان فى عملية هدفها تصفية الجيوب التى خلفها السوريون وراءهم بعد الانسحاب شرقاً .

كما قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه ضربات قوية ضد المدرعات السورية العاملة فى القطاع الشمالى على المحورالرئيسى القنيطرة سعسع واستمرت فى نفس الوقت الغارات على عمق الأراضى السورية فهاجمت الطائرات المطارات الرئيسية الثمانية فى منطقتى حمص ودمشق وقصفت المنشآت البترولية والكهربائية فى حمص مرة أخرى كما هاجمت مناطق اللاذقية وطرطوس وبانياس .

ومع ذلك فقد تكبدت الطائرات المغيرة خسائر كبيرة.

وقد تمكنت القوات السورية من وقف التقدم الإسرائيلى فى القطاع الشمالى فى «خان ارينبه» وقامت بهجوم مضاد ضد المدرعات الإسرائيلية فى محاولة لإفساح المجال أمام القوات السورية - التى كانت لاتزال تقاتل داخل الجولان - ولتمكينها من الانسحاب شرقاً.

وفى الوقت نفسه تمكنت القوات السورية العاملة فى «الرفيد» من السيطرة على الوضع ودحر الإسرائيليين إلى الوراء فى حين واصلت المدفعية السورية عملها بفاعلية كبيرة وألحقت بالعدو خسائر فادحة.

هذا وقد عاودت الزوارق الإسرائيلية الصاروخية محاولات هجومها على الساحل السورى والمنشآت الجوية فى اللاذقية وطرطوس وبانياس وقد تصدت لها الزوارق السورية.

وفى اليوم السابع (١٢/ ١٠/ ٧٣) كان واضحاً أن الموقف يشهد نقطة بارزة بالنسبة لتطور القتال، ففى الأيام الخمسة الماضية تمكنت الوحدات الإسرائيلية المدرعة من وقف تقدم القوات السورية ودفعها إلى خلف خط القتال لعام ١٩٦٧ والتوغل خلف الخط فى القطاع الشمالى على محاذاة الطريق المؤدى إلى دمشق.

وقد دفعت إسرائيل اليوم طيرانها فى موجات متتابعة لضرب المدرعات والمدفعية السورية وأيضاً لضرب أهداف فى عمق الأراضى السورية وقد دارت معارك جوية أظهر فيها الطيارون العراقيون والسوريون شجاعة وكفاءة فائقتين وقد فشلت لذلك الطائرات الإسرائيلية فى تحقيق مهامها.

وبرغم وصول القوات المدرعة الإسرائيلية إلى مشارف قرية (سعسع) فإن دخول القوات العراقية التى وصلت تواً إلى أرض المعركة أحدث هزة فى الموقف الإسرائيلى وقد باغت لواء مدرع عراقى القوات الإسرائيلية المتقدمة على محور «جيعا كفر ناسج» وشن هجوماً معاكساً عليها وتمكن من دحرها وإجبارها على التراجع حتى تل الشعار بعد قتال عنيف تكبدت فيه القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة فى المعدات والأرواح وتم خلالها أسر عدد من أطقم دباباتها والجنود العاملين مع القوة.

كما أن المدفعية السورية واصلت طيلة اليوم قصف المواقع والمدرعات الإسرائيلية بفعالية كبيرة موقعة فيها خسائر ضخمة.

وبهذا اتضح أن المعركة لم تتجه الوجهة التى أرادتها إسرائيل فبدلا من الاستنزاف الكامل لإمكانات الجيش السورى، وجدت القيادة الإسرائيلية أن قواتها هى التى تستنزف خاصة وأنها لم تحقق التقدم الذى كانت تسعى إليه، فالجيش السورى لازال قوياً ويستطيع دفع المزيد من الوحدات إلى جبهة القتال. كذلك فقد أدخل وصول القوات العراقية عاملاً جديداً على الموقف زاد من تعقيد الأمور أمام القيادة الإسرائيلية إذ تأكد لديهما أن ميزان القوى فى المدرعات والمدفعية لايعطيها القدرة على إحداث ثغرة فى الخطوط السورية كما تريد القيادة الإسرائيلية.

. . . .

وفى ليلتى ١٢ , ١٣/ ١٠/ ٧٣ لجأت القوات السورية إلى استخدام تكتيك حرب إنهاك واستنزاف، فقد دفعت إلى المناطق التى كانت الدبابات الإسرائيلية قد وصلت إليها فى هجومها الأخير مجموعات من المغاوير (الصاعقة) قامت بالإغارة على هذه المدرعات فأحدثت خسائر وفزعاً فى صفوف الإسرائيليين.

وفى يوم ١٢/ ١٠ توقف الهجوم الإسرائيلى جنوبى قرية سعسع وقامت القوات العراقية بهجوم مضاد ناجح تمكنت بواسطته من دحر القوات الإسرائيلية مسافة كبيرة إلى الوراء على محو «غباغب - كفر ناسج» وبذلك تم تضيق الخناق على قوات الثغرة من الناحية الجنوبية.

وفى صباح ١٣/ ١٠/ ٧٣ بدأت القوات الأردنية التى وصلت أمس إلى الجبهة السورية بهجوم ضد القوات الإسرائيلية التى كانت تتقدم باتجاه تل الحارة وقد أجبرت هذه القوات على التراجع.

.. وبهذا تحسن الوضع كثيراً بالنسبة للقوات السورية وحققت توازناً هاماً أعطاها القدرة على العمل بحرية أكبر وبسرعة وقفت فرقة مشاة معززة بالدبابات والآليات مدعمة بوحدات من اللواء المغربى وكتيبة مشاة تابعة لقوات فتح الفلسطينية فى مواجهة القوات الإسرائيلية التى كانت قد دخلت قرية «بيت جن».

أما مسئولية مواجهة قوات محور الجهد الرئيسى للقوات الإسرائيلية العاملة على الطريق المؤدية إلى دمشق فقد أنيطت بفرقة مدرعة سورية معززة بكتيبتين من الدبابات عائدتين إلى احتياطى القيادة العامة السورية.

وفى الجنوب الشرقى تسلم اللواء العراقى المدرع الثانى عشر المسئولية فى المنطقة التى تقع فى مواجهة كفر ناسج وجيعا.

وإلى الجنوب قليلا تسلم اللواء المدرع (٤٠) الأردنى المسئولية فى قطاع «تل الحارة» .. مع انتهاء اليوم أتمت القوات العربية محاصرة الجيب من جميع الاتجاهات وبدأت قوات الطرفين فى إقامة خطوطة دفاعية لهما فى المناطق التى تسيطر عليها. كما باشرت القوات (السورية والعراقية والأردنية تدعمها الوحدات السعودية والمغربية والكويتية والفلسطينية)، الضغط المستمر على القوات الإسرائيلية. بينما نشطت الطائرات السورية فى تقديم الدعم للقوات البرية على طول خط المواجهة وفى التصدى للطائرات الإسرائيلية التى كانت تحاول مهاجمة أهداف حيوية فى عمق الأراضى السورية.

....

وقد شهدت بقية أيام الحرب حتى ٢٤/ ١٠/ ١٩٧٣ معارك استنزافية قامت بها القوات العربية واستطاعت من خلالها دفع القوات الإسرائيلية بضعة كيلو مترات عن بعض المواقع، ولكن الدعم الأمريكى الذى ظهر على الجبهتين (المصرية والسورية) منذ اليوم السادس للحرب، وتصاعد يوماً بعد يوم - لكى يعطى القوات الإسرائيلية دفعة تستعيد بها توازنها - هذا الدعم لم يتح الفرصة الكافية للقوات العربية لكى تقضى على الثغرة الإسرائيلية التى حاصرتها تماماً وكان موقف الإسرائيليين فيها لا يحسدون عليه.

كذلك فقد استعادت القوات الإسرائيلية مواقع جبل الشيخ بما فيها المرصد بعد معارك عنيفة استمرت حتى يوم ٢١/ ١٠/ ٧٣ وتكبدت فيها إسرائيل خسائر ضخمة.

صور من الجبهة الشمالية :

قصة معارك جبل الشيخ أو [عين اسرائيل]

كان اسطورياً ذلك الذى قام به المقاتل السورى والفلسطينى فوق قمة جبل الشيخ أو «حد السيف» كما يسميه العسكريون وليست صفة (الأسطورية) نوعا من الحماس أو المبالغة فهذا ما اعترف به العدو نفسه الذى أحس أنه «قد قضى الأمر» بالنسبة له..

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه المعارك.. نتعرف بشكل سريع على طبيعة «جبل

الشيخ» الذى يسميه العسكريون أيضاً بعيون العرب لاستراتيجية موقعه كما أنه يعتبر «عيون اسرائيل» اذا أطلت منه على سوريا ولبنان.

جبل الشيخ جزء من سلسلة جبال (الحرامون) وهى أعلى جبال فى سوريا، وتعلو هذا الجبل عدة قمم صخرية مرتفعة (يصل ارتفاع أعلى قمة فيها ٢٨١٤ مترا) وهى قمة «قصر عنتر» أو «قصر شبيب».

وقد سمى باسم جبل الشيخ نظرا لأن قمته تظل مكسوة بالجليد على مدار السنة فتبدو كما لو كانت عمامة بيضاء فوق رأس الجبل.

وبعد احتلال الاسرائيليين للجولان فى ١٩٦٧ أقاموا مرصدا فوق هذا الجبل تحيطه الجبال والوديان السحيقة - وقد حول الإسرائيليون المكان إلى موقع حصين يتحدى أية محاولة للوصول إليه. . فقد بنوه من حجارة البازلت التى يبلغ طول الواحد منها «متر ١» وجعلوا الجدران على شكل مدرجات وزوايا حادة بحيث لا تؤثر فيها القذائف بمختلف أنواعها - ويصل عرض السور الخارجى للموقع إلى تسعة أمتار. .

أما البناء فهو محفور داخل الصخر على شكل هرم مقلوب يضيق كلما نزلت إلى أسفل - ويتسع فى ادواره الثلاثة لكميات هائلة من أجهزة الرصد والتوجيه والتشويش الاليكترونية.

وكعادة الإسرائيليين لم يكتفوا بهذه التحصينات الهائلة فأحاطوه بعدد كبير من المدافع التى تعمل بشكل دائرى وتتحرك ذاتيا فوق قضبان مخصصة لها. وتحتمى هذا المدافع خلف مزاغل تشرف على جميع الاتجاهات التى تقود إلى المرصد.

هذا بالإضافة إلى الدبابات والمجنزرات التى تحكم - مع المدافع - الدائرة حول الموقع - ليسقط أى إنسان يفكر فى الوصول إلى بابه الذى صنعوه من الفولاذ السميك الذى يزيد سمكه عن ١٠٠ سم.

هذا وقد اتضح أن المرصد بما ضمه من أجهزة قادرة إلى أقصى حد على استطلاع كل ما يدور فى الجبهة السورية وما حولها - كان له واجب إضافى وهو باختصار شديد «العمل لحساب حلف الأطلنطى والولايات المتحدة الأمريكية». . .

***

الاقتحام :

فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه المدفعية السورية بالتمهيد النيرانى بدأ هجوم المغاوير السوريين الذين حملتهم طائرات الهليوكبتر إلى المواقع وأنزلتهم بعيدا عنه عند سفح الجبل البالغ الوعوره بينما قامت طائرة أخرى بانزال مجموعة منهم فوق المرصد نفسه .

واندفعت المجموعة الأولى بقيادة ضابط اسمه (جاسم) نحو باب الموقع وكان لابد من التصدى للمدفع الرشاش الذى يقف بنيرانه فى هذا الطريق وقام الضابط السورى بهذه المهمة فانطلق نحو مربض المدفع . . والقى بقنبلة يدوية داخله . . قتلت جنديا اسرائيليا وحينما حاول الجندى الثانى التحرك كانت يدا الضابط السورى أسرع إليه فخنقه قبل أن يقوم بأى شىء . . وأصيب جاسم ليصيح فى زملائه :

« إثأروا لى » . . حتى وصلوا إلى الباب - وفى اللحظة التى بدأ فيها جنديان إسرائيليان آخران اطلاق رشاشاتهما على المجموعة كان أحد الجنود السوريين الذين أنزلتهم الطائرة فوق المرصد قد تنبه لهما . . . فقفز من مكانه المرتفع فوق الجنديين وانهال عليهما بخنجره الحلبى .

ولعل «عبدالإله» الجندى الذى قام بهذا العمل - قد حطم فى تلك اللحظة ذلك الحاجز بين وداعته الطيبة وشراسة المقاتل العنيد بداخله . . فقد انطلق يسبق زملائه إلى التصدى بسلاحه الأبيض للجنود الاسرائيليين الذين خرج بعضهم مستغلا ظلام الليل فأجهز عليهم ثم اندفع مع زملائه إلى داخل الدهاليز التى تربط بين الدشم والأدوار الثلاثة للمرصد - وقاموا بتطهيره تماما من الجنود والضابط الاسرائيليين .

سؤال .. وجواب

س : فى كم ساعة تم الاستيلاء على المرصد ؟؟

جـ : فى أقل من ساعة .

س : ما نسبة الخسائر فى الجانبين ؟؟

جـ : كانت نسبة خسائر الإسرائيليين فادحة . . فقد قتل وأصيب وأسر معظم من كانوا بالموقع . .

أما السوريين فقد خسروا عدداً محدوداً من المقاتلين .

س : من قتل مهندسى الإلكترونيات (الأجانب) فى داخل الموقع ؟؟

جـ : قتلهم الاسرائيليون خوفاً من أن يقعوا فى أيدى السوريين فتنكشف حقائق كثيرة .

س : هل كان لدى الاسرائيليين إلى جانب مناعة التحصينات والتجهيزات إمدادات تساعدهم على المقاومة لفترة طويلة ؟؟؟

جـ : نعم كان لديهم أطعمة تكفيهم لأكثر من شهر كما كان لديهم مياه مخزونة تبلغ مليون مترا . . وذخيرة تكفى لعدة شهور .

***

« إن المعارك التى شهدتها المرتفعات السورية وقمم وسفوح جبل الشيخ لايمكن تحليلها وتقييمها إلا إذا عرفنا أن هذه المرتفعات من أصعب المواقع التى يمكن أن يدور عليها قتال فهى متشعبة متشابكة منحدرة مرتفعة كثيفة مسطحة مكشوفة» . . .

إن طبيعة هذه المرتفعات خلقت منها متاريس دفاعية طبيعية ، وقد كان الإسرائيليون يتحدون دائماً أن يستطيع السوريون مجرد الاقتراب من الهضبة فبالإضافة إلى المناعة الطبيعية الهائلة لهذه الهضبة . . أقامت إسرائيل تحصينات إليكترونية ، وممرات تتسع للدبابات وأنواع الصواريخ الثقيلة تضرب منها ثم تدخل إلى مرابضها دون أن يتمكن أحد من إصابتها . .

إذن فإن معارك الهضبة السورية لم تكن فى تقديرى الخاص معارك سلاح وإنما كانت معارك «مقاتل» وقد أثبت فيها المقاتل السورى قدرة فائقة وشجاعة .

ولعل ما حدث فى تل «أبو الندا» واقتحام السوريين له أكبر دليل على ذلك . . »

(توقيع)

الصحفى الكوردى تشون شاى ناو

حدث مع قائدين إسرائيليين كبيرين :

«زئيف شيف» كما قلنا سابقاً واحد من أبرز المعلقين العسكريين فى إسرائيل وقد أجرى حديثا هاما للغاية مع قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة السورية العميد «بتسحق حوفي» والقائد الاسرائيلى المسئول عن «مرحلة الصد الصعبة من المعركة

حتى دفع قوات الاحتياط» العميد رفائيل إيتان. . . وقد دار الحوار كالتالى :

زئيف – السيد العميل «يسحاق حوفى» ماذا استطعت أن تفعل فى قيادتك للقوات الاسرائيلية فى فترة الاستعداد التى سبقت الحرب. . وأنا أعتقد أنه فى القيادة الشمالية عندكم – أعلنت حالة التأهب قبل الحرب بزمن طويل ؟؟

حوفى – صحيح كان التأهب عندنا مبكراً. . بعد إسقاط الـ١٣ طائرة سورية فى أيلول (سبتمبر) حصلنا على قوات إضافية ممتازة ولكن ينبغى أن تذكر – فى مجمل الأمر – أننا دخلنا معركة الصد وإيقاف تقدم القوات السورية بعدد ليس كبيرا من الدبابات. . وكنا قد وضعنا خطة دفاعية وأضفنا على امتداد الجبهة حقول ألغام جديدة بما فى ذلك المحور الذى هاجم السوريون منه. .

وقبل ذلك اعترف أننا حصلنا على ميزانية كافية أنهينا بها إقامة القناة المضادة للدبابات وقد ساعدتنا كثيراً فى تعطيل بعض القوات السورية المدرعة وقد حدثت لهم فيها خسائر وصلت إلى مائتى دبابة تقريباً.

ولم يكن ممكنا أن نفعل أكثر من ذلك وخاصة فى جبل الشيخ.

زئيف – كيف فاجآت الحرب رجالك فى المواقع ؟؟

حوفى – كان عندهم تحذير مسبق وقد جلسوا فى الداخل وتلقوا فوراً نيران المدفعية الثقيلة والدبابات السورية من اتجاهات مباشرة

زئيف – كيف سقط موقع جبل الشيخ ؟؟

حوفى – فاجأنا السوريون حين كنا فى ذروة تنظيم الدفاع عن الموقع وكانت الأبنية نفسها معدة للدفاع بصورة جيدة. .

لقد هاجم السوريون من طائرات الهليوكبتر ومن موقع مجاور وكانت القوة المهاجمة عبارة عن كتيبة ومفرزة سيطروا على الموقع من الخارج ثم ألقوا إلى داخله بقنابل الدخان ونجحوا بذلك فى إخراج عدد من جنودنا الخروج من الموقع وقد سقط معظمهم قتلى حين اشتبك معهم السوريون أما الباقون فقد ظلوا داخل الموقع بضعة أيام استسلموا بعدها للسوريين.

زئيف – هل كانت هناك لحظات ظهر فيها خطر الانهيار ؟؟

حوفى – كان السوريون يهاجمون بأعداد كبيرة وكانوا يندفعون إلى الداخل

كاللهب . . حدث هذا ليلا حتى أننى لا أذكر متى ويخيل إلى أنه فى الليلة الثانية . . وقد استمر هجومهم ثمانى ساعات وأدخلوا إلى المعركة فرقا مدرعة وقوات إضافية . .

(وهنا تدخل القائد الإسرائيلى الثانى رفائيل إينان وقال معقبا على كلام يتسحاق حوفى).

« كانت لحظات صعبة جداً . . كانت اياماً رهيبة . . إننى أذكر ما حدث فى تلك الليلة . . كانت الساعة الحادية عشرة مساء وبعد ما واجه رجالنا هجوم السوريين الذى استمر لأكثر من سبع ساعات قال لى أحدهم :

« لقد قضى الأمر . . انتهينا . . اعتقد أنه قضى الأمر» . . وأخذت أنا أصرخ فيه هو وزملائه : «اصمدوا . . اصمدوا دقائق أخرى» .

***

كان ذلك هو نص الحديث الذى دار بين الصحفى الإسرائيلى والقائدين الإسرائيليين للجبهة الشمالية (فى مواجهة القوات السورية) .

ولعل ما جاء فيه يترجم حجم الهجوم السورى وما لقيه الإسرائيليون على الجولان برغم حصونهم وتجهيزاتهم . .

[من أجندة ضابط اسرائيلى]:

(هذه السطور لضابط اسرائيلى برتبة عقيد لم يذكر مراسل الصحيفة الاسرائيلية اسمه واكتفى بأن رمز إليه بالحرفين ى . أ) .

يقول العقد الاسرائيلى :

« من المستحيل أن أنسى ما حدث فى تلك الأيام فوق الجولان . أن الموجة الأولى من الزحف السورى لم تتوقف للاستيلاء على مواقعنا القوية فى الشمال والوسط والجنوب . . ولكنها تجاوزتها مثل دوامة عابرة . أنهم لم يبقوا على الطريق فلقد ظلوا يندفعون إلى الداخل كما تتدفق موجات المياه الملتهبة . . .

وقبل أن يفيق جنودنا فى المواقع الأمامية التى تجاوزتها الموجة الأولى من القوات السورية . . وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام مجموعات من الكوماندوز السوريين والفلسطينيين الذين وصلوا إلى هذه المواقع بالطائرات والعربات وسيراً على الأقدام . . »

***

من أجندة مقاتل سورى :

عن نفسى لا أتحدث فى هذه الصفحات . عن زميل لى يدعى « عبدالإله » أتحدث .

كنا جميعا نندفع لاقتحام موقع المرصد فى أعلى جبل الشيخ ، وحينما كانت مجموعتنا على وشك أن تصل إلى باب المرصد فوجئنا بعبدالإله الذى كان قد أنزلته احدى طائراتنا مع مجموعة من زملائنا فوق المرصد فوجئنا به يقفز من مكانه المرتفع فوق جنديين اسرائيليين كانا يقفان فى مربض مدفع رشاش ويوجهان نيرانه علينا . .

فى اللحظة التى توقفنا فيها . . ليلتف بعضنا حول المربض لتدميره . نفس هذه اللحظة كان عبدالاله قد قفز فوق الجنديين الاسرائيليين . . وأطاح برأسيهما بخنجره الحلبى الذى يعتز به . .

والحقيقة أن اعتزاز عبدالإله «بخنجره» كان حتى اليوم اعتزازه نظريا . لأننا لم نكن نعرف عنه سوى الوداعة والطيبة الشديدة إلا أنه فى هذا اليوم ظهر على حقيقته . . لقد كان يسبقنا إلى اقتحام الحجرات والدشم التى تقود إليها دهاليز الموقع . . وكان بمجرد دخوله إحدى الحجرات تنطلق صرخات «إسرائيلية» ثم تتوقف نهائيا . . ليظهر عبدالإله وهو يجرى وراء أحدهم وقد انقذ عبدالإله قائد مجموعتنا النقيب أبو الخير حيث لمح جنديا اسرائيليا يختبئ فى أحد أركان الدور العلوى ويتأهب لضرب النقيب أبو الخير من الخلف . . فقفز عبدالإله فوقه . . وسقط الاثنان من ارتفاع يزيد على مترين . . وأنهى عبدالإله معركته معه بعد دقيقة واحدة . . أنهاها بطريقته الخاصة . .

الطريف . . أن عبدالإله لم يجب أى واحد منا عن عدد الجنود الذين قتلهم من العدو . . وكان يعيد السؤال لنا نحن : «وأنتم لماذا لم يقم أحدكم بإحصاء عدد من قتلهم أو أسرهم ؟؟ » .

من أجندة مقاتل سورى :

تلقينا الأوامر بأن نطهر جيبا إسرائيليا فى منطقة «بيت جن» وكنا قد استعددناها منذ ساعات . . كان الجنود الإسرائيليون يتحصنون داخل مدرسة وموقع حصين يقع بجوارها تماما . .

كانت الأوامر محددة بتطهير هذا «الجيب» قبل حلول الليل . . وكانت طائرات العدو تقيم مظلة دائمة فوقه بينما تنطلق مدافع الموقع فى كل اتجاه يمكن أن تندفع منه إليهم . .

لكن زميلنا «حسان أبو ملطاوى» وقف بيننا صائحاً :

« سوف أقوم وحدى بهذه المهمة . . فالمنطقة منطقتى لأننى ولدت وعشت فيها» ولم يترك لنا فرصة لمناقشته فأسرع يلف نفسه بحزام متفجرات ويحمل قنابله ورشاشه ثم انطلق كالسهم نحو القوة الإسرائيلية . . ولم تمض لحظات حتى دوت الانفجارات وشاهدنا الحرائق تشتعل فى المنطقة . . فأسرعنا نحن بحصارها واصطياد جنودهم الذين حاولوا الفرار من النيران والانفجارات التى ساعد على كثافتها . . انفجار مخزن الذخيرة الخاص بهم . .

وهكذا أصبحت حصيلتى النهائية (١١) دبابة . .

هذا وقد كنا طوال المعارك نسأل عن إخوتنا فى الجبهة المصرية نهلل للأخبار التى نسمعها عن عبورهم واجتياحهم لخط (بارليف) الذى لحق بخط (آلون) عندنا .

وكنت أشعر بسعادة (خاصة) عندما أسمع عن ضربات إخوتى من الجنود المصريين لمدرعات العدو . . . وقد ضحكت كثيراً حينما سمعنا ذلك التشبيه الذى ذكره مراسل أجنبى بأنهم «أكلة الدبابات» إذ إن مراسلا آخر أطلق علينا هنا تشبيها مماثلا هو «مفترسو الدبابات» .

***

من أجندة الطيار السورى علاء الدين :

كنا مكلفين بحماية طائراتنا المقاتلة القاذفة بينما كانت تقصف مدرعات العدو المتجمعة فى جبل الشيخ عندما أبلغنا قاعدتنا عن وجود أهداف معادية فى الجو فبادرنا إلى التصدى لها . .

ودخلت مع إحدى طائرات الفانتوم فى قتال شديد إلى أن استطعت بالمناورة - أن أجعلها ترتطم بأحد التلال دون أن أوجه لها قذيفة واحدة . .

انتقلت بعدها إلى هدف آخر وكان طائرة فانتوم أيضاً تحاول ملاحقة إحدى طائراتنا فأصبتها بصاروخ، فجرها على الفور وقفز طياراها بالمظلات ليقعا فى أيدى قواتنا البرية . .

وفى هذه اللحظة أبلغنى أحد زملائى بأن طائرة فانتوم «أخرى» تحاول الالتفاف خلفى لتمسك بذيل طائرتى وتضربنى بصواريخها فأوحيت لطيارها بأننى لم انتبه

لشيء وأخبرت زميلى بأننى سابقى طعما لهذه الطائرة لكى يقوم هو بضربها . . وقد نجحت الخطة فعلا . . فقد وجه زميلى صاروخه بعد مناورة سريعة . . فانفجرت طائرتهم . .

لم تمر لحظات حتى شاهدت إحدى طائراتهم تحاول العودة إلى قاعدتها بعد أن تساقطت بقية طائرات التشكيل فأسرعت إليها باطائرتى ودخلت معها فى مناورة خاطفة تمكنت بعدها من أن أضعها فى وضع ملائم ثم عاجلتها بالرشاش ولم أتركها الا بعد أن تهاوت أمامى مشتعلة دون أن يتمكن أحد من طياريها من الهبوط بالمظلة . .

طبعا لم أكن أتوقع أن أسقط ثلاث طائرات فانتوم فى اشتباك واحد ولكن إصرارى وتعاون أفراد التشكيل والمراقبة الأرضية ثم ارتطام أول طائرة للعدو بالأرض من خلال أو مناورة أقوم بها فى هذه المعركة كل ذلك هيا لى هذه الفرصة النادرة جداً فى تاريخ المعارك الجوية .

الطريف أننى أسقط فى معركة أخرى طائرتين من طراز فانتوم أيضاً حتى إن أحد زملائى علق على ذلك ضاحكاً بقوله :

(علاء . . متخصص فى الفانتوم . . .) .

من أجندة جندى اسرائيلى

« لقد وجدنا الكوماندوز السوريين فوق رؤوسنا . . لا نعلم من أين جاءوا . .

وكنت كأننى فى حلم رهيب أو كابوس خانق . . لقد اقتحم السوريون موقعنا الحصين جداً فى تل أبو الفرس الذى طمأننا عليه جداً جنرالنا ديان حتى إنه وصفه بأنه «تل الموت» بالنسبة لأية قوة عربية تحاول اقتحامه .

اقتحم السوريون علينا تل الموت . . دون أن يستعينوا بأسلحة ذرية . . أو حتى بالمدرعات والطائرات . .

ولقد كنت أنا أفضل زملائى حظا . . فقد فقدت عينى اليسرى فقط من ضربة سونكى أو خنجر لا أعرف بالتحديد . . أما بقية زملائى - فقد صرعهم السوريون فى هجومهم الساحق . . »

توقيع

(الجندى الاسرائيلى شموئيل عساى)

« لم يكن هناك ما يشير إلى وجود شيء غير عادى على الجانب السورى. . كان الرعاة السوريون - كما هى عادتهم كل يوم - يتجولون فى المنطقة مع قطعانهم، وفى الساعة الثانية بعد الظهر أعلنت النيران الكثيفة للمدفعية السورية اندلاع الحرب.

. . . .

كانت القنابل تنهمر علينا من كل الاتجاهات. وخيل إلى أنهم يروننا بوضوح أو أن لديهم عدداً هائلا من المدافع تغطى قذائفه كل ركن من هضبة الجولان، وكلما رفعت رأسى كنت أرى القذائف تنهمر بسرعة.

وركز السوريون نيرانهم على مدرعاتنا كما بدأوا يطلقون للمرة الأولى صواريخهم المضادة للدبابات وأحسست أن الأرض كلها قد زلزلزت. . وكان كل شيء يمر فى سرعة غريبة.

ها هو ذا طابور سورى مدرع يتقدم نحونا لا يتهيب شيئاً. . أصبنا الدبابتين اللتين فى المقدمة. فدارت بقية الدبابات من حولها ببساطة واستمرت فى طريقها ثم بدأت الصواريخ تصيب دبابات مواقعى واحدة بعد الأخرى.

وبعد ساعتين أدركت أن المسألة خطيرة فلم يكن قد بقى لدينا من عشرات الدبابات التى كنا نملكها سوى دبابتين فقط، وأخذت الحالة المعنوية لمن تبقى من جنودى تنخفض سريعاً.

واتصلت بمركز القيادة وأبلغتهم أننا عاجزون عن إيقاف الهجوم السوري. .

. . وتحت ستار من الدخان بدأنا نتراجع تاركين الجثث والدبابات المحترقة وكان السوريون متفرقين علينا فى كل شيء . . وكنا نعانى صدمة نفسية قاتلة.

واستولى علينا - بعد أن فقدنا جميع الدبابات - شعور طاغ بالعجز. . ».

(الكولونيل الإسرائيلى (بواز) الذى كان يرابط بقواته فى الخطوط الأمامية للجبهة الشمالية)

الفصل الثامن

الفصل الثامن
العالم العربى فى المعركة

« لقد وجدنا مائة مليون عربى أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم وهى الوحدة» .
(المحرر السياسى والعسكرى لمجلة النيوزويك)

الدور الذى لعبته كل دولة عربية فى المعركة :

من المفاجآت التى تلاحقت وراء بعضها البعض مع اندلاع شرارة الحرب، تلك الوقفة العربية الواحدة، ومشاركة مختلف دول العالم العربى فى المعركة بشكل أو بآخر . .

وهذه نظرة سريعة . . نتبين من خلالها معالم خريطة العمل العربى الموحد:

١ - كانت البداية الناصعة . . فى التنسيق الجيد بين مصر وسوريا، والقيادة الموحدة بينهما .

٢ - أعلن العراق حالة الطوارئ، ووضع قواته تحت تصرف مصر وسوريا، وأرسل بالفعل تشكيلات من الطائرات والمدرعات للجبهة السورية، واستأنف علاقاته مع إيران حتى يركز قواته وجهوده فى مساندة القوات العربية الشقيقة ودعا الأردن لفتح الجبهة الثالثة مع إسرائيل ثم دعا إلى وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة، وبادر إلى إيقافه من ناحيته، وقام بتأميم شركتين أمريكيتين فى شركة نفط البصرة. كما قام بجهد ديبلوماسى واضح .

٣ - فى السعودية وضع الملك فيصل الجيش فى حالج تأهب، وأرسل بعض القوات فى الجبهة السورية، ومد مصر وسوريا بدعم مالى ونفذ قرارات خفض إنتاج النفط، بل رفع نسبة التخفيض الأولى إلى ١٥٪ ومنعه عن كل من الولايات المتحدة وهولندا.

ولعل موقف السعودية بالذات قد شكل صدمة لأمريكا وأوربا الغربية نظراً للعلاقات الوثيقة التى كان تربطها بهذه الدول لدرجة (الاطمئنان الكامل) لموقفها بالنسبة لهم . . ويدهى أن هذا الموقف السعودى قد دعم من وحدة العمل العربى . خاصة مع تعاظم دور الملك فيصل فى التحرك الدبلوماسى والدعم المستمر لمصر وسوريا .

٤ - الكويت : اشتركت القوات الكويتية الموجودة فى جبهة السويس فى القتال كما اشتركت المدفعية الكويتية فى القتال على الجبهة السورية . وقدمت الحكومة الكويتية دعما ماليا لمصر وسوريا، واستجابت لقرار تخفيض إنتاج النفط بنسبة ٥٪

وزادت الخفض إلى ٢٣٪ مع فرض الحظر على الولايات المتحدة وهولندا، كما أسهمت الكويت في التحرك السياسي الدولي .

٥ - وضعت دولة اتحاد الإمارات العربية إمكانياتها تحت تصرف مصر وسوريا، واستجابت لقرارات خفض إنتاج البترول ومنعته كلية عن الولايات المتحدة وهولندا وقدمت دعماً مالياً متفاوتاً للدولتين المحاربتين .

٦ - قدمت ليبيا مساعدات مالية لمصر وسوريا، كما وضعت عدداً من طائراتها الميراج وبعض مدرعاتها تحت تصرف القوات المصرية واشتركت في تخفيض إنتاج النفط وأوقفت تصديره إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا .

٧ - قامت البحرين بإلغاء التسهيلات الممنوحة للولايات المتحدة في قاعدة بحرية (بالبحرين) وخفضتا إنتاج البترول وأوقفتا تصديره إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا، وقد فعلت (عمان) نفس الشيء وأرسلت بعثات طبية إلى مصر وسوريا .

* وضعت الجمهورية العربية اليمنية، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قواتهما تحت التأهب وأسقطت الدولتان خلافاتهما السابقة واشتركتا معاً في فرض الحصار على باب المندب الذي قامت به البحرية المصرية .

* وأرسلت السودان بعض قواتها إلى الجبهة المصرية . وشاركت في التحرك السياسي خاصة مع الدول الأفريقية الخمس التي سمحت بسفر المتطوعين إلى إسرائيل .

* وضع لبنان قواته في حالة الاستعداد وفتح مجاله الجوي للطيران السوري، مما عرضه لتهديد إسرائيل، واعتدائها على مركز الرادار في (الباروك) متذرعة بحجة أنه كان يعمل لصالح القوات السورية . وقد تصدت المدفعية اللبنانية للطائرات الإسرائيلية وأسقطت إحداها كما قدمت الحكومة اللبنانية مساعدات طبية ضخمة لسوريا ووضعت كل مستشفياتها تحت تصرفها .

* قامت الجزائر بجهد كبير فأرسلت بعض قواتها للاشتراك في القتال، وأوقفت مشاريع التنمية لديها لدعم معركة التحرير، وقدمت مساعدات مختلفة، ودفع الرئيس بومدين ثمن صفقة من الأسلحة طلبتها مصر من الاتحاد السوفييتي، وكانت تحركات الرئيس الجزائري المتعددة بالغة الإيجابية، كما أن الجزائر سارعت إلى تنفيذ قرارات خفض إنتاج النفط وحظر إرساله إلى أمريكا وهولندا .

* اشتركت المغرب ببعض قواتها فى جبهات القتال - خاصة الجبهة السورية - وكانت شجاعة المقاتلين المغاربة مثار الاهتمام والتعليق.

* وضعت تونس جيشها فى حالة تأهب.

* أرسل الأردن لواء مدرعاً إلى الجبهة السورية وشارك فى بعض التحركات الدبلوماسية.

المقاومة الفلسطينية :

لعبت المقاومة الفلسطينية دوراً ملموساً على الجبهتين السورية والمصرية، فاشتركت بعض قوات جيش التحرير الفلسطينى فى عمليات على الجبهة المصرية ومن أبرز ما قامت به قوات المقاومة على الجبهة السورية :

١ - قيام المجموعات الانتحارية بتدمير مستودعات الذخيرة فى جبل أم حواويط .

٢ - قيام عدد من الثوار بقطع الطريق العام غربى القدس، ونسف عدد من المعديات والجسور، كما قاموا بنسف قطار محمل بالذخيرة والجنود قرب مدينة خان يونس.

٣ - اشتبكت قوات المقاومة الفلسطينية فى قتال عنيف مع القوات الإسرائيلية فى القطاع الشرقى من الجبهة اللبنانية جنوب جبل الشيخ، وشنت هذه القوات هجوماً على مرتفعات «أبو الروس» ثم قامت وحدة من المقاومة بقصف شبكة الرادار العسكرية الواقعة على قمة جبل الجرمق فى الجليل الغربى.

٤ - اشتبكت وحدة أخرى مع قافلة عسكرية وقصفتها بالصواريخ، بينما كانت متجهة إلى الجولان.

٥ - قتلت وحدة أخرى مساعد مدير الأمن الإسرائيلى فى قطاع غزة «موشى كارمى» (ليلة ٦-٧ أكتوبر ١٩٧٣).

٦ - قامت وحدات من المقاومة بالهجوم على عدد من المستعمرات فى الجليل الأعلى، وسيطرت على تل السدانة فى مرتفعات جبل حورانى.

٧ - قامت وحدات فلسطينية أخرى بنسف وتدمير مستودعات النفط الاحتياطى فى منطقة كفار طريم شرقى القدس.

* هذا بالإضافة إلى عدة عمليات أخرى اعترف بها المتحدث العسكرى الإسرائيلى (حاييم هيرتسوج).

* ومن المهم أن نشير إلى دور المقاومة الفلسطينية في تجميع الكثير من المعلومات ذات الطابع العسكرى والاقتصادى عن العدو، وقد نسقت جهودها فى هذا المجال مع القيادتين السورية والمصرية، كما أنها أسهمت فى تشتيت جهد المخابرات الإسرائيلية قبل الحرب بفترة طويلة.

البترول العربى .. سلاحاً فى المعركة

« كل نقطة من البترول تساوى نقطة من الدم» .

(كليمانصو)

« عندما تحدث بعض القادة والمفكرين العرب قبل الحرب عن إمكانية استخدام بترولهم فى الضغط على الدول المساندة لإسرائيل بمنع تصديره لفترة ما. . ضحكت السيدة جولد مائير رئيس وزراء إسرائيل وقالت مطمئنة أصدقاءها : (إن العرب لن يفعلوا شيئاً . . من هذا القبيل. . وهم لو فعلوا ذلك سوف يشربون بترولهم. . ولن يحققوا أى شىء).

***

عندما انعقد المؤتمر الدولى للأحزاب الاشتراكية - بعد حرب أكتوبر - تساءلت جولدا مائير : ما الذى فعلته الأحزاب الاشتراكية التى فى الحكم أو التى فى المعارضة من أجل إسرائيل ؟ إن دولة واحدة لم توافق على تموين الطائرات التى أرسلتها أمريكا إلى إسرائيل فى محنتها الكبرى ؟

وبعد انتهاء المؤتمر جلست مائير واجمة ذاهلة. وقالت لمن حولها : لقد طرحت عليهم تساؤلاتى. . لكن أحداً منهم لم يرد. . فقد كانت أفواههم مملوءة بالبترول.

***

ودخل سلاح البترول المعركة :

١ - الخطة :

مثلما أثبت العرب قدرتهم فى الإعدادا والتخطيط العسكرى كان تخطيطهم لاستخدام سلاح البترول محدداً وعلمياً إلى درجة كبيرة.

وبعد مبادرات من بعض الدول العربية لاستخدام هذا السلاح الخطير، عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول، وكانت أهم مبادئ العمل، «كما ركز عليها الوفد المصرى» هى :

١ - ضرورة تجنب أى فشل فى التوصل إلى قرار إجماعى حتى لاتكون هناك أية ثغرة فى «العمل البترولى» تؤثر بالضرورة على نتائجه وصورة الوحدة العربية.

٢ - أهمية استخدام الذكاء والمرونة والإيجابية مع الحفاظ على سلامة اقتصاديات الدول العربية المنتجة للبترول.

٣ - المقصود باستخدام هذا السلاح هو : حفز الدول الصناعية الكبرى على ممارسة ضغط مؤثر على أمريكا بالذات ثم إسرائيل لكى يصبح الموقف فى غير صالحهما. هذا بالإضافة إلى تحييد بقية الدول.

٤ - أن يتبع القرار تنفيذ حاسم ودقيق. وأن يتطور التنفيذ مع تطور الأحداث والاحتمالات.

٥ - الحرص على ألا ينال استخدام تخفيض إنتاج البترول من الدول الصديقة. . هذا وقد نجح المؤتمر فى استيعاب وتنفيذ هذه المبادئ وغيرها مما طرح للبحث والنقاش.

٢ - سير العمليات البترولية :

١ - ربما يكون سلاح البترول قد تأخر فى دخول المعركة. . لكنه امتد بعدها لفترة طويلة حتى تحقق الجزء الأكبر من أهداف استخدامه وقد بدأ العمل فوراً فى خفض الإنتاج بنسبة لا تقل عن ٥٪ (من إنتاج شهر سبتمبر) ثم تجاوزت عدة دول هذه النسبة فقررت الجزائر والكويت وقطر تخفيض الإنتاج ١٠٪، فى حين قررت السعودية تخفيضه بنسبة ١٥٪ (والمعروف أن اعتماد أوربا وأمريكا على بترول السعودية كبير).

٢ - وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا.

٣ - قام العراق بتأميم حصة الشركتين الأمريكيتين فى شركة نفط البصرة (وكان ذلك فى ثانى أيام القتال). وفى ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ أمم حصة هولندا فى نفس الشركة.

٤ - اتخذ الوزراء العرب المجتمعون للمرة الثانية فى الكويت (فى ٤ نوفمبر ١٩٧٣) القرارات التالية :

(أ) خفض الإنتاج بنسبة ٢٥٪ على إنتاج شهر سبتمبر ١٩٧٣ والاستمرار فى التخفيض بمعدل ٥٪ شهرياً وذلك حتى جلاء القوات الإسرائيلية عن جميع الأراضى المحتلة فى يونية ١٩٦٧ واستعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية.

(ب) الاستمرار فى الحظر الكامل على شحنات البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا.

(جـ) إيفاد عدد من الوزراء العرب (البتروليين) إلى دول العالم لشرح وجهة النظر العربية فى استخدامها سلاحها البترولى.

(د) متابعة مواقف الدول واستمرار تصنيفها بين دول معادية أو محايدة أو صديقة ليتناسب استخدام سلاح البترول مع دورها. وقد أنيط بوزراء الخارجية العرب القيام بهذه المهمة.

مؤتمر ٨ ديسمبر ١٩٧٣ :

فى هذا المؤتمر الذى عقده وزراء البترول العرب فى الكويت أيضاً ، اتفق على النقاط التالية :

(أ) تخفيض الإنتاج فى شهر يناير ١٩٧٤ بنسبة ٥٪ من مستوى إنتاج الشهر السابق.

(ب) الاستمرار فى حظر بيع البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا.

(جـ) ربط استخدام سلاح البترول بالتوصل إلى اتفاق على انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وفق برنامج زمنى تضمنه الولايات المتحدة.

مؤتمر ٢٣ ديسمبر ١٩٧٣ :

قررت الدول العربية رفع أسعار البترول - للمرة الثانية دون الرجوع للشركات الأجنبية المنتجة - وكان الرفع بنسبة ١٠٠٪.

وقد أثمر هذا القرار فى ارتفاع عائدات الدول العربية.

مؤتمر ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ :

- قرر وزراء البترول العرب فى هذا المؤتمر زيادة الإنتاج بنسبة ١٠٪ (ومعنى ذلك خفض الإنتاج العام بنسبة ١٥٪ فى شهر يناير ١٩٧٤ بالمقارنة بإنتاج شهر سبتمبر ١٩٧٣).

ومن ناحية أخرى استمر الحظر على الولايات المتحدة وهولندا والبرتغال وروديسيا وأفريقيا الجنوبية.

- وقد رحبت الدول الغربية بهذا القرار، واعتبر دليلا على مرونة الموقف العربى.

نتائج الحرب البترولية

١ - كان لاستخدام الدول العربية لسلاح البترول مدلول سياسى خطير، فقد كان تجسيداً للتضامن العربى الكامل، والوقوف صفاً واحداً. كما أبرزت الإجراءات التى اتخذتها الدول العربية فى هذا المجال إمكانية وأهمية قيام الأمة العربية بوضع كافة أسلحتها وطاقاتها وإمكانياتها المتكاملة فى المعركة المصيرية. وبالتالى زاد وزن الأمة العربية. وتغيرت نظرة العالم إليها بعد عدم الاقتناع بقدرتها على تحقيق وحدتها القوية واتخاذ مثل هذه الخطوات الموحدة المتناسقة.

٢ - دخلت القضية العربية - بعد ظهور أزمة الطاقة - كل بيت فى أوربا وأصبحت حديث الساعة فى الأوساط الدولية، حيث أمتد الضغط العربى من خلال سلاح البترول إلى كل مكان. . فأصبح كالناقوس القوى الذى يدق آذان العالم بأن الأمةالعربية لها قضيتها العادلة. . وأن استمرار تجاهلها. . لابد أن يعود على الآخرين بالضرر.

ومن ثم أصبح مألوفاً. . أن يبحث المواطن العادى فى أوربا وأمريكا وآسيا الذى كان لايهتم بما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط. عمن يشرح له الكثير عن الأمة العربية. . وقضيتها والتوسع والتعنت الإسرائيلى.

٣ - امتداداً لهذه النتيجة. . أدركت الدول المستهلكة للبترول أنها قد أخطأت عندما لم تتعامل مباشرة مع البلدان العربية المنتجة للبترول، وأن عليها أن تتدارك هذا الخطر حتى تؤمن احتياجاتها حيث ثبت لها - من خلال هذه الحرب - أن مجر د العلاقات مع الشركات البترولية والأوربية لا يحقق لها ذلك. ولعل ما يترجم هذه الحقيقة اتجاه الكثير من الدول إلى إقامة مصالح متبادلة مع الدول العربية. . بأن تقدم لها السلاح أو الخدمات التكنولوجية والمساهمة فى التصنيع والتنمية. . فى مقابل البترول.

٤ - تهيأت الظروف لرفع أسعار البترول مما ضاعف من عائداته على الدول العربية المنتجة له. . ومن الطبيعى أن الزيادة الهائلة فى دخول هذه الدول تساعد فى التصنيع والتنمية كما أنها تفتح لها أسواق السلاح فى كل مكان حتى تدعم قوتها العسكرية.

لهذا .. كان - ولايزال البترول سلاحاً خطيراً :

حقائق كثيرة - يدركها العالم جيداً - تصنع للبترول دوراً خطيراً فى السلم والحرب - ونحن نذكر بعض هذه الحقائق كدليل على هذه الحقيقة وعلى حجم وقوة سلاح العربى البترولي.

١ - تستهلك الدول الصناعية . . أمريكا وأوربا الغربية واليابان معاً حوالى ٨٠٪ من الطاقة فى العالم . ومن المحتمل أن تتزايد هذه النسبة حتى عام ١٩٨٥ . إذ سوف لايقل اعتماد هذه الدول عن ٥٠٪ من مطالب طاقتها على البترول ، وذلك باستثناء اليابان حيث يتوقع أن تزيد النسبة إلى (٨٥٪) .

٢ - تستخدم الدول الصناعية حوالى ٨٠٪ من إنتاج البترول اليومى العالمى ، وتعتمد اليابان وأوربا على واردات البترول ، أما أمريكا فتستورد ٢٥٪ من احتياجاتها البترولية .

٣ - يبلغ الاحتياطى (المؤكد) من البترول ٥٥٠ بليون برميل ، يوجد منه فى دول الشرق الأوسط وحدها ٦٢٪ .

٤ - ستظل دول العالم الصناعية تعتمد على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج بصفتها من أهم وأكبر مصادر البترول .

٥ - لن تتمكن الدول الصناعية الكبرى من إيجاد مصدر طاقة جديد كبديل للبترول قبل عشر أو خمس عشرة سنة ، وفى خلال هذه السنوات سيزداد اعتماد هذه الدول على بترول الشرق الأوسط .

***

. . وبعد حرب أكتوبر ، واستخدام العرب لبترولهم . . كتبت جريدة دافار الإسرائيلية فى ١٣/ ١١/ ١٩٧٣ .

« بدلا من أن يشرب العرب نفطهم ، شربت جولدا مائير على حقدها برميل حقد إضافى ، وذهبت إلى أوربا متعطشة إلى أيام زمان داعية «العالم الحر» إلى أخذ نفط العرب بالقوة لأنه لايجوز أن يملى أصحاب آبار النفط الخمسة على العالم الحر سياسته فاليوم إسرائيل . . وغداً . . من الضحية ؟ ! » .

***

الفصل التاسع

الفصل التاسع

نتائج حرب أكتوبر

١ - الجانب العربى ماذا تحقق له :

. . . بعد نكسة ١٩٦٧ عاشت الأمة العربية سنوات ستاً عجافاً لم يكن يظهر فيها بارقة أمل إلا لتختفى . . وتزداد حدة التقلصات فى النفس العربية الجريحة، صحيح أن مصر شنت حرب استنزاف ضد إسرائيل (المنتصرة) لفترة ليست قصيرة إلا أنها - برغم أعبائها - لم تستمر . وعادت حالة اللاحرب واللاسلم لتفرض كابوسها القاتم على الروح العربية .

وازدادت حدة حرب الاستنزاف المعنوية التى شنتها إسرائيل على الأمة العربية حتى بدا للعالم وإسرائيل بصفة خاصة أن المقاومة العربية . . ستتآكل وتنهار ، أو كما قال مفكر عسكرى عربى . . بدا للإسرائيليين أن «الثمرة العربية غدت ناضجة وأن هزة صغيرة ستسقطها فى سلتهم» ، وأن الأمر لايتطلب سوى استغلال الوقت وانتظار معول الزمن الكفيل بهدم إرادة القتال العربية .

ولذلك احتفظ الجنرال موشى ديان وزير الدفاع بثقته التامة فى قرب الإعلان الرسمى للاستسلام العربى ، فهو حين أعلن بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة أنه سيجلس فى مكتبه منتظراً أن يدق التليفون ليجد على الطرف الآخر منه الزعماء العرب - الذين يعرفون رقم تليفونه جيداً - لكى يطلبوا إليه أن يسمح لهم بالتوقيع على وثيقة الاستسلام - حين أعلن ديان ذلك - فإن مرور الأيام وتضخم حالة اللاسلم واللاحرب . . قد أكد له أنه سوف يسمع بالفعل فى أقرب قوت - رنين التليفون العربى . .

ولكن فى هذه اللحظة اندلعت حرب أكتوبر . . وبدأ مد الطوفان العربى لتتحقق على الفور ومع الأيام . النتائج التالية :

١ - تحطيم حالة اللاحرب واللاسلم وبالتالى تحطيم كل التفاعلات المخيفة التى كانت ستنجم عنها .

٢ - تحطيم عقدة الخوف واستعادة الثقة بالنفس . وأيضاً استعادة ثقة العالم بالإنسان العربى الذى كادت تلك السنين القاتمة تمحو صورته الحقيقية كمقاتل له تاريخه الحافل .

٣ - أيضاً ثبتت بوضوح كامل قدرة العرب على المبادرة والتخطيط المشترك ووحدة الجبهات وحفظ الأسرار ومفاجأة العدو والانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم، والتمكن من استخدام الأسلحة الحديثة المعقدة وأيضاً التعامل مع أحدث الوسائل التكنولوجية.

كذلك برز شعور الأمة العربية بوحدة مصيرها وتوحدها فى المعركة وقدرتها على استخدام مواردها الهامة والفعالة فى معركتها المصيرية.

٤ - امتداداً لهذه النتيجة وضع العرب أيديهم على قيمة إمكانياتهم الهائلة، وما يمكن أن يكون عليه مستقبلهم حين يتم الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات والطاقات سواء كانت بشرية أو بترولية أو أرصدة أو موقفاً جغرافاً له أهميته.

ولعل ما يبلور هذه النتيجة ما اعترف به الكثيرون من الكتاب والمعلقين السياسيين من أن العرب أصبحوا «القوة السادسة فى العالم».

٥ - إكتسبت السياسة العربية حجماً وقدرة كبيرة، وأصبح متاحاً لها التحرك والمناورة وتحقيق الإنجازات المتتالية انتصارها العسكرى وظهور قوة سلاحها الاقتصادى فحصل هدف «تحرير الأراضى المحتلة من قبل إسرائيل» على تأييد عالمى شامل، كما أخذت قضية الشعب الفلسطينى حجمها الحقيقى فاعترف أكثر المنحازين لإسرآئيل بشرعية حقوق الشعب الفلسطينى وأهمية تحقيقها وبالتالى اعترفت المنظمات الدولية بمنظمة التحرير الفلسطينية بل إن ما حدث فى نوفمبر ١٩٧٥ من إدانة هيئة الأمم المتحدة للصهيونية والتأكيد على حقوق الشعب الفلسطينى ثم الموافقة الحاسمة على حضور ممثلى الشعب الفلسطينى لجلسة مجلس الأمن التى دعت إليها دول عربية وعلى رأسها مصر لمناقشة الاعتداء الإسرائيلى على مخيمات الفلسطينيين فى لبنان (نوفمبر ٧٥) ذلك كله يوضح حجم التعبير الهائل فى النظرة للقضية العربية ومحورها المتمثل فى القضية الفلسطينية.

٦ - خرجت القوات العربية من هذه الحرب بخبرة قتالية عظيمة سواء على مستوى القيادات التخطيطية أو الميدانية أو على مستوى الأفراد.

٢ - الجانب الإسرائيلى :

إذا كنت سأترك الحديث عن آثار حرب أكتوبر على إسرائيل، لكتاب ومفكرين إسرائيليين وأجانب حتى لاتكون هناك شبهة المبالغة أو غير الموضوعية إلا أننى -

فقط أضع هذه النقاط التى قد تصلح كمفاتيح لما ستتضمنه الدراسات الإسرائيلية التالية :

١ - فقد الجندى الإسرائيلى ثقته المطلقة بقيادته ، واهتزت ثقته فى نفسه وتحطمت نظرته للمقاتل العربى الذى واجهه لأول مرة - بشكل حقيقى - فى هذه الحرب . . تلك النظرة التى كانت تتمثل فى الاستهانة به والتحقير من شأنه عسكرياً وثقافياً ومعنوياً .

٢ - تأكد للجندى الإسرائيلى بما حدث من خطوات الانسحاب من الأراضى العربية . . أن أية حرب قادمة لن تحمل سوى المزيد من الفشل الاستراتيجى .

٣ - وضع طوفان أكتوبر حجم التقدم التكنولوجى لإسرائيل فى حجمه الطبيعى . . وكشف أنه لا توجد تلك الهوة بين إسرائيل والعرب فى هذا المجال .

٤ - إنهارت نظرية الأمن الإسرائيلية . . وانهار معها جيل من القادة والجنرالات الإسرائيليين الذين سطعت أسماؤهم وحفرت صورهم فى الوجدان الإسرائيلى وبدهى أن انهيار هؤلاء القادة الذين كانوا المثل الأعلى . . والصورة الذهبية للإسرائيلى . . قد أحدث شرخاً لا يستهان به فى نفس وروح الشاب الإسرائيلى .

ومن النتائج الحاسمة للحرب فى هذا المجال أيضاً أنها أجهزت على معظم الزعماء الذين ينتسبون لجيل الآباء المؤسسين وعلى رأسهم جولدا مائير التى أسقط الطوفان مقعد رئاسة الوزراء من تحتها .

٥ - فقد الجندى الإسرائيلى صورته التى ألحت بها الدعاية الصهيونية على أذهان العالم باعتباره صورة للجندى السوبرمان المتفوق دائماً . . فلقد اكتشف العالم أن هذا الجندى السوبرمان . . إنهار وفرّ واستسلم حين واجهه الجندى العربى .

وبالتالى سقطت أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لايقهر وأسطورة مخابراتها التى قالوا إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم . باختصار فقدت إسرائيل صورتها كدولة قوية أسطورية (وهذا بالتحديد ما يعبر عنه الفصل الذى تحدثت فيه عن إسرائيل دولة كبرى أم صغرى) .

٦ - من أقسى النتائج على الإسرائيليين . اضطرارهم لإعادة النظر إلى القضية الفلسطينية فى ضوء معطيات الحرب والتحرك السياسى العربى . فقد ثبت لهم بما لا يقبل الشك أن القضية الفلسطينية كانت ولاتزال أساس الصراع مع العرب ولن يتوقف هذا الصراع ما لم تجد هذه القضية حلاً عادلاً .

٧ - لم تعد إسرائيل تمثل العصا الغليظة التى تضرب بها أمريكا العرب حين تشاء ردعهم وتأديبهم. بل لقد ثبت أن هذه العصا الغليظة تحتاج لحماية من أمريكا. واتضح أن حجم هذه الحماية يمثل عبئاً على السياسية والاقتصاد الأمريكى.

٨ - كانت تكاليف الحرب عبئاً رهيباً على اقتصاد إسرائيل (أكثر من ٨ مليارات ليرة)، وحيث إنها فرضت نتائجها حالة من الاستعداد واليقظة الدائمة فإن ٥٣٪ من الميزانيات الجديدة خصصت للجيش مما ضاعف تدهور الاقتصاد الإسرآئيلى.

** ولعل نتائج الحرب تتضح فى أقوال رقيب المدرعات الإسرائيلى «راف صابار» الذى قال فى حديث لمجلة معاريف :

إن من الصعب جداً أن أعود إلى الحياة العادية التى عرفتها قبل حرب أكتوبر إن الحياة تبدو لى اليوم مختلفة تماماً، لقد قتل عدد من رفاقى وكنا نعتقد أن جيشنا عظيم ومنتصر وقوى أما الآن فقد جعلنا المصريون نخفض أنوفنا لقد وطئوا كل من فى الجيش لقد اختفت الهالة. . إننا مصابون. . إن الجيش مجروح.

. . . وإننى لايمكن أن تنمحى من ذاكرتى كل النداءات الأخيرة التى التقطتها باللاسلكى من المواقع الحصينة طلباً للنجدة قبل أن تسقط فى أيدى المصريين «النجدة النجدة المصريون يهاجموننا. بعد قليل سوف يقضون علينا. . إنهم قادمون. . » كانت تلك النداءات تتكرر فى اللاسلكى ثم تصمت الأصوات ويختفى الواحد بعد الآخر.

. . كذلك لن أنسى وعود القيادة لهؤلاء الجنود فى تحصينات بارليف. كانوا يقولون لهم : سوف نأتى على الفور لإنقاذكم» «المساعدات فى الطريق إليكم».

ومع ذلك لم ينقذهم أحد.

ماذا كان سيحدث لو كنت أنا شخصياً مكان أحد المحاصرين الذين يصرخون طلباً للنجدة ؟

* ولأى سبب قتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص ؟

* هل إسرائيل أفضل من دول أخرى ؟

* ما الذى يدفعنى إلى البقاء هنا فى إسرائيل ؟ ولماذا ؟

* فمن الذى يتذكر كل القتلى والجرحى والمشوهين ؟

* لقد حدث كل شىء كطرفة عين ؟

* من الذى سيعيد أشخاصاً أعزاء علينا ؟

* هل كانت الحرب أمراً اقتضاه الواقع ؟

إننى على أى حال لا أريد دولة كهذه .

لقد نجوت بالصدفة عندما سقطت قذيفة مصرية بجوارى وقتلت زميلى . . إننى لا أريد أن أقتل فى الحرب القادمة بقذيفة قد لاتخطئ الهدف» .

* وهذا مؤرخ اسرائيلى معروف (يعقوب تلمون) يقول فى دراسة هامة :

« لقد تبددت افتراضات أساسية ومسلمات وتوقعات كانت بمثابة لبنان فى بناء المفهوم الشامل . تبددت جميعها الواحدة بعد الأخرى ؟

١ - لم تمنع الحدود الآمنة (المزعومة) تغلغل مئات الألوف من جيوش مصر وسوريا بمعداتهم الثقيلة بين ليلة وضحاها ونحن لاندرى ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها فى كفة الميزان لصالحنا .

٢ - ظهرت وحدة عربية أكثر تراصاً وفعالية مما كانت عليه فى أى وقت مضى وهى تملك قوة كبيرة بصورة احتكار النفط (كم أكثرنا الاستخفاف بأهميته حتى أننا أنكرنا وجود مشكلة الوقود) وكانت المساعدات المالية التى قدمتها دول النفط العربية لدول المواجهة أداة هائلة إن هذه الحرب أثبتت أن مواقفنا القديمة من العرب كانت بمثابة الأسمنت للقومية العربية .

٣ - بعد خمس وعشرين سنة من انضمامنا إلى عائلة الشعوب بافتخار شديد على موجة من العطف الدولى المتحمس كمتساوين بين متساوين أصبحنا منبوذين بين الشعوب .

٤ - اتضح أنه بدلا من أن نكون حماة وأعواناً ومنقذين ليهود الشتات فى أنحاء العالم أصبحت دولتنا مرتبطة بيهود العالم ، معتمدة على إنقاذهم لها .

٥ - إن علينا الآن أن نشد الأحزمة على بطوننا ونعتمد على الجبايات البائسة (من يهود العالم) والمنح الأمريكية .

. . . .

٦ - تقوضت أسطورة قومية عظيمة وهى أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلى .

وتستوقفنا أيضاً هذه الشهادة من المعلق والكاتب الإسرائيلى زئيف ثيف :

« فى داخل الصدمة الكبرى أدت الحرب أيضاً إلى أزمات صغيرة ولكنها ذات صدى هائل، وقد حدثت إحدى هذه الأزمات فى الجيش الإسرائيلى، فبعد سنين من محافظة الجيش على تقليد عدم ترك جرحاه فى ساحة المعركة، ترك هذه المرة جرحى وأصحاء فى الأرض التى سيطر عليها العدو، كما ترك دبابات مع أطقمها سواء الجرحى منهم أو غير الجرحى، وواجه القادة العسكريين مشكلة خطيرة وهى هل يضحون برجال آخرين من أجل تخليص المصابين ؟ وفى نهاية المعارك كان هناك المئات من أسماء الجنود فى قائمة المفقودين» .

كذلك أظهرت حرب يوم الغفران نكسة أخرى، فقد كشفت الزعامة الإسرائيلية بكامل تقصيرها ولم يكن هناك من يتحدث إلى الشعب فى أحلك ساعاته، وبالرغم من أن وزير الدفاع موشيه ديان حاول أن ينفى - بعد الحرب - ما قيل عن انهياره خلال المعارك، فإنه تبين أن ديان أكتوبر (١٩٧٣) لم يكن هو ديان يونية (١٩٦٧) .

ولقد أدت الحرب إلى أزمة ثقة، فالشعب لايثق بزعمائه. وهذه الأزمة فى الثقة أكثر عمقاً ومرتبطة بمسائل كثيرة، لقد كان الجيش صورة للوهن الفكرى وتدهور القيم الأخلاقية ولم يكن «شيئاً آخر» كما كان يقال عنه !!

وهذا كاتب إسرائيلى آخر هو الدكتور «أمنون كابليوك» يتناول بعض آثار الطوفان «الأكتوبرى» العربى . . مركزاً على انهيار الأساطير الإسرائيلية فيقول «كابليوك» فى كتابه «إسرائيل . . نهاية الأساطير . »

عشر أساطير حطمتها الحرب :

« إن حرب أكتوبر قد حطمت عشر أساطير إسرائيلية هى » :

[١] أسطورة الأمر الواقع :

لقد انتهجت إسرائيل سياسة الأمر الواقع فترة طويلة من تاريخها. وكانت تتوقع استمرار الوضع الناجم عن حرب يونية ١٩٦٧ عشرين سنة أخرى يتحول معها السلام إلى استسلام عربى . . وقد برهنت حرب أكتوبر على أن الأمر الواقع لم يمنع شن الحرب فحسب، بل كان سببها المباشر .

[٢] أسطورة الحدود الآمنة التى تردع العرب :

كانت أفكار وتصريحات القادة الإسرائيليين تقول «إن خطوط وقف النار تمثل

حدود الأمن المثالية التى تردع العرب عن مجرد التفكير فى مهاجمة إسرائيل بفضل عمقها الاستراتيجى ولقد أتخم الرأى العام الإسرائيلى بعد يونية ١٩٦٧ بتصريحات عن أهمية الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة، وأقيمت المستعمرات بالفعل، ثم مع الدقائق الأولى من حرب أكتوبر كان الشغل الشاغل هو إخلاء سكان مستعمرات الجولان السبع عشرة وبغير جدوى لأن المدفعية السورية كانت تقوم فى ذلك الوقت بعملية «حصاد» .

كذلك ثبت أن التمسك بشرم الشيخ التى كان يقول عنها موشيه ديان (إننى أفضل شرم الشيخ بدون سلام على سلام بدون شرم الشيخ) ثبت أن ذلك التمسك لم يكن مفيداً فقد جاء الحصار من (باب المندب) .

[٣] أسطورة مادية :

وهى الأسطورة التى طالما رددتها إسرائيل عن أن خط بارليف لايمكن اقتحامه .

ولقد جاءت حرب أكتوبر لكى يتبدد هذا الخط فى ساعات، وتتبدد معه الـ ١٥٠٠ مليون ليرة إسرائيلية التى أنفقت على إنشائه (هذا بخلاف المصاريف غير المنظورة) .

[٤] أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية :

كانت أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية المعصومة من الخطأ أمراً غير قابل لمجرد المناقشة . وربما كانت للمخابرات الإسرائيلية أرصدة خارجية سابقة أعطتها هذه «الزهوة» والهالة الأسطورية مثل عملية خطف «إيخمان» سنة ١٩٦٠ وشحنه إلى إسرائيل، ومثل الاعتداءات على العلماء الألمان فى مصر، ومثل الإعداد لحرب يونية ١٩٦٧، ومثل سرقة الزوارق الحربية الخمسة من ميناء شربورج الفرنسية سنة ١٩٦٩، ولكن هذه المخابرات (الإسرائيلية) أفلست فجأة وعجزت عن كشف نوايا المصريين والسوريين قبيل حرب أكتوبر، وفوجئت بالحرب تماماً مثل رجل الشارع الإسرائيلى .

[٥] أسطورة أن العرب لايفهمون سوى لغة القوة :

وقد تمثلت هذه الأسطورة فى ضرورة أن نلقن العرب عند وقوع أى اعتداء عربى - ولو كان اعتداء صغيراً أو عارضاً أو حتى لو كان رداً على اعتداءات إسرائيلية - نلقن العرب درساً قاسياً، ونرغمهم على دفع الثمن، ونعاقبهم بصورة لا يتجاسرون بعدها على القيام بأية محاولة جديدة .

ويعبارة أخرى أن الذى يسكت العرب ويخيفهم هو سياسة القوة والردع (مثل تدمير معامل تكرير البترول بالزيتية فى السويس خلال أكتوبر ١٩٦٧، والهجوم على بعض قادة الفلسطينيين داخل بيروت، وإسقاط الطائرة الليبية، والغارات المستمرة على جنوب لبنان، وافتعال معركة جوية مع سوريا يتم فيها إسقاط ١٣ طائرة ميج).

ولقد تهاوت هذه الأسطورة عندما اتضح أن هذه الأفعال كانت تزيد من تصميم وإصرار العرب، ثم جاءت حرب أكتوبر.. لتظهر أنهم لايخشون القوة.. بل يحطمونها ويظهرون قوتهم هم..»

[٦] أسطورة أن العرب لم يخلقوا للحرب :

ونحن نحتاج إلى كتاب ضخم كى ندون كل الاستهانات وكلمات التحقير التى تلفظ بها جنرالاتنا العاملون منهم والمحالون إلى الاحتياط حول الجندى العربى وضعف الجيوش العربية.

إلى أن جاءت حرب أكتوبر ومعها مفاجآتها الكبرى : المقاتل العربى.

فوجد الجندى الإسرائيلى نفسه أمام مقاتل عربى شجاع منضبط لديه قدرة قتالية ممتازة بفضل التدريب الجيد مقاتل مستعد للتضحية بكل شىء.

وكانت المفاجأة أكبر تجاه الجندى المصرى الذى أبدى بسالة فائقة واقتداراً عظيماً».

[٧] أسطورة تفتت العالم العربى واستحالة استخدام سلاح البترول :

كانت هذه الأسطورة راسخة فى أذهان القادة فى إسرائيل، ولم يكن أحد ينظر إلى ما يقال عن سلاح البترول إلا على أنه مجرد دعاية.

واتضح أن العرب فى الأزمات يقفون صفاً واحداً، ويصفون خلافاتهم ولقد كنا نقول فى إسرائيل (لكى يتمكن العرب من مهاجمة إسرائيل بحظ من النجاح عليهم أن يتحدوا أولاً، وهذا محض خيال فهم ممزقون دائماً وأبداً بخلافاتهم الداخلية، ولهذا فهم عاجزون عن وضع سياسة منسقة، فكيف إذن يستطيعون أن يشنوا حرباً جماعية ؟؟)

لقد كنا نقول : إن العرب (بهذه الصورة) هم أحسن حلفائنا، ولكن حرب أكتوبر ألغت هذه الكلمة من القاموس السياسى الإسرائيلى كما أن العرب أدركوا أهمية سلاح البترول لهم، واستخدموه بفعالية وجرأة وفى توقيت مناسب.

[٨] الأسطورة القائلة بأن الفلسطينيين فى الأرض المحتلة يرضخون وسيرضخون:

وكانت ثمة شواهد فى المعاملات تقوى خيوط تلك الأسطورة، ومن هنا نشأت التصريحات التى تخصص فيها قادة إسرائيل مثل : «لا يوجد هناك شىء اسمه فلسطين، الفلسطينيون فى (إسرائيل) استكانوا لوضعهم ولاستمرار السيطرة الإسرائيلية عليهم إلى ما لا نهاية.

وجاءت حرب أكتوبر وزلزلت هذه الأسطورة أيضاً، فإذا بالسكان العرب يثورون، وتكاثرت الأعمال الفدائية داخل المدن والمستعمرات.

وبلغ عدد الفدائيين العاملين داخل إسرائيل آلافاً، وهو جمت وقصفت (٤٤) مستعمرة إسرآئيلية [١١٦] مرة خلال تلك المرحلة . .

إذن يوجد شىء هناك اسمه فلسطين وفلسطينيون . .

[٩] أسطورة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل :

أكد القادة الإسرائيليون مرات عديدة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل، ثم جاء زمن ثبت فيه أن الزمن ليس ملكاً خالصاً لإسرائيل وأن جمود القيادة الإسرائيلية جعلها لم تفهم أن الزمن يدور فى فراغ وأنه مرتبط بعوامل عالمية كثيرة.

[١٠] أسطورة « المهم ما يفعله اليهود » :

وتلك أسطورة من صنع بن جوريون مؤسس إسرائيل الذى كان يقول دائماً «لايهم ما تقوله الأمم. المهم ما يفعله اليهود ».

وأثبتت حرب أكتوبر أن ما يفعله اليهود ليس مهماً وليس هو كل شىء وأن هناك إرادة أخرى ومضادة تستطيع أن تفرض نفسها إذا أرادت .

ولقد كانت الصدمة فى سقوط تلك الأسطورة فوق الاحتمال، وقد يعبر عنها ما قاله أحد جنود جيش الدفاع الإسرائيلى بعد عودته من الحرب. . حين أخذ يتمتم لأحد الصحفيين ويقول فى ذهول :

« قبل ثلاثة أشهر كنت أعتقد أننى جزء من القوة المتفوقة فى الشرق الأوسط وعندما هدد السادات بالحرب ضحكت وقلت لنفسى :

« ياللسخف . . إننا خلال ساعتين سنكون فى دمشق، وخلال ثلاث ساعات سنكون فى القاهرة.

لقد استهنت بالعرب . . لماذا ؟ لأننى تعلمت فى المدارس أن أحتقرهم تعلمت أننا الأقوياء وهم الضعفاء . كنت أعتقد أنه لا أهمية لما تقوله الأمم . والمهم هو ما يفعله اليهود » .

وهذا خبير بريطانى كبير (ادجار أوبلانس) يقول فى دراسة هامة :

« لقد تركت حرب أكتوبر آثاراً عميقة ليس على الشرق الأوسط ودوله فحسب حيث بددت عدداً من الأساطير والأوهام ، وإنما أيضاً على حلف الأطلنطى حيث أدت إلى ظهور اتجاهات فى الفكر العسكرى ، وهى اتجاهات كانت فى بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية ، ذلك لأن بعض النظريات والمفاهيم التى ظلت مقبولة لفترة طويلة بدأت تتعرض للشك فى قيمتها ومن بينها الهدف من إنشاد حلف الأطلنطى ذاته .

كما أن حرب أكتوبر تركت آثارها ليس على الإستراتيجية العربية والإستراتيجية الإسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وإنما تركتها أيضاً على عوامل أخرى مثل الروح المعنوية واستخدام أسلحة معينة فى ميدان القتال ، وتصعيد استخدام - الأسلحة الإليكترونية وقد شهدت هذه الحرب بعث المقاتل العربى باستعادته لثقته فى نفسه وقدراته .

لقد أحدثت حرب أكتوبر عدداً من التغييرات فى الغرب أبرزها أن حلف الأطلنطى أصيب بشرخ كبير جعله هشاً وما يزال كذلك حتى الآن ، فقد كانت هذه الحرب بمثابة صدمة للحلف الأطلنطى . . وخاصة حينما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط والتنزويد بالوقود لتمكينها من إقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر الحيوية من أمريكا إلى إسرائيل ، اعتذرت بعض الدول الحليفة عن عدم تقديم هذه التسهيلات ، ورفضت الدول الأخرى رفضاً صريحاً ولم تتمكن أمريكا من إقامة جسرها الجوى إلا باستخدام مطار واحد فى جزر الأزور - بعد أن ساومت حكومة البرتغال .

ومن جهة أخرى . . كانت السرية - التى أحاطت بها أمريكا جسرها الجوى الضخم دون أن تكلف نفسها بواجب إبلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجوداً فى أراضيها بما كانت تفعله - سبباً آخر فى تساؤل هذه الدول عما إذا كانت مصالح أمريكا الثنائية أهم لديها من الهدف من الحلف ذاته .

حرب أكتوبر تفتح أبواب السلام الموصده !!

ثمة اجماع على أن حرب أكتوبر قد فرضت فكراً جديداً نابعا من نتائجها ودروسها، وقد جسد ذلك أمام القادة والزعماء عدة حقائق تقود كلها إلى أهمية بل حتمية التحرك نحو «السلام» كمدخل وحيد وأوحد للأمن الحقيقى، والاستقرار المنشود.

لقد تأكدت كل الأطراف - بلا استثناء - انه قد آن الأوان للتخلى عن فكر المراحل السابقة الذى كان ينطلق من العاطفة القومية، أو الاحساس المتضخم بالقوة، أو الوقوع فى أسر الشعارات والمواقف البلاغية !

أيقنت اسرائيل عقم وفشل نظريتها الأمنية، التى اجتاحها طوفان أكتوبر ولمست - بالتالى - كيف أن أى تفوق تتصوره لنفسها مهما كانت أبعاده وحدوده لا يمكن أن يضمن لها الأمن والاستقرار، وأن ما استقر فى أذهان قادتها عن عجز العرب وهم كاذب دفعت اسرائيل ثمن الاقتناع به وبناء حساباتها عليه.

من جهة أخرى مع استعادة العرب للثقة فى أنفسهم، وتأكدهم من قدراتهم تخطيطا واعدادا وتنفيذا، أصبح من المقبول نفسيا وذهنياً لديهم التحرك على طريق السلام من موقع القوة وليس الضعف والاستخذاء لكى تتجه الأمة العربية بكامل طاقاتها نحو التنمية والبناء والاستقرار والرخاء.

وقد يقول قائل : إن مسيرة السلام تتعثر بين وقت وآخر وأن وصول المتشددين إلى الحكم فى إسرائيل يهدد العملية السلمية، لكن الواقع يؤكد أن دروس حرب أكتوبر أعمق وأقوى من أن يتجاهلها أحد على المدى الطويل.

.. قد يناور طرف ما سعيا وراء انتزاع مكسب ما، لكنه يعلم ويدرك جيداً أن للمناورات والممارسات غير المقبولة حدودا لن تقبل شعوب المنطقة كلها بتجاوزها.

.. بل إن العالم كله مهما اختلفت منطلقات وميول دوله أصبح حريصاً على استقرار الشرق الأوسط ضماناً لاستقراره وحماية لمصالحه، خاصة بعد أن سحقت حرب أكتوبر الصورة التى ظلت مسيطرة على الأذهان منذ نكسة ١٩٦٧، (صورة اسرائيل الدولة التى لاتقهر) بما كانت تعنيه تلك الصورة من إمكانية الاعتماد عليها كلية لدرجة تجاهل بقية دول المنطقة !!

علامات على طريق السلام الذى فتحه ومهدته حرب أكتوبر :

* فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ وبينما أرض المعركة مازالت مشتعلة، تحدث الرئيس أنور السادات أمام مجلس الشعب موجها رسالة مباشرة إلى الرئيس الأمريكى نيكسون، قائلاً أنها رسالة تصدر عن رغبة حقيقية فى صون السلام، ثم قدم الرئيس الراحل مشروع مصر للسلام من خمس نقاط من بينها الاستعداد لحضو مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة.

* فى الواحدة و٤٥ دقيقة بعد منتصف ليل يوم ٢٨ أكتوبر بدأت مفاوضات فك الاشتباك بين القوات المصرية والاسرائيلية وتكون الوفد المصرى برئاسة اللواء محمد عبدالغنى الجمسى وعضوية العميد فؤاد هريدى والمستشار عمر سرى ثم انضم للوفد بعد ذلك اللواء طه المجدوب وكانت هذه المفاوضات هى أولى الخطوات على طريق السلام.

* فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ وصل الدكتور هنرى كيسنجر إلى القاهرة حيث أجرى مفاوضات جديدة مع الرئيس السادات وتم الاتفاق على مشروع اتفاقية من ست نقاط، وتم التوصل إلى الاتفاق بعد اجتماعات استمرت حتى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣.

* فى ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ عقد مؤتمر السلام فى جنيف وحضره ممثلو كل من مصر والأردن واسرائيل والولات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

* فى ١٧ يناير ١٩٧٤ أعلن توقيع اتفاق فك الاشتباك وبدأ تنفيذه فعلا فى ٢٥ يناير وكانت آخر مراحله فى ٥ مارس ١٩٧٤.

* فى ٣١ مايو ١٩٧٤ تم توقيع اتفاق فك الاشتباك بين سوريا واسرائيل.

* شهدت الفترة من مارس إلى سبتمبر ١٩٧٥ اتفاقية فض الاشتباك الثانى بانسحاب القوات الإسرائيلية خط المضايق، وتسليم ممرات متلا والجدى إلى الأمم المتحدة، وحقول البترول إلى مصر، وتقدم القوات المصرية فى اتجاه الشرق حيث كانت المنطقة العازلة إلى مصر، وتقدم القوات المصرية فى اتجاه الشرق حيث كانت المنطقة العازلة التى ترابط فيها قوات الأمم المتحدة، وكان هذا الانسحاب الإسرائيل أول انسحاب تنفذه اسرائيل من أرض احتلتها وذلك تحت ضغط القوة العسكرية المصرية فى حرب أكتوبر.

* في ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ألقى الرئيس السادات خطابه الشهير أمام مجلس الشعب وأطلق مبادرته التاريخية بإعلانه عن استعداده للسفر إلى اسرائيل ثم عرض تصور مصر للسلام الذى يجب أن يغلق أبواب الحروب والصراعات الدامية، وبالفعل سافر السادات إلى تل أبيب فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ وسط اهتمام وانبهار العالم كله وألقى كلمة أمام الكنيسيت الاسرائيلى مؤكدا أنه يستهدف السلام العادل الشامل موضحاً أن الأمة العربية تسعى للسلام وهى تملك كل مقومات القوة والاستقرار، ورغم أسلوب رئيس الوزراء الاسرائيلى وقتها (مناحم بيجن) ورغم صلفه المعروف عنه إلا أنه -فى النهاية- كان عليه أن يتحرك على طريق السلام مستوعبا دروس حرب أكتوبر، ومستثمرا فرصة المبادرة المصرية خاصة مع فرحة الاسرائيليين بزيارة السادات التى شبهوها بنزول أول إنسان على سطح القمر، وقد أخذوا يرقصون فى الشوارع حاملى الاعلام المصرية !

* بعد ذلك بدأت جولة مكثفة ومرهقة من المباحثات وكانت البداية فى الاسماعيلية حيث عقدت اجتماعات قمة بين بيجن والسادات. . وقد شهدت تباعدا واضحاً فى وجهات النظر، لكن عجلة السلام كانت قد دارت على أى حال.

* فى يناير ١٩٧٨ تم توقيع اتفاق كامب ديفيد بين مصر واسرائيل بعد مفاوضات شاقة قادها الرئيس الأمريكى كارتر، وقد كرست إحدى اتفاقيتى كامب ديفيد مبدأ الحكم الذاتى للضفة الغربية وقطاع غزه، بينما نصت الاتفاقية الثانية على الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء مقابل عقد سلام مع مصر تأكيداً لمبدأ الأرض مقابل السلام».

* فى مارس ١٩٧٩ عقدت معاهدة السلام، والواقع أن ما حققته المعاهدة بشان السلام مع إسرائيل وإقرار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره كان هو المتاح فى ظل القطيعة والرفض العربى.

* بعد رحيل الرئيس السادات، وتولى الرئيس حسنى مبارك، مرت عملية السلام بعدة متعطفات نتيجة لرفض إسرائيل استكمال الانسحاب من سيناء، لكن القيادة الواعية الحكيمة للرئيس مبارك والاختيار السليم لأعضاء فريق المفاوضات المصرى، أسقط حجج اسرائيل وذرائعها فسلمت بحق مصر فى كامل أرضها وشهد يوم ١٥ مارس ١٩٨٩ انتصار إرادة السلام بعودة آخر شبر من أرض سيناء. وأصبحت

(طابا) رمزا لاحترام السيادة المصرية، وتطبيقاً للمبدأ الذى أعلنه الرئيس حسنى مبارك منذ المراحل الأولى من النزاع بأنه لا مجال إطلاقاً للتفريط فى ذرة تراب واحدة من أرض مصر.

* بعد انتهاء فترة القطيعة وعودة الجامعة العربية إلى القاهرة، استأنفت مصر دورها التاريخى فى المنطقة، وكثفت جهودها لتحريك عملية السلام على المحاور الفلسطينية والسورية والأردنية واللبنانية، وطرحت مصر فكرة المؤتمر الدولى للسلام، وقامت بجهد هائل لعقد المؤتمر بمدريد فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ بهدف حل النزاع العربى الاسرائيلى والتوصل إلى سلام عادل ودائم وشامل على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨، ولاشك أن هذا المؤتمر علاقة فارقة وبارزة على طريق السلام، وقد حضره جميع أطراف النزاع المباشرين سوريا والأردن ولبنان واسرائيل والفلسطينيون إلى جانب وفد مصرى وحضور رمزى بصفة مراقب لكل من أوروبا ومجس التعاون الخليجى والمغربى، وممثل شخص للأمن العام والأمم المتحدة، وحضر المؤتمر الرئيسان الأمريكى والسوفيتى بصفتهما راعيى المؤتمر.

فى ١٠ دسمبر ١٩٩١ بدأت أولى جولات المفاوضات الثنائية لكن غياب دور أمريكى مؤثر ساهم فى تعثر وجمود هذه المرحلة من التفاوض وإن كانت الجولة الثالثة (يناير ٩٢) قد شهدت لأول مرة لقاءات منفصلة بين الإسرائيليين والفلسطينيين بما اعتبره المراقبون تطوراً له دلالاته.

فى ٢٨, ٢٩ يناير ١٩٩٢ عقد مؤتمر موسكو للمفاوضات متعددة الأطراف بشأن التعاون الاقليمى، وكان أهم ما انتهى إليه ذلك المؤتمر، هو تأكيد أمريكا ورسيا على أهمية مشاركة الفلسطينيين من خارج الأراضى المحتلة فى الاجتماعات، كما أن لقاء اسرائيل على مائدة المفاوضات مع عدد كبير من الدول العربية جسد تطوراً آخر فى العملية السلمية.

فى فبراير من نفس العام بدأت الجولة الرابعة من المفاوضات الثنائية لكنها لم تحقق تقدماً يذكر بسبب الممارسات الاسرائيلية والاستمرار فى بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة.

فى إبريل ١٩٩٢ عقد الاجتماع الأول لدول الطوق العربية (فى بيروت) للتنسيق فيما بينها حتى يمكن التوصل إلى موقف عربى موحد يساعد فى مواجهة محاولات اسرائيل للالتفاف وتفتيت الموقف العربى التفاوضى.

في يونيه ١٩٩٢ نجح حزب العمل الاسرائيلى فى إسقاط حكومة الليكود عندما رفع شعارات تؤيد السير فى طريق السلام.

كثفت مصر من جهودها فى دفع عملية السلام، وأصبح دورها كشريك كامل فى المفاوضات متعددة الأطراف دورا محورياً، وقد تجسد ذلك منذ الأيام الأولى لوصول حزب العمل إلى الحكم، وزيارة إسحق رابين رئيس الوزراء الجديد لمصر فى يوليه ١٩٩٢، وقد أثمرت جهود مصر فى الحصول على إجماع دولى على تمثيل الفلسطينيين من الخارج فى المحادثات متعددة الأطراف وعلى عدم إعطاء اسرآئيل حق الاعتراض على تشكيل الوفد الفلسطينى، ومما هو جدير بالذكر أن مصر تنبهت فوراً لمحاولة حصر دورها فى نطاق الوساطة بين الجانبين العربى والإسرائيلى، فأكدت بشكل حاسم أنها دولة عربية تتبنى المطلب العربى المتمثل فى استعادة كل الأراضى العربية المحتلة وفق تسوية عادلة ودائمة وشاملة، ومن هذا المنطلق واصلت مصر اتصالاتها مع الإسرائيليين والأمريكيين (اسحق رابين، وشيمون بيريز، ووزيز خارجية أمريكا جيمس بيكر ثم بعد ذلك وارين كريستوفر) كما نجحت مصر فى حشد التأييد الدولى للموقف العربى عامة والفلسطينى بوجه خاص.

عندما طرح موضوع التعاون الإقليمى بين دول المنطقة أكدت مصر بل قادت الاتجاه إلى أن إقامة شبكة من المصالح المشتركة بين الدول المعنية يمثل الرافد الحقيقى للسلام لكنه لايشكل وحده إطار السلام إلا إذا ارتكز على انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى فى مقابل الاعتراف بإسرائيل وحقها فى العيش داخل حدود معترف بها، وهذا ما ركزت عليه مصر فى اجتماعات بروكسل (١١ , ١٢ يناير ١٩٩٢)، وموسكو (٢٨ , ٢٩ يناير ١٩٩٢) وباريس (٢٨ , ٢٩ أكتوبر).

جاء يوم ١٣ سبتمبر من عام ١٩٩٣ ليضع علامة بارزة ومثيرة على طريق السلام حيث خرج من السر إلى العلن اتفاق لإعلان المبادئ الاسرائيلى الفلسطينى التاريخى الذى دارت مراحله فى جو من السرية والكتمان إلى أن أعلن فى هذا اليوم بواشنطن حيث التقى لأول مرة الرئيس الأمريكى كلينتون وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية واسحق رابين، وقام بالتوقيع على الاتفاق شيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل ومحمود عباس ممثل الجانب الفلسطينى أمام ثلاثة آلاف مدعو وآلاف الكاميرات والميكروفونات من مختلف أنحاء العالم.

وأعلن عرفات أن الاتفاق هو بداية قيام الدولة الفلسطينية ، وأعلن إسحق رابين أنه لن يمنعنا شيء من صنع السلام !

هذا وقد تضمن الاتفاق التاريخى جدول أعمال مدته عشرة أشهر تقود إلى انتخابات لاختيار أعضاء مجلس تشريعى فلسطينى يدير شئون الضفة الغربية وغزة خلال فترة انتقاليه مدتها خمس سنوات تتفاوض خلالها إسرائيل ومنظمة التحرير على التسوية السلمية النهائية وبمجرد توقيع الاتفاق يبدأ التفاوض بشأن تفاصيل انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومدينة أريحا بالضفة الغربية ، وتقرر أن يدخل اتفاق إعلان المبادئ حيز التنفيذ -رسمياً- يوم ١٣ أكتوبر من نفس العام . وتضمن الاتفاق أيضاً :

- نقل السلطة من الحكومة العسكرية والإداره المدنية الإسرائيلية إلى الفلسطينيين فى خمسة مجالات هى : التعليم والثقافة والصحة والشئون الاجتماعية والضرائب والسياحة ، ويكون للفلسطينيين السلطة فى الضفة الغربية وغزه .

يبدأ الفلسطينيون فى تكوين قوة للشرطة .

تشكيل لجنة اتصال إسرائيلية - فلسطينية

تشكل لجنة للتعاون الاقتصادى فى مجالات المياه والطاقة والكهرباء والنقل والتمويل والاتصالات والصناعة والتجارة والاعلام والقوى العاملة .

تشارك مصر والأردن فى لجنة فلسطينية اسرائيلية دائمة لبحث إجراءات عودة المنفيين الفلسطينيين الذين طردوا من الضفة والقطاع عام ١٩٦٧ ويقدر عددهم بحوالى ٨٠٠ ألف فلسطيني .

توقع إسرائيل والفلسطينيون فى ١٣ ديسمبر ١٩٩٣ اتفاقاً بشأن انسحاب القوات الإسرائيلية من قطاع غزه ومدينة أريحا ، وتفاصيل الترتيبات الخاصة بالإدارة الفلسطينية لهذه المناطق .

تبدأ إسرائيل فور توقيع الاتفاق فى سحب قواتها من غزة وأريحا .

تبدأ فترة الحكم الذاتى المؤقت ومدتها خمس سنوات رسميا .

يكون آخر موعد لاستكمال الانسحاب الإسرائيلى من غزة وأريحا فى ١٣/ ٤/ ١٩٩٤ .

١٣ يوليه ١٩٩٤ آخر موعد لانتخابات المجلس الفلسطينى على أن يحدد إتفاق الحكم الذاتى المؤقت هيكل المجلس وسلطاته التشريعية والتنفيذية وترتيبات نقل السلطات المختلفة لهذا المجلس.

وقد يسمح للفلسطينيين من القدس الشرقية بالتصويت أو الترشيح فى انتخابات المجلس.

يتم إعادة نشر القوات الاسرائيلية التى انسحبت من قطاع غزة وأريحا خارج المناطق السكنية فى باقى الضفة الغربية عشية انتهاء انتخابات المجلس على أن تبقى هذه القوات مسئولة عن أمن المستوطنين الاسرائيليين.

١٣ ديسمبر ١٩٩٥ آخر موعد للمحادثات بين اسرائيل والفلسطينيين عن التسوية النهائية.

١٣ ديسمبر ١٩٩٨ يبدأ سريان اتفاق التسوية النهائية.

* وهكذا هبطت رحلة السلام (الفلسطينى - الاسرائيلى) من عالم الخيال إلى أرض الواقع، لكنه بطبيعة الحال (الواقع) الملئ بالصعاب والعراقيل خاصة من جانب إسرائيل. وذلك برغم التأكيدات من جميع الأطراف على أن اتفاق الحكم الذاتى يأتى فى إطار استكمال عملية السلام مما يؤدى إلى تنفيذ قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ , ٣٣٨.

* هذا وفى إطار تدعيم مصر لعملية السلام، استضافت القاهرة وفدى المباحثات الإسرائيلى والفلسطينى حيث وقعا الاتفاق التنفيذى لوثيقة إعلان المبادئ، الذى يمثل الخطوة العملية الأولى على طريق انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأرض الفلسطينية كما يعتبر بمثابة مرحلة انتقالية تمهيدية قبل الاتفاق بين الجانبين على مفاوضات الوضع النهائى للأراضى الفلسطينية المحتلة. وقد شهد هذا الاتفاق خلافات حادة استمرت حتى لحظات التوقيع أمام كاميرات وعدسات وميكروفونات الإذاعات والصحف ومحطات التليفزيون ووكالات الأنباء العالمية. . والآلاف الذين احتشدوا فى قاعة خوفو بمركز المؤتمرات الدولى، ولولا تدخل الرئيس حسنى مبارك شخصياً عدة مرات، لما تم التوقيع على الاتفاق.

* ثم كانت العلامة البارزة الأخرى فى ٦/ ٦/ ١٩٩٤ عندما بدأت فى واشنطن مباحثات أردنية -اسرائيلية- أمريكية تناولت عدة قضايا اقتصادية وسياسية هامة من

بينها مشكلات ترسيم الحدود الأردنية الاسرائيلية، وتوزيع الموارد المائية بين البلدين وفى ٢٢/ ٦/ ١٩٩٤ عقدت قمة حسين / رابين التاريخية بواشنطن ليتم توقيع اعلان انهاء حالة الحرب بين البلدين وإلغاء المقاطعة الاقتصادية، وقد نصت المادة الأولى من الاتفاق حرفيا على أن السلام يعتبر قائماً بين المملكة الأردنية الهاشمية ودولة اسرائيل من لحظة تبادل وثائق التصديق على المعاهدة.

* وبالنسبة للمسار السورى الإسرائيلى لعملية السلام فإنه حفل بالعشرات والصعوبات لتمسك كلا الطرفين بوجهة نظره، حيث تمسكت سوريا بمبدأ الأرض مقابل السلام ومن ثم حتمية استعادة الجولان، بينما مارست إسرائيل أساليبها المعتادة لاقتناص أية مزيا لها فوق الجولان، ومع ذلك فإن الطرفين اقتربا مرتين من صيغة تفاهم تعتمد على مرجعية مدريد، إلاأن القدر كان يخفى مفاجأتين أجلتا أو جمدتا تحرك السلام فى أصعب مسار.

* **مصرع اسحق رابين :** فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ اغتالت رصاصات التطرف الإسرائيلى رئيس الوزراء اسحق رابين بحجة أنه قدم تنازلات للفلسطينيين وعلى وشك أن يقدم مثيلاتها للسوريين واللبنانيين، ولكى نتبين آثار هذا الحدث يتعين أن نتأمل النقاط التالية :

١ - لم يتقدم الشاب الاسرائيلى القاتل لارتكاب جريمته بدافع ذاتى أو فكر شخص أو إنما كان متأثراً بالحملات الدعائية التى قادها ضد رابين وحزب العمل الحاكم، بنيامين نتنياهو وتكتل الليكود والأحزاب اليمنية الصغيرة لأهداف انتخابية وبذلك خلقوا مناخا ملائماً لمثل هذه الجريمة، حتى أن حرم إسحق رابين اتهمت نتنياهو بأنه هو القاتل !

٢ - أن تتجه رصاصات إسرائيلى إلى صدر إسرائيلى آخر حدث هز المجتمع لأنه أمر مستبعد تماماً.

٣ - فى ظل مناخ التشدد والتطرف.. ارتبكت قرارات شيمون بيريز خليفة رابين، وحاول أن يبدو أكثر تشدداً من المتطرفين، فارتكب مذبحة قانا فى لبنان، وتفجرت معها أعمال العنف، ووصلت عملية السلام إلى مأزق جديد.

*** قمة صانعى السلام :**

فى إطار الجهود المصرية المكثفة لانقاذ عملية السلام دعا الرئيس حسنى مبارك إلى مؤتمر صانعى السلام بشرم الشيخ فى ١٣/ ٣/ ١٩٩٦ والذى حضره حشد كبير من زعماء العالم، وقد لخص الرئيس مبارك أهداف المؤتمر التى حازت الإجماع وهى :

صيانة السلام، ودعم الأمن، ومواجهة العنف.

وقال أيضاً : أن المؤتمر يجب أن يشكل خطوة متقدمة وتطوراً نوعياً للعمل الحثيث من أجل استكمال مسيرة السلام. . وقال رئيس وزراء إسرائيل شيمون بيريز إن هناك ثمناً للسلام لابد أن تدفعه اسرائيل.

*** سقوط بيريز .. وحزب العمل :**

استغل تكتل ليكود وزعيمه بينامين نتيناهو بعض أعمال العنف داخل القدس. . . وأشعلوا من جديد نار التشدد والتطرف فى مزايدات انتخابية لم تشهد اسرائيل مثيلها. ومن جهة أخرى فقد شيمون بيريز الكثير من أصوات الفلسطينيين الذين حملوا الجنسية الاسرائيلية (فلسطينيو ١٩٤٨). . . لأنهم كانوا تحت تأثير مذبحة قانا التى إندفع إليها بيرز فى آخر أيامه. . . وكانت النتيجة أن بنيامين نتيناهو قفز إلى مقعد رئيس الوزراء فى ٢٢ يونية ١٩٩٦ فوق حصان ليكودى جامع.

* وقد شهدت العملية السلمية أصعب وأعقد المواقف بسبب سياسية نتيناهو الذى ظل أسيرا لشعارات ومزايدات الانتخابات حريصا على إرضاء المتشددين والمتطرفين دون إدراك لمخاطر انهيار السلام، ومع الممارسات الاستفزازية المتمثلة فى محاولة حفر نفق تحت المسجد الإبراهيمى، وبناء مستوطنات فى القدس الشرقية وحصار الفلسطينين داخل غزة وأريحا. . تفجرت أحداث العنف وسقط الضحايا من الجانبين.

* فى محاولة لإنقاذ عملية السلام. . قامت وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية مارلين أولبرايت بجولة فى المنطقة (سبتمبر ١٩٩٧) التقت خلالها بقادة إسرائيل والفلسطينين كما زارت مصر وسوريا ولبنان، ورغم تناقض تصريحاتها إلا أن الأمل يظل قائماً فى استكمال مسيرة السلام، إذا واكبت التحرك الأمريكى، جهود أوروبية ايجابية (ظهرت بوادرها فى تصريحات بعض الزعماء والمسئولين خاصة فى

فرنسا) كما أن التحرك العربى السريع على طريق تنسيق وتوجيه المواقف، وتحقيق التكامل (فى مختلف المجالات) بما يعيد للأمة العربية (مكانتها) التى لايمكن تجاهلها، هذا التحرك المنشود يضيف بالتأكد إلى احتمالات انتعاش العملية السلمية.

ولذلك فإن الخبراء والمراقبين الموضوعيين يجزمون بإن هذه الأسباب كفيلة باندفاع مسيرة السلام إلى الأمام مهما تعثرت، ثم إنهم يضيفون سببا أهم وأكبر وهو أن «السلام» انطلق من قاعدة صلبة وراسخة. . [قاعدة حرب أكتوبر ١٩٧٣].

تساؤلات .. واضحة الإجابات !!

١ - ماذا لو أن كيسنجر بدهائه البالغ وانتمائه المعروف لم يكن موجوداً فى موقعه فى تلك الفترة وبالتالى لم يستدرج الرئيس نيكسون إلى قرارات الدعم الهائل لإسرائيل عسكريا ومعلوماتيا. . خاصة وأن وزير الدفاع وغيره كانوا ضد ذلك الاندفاع فى المساعدات المحمومة بحجمها الهائل ؟! وبالتالى ماذا لو أن إسرائيل لم تتلق ذلك الدعم الهائل ؟!

٢ - ماذا لو أن كيسنجر لم يعرف نوايا الخطة المصرية من خلال الخطاب الذى بعث به إليه الرئيس أنور السادات فى ٧ أكتوبر (ثانى أيام القتال) والذى قال له فيه (إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة) ؟

لقد كان هدف الرئيس السادات طمأنة أمريكا وربما تحييدها مؤقتا لكن كيسنجر قرأ الخطة. . واستنتج النوايا وأبلغها فوراً لإسرائيل التى بنت عليها تحركاتها وخططها العسكرية ؟!

٣ - ماذا لو أن الرئيس الراحل أنور السادات صاحب قرار الحرب الشجاع والخطير. . كان قد أشرك معه مجلس الأمن القومى. . ومجلس الوزراء فى اتخاذ المواقف والقرارات السياسية أثناء الحرب. لقد حمل الرجل نفسه العبء كله. . وكان العبء فوق طاقة وامكانيات الفرد الواحد !

٤ - ماذا لو أن مصر وسوريا لم تبدأ الحرب فى ٦ أكتوبر» وقامت اسرائيل بتنفيذ خطتها المدبرة «الحزام الأسود» بأن تشن فى ٢٢ أو ٢٥ أكتوبر الحرب (مستغلة كعادتها عنصر المباداة والمفاجأة) بهدف ضم جنوب لبنان إلى أراضيها نهائياً، وضم أجزاء من سوريا وإنشاء خط تحصينات - مثل خط بارليف - فى غور الأردن، وتحويل سيناء إلى مركز تجارب للمفاعلات الذرية ؟!

٥ - ماذا لو أن الدول العربية قد تجاوزت تلك الحساسيات والمواقف التى عوقت وحدة التفكير والعمل قبل الحرب بفترة كافية. بدلا من أن يحركها -فقط- إحساس الأخ الذى يسارع إلى الوقوف بجانب أخيه بعد أن شاهده فى معمعه حامية الوطيس؟ لقد كان ذلك (رد الفعل العربى الشهم المعروف) لكن (رد الفعل) مهما كان حجمه، لايرتفع أبداً لمستوى (الفعل) خاصة عندما يكون فى الوقت المناسب (وقت الإعداد والتخطيط والتنسيق وحشد كل الطاقات!!

٦ - وبنفس المنطق ماذا لو أن سلاح البترول العظيم بدأ استخدامه فى وقت مبكر وضمن خطة معدة سلفا؟! لقد بدأت اجتماعات الدول العربية البترولية فى ١٧/ ١٠/ ١٩٧٣ أى بعد مرور أكثر من ١١ يوماً من الحرب الضارية، ومع ذلك، ورغم البطء فى استخدام سلاح البترول بالتخفيض المتدرج فى الإنتاج، فى العالم كله وعلى رأسه أمريكا اهتز تماماً وبدأ ينظر للعالم العربى بصورة أخرى فى ضوء مصالحه الحيوية والمباشرة حتى أن دولاً أوربية تخلت عن صداقتها التقليدية لإسرائيل بل اختلفت مع الحليف الأكبر (الولايات المتحدة) بسبب شكل وحجم الجسر الجوى الذى مدته إلى إسرائيل! ماذا لو حدث ذلك فى الأيام الأولى وقبل أن يمتد ذلك الجسر الضخم حاملاً أحدث وأكبر المعدات والأسلحة التى أنقذت إسرائيل!!

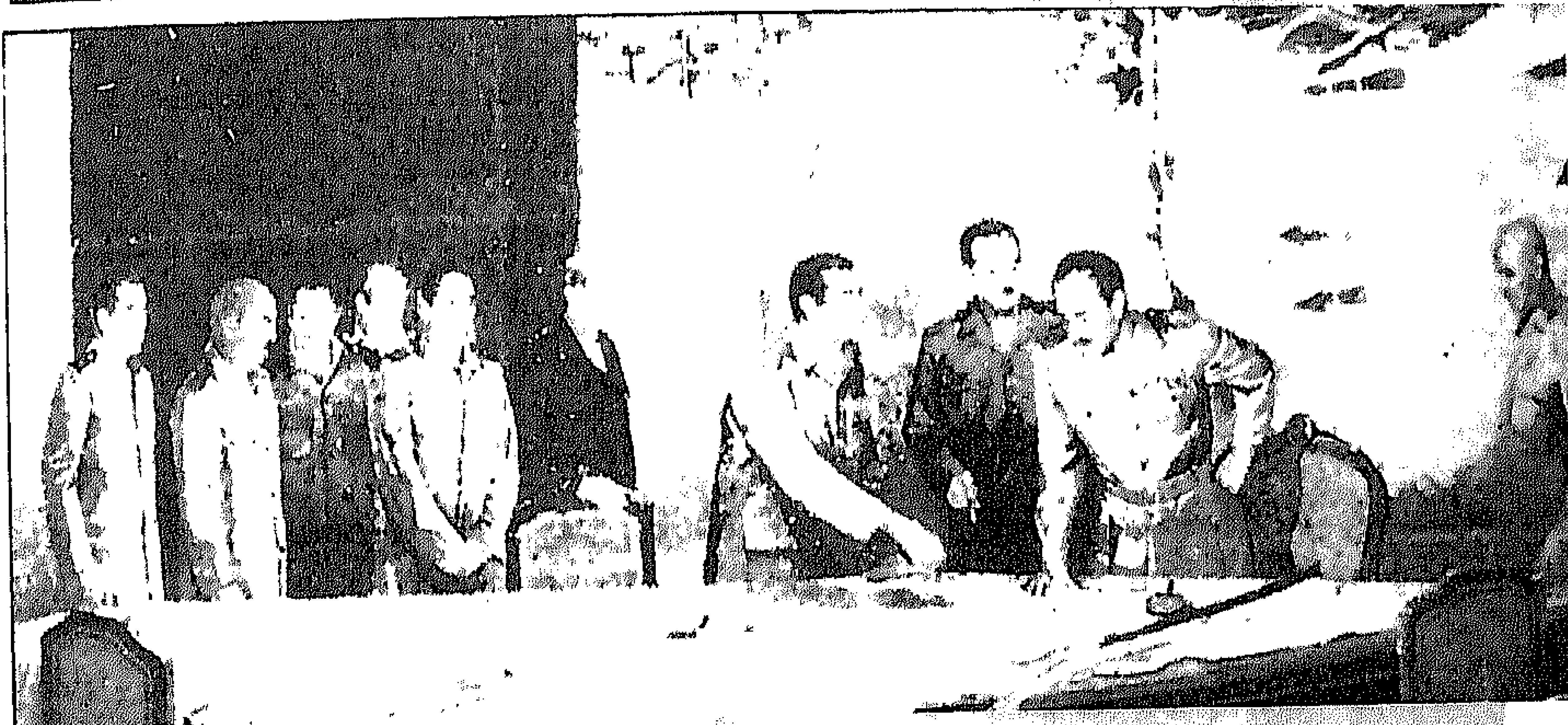
٧ - ماذا لو استخدمت الدول العربية سلاح أرصدتها الهائلة فى أمريكا وأوربا الغربية بالسحب منها وفق خطة تواكب خطة خفض إنتاج البترول؟

٨ - ماذا لو أن التنسيق الكامل بين سوريا ومصر امتد بعد خطة التمويه وأسلوب شن الحرب فى ساعاتها الأولى. ماذا لو امتد هذا التنسيق طوال أيام الحرب بقيادة عسكرية واحدة (عملياً وليس نظرياً!!).

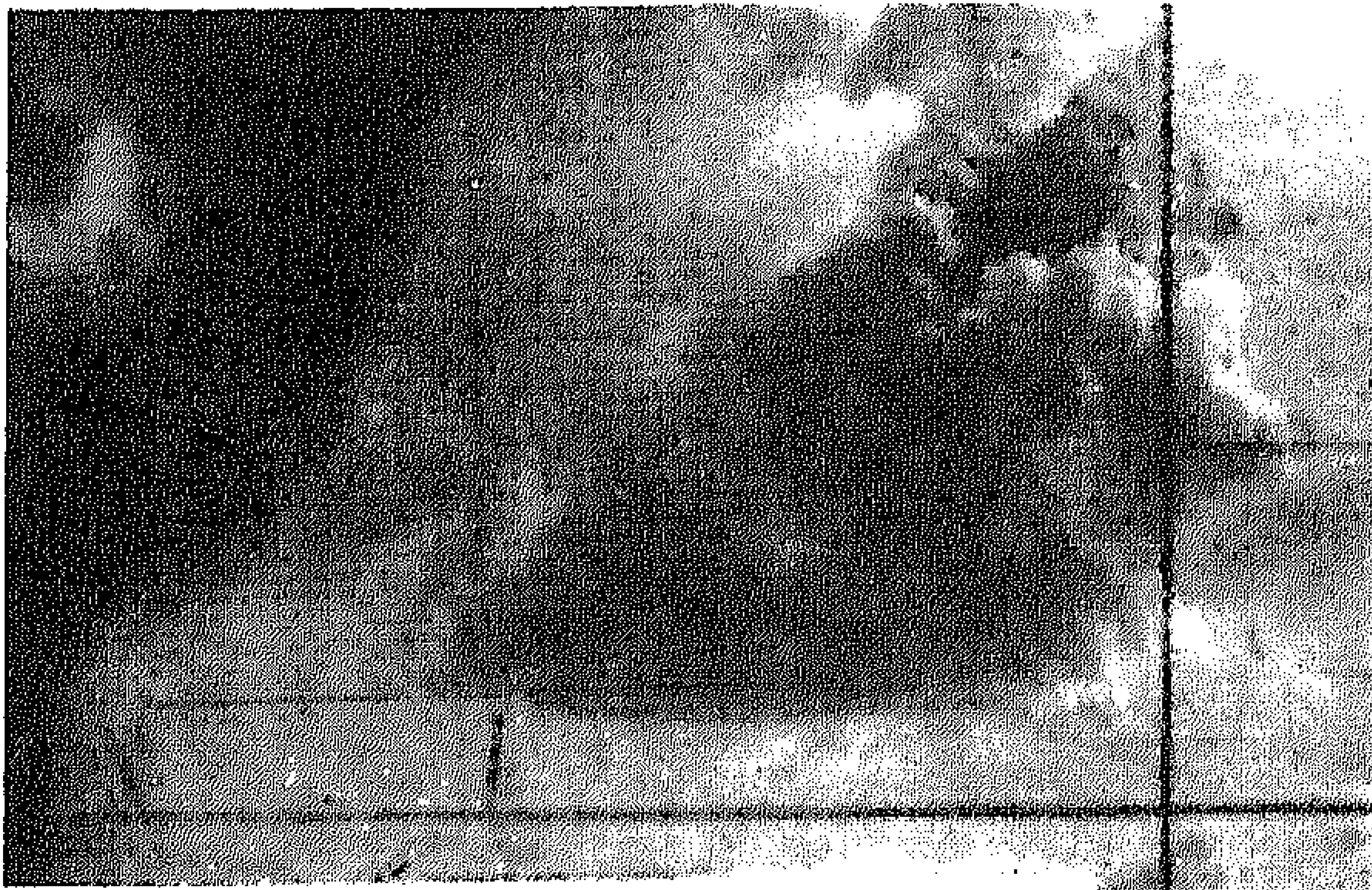
٩ - ماذا لو أن الاتحاد السوفيتى قدم لمصر وسوريا دعما عسكريا بنفس مستوى الدعم الأمريكى لاسرائيل. متجاوزا الخلافات والحساسيات التى نشأت قبل الحرب ومنذ قرار سحب (طرد) الخبراء؟! ... أو ماذا لو كان لنا (كيسنجر) روسى بجوار رئيس الدولة بريجنيف؟!

١٠ - (تساؤل مكرر!!) ماذا لو أن أمريكا لم تمد الجسر الجوى الهائل إلى إسرائيل حاملا لها أحدث وأقوى الأسلحة والمعدات.. والمتطوعين من ذوى الجنسية المزدوجة؟!!



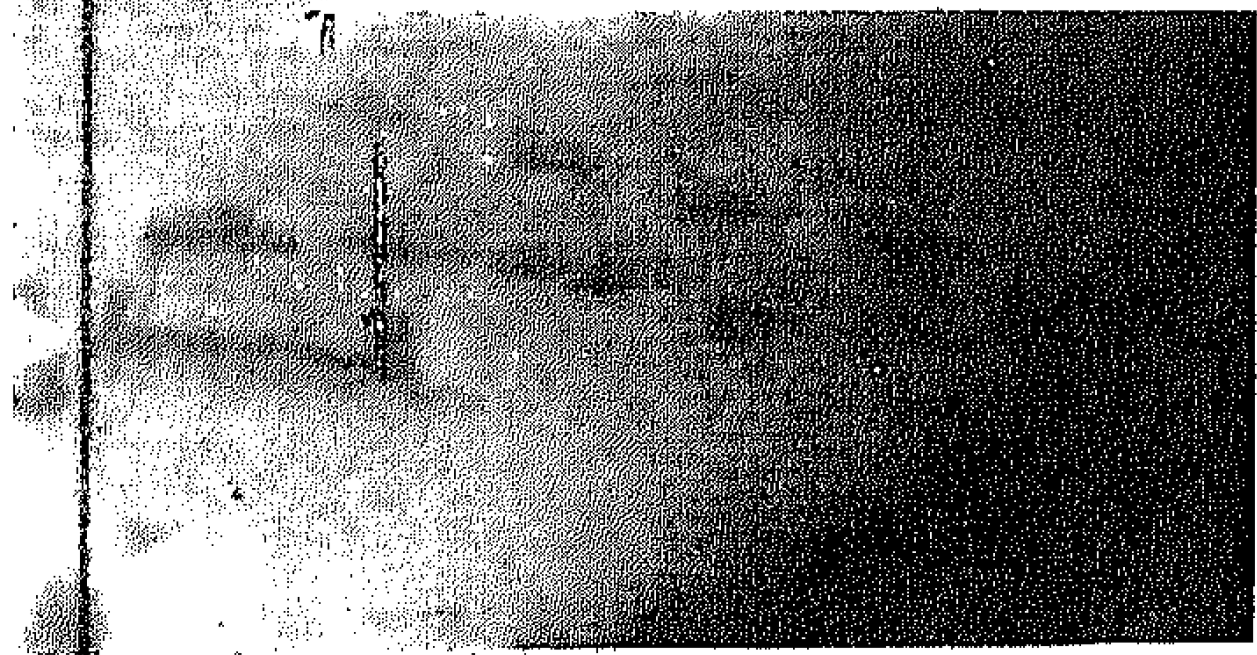


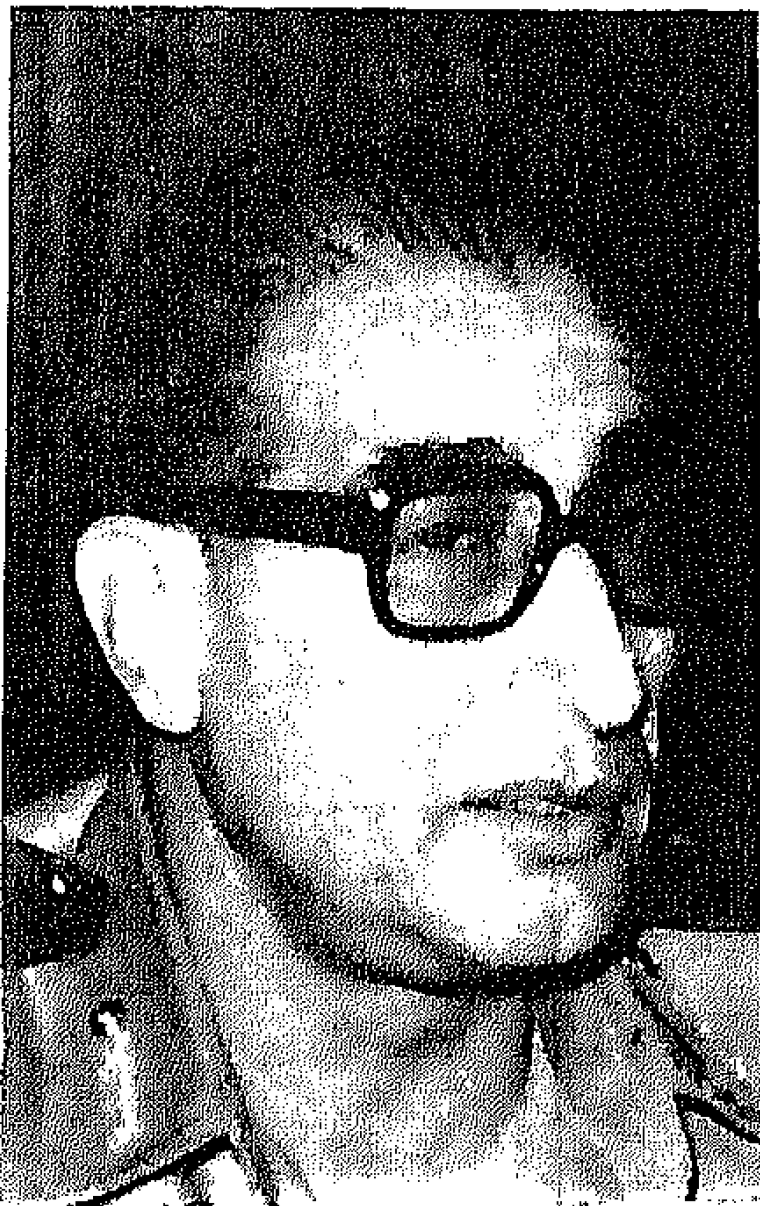




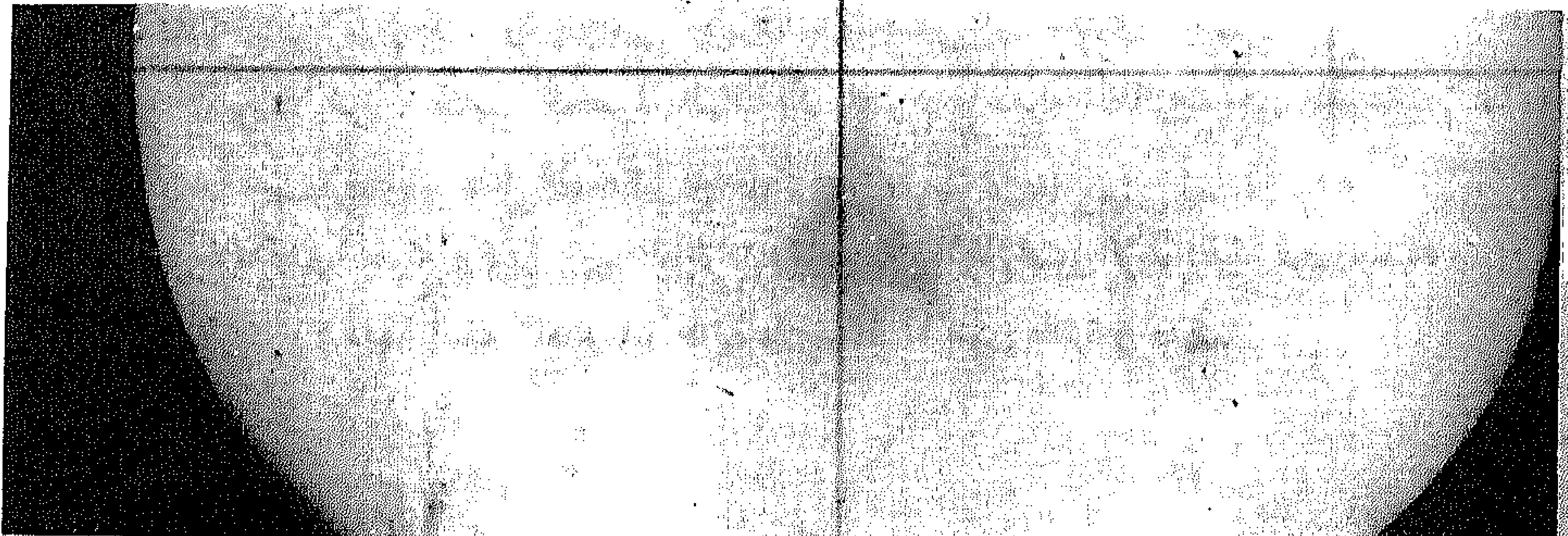


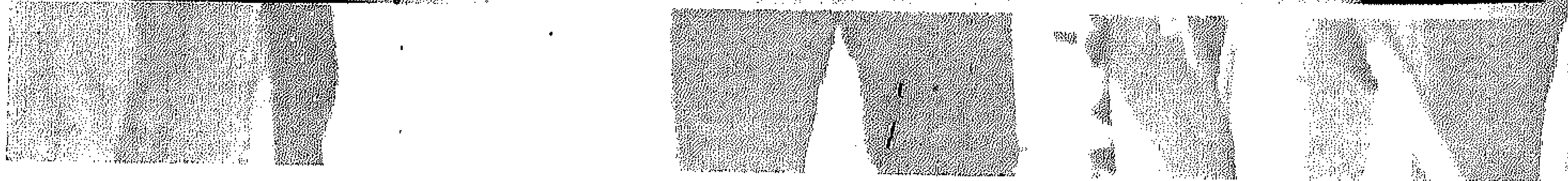
الفريق حسنى مبارك الذى قاد القوات الجوية المصرية قبل وأثناء الحرب وصورة نادرة للضربة الجوية الأولى . يظهر فيها آثار تدمير مواقع صواريخ هـوك





اللواء محمود شاكر ، أحد أبطال الطيران ، وقائد القوات الجوية بعد تعيين الفريق حسنى مبارك نائباً لرئيس الجمهورية وصورة تظهر فيها طائرة ميراج وهى تدخل « دائرة الموت » وهى دائرة تنشين الطيار المصرى الذى كان يقود ميج ١٧











عبور أقسى
مانع مائى فى
التاريخ





[illegible] على الصعاب .. تسلق المقاتلين المصريين الساتر الترابي
[illegible] بينما يعمل زملاؤهم من سلاح المهندسين [illegible] هذا
الساتر لعبور الدبابات والمدرعات

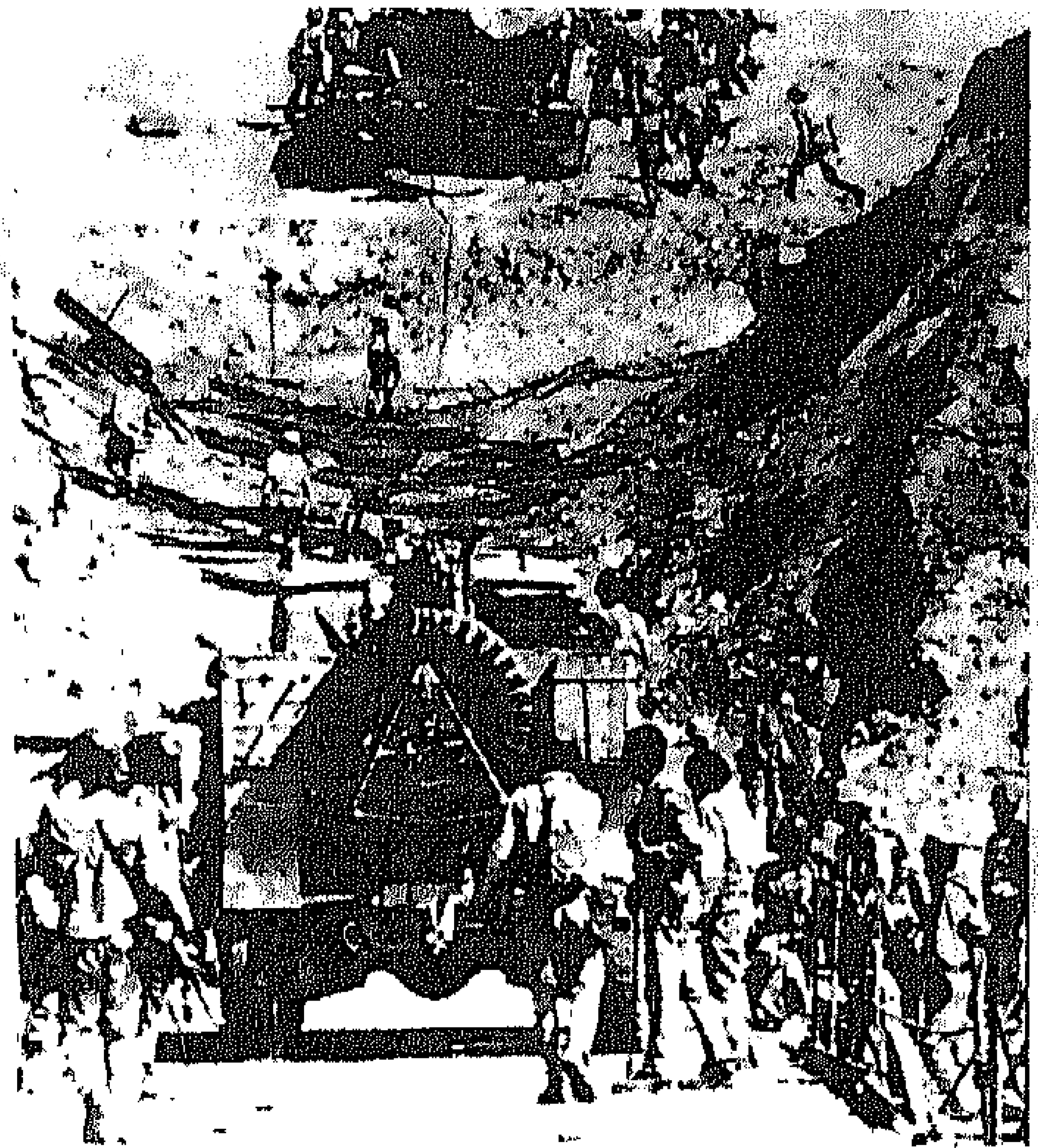


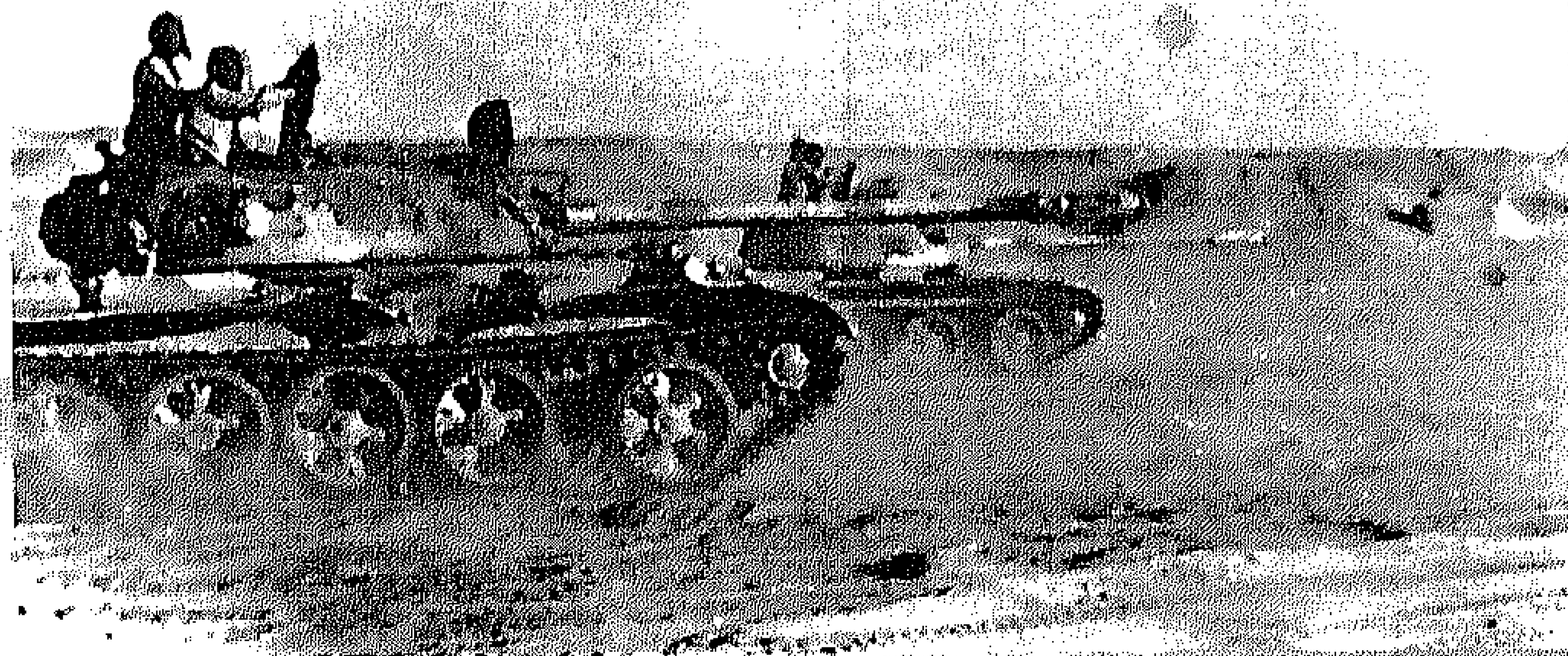


المشير محمد حسين طنطاوي

وزير الدفاع

وبطل معركة المزرعة الصينية











ضباط وجنود
اسارائيل يرفعون
ايديهم الي اعلى
أثناء الاستسلام .
وتنطق ملامحهم
بالانهيار والزعر



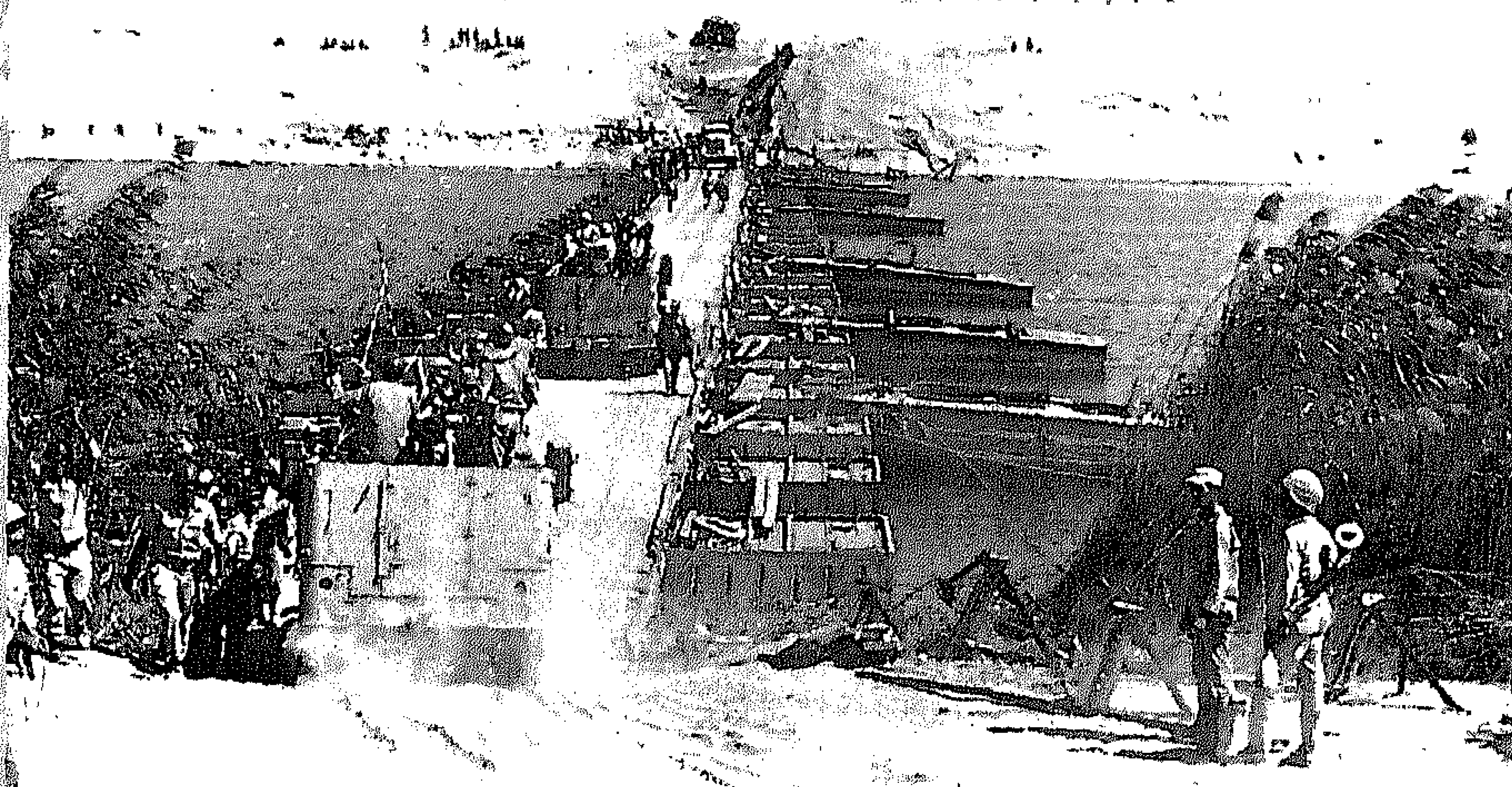






الله أكبر





العبور العظيم



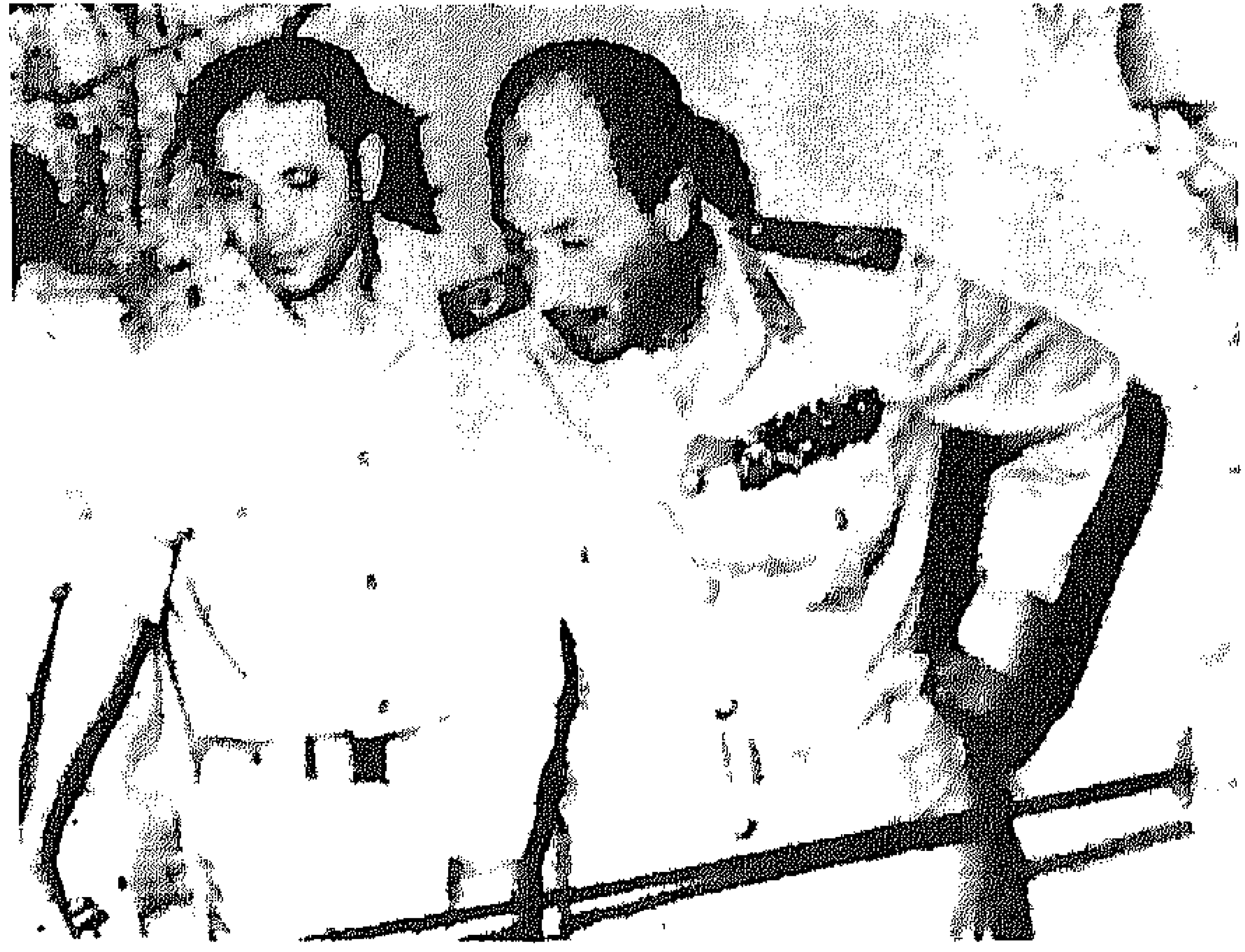
الجنرال دايفيد اليعازر
رئيس الأركان الإسرائيلي

من اليسار إلى اليمين ، الجنرال آدن (برن) ، والجنرال اليعازر ، والجنرال ماجن الذى مات فى الأيام الأخيرة للحرب



فى مقر قيادة الجبهة الجنوبية (بسيناء) يظهر الجنرال اليعازر « الثانى من ليمين » وإلى يساره الجنرال جونين ، وعن يمينه الجنرالات آدن (برن) ، بن آرى ، و « رابين » بينما يقف الجنرال ماندلر فى أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط





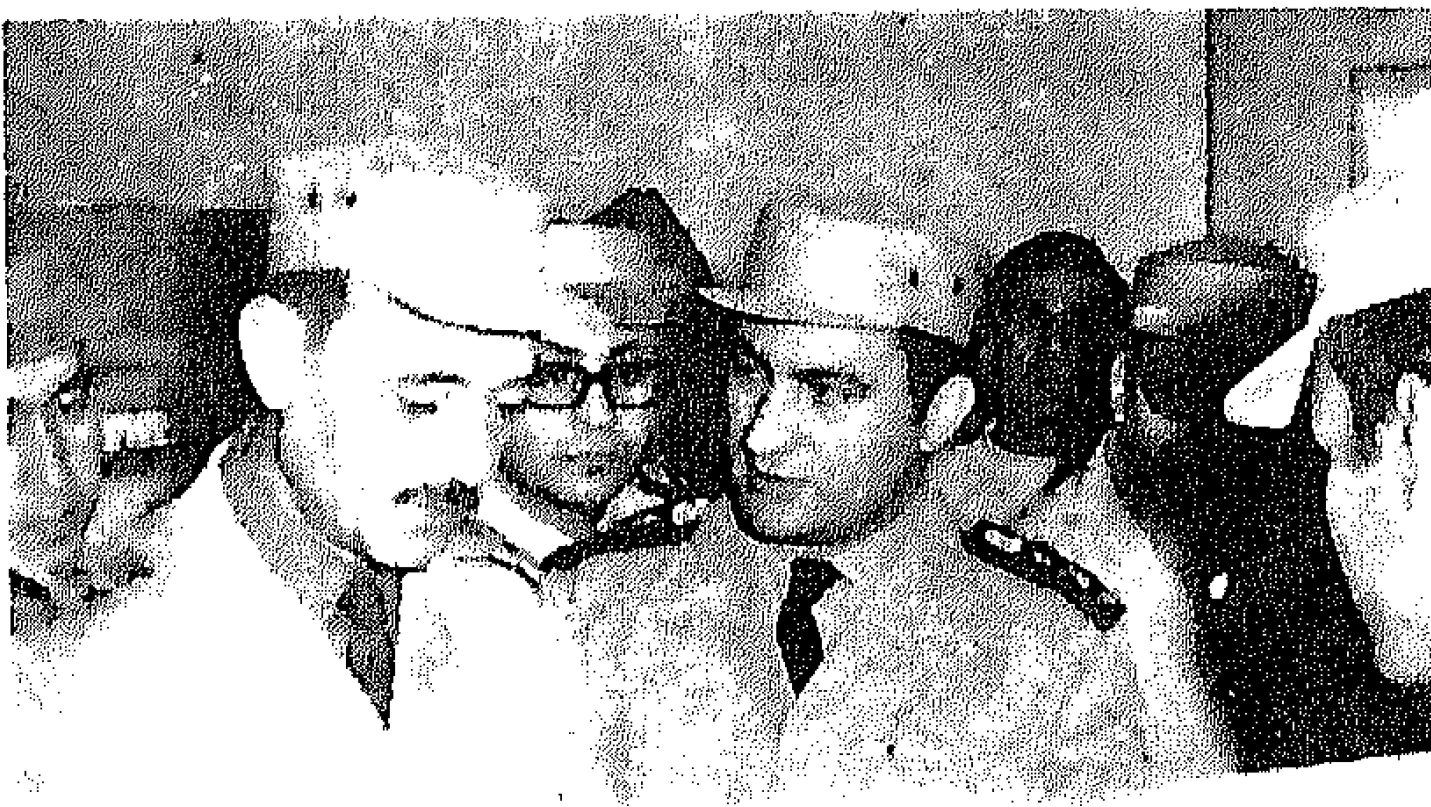
الرئيس السادات والفريق سعد الدين الشاذلى فى غرفة العمليات



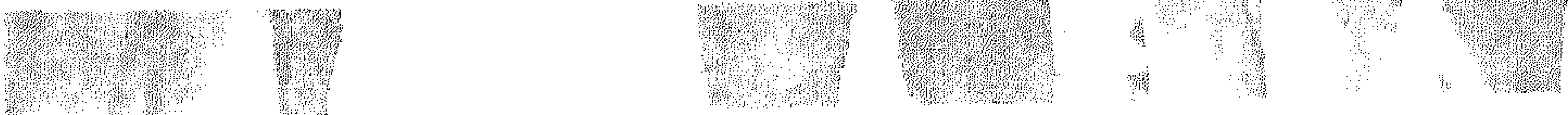
الرئيس السادات صاحب قرار العبور



المشير أحمد أسماعيل والفريق محمد عبد الغنى الجمسى

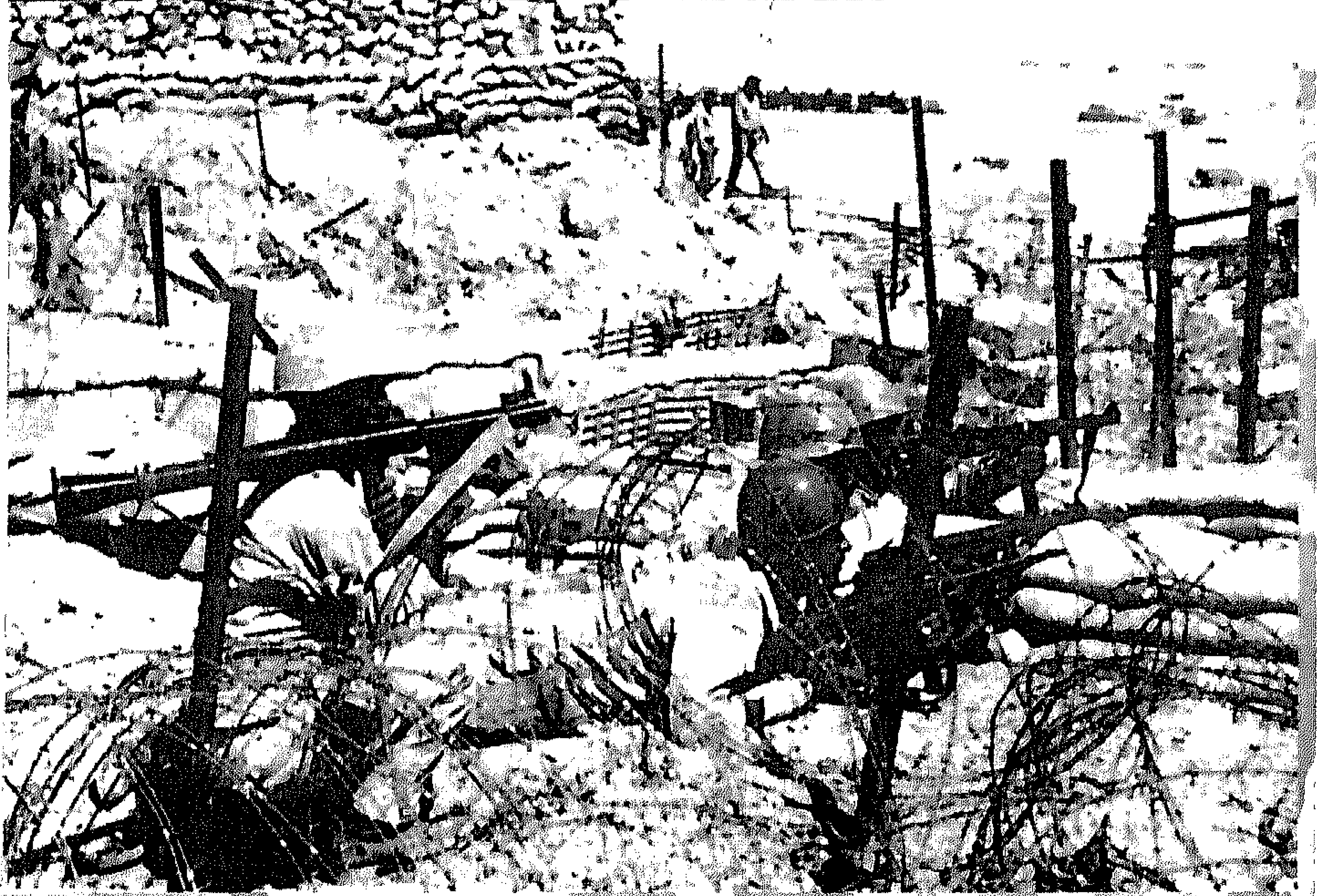


الفريق حسنى مبارك والفريق الجمسى





بارليف وخطه الحصين جداً







الجنود الاسرائليون .. رفعو ايديهم وخفضوا رؤسهم .. مستسلمين فى انهيار كامل.

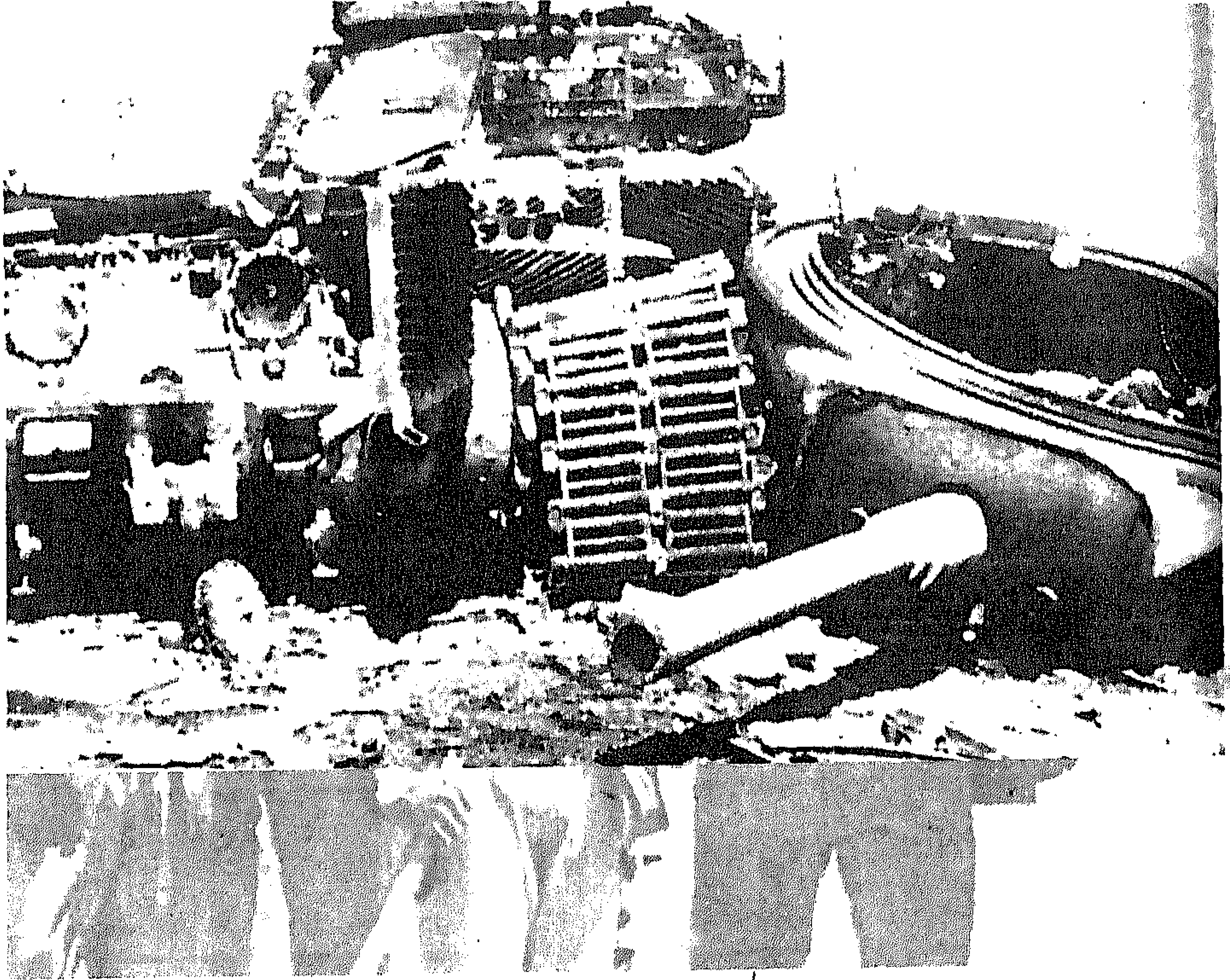
وانتهت أسطورة الجندى السوبرمان!

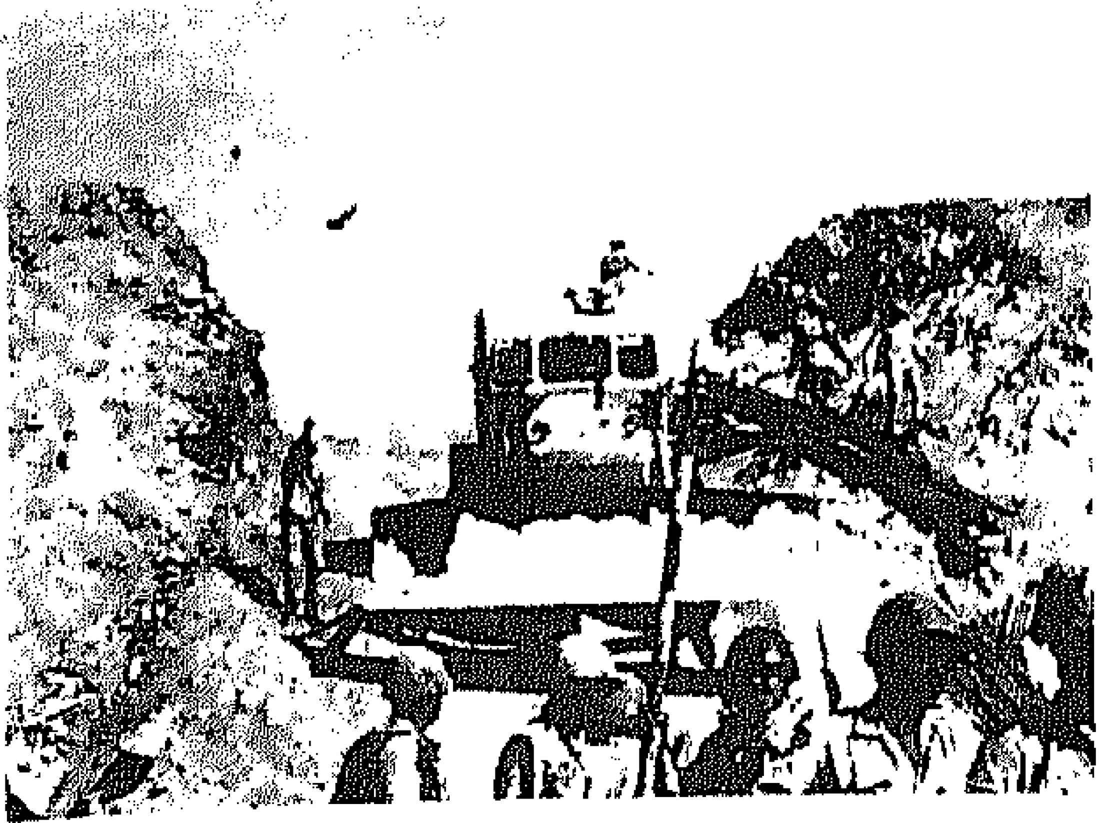





• الرجل الحديدى • الجنرال ماندلر (ألبرت) ، وقد وقف فى أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط ليعطى صورة للموقف فى (٧ أكتوبر) ويجلس من اليسار إلى اليمين الجنرالات : حوبين ، اليعازر ، آدن (برن) ، بن آرى ، رابين

فى الأيام الأولى للحرب . قال ماندلر إنه لا يعرف كيف سيواجه أسر القتلى والجرحى من رجال مدرعاته . لكن القدر أعفاه من هذه المهمة الشاقة حين انضم هو أيضاً إلى قائمة القتلى





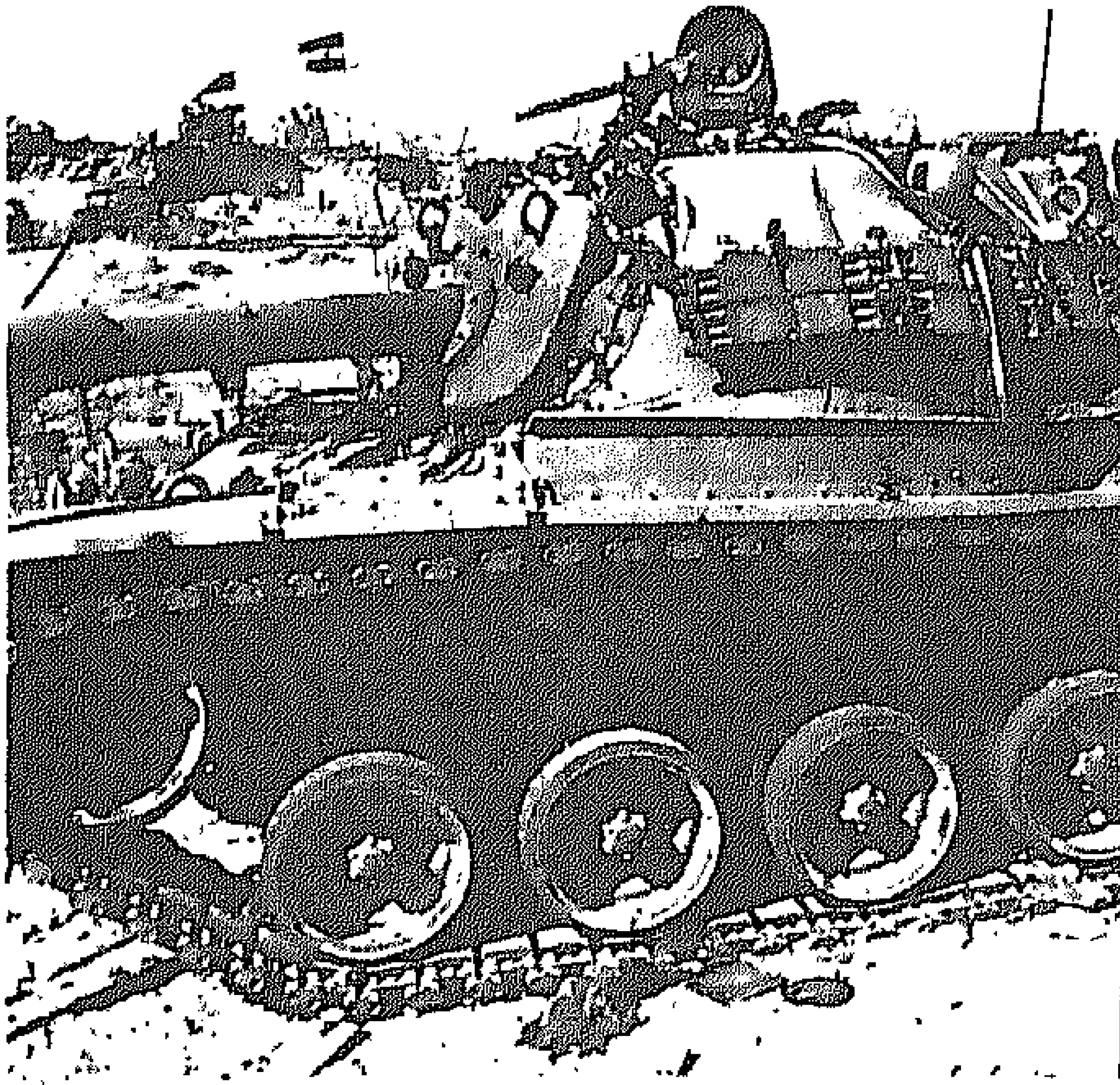


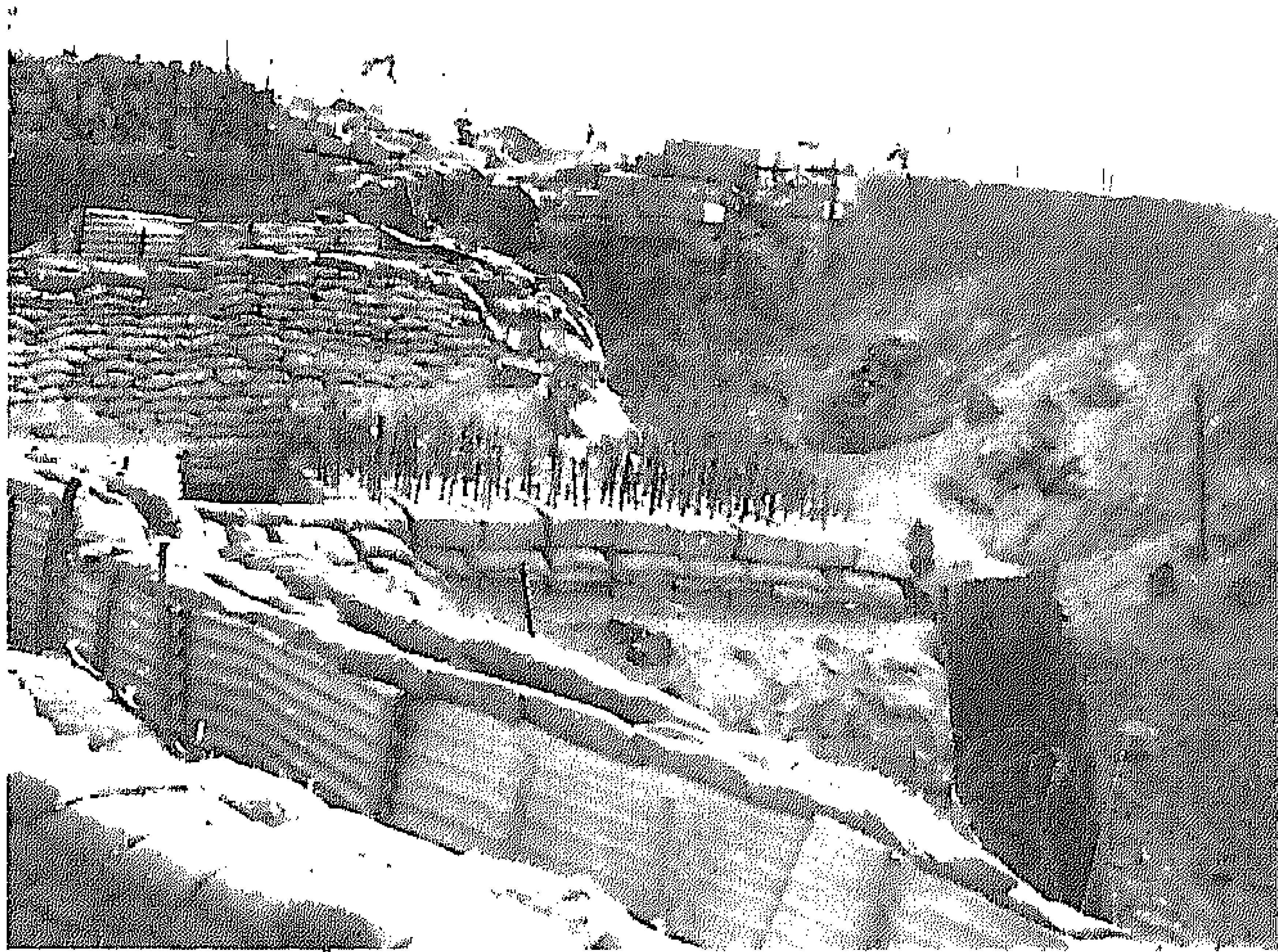


الجنرال دايفيد اليعازر فى أحد تصريحاته الملتهبة فى الساعات الأولى للحرب . مشاركاً بقية القادة الإسرائيليين حملة إعلامية كشف المراسلون الأجانب كذبها الفاضح

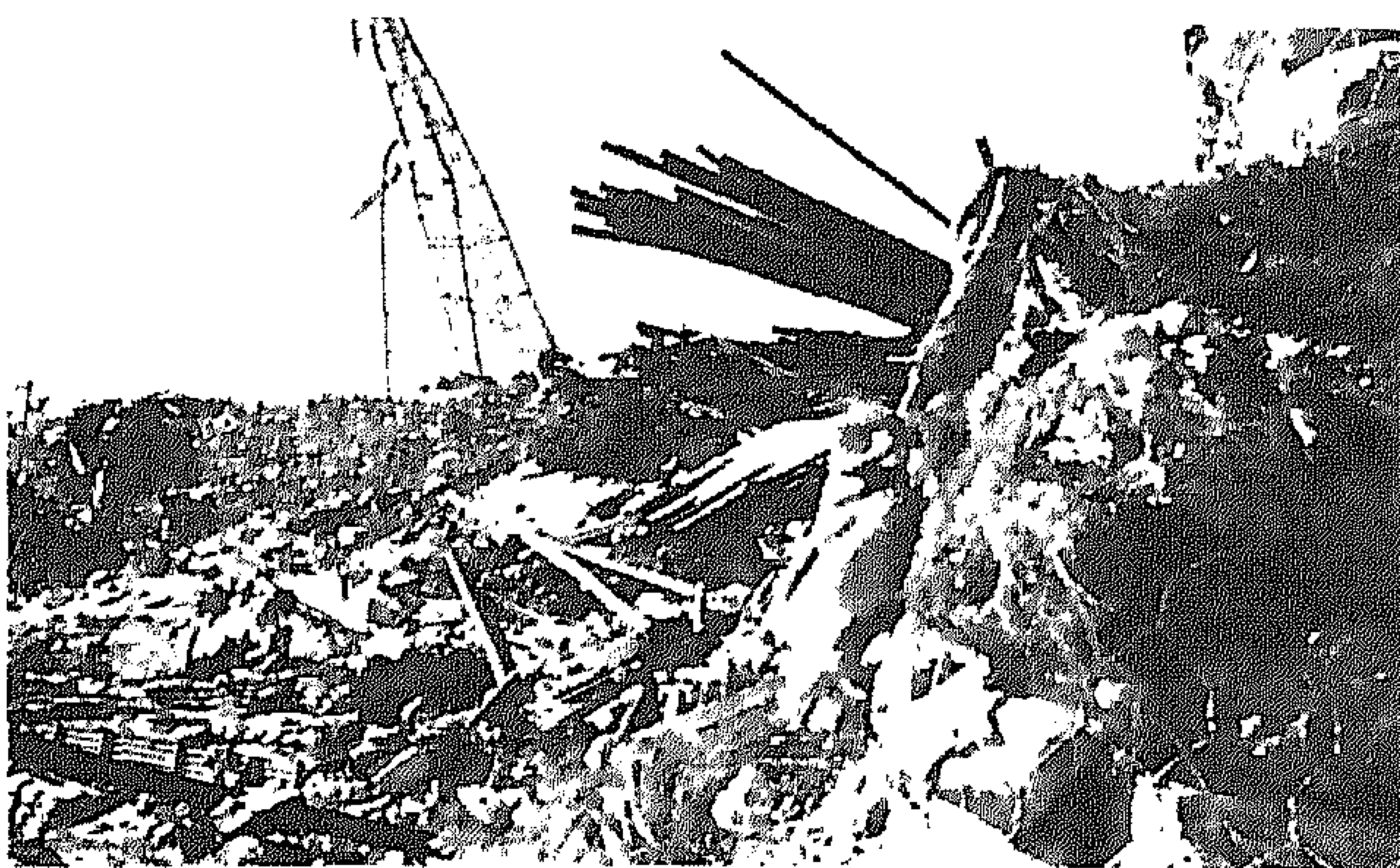


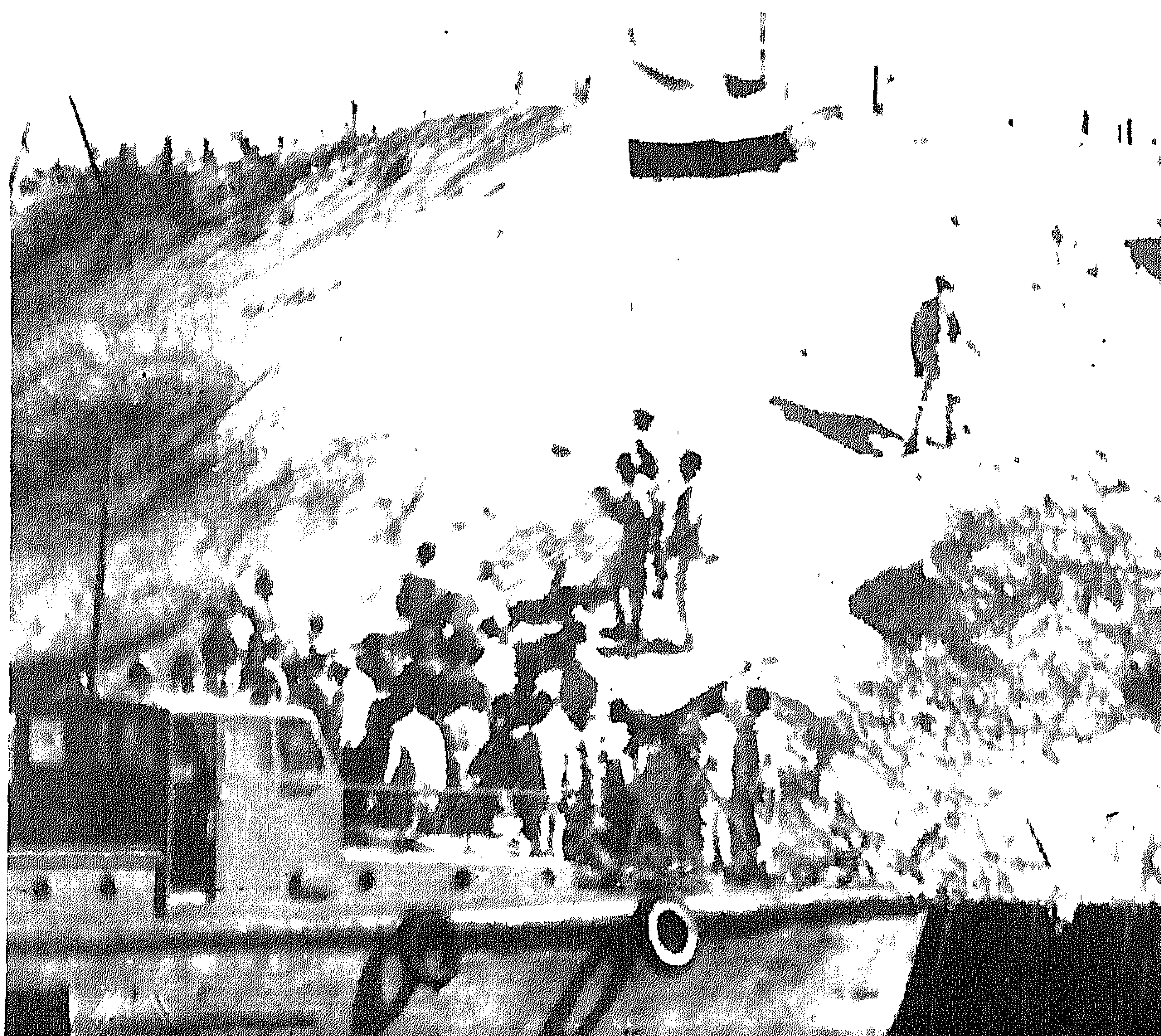
الجنرال حايم هيرتسوج المتحدث العسكرى الإسرائيلى فى مؤتمر صحفى . . كان ملمحاً من صورة هزيمة الأعلام الإسرائيلى


هكذا دُمرت أسلحتهم


هكذا كانت قوة
تحصينات خط بارليف


وهكذا كان أسرهم







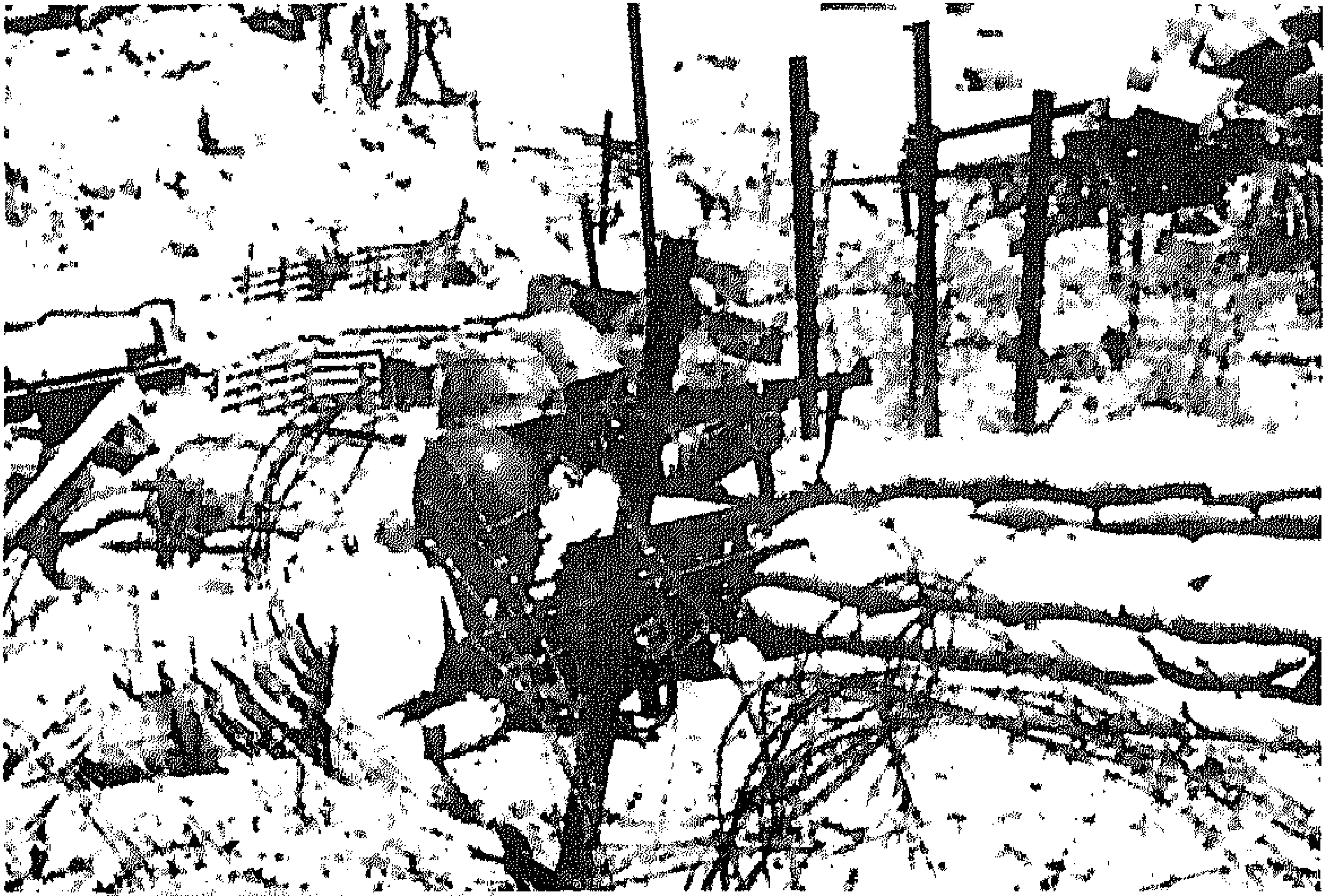
جولدا مائير . . .
لم تستطع أن تبكى ! !



كانت إسرائيل تعتبر سلاحها الجوى رمزاً لقوتها . ولذلك كان لتساقط طائراتها صدى مؤلم ودلالة مخيفة .



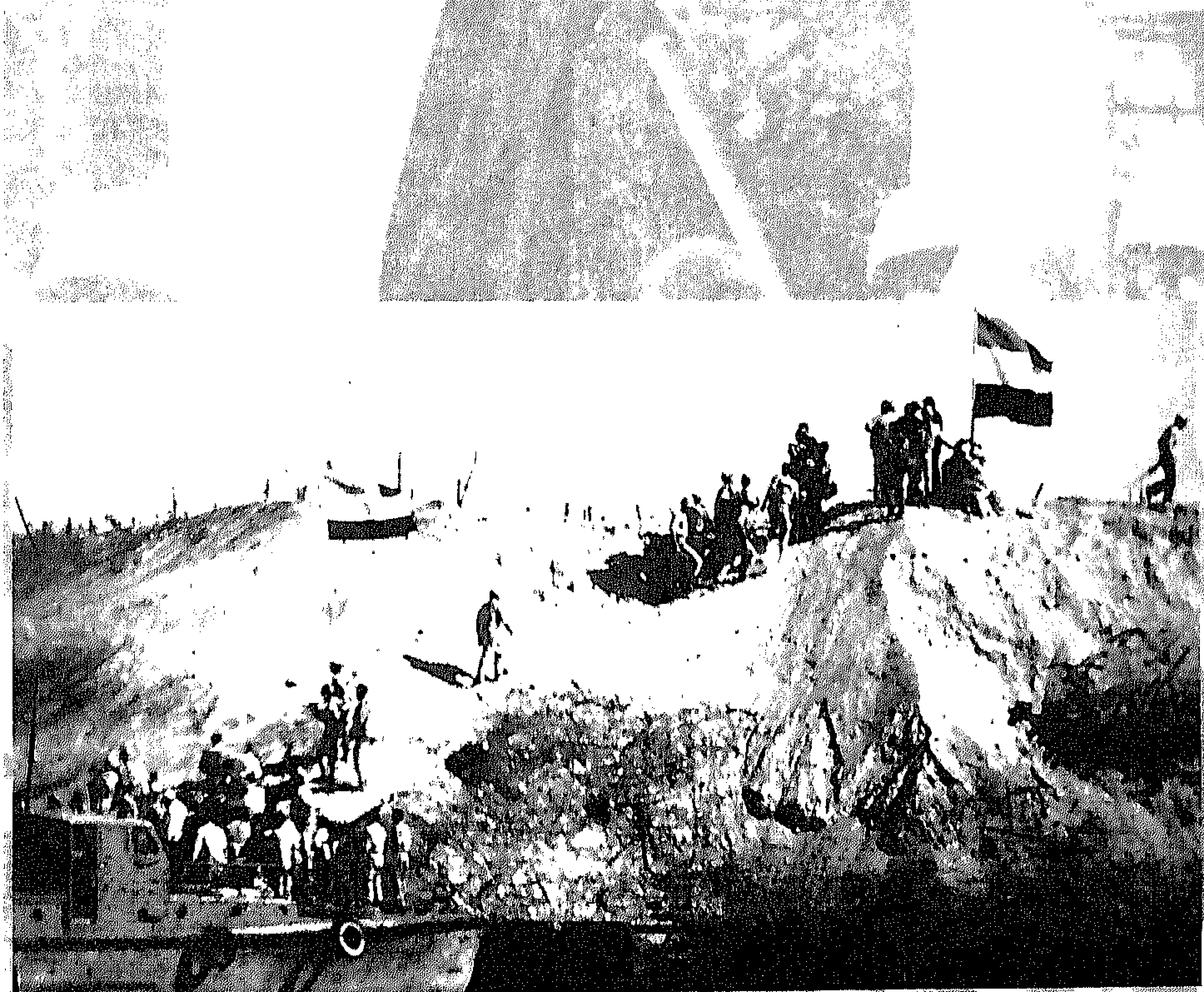
قالوا إنه إله الحرب ومعشوق إسرائيل
وكان انهياره نهاية لأسطورته







هذا السلام كان نتيجة العبور العظيم وانتصارنا في حرب أكتوبر .. فهل سيتمسكون ؟!



المصـــادر

اولا : اللقاءات الشخصية :

١ - لقاءات مباشرة مع عدد كبير من قادة وضباط وجنود القوات المسلحة المصرية اذيعت بعضها فى البرنامجين اللذين بدأت تقديها مع اندلاع شرارة حرب اكتوبر وهما

(يوميات مراسل حربى) ثم (صوت المعركة) .

٢ - لقاءات مع بعض الضباط والجنود من القوات المسلحة السورية .

٣ - لقاءات مع بعض الضباط والجنود الاسرائيليين الذين قام باسرهم المقاتلون المصريون .

٤ - لقاءات مع بعض المراسلين والمحررين الاجانب

ثانيا : الكتب والصحف والمجلات . كما تحددها الصفحات التالية .....

اولا : المراجع الاسرائيلية :

(أ) الكتب :

١ - حرب التفكير « حاييم هيرتسوج رئيس المخابرات الاسرائيلية السابقة والمتحدث العسكرى باسم الجيش الاسرائيلي والمعلق والكاتب العسكرى ومندوب اسرائيل « وبعد حرب اكتوبر » فى الامم المتحدة

٢ - « زلزال فى اكتوبر » تأليف المحرر العسكرى الاسرائيلى المعروف زئيف شيف .

٣ - « التقصير » تأليف يشعياهو - بن - فورات ، يهو ناتان جيفن . اورى دان ، إيتان هيفر ، حيزى كارمل ، إيلى لنداو ، إيلى تابور .

٤ - اسرائيل ونهاية الأساطير « تأليف امتون كابليوك »

٥ - اسرائيل تتجه الى للسفر الى الخارج : دراسة ميدانية نشرتها جريدة هارتس الاسرائيلية .

٦ - بناء الجيش الاسرائيلى - إيجان آلون.

٧ - حياتى - جولدا مائير.

٨ - قصة حياتى - موشيه ديان.

(ب) الصحف والمجلات الاسرائيلية التى صدرت منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ وحتى (مارس) ١٩٧٦ :

وهى : معاريف - هآرتس - بمحانية - هعولام هازيه - يديعوت أحرونوت - جويش كرونيكل - جيروزاليم بوست - عل همشمار - دافار - هاتسوفيه

(حـ) تقارير رصد اذاعة اسرائيل العبرية وإذاعة الجيش الإسرائيلى وتليفزيون إسرائيل .

(د) الصحف والمجلات العربية :

ملف مجلة المصور (من ١٩٧٣ - الى ١٩٧٦)

ملف مجلة الهلال (١٩٧٣ - الى ١٩٧٦)

ملف مجلة النصر (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة اخر ساعة (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة روزليوسف (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة صباح الخير (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة الطليعة (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة الحوادث (اللبنانية) (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة كل شيء (اللبنانية) (١٩٧٣- ١٩٧٦).

ملف مجلة السياسة الاسبوعية (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة الشئون الفلسطنية (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف مجلة فلسطين - الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطنية .

ملف جريدة الاهرام (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف جريدة الاخبار (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف جريدة الجمهورية (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف جريدة القوات المسلحة (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف جريدة الانوار اللبنانية (١٩٧٣- ١٩٧٦)

ملف جريدة النهار البناتية (١٩٧٣- ١٩٧٦)

(هـ) الدراسات والكتيبات التى صدرت عن هيئة الاستعلامات المصرية ووزارة الحربية المصرية .

(و) الدراسات والكتيبات والنشرات التى صدرت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت .

(ز) خطب الرئيس محمد انور السادات من عام ١٩٧١ حتى اخر عام ١٩٧٥ .

(م) حلقات من مزكرات الرئيس محمد انور السادات التى نشرت بجريدتى الاهرام والاخبار .

(ى) محاضرة ندوة اكتوبر الدولية التى عقدت فى القاهرة - فى عام ١٩٧٥ .

مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب - جمال الدين محمد بن سالم بن واصل - تحقيق . د . جمال الدين الشيال

صلاح الدين الايوبى - د . جمال الدين الرمادى

ماذا بعد الحرب - احمد ايوب

سلاح البترول والصراع العربى الاسرائيلى - د. حامد ربيع

عندما سقطت السماء فوق اسرائيل - محمد فيصل عبد المنعم

سقوط جدار الوهم - كمال سعد

حرب الجولان و تحرير الإرادة العربية - فاروق البربير

اليوم السابع / يوميات مذيع فى جبهة القتال / حمدى الكنيسى

وانطلقت المدافع عند الظهر - اللواء . أ . ح محمد عبد الحليم ابو غزالة

سري جدا - محمود عوض
اسرائيل بعد الزلزال - عبد الرحمن سليمان - احمد الحملى
اضواء على الادب الصهيونى المعاصر - ابراهيم البحراوى
صهيونيون حتى اطراف اصابعهم - محمود فوزى
معارك العرب ضد الغزاة - محمد عمارة
معارك رمضان فى سيناء والجولان - المستشار عبدالمجيد مرعى
السويس مدينة تحت الحصار - رياض سيف النصر
الرجال والفانتوم - سعد عبد الكريم
بطولات حرب رمضان - حسين طنطاوى
الشرارة طريق النصر - دار الصياد
اسرار حرب رمضان - حسام حازم
بعد ان تسكت المدافع - محمد سيد احمد
وتحطمت الطائرات فوق سماء دمشق وسقط باريليف عند الظهيرة - عبدلله الاسدى
الحب النفسية فى المنطقة العربية - د. حامد ربيع
اليهودية والصهيونية واسرائيل - د. عبد الوهاب المسيرى
من يحكم فى تل ابيب - د. حامد ربيع
حرب السلام - حسنى نصار
دراسة فى الشخصية الاسرائيلية « الاشكنازيم » د. قدرى حفنيمفرج الكروب في اخبار بنى ايوب - جمال الدين محمد بن سالم بن واصل-
تحقيق .د. جمال الدين الشيال
صلاح الدين الايوبى - د. جمال الدين الرمادى
ماذا بعد الحرب رمضان - احمد ايوب الدجانى
اكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسية / محمد حسنين هيكل (مركز الاهرام للترجمة والنشر)
الطوفان ، حمدى الكنيسى - دار المعارف ١٩٧٦
مذكرات الجمسى - حرب اكتوبر ١٩٧٣ المشير محمد عبد الغنى الجمسى
يوميات مذيع فى جبهة القتال / حمدى الكنيسى دار الشعب ١٩٧٤
حرب اكتوبر حصاد السلام - اللواء طه المجدوب (الهيئة العامه للاستعلامات ١٩٩٣)
بطل من الجنوب - جابر عبد السلام - (دار النشر هاتيية) ١٩٩٦
مذكرات هنرى كسنجر - (سنوات القلق)
رباعية سيناء - فتحى رزق - (دار النصر للطباعة) ١٩٨٤
السادات وكامب ديفيد . د. صلاح العقاد مكتبة مدبولى
اكلة الدبابات اللواء عبد الجابراحمد على والهيئة العامه للكتاب ١٩٩٤
الموسوعة السياسية - الكيالى واخرون
موكب الشمس - .د. احمد بدوى
مصر القديمة - سليم حسن
الندوة الدولية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ (ادرة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ١٩٧٥
خفايا حصار السويس - حسنين العشى كتاب الحرية ١٩٩٠
رحلة الساق المعلقه -عميد ا ، ح ، عادل يسرى النشر المؤلف ١٩٧٤
حرب رمضان اللواء حسن البدرى وآخرون
الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة (وقائع وتفاعلات) - سلسة كتب فلسطينية
حرب الساعات الست : عبد الكريم درويش وليلى تكلا
مصر بعد العبور - سعد شعبان - احمد كمال الطويجى - على محمد المحبوب
الحرب خدعة - ابراهيم شكيب
حرب اكتوبر (دراسات في الجوانب السياسية والاجتماعية- مركز الدرسات والسياسة الاجتماعية بالاهرام ،والمركز القومى البحوث
الاجتماعية والجنائية بالقاهر
دروس الحرب الرابعة - المقدم الهيثم الايوبى
حرب اكتوبر فى الاعلام العالمى - د. حمدى الطاهرى
وثائق حرب اكتوبر - ابراهيم البرجاوى
الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والفهوم العربى - السيد ياسين
المفاجاة - ماهر عبد الحميد
تاريخ الثرات المصرية -عبد الواحد اسماعيل القاضى
الجبرتى - طبعة دار الشعب
مصر القديمة - سليم حسن
هيرودوت فى مصر - وهيب كامل
امتاع الاسماع - للمقريزى

الكتب الأجنبية

(A)

1 — Les Jours Terribles d'Israel — De Jean—Claude Gulleb aud.
2 — Confrontation — Walter Laquer.
3 — Insight on The Middle East War.
4 — Peace In The Middle East ? — Noam Chomsky.
5 — Publish it not .. (The Middle East Cover — Up.
(Christopher Mayhew— Michael Adams)
6 — Arab Attitudes to Israel — Y. Harkabi.
7 — Kissinger — Marvin Kalb & Bernand Kalb.
8 — The Fourth war — B. Komar Narayan.
9 -- Yom Kippur war — By the Insight Team of the Sunday Times.
10 — World Armaments and disarmament (Stockholm International) Peace Research Institute).
11 — The Making of a war — John Bulloch.
12 — Die Schlacht am Israel — Gerhard Konzelman.

الصحف والمجلات الأجنبية

(B)

1 — Sunday Times.
2 — Sunday Telegraph.
3 — News Week.
4 — Times.
5 — Aviation week.
6 — Time.
7 — Time Jewish Observer.
8 — Survival.
9 — Le Monde.
10 — Le Figaro.

الفهرس



* هل ترغب فى الاقامه بأجمل مناطق القاهره
* هل ترغب فى استثمار اموالك فى مشروع تجاري مقآم فى أحد المنــاطق الفريده والمتميزه

هل ترغب فى الاستمتــاع بالطبيــعه الخلابه بأروع منطقه بالســاحل الشــمالى

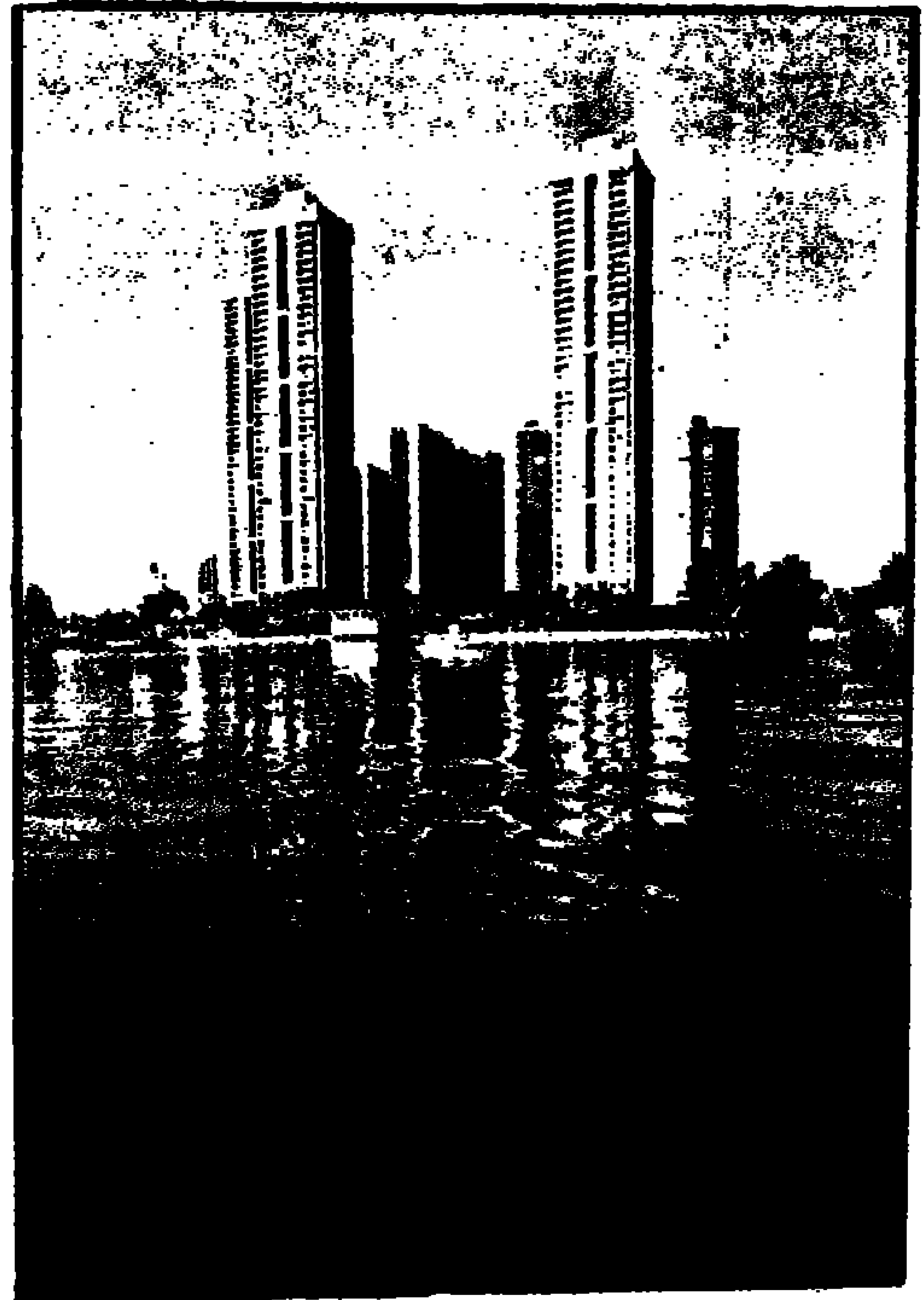
نحن ندعوك للتعاقد فورا لتملك احدى الوحدات السكنيه الفاخره أو فوق المتوسطه على كورنيش النيل بالمعادى .يتوافر بالمشروع المسطحات الخضراء - الجراجات - مرافق متكامله - خدمات - مشروعات ترفيهيه وتجاريه .

كما ندعوك لتملك احدى المحلات التجاريه فى مشروع الاسواق التجاريه على كورنيش النيل بالمعادى والميريلاند بروكسى بمصر الجديده .

كما ندعوك لتملك احدى الشاليهات والوحدات السكنيه القليله المتبقيه بقرية الكروان بالساحل الشمالى بالكيلو ٦٨٫٥٠ .

** مع منح تسهيلات فى السداد والتسليم فورى .

للاستعلام والحجز : ت ٣٤٨٨١٩٠ - ٣٤٨٥٨٦٠



نموذج رائع للعماره الحديثه فى مصر متمثلا فى مشروع اسكان المعادى

الغلاف تصميم الفنان
أحمد اسماعيل دياب

رقم الإيداع
٩٧ / ١١٦٤٠
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 19 - 4507-6
طبع بمطبعة خطاب ☎ : ٣٩١٦٨٦٦

النهار

قفزة فى عالم الصحافة المتميزة

مجلة ثقافية - فنية اجتماعية



رئيس مجلس الادارة
إبراهيم محمد ترك

نائب رئيس مجلس الادارة
أيمن السيسى

ترقبوا

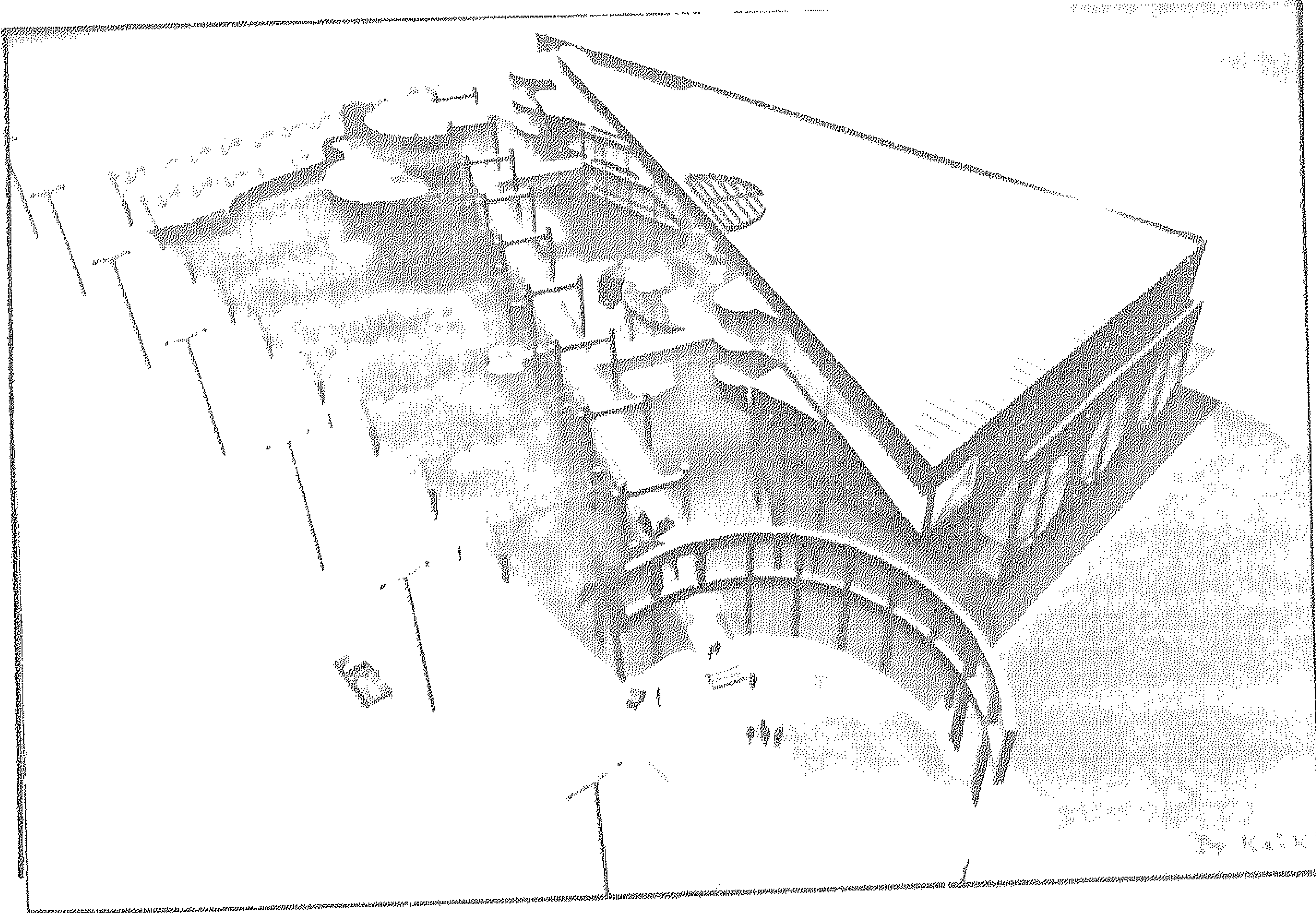
افتتاح اول مركز رياضي ترفيهي
على كورنيش النيل بالمعادى
بجوار مستشفى القوات المسلحه

شركة المعادي للاستثمارات السياحيه والترفيهيه (مترکو)

ويشمل المشروع على الاتى :

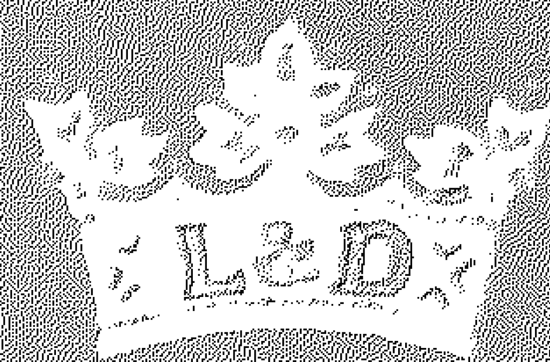
جيمنازيوم للالعاب المختلفه - ملاعب الانزلاق على الجليد - ملاعب الاسكواش - العاب الفيديو ملاعب تنس الطاوله - نادى صحى للرجال والسيدات - ملاعب بولينج - ملاعب بليار دو - صالات علاج طبيعى - مطاعم وكافيتريات - مسطحات مكشوفه للالعاب المختلفه

للاستعلام : أبراج عثمان - كورنيش النيل - عمارة ١١ - الدور الاول - اسكان فوق المتوسط
ت : ٣٧٨٧٩١٤ ٣٧٨٧٩١٥



الاستشارى :

أ.د. الغزالى كسيبه



لارين للانتــــاج والتـــــوزيع الفنى (درويس مـــوريس اسكندر)
٢ شـــارع أحـمـد عـبـد الفـتـــاح ت: ٥٨٤٠٤٠٧ _ ٥٨٤٠٤٠٨

المؤلف

حمدى الكنيسى

- الكاتب القصصى والسياسى والعسكرى
- عضو مجلس ادارة اتحاد الكتاب.
- رئيس الاذاعة المصرية.
- المراسل الحربى للإذاعة فى حرب أكتوبر وصاحب أشهر برنامجين
صوت المعركة و يوميات مراسل حربى
- عمل خبيرا دوليا فى الإعلام لدى اليونسكو.
- مستشار مصر الاعلامى فى لندن ونيودلهى (٨٠ - ١٩٨٥)
- منحه الرئيس مبارك وسام الجمهورية عام ١٩٨٢
- عضو المجالس القومية المتخصصة.
- نال العديد من جوائز التفوق والتميز الإعلامى من رئيس الوزراء ووزير الاعلام.

وصدر له

- حينما يتوقف اللعب (مجموعة قصصية)
- قالوا فى عبد الناصر.
- يوميات مذيع فى جبهة القتال.
- الطوفان
- روما ٩٠
- البطولة السمراء.
- العودة من الأسر.

الناشر

مجلة النهار

المؤسسة العربية للثقافة والعلوم
مدينة نصر - إمتداد رمسيس ٢ عمارة ٢٦٨ شقة ٥٢
ت: ٤٠١٥٧٨٢ - ت و ف: ٢٩١٦٨٦٦

